OSMANİYE
682
954

RUOSMAN
682
954

علي القاري على الطريقة الاربعين للامام النووي

٩٥ ٤

عدد و حم
١٥٧

شرح
كتاب الحديث الاربعين للشيخ الامام العلامة
الهمام ذى التصانيف المفيدة والتاليف
الفريد العديد المفنن الحافظ المحدث
على القارى عليه رحمة البارى
الحنفى عفى الله تعالى
عنه
م

الحديث الاول	١٧
الحديث الثاني	٢٥
الحديث الثالث	٣٨
الحديث الرابع	٤١
الحديث الخامس	٤٦
الحديث السادس	٤٩
الحديث السابع	٥٣
الحديث الثامن	٥٥
الحديث التاسع	٥٨
الحديث العاشر	٦٠
الحديث الحادي عشر	٦٢
الحديث الثاني عشر	٦٤
الحديث الثالث عشر	٦٦
الحديث الرابع عشر	٦٧
الحديث الخامس عشر	٦٩
الحديث السادس عشر	٧١
الحديث السابع عشر	٧٣
الحديث الثامن عشر	٧٥
الحديث التاسع عشر	٧٨
العشرون	٨٢
الحادي والعشرون	٨٤
الثاني والعشرون	٨٥
الثالث والعشرون	٨٦
الرابع والعشرون	٩١
الخامس والعشرون	٩٧
السادس والعشرون	١٠١
السابع والعشرون	١٠٤
الثامن والعشرون	١٠٧
التاسع والعشرون	١١٠
الثلاثون	١١٦
الحادي والثلاثون	١١٨
الثاني والثلاثون	١٢٥
الثالث والثلاثون	١٢٧
الرابع والثلاثون	١٢٨
الخامس والثلاثون	١٣٢
السادس والثلاثون	١٣٧
السابع والثلاثون	١٤١
الثامن والثلاثون	١٤٥
التاسع والثلاثون	١٤٩
الاربعون	١٥١
الحادي والاربعون	١٥٣
الثاني والاربعون	١٥٤

على الحديث
الاربعين للامام
النووي

٩٥٤

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

وقف عمدة ملوك الدوران وتبسيل نخبة آل عثمان مشكاة انوار انواع الحسنات
مصباح مشارق مجالس المبرات محيي السنة امام الامة السلطان ابن السلطان
ابن السلطان ابو المحاسن والمواهب عثمان خان ابن السلطان مصطفى خان
لا زالت ايامه مصابيح الاقبال ومساعيه الجميلة مفاتيح ابواب الامال
وانا الداعي لدولته الحاج ابراهيم حنيف
المفتش باوقاف الحرمين المحترمين
غفر له

KURUOSMANİYE KÜTÜPHANESİ
Kısmı: Nuruosmaniye
Yeni Kayıt No. 682
Eski Kayıt No. 954
Tasnif No. 297.2(077)=927

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل للاعداد والاوقات اعتبار الانام
فخلق السموات والارض فى ستة ايام وخمر طينة آدم عليه السلام
بيديه اربعين صباحا فى مقام الاكرام وجعل اطوار خلقة افراد
بنى آدم اربعين نطفة ثم اربعين علقة ثم اربعين مضغة الى ان كسى
اللحم فوق العظام ووعد موسى عليه الصلوة والسلام اربعين ليلة
لميقات الكلام وبعث نبينا صلى الله عليه وسلم بعد تكميل اربعين سنة
على سنن اكثر الانبياء والصلوة والسلام الاتمان الاعمان
الافضلان الامثلان على من خلق اولا فى عالم الارواح
وجعل آخرا من بين الانبياء فى مراتب الاشباح ليكون مظهرا للمراتب
الاولية الباطنية ومظهرا للمناقب الاخرية الظاهرية
وعلى آله الكرام واصحابه الفخام وسائر اتباعه الى يوم القيام اما بعد
فيقول المفتقر الى بر ربه البارى على بن سلطان محمد القارى
هذا شرح عزيز لا بسيط ولا وجيز غير مخل فى بيان مبانيه
ولا ممل فى برهان معانيه ممزوج بفوايد لغوية ونحوية وفقهية وعوايد
صوفية من اسرار قدسية وانوار انسية قصدت بتوفيق
الملك المعين سلوك خدمة هذه الاربعين المشتملة على احكم
المبانى وابلغ المعانى التى صدرت من مشكوة صدر من نزل

عليه السبع المثانى

عليه السبع المثانى تمما لما الفه الشيخ الامام العلامة والهمام الفهامة
محيى الدين النووى قدس الله روحه العلى ونور ضريحه الجلى
وقد ولد سنة احدى وثلاثين وستمائة بنوى قرية من دمشق الشام
وقرأ بها كلام الملك العلام سنة تسع واربعين وقرأ التنبيه
فى اربعة اشهر ونصف وحفظ ربع المهذب فى بقية السنة
ثم مكث قريبا من سنتين لا يضع جنبه على الارض يقرأ اثنى عشر
درسا من العلوم وكان آمرا ناهيا ساهرا فى العلم والعمل صابرا على خشونة
العيش وقصر الامل لا ياكل الا مرة مما يؤتى من عند ابويه بعد العشاء
ولا يشرب الا شربة عند السحر ولم يتناول فواكه دمشق لشبهة فيها
ولم يتزوج من زهده وحج مرتين وتولى دار الحديث الاشرفية
سنة خمس وستين ولم ياخذ من معلومها شيئا يلبس ثوب قطن
معا سجادة وعليه سكينة ووقار فى بحث العلوم الدينية
ولم يزل على ذلك الى ان سافر الى القدس ثم عاد الى وطنه فمرض
عند ابويه وتوفى سنة ست وسبعين وستمائة ودفن ببلده
طيب الله مضجعه وروح روحانه انشد ابياتا عند الوفاة منها
شعر يسايرقلبى فى قدومى عليهم وبالسير يسرى يوم اسرى اليهم
وفى رحلتى يصفو مقامى وحبذا مقام به حط الرحال لديهم
وسميته بالمبين المعين لفهم الاربعين وهذا اوان الشروع فى المقصود
بعون الملك المعبود قال رحمه الله بسم الله اى باسم المعبود بالحق
الواجب الوجود المبدع للعالم من آثار الكرم والجود والباء
للاستعانة متعلق بفعل مؤخر مثل ابتدئ على الطريق لافادة الاختصاص
وللاهتمام فى مرتبة الخاص ولان ما هو السابق فى الوجود يستحق السبق
فى ظهور الجود ولذا قال بعض المحققين من ارباب الشهود ما رأيت شيأ

الا وآيات الله قبله وزاد عليه من ترقى لديه بقوله سوى الله والله ما في
الوجود **الرحمن** العام الرحمة لجميع البرية بإفاضة أصول النعم وجلايلها
الرحيم الخاص الرحمة للمؤمنين بالهداية وما يتوقف عليه سعادتهم
من دقايقها وحقايقها وأصل الرحمة انعطاف القلب والرقة وهي في حقه
سبحانه إرادة الخير لمن يستحقها أو ترك العقوبة لمن يستوجبها
والحاصل أن الرحمن هو المفيض للوجود والكمال على الكل بحسب ما يقتضي الحكمة
على وجه البداية والرحيم هو المفيض الكمال المعنوي المخصوص بالنوع
الإنساني بحسب النهاية وفائدة لفظ الاسم أن يسم به الحق
على قلوب أهل معرفته من الخلق فلما قدم لفظ الله اضمحلت العقول
في بيداء عظمته وذابت الأرواح في بحار ألوهيته فأتبعه بالرحمن الرحيم
ليلين قلوب الموحدين ويشفي صدور قوم مؤمنين كذا قاله بعض المحققين
وقيل الرحمن شراب شوق أهراقه لأرباب ذوق في قدح الرحيم ليتناول
العباد في مقام المراد حتى إذا شربوا سكروا وطربوا فطلبوا فساروا فطاروا
فوصلوا فاتصلوا فذابوا واضمحلوا في بيداء كشفه واستغرقوا في بحار
لطفه هذا والله هو الاسم الأعظم لكن بشروط من جملتها أن تقول الله
وليس في قلبك سواه ونقل الأستاذ أبو القاسم القشيري قدس سره
أن جميع أسمائه تعالى للتخلق إلا هذا الاسم فإنه للتعلق ثم اعلم أن المص رحمه الله
افتتح كتابه بالتسمية والتحميد تناسبا بالكتاب المجيد وعملا بالحديث الصحيح
المفيد كل أمر ذي بال أي شأن وحال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم
أو بالحمد لله أو بحمد الله أو بذكر الله فهو أجذم أو أقطع أو أبتر روايات
متعددة وعبارات مختلفة مؤداها أنه متروك البسملة قليل البركة
أو مقطوع عن الزيادة ورواية بذكر الله أعم وفي المعنى أتم لما يشير إلى أن
الابتداء العلي الشأن يحصل بأي ذكر كان سواء يكون في ضمن البسملة

او الحمد لله الا ان

أو الحمد لله إلا أن الجمع بينهما أفضل والاهتمام باقترانهما أشمل
والترتيب مأخوذ من الكتاب الجليل مع ما فيه من الإشارة إلى أن توفيق الإتيان
بالبسملة إنعام جميل فينبغي أن يترتب عليه شكر جزيل فقال رحمه الله
الحمد لله وهو الوصف بالجميل الاختياري على جهة التبجيل سواء تعلق
بالفضائل الكسبية أو بالفواضل الوهبية وأل للاستغراق خلافا للمعتزلة
في هذه المسألة وقيل للجنس فلام لله للتخصيص فيؤول إلى الأول وأما هنا
وفي كلام الصوفية أن الحمد كما يكون بالمقال يكون بالأفعال ولسان الحال
وهو ظهور الكمالات وحصول الغايات من الكائنات إذ هي أثنية فائحة ومدايح
رائقة لمولاها بما يستحقه فيما أولاها فالموجودات كلها مسبحة منزهة
حامدة بإظهار كمالاتها وإشعار من بداياتها ونهاياتها في مظهريتها
للصفات الجلالية والنعوت الجمالية كما قال تعالى وإن من شيء إلا يسبح بحمده
أي بلسان فصيح ملكوتي سرمدي يسمعه من كان له قلب وألقى السمع وهو شهيد
وبهذا اللسان نطق الحصى في يد المصطفى وبه تحدث الأرض أخبارها
وتنطق الجوارح بأوزارها وبه نطق السموات والأرض حيث قالتا أتينا
طائعين ثم اختيار اسم الذات المنبئ عن صفات الكمال ووصفه بما يتفرع عليها
من الأفعال إيماء إلى استحقاقه من جميع الجهات وسائر الأحوال ولذا قال
رب العالمين بالجر على البدلية ويجوز رفعه ونصبه في العربية
وبالثلاثة قرئ في الفاتحة أي مبديهم ومربيهم قال الواسطي هو الخالق
ابتداء والمربي غذاء والغافر انتهاء والعالم كل ما يعلم به الصانع والعالم
جمع لتعدد أنواعه واختلاف أصنافه قال وهب هي ثمانية عشر ألف عالم
وقيل أربعون ألفا وقيل ثلاثمائة وستون ألفا وقيل ثمانون ألفا نصفه في البر
ونصفه في البحر وقال كعب الأحبار لا يحصي عدد العالمين غيره سبحانه
قال تعالى وما يعلم جنود ربك إلا هو واختير هذا الجمع تغليبا لذوي العقول

من الملائكة والثقلين لشرفهم واستتباعا غيرهم فهو عبارة عن
المخلوقات بأسرها من جواهرها وأعراضها لافتقارها الى مؤثر واجب
لذاته تدل على وجوده وثبوت صفاته **قيوم السموات والارضين**
بفتح الراء ويسكن وعلل بأن قياسه ارضات كثمرات فلما عوض منه الواو
والنون أبقوا فتحة الراء إيماء الى اصل البناء والقيوم فيعول مبالغة
القائم والمراد به هنا القائم بذاته المقوم لمصنوعاته فهو خالقهما
والدائم القيام بأمرها وجمع السماء لاختلافها بالآثار والحركات عند
الحس وتباينها في الجنس كما ورد في كتاب المعراج للاستاذ القشيري
ان الاولى موج مكفوف والثانية من النحاس والثالثة من الفضة
والرابعة من الذهب والخامسة من الياقوت والسادسة من زمرد
والسابعة من نور والعرش من جوهرة خضراء او باعتبار كبرها
وسعة جرمها ففي الخبر ان الارضين السبع بجنب السماء الدنيا
كحلقة في فلاة وهكذا كل سماء بالاضافة الى ما فوقها وجميع الكائنات
بالنسبة الى العرش وقدمها لشرفها وعلو مكانها وافراد الارض في الكتاب
لاتحاد جنسها ولصغر جسمها او لثقل جمعها وانما جمعها المص
كما ورد في بعض الاحاديث اشعارا بانها مثلها في عددها قال تعالى
ومن الارض مثلهن وفي كل طبقة ما لا يعلمه الا الله الذي خلقهن
ولايثار الرعاية الفاصلة فيما قبلها وما بعدها هذا وقال القشيري قدس سره
فمن عرف انه القيوم بالامور والاحوال استراح عن كد التدبير وتعب
الاشتغال وعاش براحة التفويض تكرمة ولم يحصل في قلبه للدنيا
كثير قيمة وقد قال الاكابر ان جميع كرائم الدنيا والعقبى عند الله اقل
من تبنة عند سلطان الدنيا **مدبر الخلائق اجمعين** اي العالم بعواقب
امورهم ومفيض ما يتوقف عليه وجودهم وثبوت ظهورهم فالتدبير له

في العالم العلوي

مطلب في طبقات السماء

٤

في العالم العلوي والسفلي فتدبيره لعالم الارواح كتدبيره لعالم
الاشباح وتدبيره للكبير كتدبيره للصغير لا يختلف بالنسبة الى احد
احوال شيء من صفته في الايجاد والاعدام والمنع والاعطاء وامثال ذلك المرام
باعث الرسل اي مرسلهم **صلوات الله** اي انواع رحمته المقرونة
بعظمته **وسلامه** وتسليمه من آفات معاتبته المقرونة بمعاقبته
عليهم والجملة خبرية مبنى وانشائية معنى كالحمد لله والصحيح ان الرسول
انسان اوحي اليه وامر بتبليغه والنبي من لم يؤمر وهو اعم منه وفي مسند احمد
ان عدد الانبياء عليهم السلام مائة الف واربعة وعشرون الفا
والرسل منهم ثلاثمائة وخمسة عشر قيل مساق الكلام يقتضي ان يكون
لهذه الاوصاف مدخل في اقتضاء الحمد على المرام لان ترتيب الوصف على الحكم
مشعر بالعلية كما تقرر في الاصول الدينية واجيب بان الامر كذلك
اما ربوبيته للكل بالامداد الرزقية والحفظية فظاهر انها من المنح
الجلية واما قيامه بامر السماء والارض فلانه لولاه لاختل العوالم العلوية
والسفلية فلا يمكن لهم اكتساب المعارف الدينية واللطائف اليقينية
او اصلاح المعاد بانتظام امر المعاش والزاد واما تدبيره فهو افاضة
وجودهم وصفاتهم وما يتوقف عليه ثبوت بقائهم ولا يخفى انه
ايضا من النعم العظيمة والمنن الوسيمة واما بعثة الرسل فلان الخلق
بسبب احتجابهم وبعدهم عن الحق لا يمكنهم تلقي المعارف والعلوم من الحضرة
الصمدية بل لا بد لهم في استفاضة المطالب واستفادة المآرب من واسطة
تكون من وجه تناسب الحضرة الاحدية ومن وجه تلائم الرتبة البشرية
فيستفيض بسره المشاهد للحق ويفيض بظاهره المخالط للخلق وهم الرسل
الكرام فكان بعثهم من النعم الجسام **الى المكلفين** اي العقلاء البالغين
من الانس وكذا من الجن بالنسبة الى نبينا صلى الله عليه وسلم بل وكذا من الملائكة

مطلب عدد الانبياء عليهم السلام

وحتى من الحيوانات والجمادات كما يشير اليه خبر مسلم وأرسلت الى الخلق كافة
واما ما قيل من ان التكليف الزام ما فيه كلفة فهو غالبي بالنسبة الى العامة
والعقل الذي هو مناط التكليف غريزة يلزمها العلم بالضروريات
عند سلامة الآلات وفي كلام بعض الصوفية انه جوهر فطري يتميز به
الصلاح من الفساد والخير من الشر فان تعلق بالخالق فهو عقل المعاد
والهداية وان تعلق بالخلق فهو عقل المعاش والبداية **لهدايتهم**
اي لدلالتهم الى ذات الله وصفاته وافعاله في مصنوعاته وهداية
الرسل الكرام بدلالة العوام الى دار السلام وبارشاد الخواص طريق
السير الى الله ثم في الله ليمحو عنهم ظلمات احوالهم ويميط غواشي ابدانهم
فيستضيئوا بنور القدس ويدركوا بنوره في مجامع الانس ثم اعلم
ان الهداية على ضربين بمعنى الدلالة وتفريق الحق من الضلالة وهو
هداية ارباب الرسالة وبمعنى التوفيق والتأييد والتحقيق وهو مخصوص به
سبحانه بهذا المعنى يجمع بين قوله تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله
يهدي من يشاء وبين قوله سبحانه وانك لتهدي الى صراط مستقيم او يقال
اشار فيهما الى مقام الجمع كما تقرر في قوله تعالى وما رميت اذ رميت
ولكن الله رمى **وبيان شرايع الدين** الشريعة لغة نهج الطريق الواضح
الى الماء واصطلاحا الطريقة الالهية المثبتة للاحكام الدينية المتضمنة
لمصالح العباد وعمارة البلاد وتجارة المعاد والدين لغة الطاعة والجزاء
وشرعا وضع الهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود الى ما يصلح في معاشهم
ومعادهم والدين والملة يتحدان ذاتا ويختلفان اعتبارا فان الشريعة
من حيث انها يطاع بها تسمى دينا ومن حيث انها يجتمع عليها تسمى ملة
وقوله لهدايتهم اشارة الى البعثة وهي دعوة الخلق الى الحق وارشاد العباد
الى مصالح المعاش ومنافع المعاد واعلامهم بما يعجز عقولهم عن معرفته من احوالهم

كالحشر والنشر

٥

كالحشر والنشر والجنة والنار وتعيين وظايف الطاعات وتبيين اوقات
العبادات وبيان الحدود والاحكام في المعاملات وذلك لان الانسان
لما لم يكن مستقلا بالشأن بامر معاشه من غذائه ولباسه ومسكنه بل لا يتم له الا بمشاركة
من ابناء جنسه وكان كل يشتهي ما يفتقر اليه فاحتيج الى عدل متفق عليه
يحصل ويكلهم لديه ولما كان من المتعذر حصر الامور الجزئية مست
الحاجة الى ضبط قوانين كلية وهي شرايع دينية ولا بد لها من شارع
ممتاز باستحقاق الطاعة لينقاد له المكلفون في قبول الشريعة وذلك
باختصاصه بآيات ظاهرة ومعجزات باهرة دالة على انه من عند الحق الى الخلق
كما اشار اليه المص فقال **بالدلايل** اي حال كونهم متلبسين بالادلة
القطعية اي الموجبة للعلم بانها تقطع معارضات الخصم **وواضحات
البراهين** اي الحجج الواضحة في المرام ليمتازوا باستحقاق الطاعة للانام
وتقبل منهم الاحكام وتطاع شريعتهم مدى الايام فمن اطاعوهم بشروه
بالجنة في دار القرار ومن عصاهم انذروه بالعقوبة في دار البوار **احمده**
عدل عن الجملة الاسمية المفيدة للثبات والدوام لقدم الصفات واستمرارها
الى الجملة الفعلية المناسبة لتجدد الانعام وتعاقبها وتكررها وايضا عمم اولا
ثم خصصه باسناده الى نفسه فقال احمده **على جميع نعمه** واراد به هنا
معنى الشكر الذي هو من افراد الحمد بقرينة ذكر نعمه ثم النعمة هي الحالة
المستلذة او المنفعة الخالصة من المضرة ولذا اختلف في ان الجاحد
هل هو منعم عليه أولا ونعم الله تعالى وان كانت لا تحصى ولا يمكن ان تستقصى
لقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها اي لا تطيقوا عدها فضلا عن اداء
شكرها الا انها اما دنيوية او اخروية وظاهرية او باطنية والدنيوية
اما وهبية كخلق الاعضاء وقواها ونفخ الروح للاحياء والابقاء واشراقه
بالعقل وما يتبعه من الصفاء والضياء واما كسبي كتخلية النفوس

عن الرذايل وتحليتها بالفضايل وتجليتها بتحسين الشمايل والخوارق وهو
ان يعفو الله عن عبده ويرضى عنه في مقام وده ويبوئه في اعلى عليين مع النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين واسأله المزيد اى الزيادة
من فضله وكرمه اى من افضاله واحسانه في تجليات جماله وذلك يؤيد
ما ذكرنا من انه اراد بالحمد الشكر لقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم ولما ورد
على ما رواه ابو داود عن ابي هريرة مرفوعا كل خطبة ليس فيها تشهد فهي
كاليد الجذماء قال المص واشهد اى اعلم واعلم ان لا اله الا الله
اى لا معبود بالحق في الوجود ازلا وابدا الا الفرد الموجود المتصف بالكرم
والجود واحدا صمدا الجامع لصفات الالوهية الحاوي لنعوت الربوبية
وان هي المخففة من المثقلة والجملة مفعول اشهد الواحد اى المتعالي
عن الانقسام والتجزي وقيل هو سبحانه من حيث انه منزه عن التركيب واحد
ومن حيث انه مقدس عن التشبيه احد وفي جامع الاصول ان الاحد
بني لنفي ما يذكر معه من العدد وان الواحد وضع لمفتتح العدد ولا يستعمل
الاحد في الاثبات كقولك رأيت رجلا واحدا والاحد يستعمل في النفي
تقول ما رأيت رجلا احدا هذا هو الفرق مبنى واما معنى فلان الاحد
هو المنفرد باعتبار الصفات والواحد باعتبار الذات ولذا قال بعض
الصوفية الواحد المنزه عن الشريك المماثل مع جواز اعتبار الكثرة
الاعتبارية بحسب صفاته والاحد المنزه عن اعتبار التعدد والتكثر فيه
بحسب ذاته القهار اى الذي لا موجود الا وهو مقهور تحت قدرته
مسخر لقضائه وقدره وعاجز في قبضته الكريم المقدس عن العيوب
ازلا المنزه عن النقايص ابدا الغفار الذي يستر ذنوب عباده
وفق مراده باسبال الستر في الدنيا وعدم المؤاخذة في العقبى قال
بعضهم ومن ايات الرجاء قوله تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه الاية

مطلب الفرق بين الواحد والاحد

كأنه قال

كأنه قال من امضى عمره في الزلات وافنى عمره في المخالفات وابلى شبابه
في البطالات ثم ندم قبل الوفات وجد من الله العفو عن السيئات فقوله تعالى
ومن يعمل سوءا اخبار عن الفعل وقوله ثم يستغفر الله اخبار عن القول
كأنه قال الذين زلتهم قالة وتوبتهم حالة يجد الله غفورا رحيما
طلبوا المغفرة فوجدوا الله بوصف الغفران والرحمة فليس العجب
من السيارة حيث طلبوا الماء ليشربوا فوجدوا يوسف عليه السلام
انما العجب من عاص طلب المغفرة فوجد الملك العلام واشهد
ان محمدا اى من كثرت خصاله الحميدة وهو اشهر اسمائه العربية
نقل من الوصفية الى العلمية عبده ورسوله قدم العبودية
على الرسالة النبوية دفعا لتوهم الالوهية وتعريضا للجماعة العيسوية
وايماء الى ان العبادة مما يورث السيادة واشار الى هضم نفسه
وفضل ربه بها وفي كلام الصوفية انه لا مقام اشرف من العبودية اذ
ينصرف من الخلق الى الحق وينعزل عن التصرفات وبالرسالة من الحق الى الخلق
ويقبل على التصرفات ولذا قال اسرى بعبده ولم يقل برسوله وكان
من قال الولاية افضل من النبوة اراد من هذه الحيثية وان كان الرسالة
هي الحالة الجمعية وهذا توجيه كلام ابن عبد السلام من تفضيل
النبوة لتعلقها بالحق على الرسالة لتعلقها بالخلق والتحقيق ان نبوته
بمعنى ولايته وهي نسبة الاستفاضة افضل من رسالته وهي نسبة الافاضة
واما اذا لوحظ الرتبة الجمعية فالرسالة لها كمال المزية فانها مقام
التكميل الذي هو نهاية مقامات الصوفية فالعبد الحقيقي لربه
من يكون حرا عن هوى قلبه ولذا قيل شعر اتمنى على الزمان محالا ان ترى
مقلتاي طلعة حر هذا وقد جاء في الخبر الصحيح ولكن قولوا عبد الله
ورسوله وحبيبه في مقام الخاص وخليله في مرتبة الاختصاص

اى المنسوبة الى عيسى عليه السلام منه

قيل المحبة ايثار المحبوب على جميع المصحوب وقيل موافقة الحبيب في المشهد والمغيب
وقيل محو المحب بصفاته واثبات المحبوب بذاته وقيل مواطاة القلب لمرادات
الرب وقيل خوف ترك الحرمة مع اقامة الخدمة وقال ابو يزيد البسطامي قدس سره
المحبة استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك
وقال سهل المحبة معانقة الطاعة ومباينة المخالفة كونه حبيبا لقوله ﷺ
صلى الله عليه وسلم الا وانا حبيب الله ولا فخر وكونه خليلا لقوله لو كنت متخذا
خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر خليلا نفى ان يكون له خليل غير ربه
فثبتت خلته له وعن الامام الصادق رضي الله عنه قال اظهر الله اسم الخلة
لابراهيم واخفى اسم المحبة لمحمد لتمام حاله اذ لا يحب الحبيب اظهار
حال حبيبه لئلا يطلع عليه غيره وقال لنبيه فاتبعوني يحببكم الله
اشعارا بانه لا طريق الى محبته الا باتباع حبيبه في شريعته ومن هنا
قيل الحبيب من غلب عليه المحبوبية والخليل من غلب عليه المحبية فالحاصل
ان تسمية ابراهيم ومحمد عليهما السلام بخليل الله اما بانقطاعهما اليه
ووقف حوائجهما عليه والانقطاع عن الوسائط لديه وقدم حبيبه
لاختصاص واخر خليله لاشتراك غيره معه او للايماء الى انه مقام اقدم
وحال الفخر لخبر البيهقي انه تعالى قال ليلة الاسراء سل تعط فقال يا رب انك
اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما فقال الم اعطك خيرا من هذا
الى ان قال واتخذتك حبيبا ثم الخليل هو تخلل القلب محبة الرب كما قيل
قد تخللت مسلك الروح مني وبهذا سمي الخليل خليلا وسيأتي الكلام على تحقيق
محبة الله للعبد ومحبة العبد لله في حديث ازهد في الدنيا يحبك الله
افضل المخلوقين بدليل قوله صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس يوم القيامة رواه البخاري ومسلم
وفي رواية الترمذي انا سيد ولد آدم ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر
وما من نبي آدم فمن سواه الا تحت لوائي يوم القيامة ومن المقررة الانبياء افضل الخلق

وهو افضلهم فهو

٧

وهو افضلهم فهو اكملهم ولقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
وفي رواية البيهقي انا سيد العالمين وفي رواية للترمذي انا اول من تنشق عنه
الارض فاكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلائق
يقوم ذلك المقام غيري هذا ونقل اللقاني ان الصحيح الذي عليه الجمهور
هو ان الانبياء عليهم السلام افضل من الملائكة واما كون نبينا صلى الله عليه وسلم
افضل الانبياء والمرسلين جملة وتفصيلا فلا خلاف فيه انتهى واما قوله
صلى الله عليه وسلم في الاحاديث الصحيحة لا تفضلوني وفي رواية
لا تخيروني على الانبياء فمحمول على النهي عن تفضيل في ذات النبوة او الرسالة
او عما يؤدي الى المنقصة او محمول على التواضع او على انه قبل العلم بالقضية
لان التفضيل الاجمالي مقطوع به لقوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض
المكرم على سائر رسل بني آدم **بالقرآن** اي الفرقان المعظم **العزيز** البديع
المنيع المفخم رصانة مبانيه وفصاحته وصحة معانيه وبلاغتها واشتمالها على علوم
الاولين والآخرين مما يحتاج اليه في امور الدنيا والدين وقد تكفل الله
بحفظه عن كيد الجاحدين وزيغ المعاندين فهو كريم على الرحمن وحزبه
منيع من الشيطان وجنده بل قال بعض الكمل ان الله تعالى تجلى لعباده
في كلامه ولكن لا يبصرون لعدم تحقق مرامه قال الامام الصادق رضي
فيكون عزيز الوجه عزيز المكارم والجود وقد قال تعالى وانه لكتاب عزيز
لانه نزل من رب عزيز بواسطة ملك عزيز على رسول عزيز الى جمع عزيز
قال عثمان بن عفان رضي الله عنه لو طهر باطن قلوبنا ما شبعنا من كلام ربنا
المعجزة صفة اخرى للقرآن وهي الامر الخارق للعادة والتاء للمبالغة كما في العلامة
المستمرة اي الباقية الدائمة الحاكمة **على تعاقب السنين** الى يوم القيامة
بخلاف معجزات سائر الانبياء فانها انقضت بانقضائهم ومن ثمة قال
صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الانبياء الا وقد اوتي ما مثله آمن عليه البشر

وانما كان الذي اوتيت وحيا فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة
واذا اردت معرفة المعجزة المتعلقة بالقرآن مبنى ومعنى على جهة
الاستيفاء فعليك بشرحنا لكتاب الشفاء وبالسنن اي والمكرم
بالاختصاص المستنيرة اي ذات الانوار الكثيرة بما اشتملت عليه من هداية
الضالين وايقاظ الغافلين للمسترشدين من طلاب الرشد في الدين
وخص بهم لكونهم منتفعين اذ لا محيص من ظلمات الردى الا بالاستضاءة
من انوار السنة والهدى وكان الاظهر ان يقول المنيرة بدل المستنيرة
او يجمع بينهما بان يقول المستنيرة المنيرة فان سننه صلى الله عليه وسلم
كانها مستفيضة من الملك العلام اما بالوحي او الالهام مفيضة للعلماء الكرام
برفع ما اشكل عليهم كما يشير اليه قوله تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم ولا يبعد
ان يقال التقدير لانارة المسترشدين المخصوص بالرفع عطف على المكرم
اي المختص من بين سائر الانبياء بجوامع الكلم وبدائع الحكم في مقام الانباء
وفيه تلميح الى قوله صلى الله عليه وسلم اوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام
اختصارا اي اوتيت الكلمات الجامعة بين قلة مبانيها وكثرة معانيها ولا يختص
بالقرآن وان كان موصوفا بايجاز المباني واشباع المعاني فان في احاديثه ايضا
وجد معاني كثيرة في مباني يسيرة فقد تصدى لجمع بعضها الائمة
كابن السني والقضاعي وابن الصلاح وآخرين من اهل التحصيل وفي الشفاء منه
ما يشفي العليل وقد جمعت بحمد الله اربعين حديثا كل حديث على كلمتين
شاملتين لنسبة المرام وهو اقصى ما يتصور منه الكلام التام هذا
وبلسان العارفين معناه بعثت بالسنة الصفات وكلمات المقامات من تجلي
الحقائق في الذات ينطق الحق بلساني وبياني بالحق الذي تكلم به للخلق
وهما شاملان عين الجمع وسماحة الدين اي سهولته ويسره كما قال تعالى
وما جعل عليكم في الدين من حرج وقال يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر

وقال يريد الله ان يخفف عنكم وقال ويضع عنهم اصرهم والاغلال
التي كانت عليهم من تعيين قرض الجلد والثوب اذا اصابته النجاسة وقتل النفس في التوبة
والقود في القتل حتما دون الدية وقطع الاعضاء الخاطئة وكان من اذنب منهم
اصبح ذنبه مكتوبا على بابه فيقام عليه حده وفق كتابه ومنه ما قال الصحابة
ربنا ولا تحمل علينا اصرا الى آخر السورة اجاب الله تعالى دعاءهم بقوله قد فعلت
رواه مسلم وكما رواه الطبراني في الكبير بعثت بالحنيفية السمحاء وزاد احمد
في مسنده ولم ابعث بالرهبانية والبدعة وروى ايضا انه قيل يا رسول الله
اي الاديان احب الى الله قال الحنيفية السمحاء وروى احمد مرفوعا يا ايها
الناس ان دين الله يسر قالها ثلاثا وفي رواية قال خير دينكم ايسره قاله
ثلاثا وانه قال لما نظرت عائشة رضي الله عنها الى لعب الحبشة ليعلم اليهود
ان في ديننا فسحة اني ارسلت بحنيفية سمحة وروى عبد الرزاق
احب الاديان الى الله الحنيفية السمحة قيل وما الحنيفية السمحة قال الاسلام
الواسع وصح عن ابي رمزا قرأ النبي صلى الله عليه وسلم ان الدين عند الله
الحنيفية السمحة لا اليهودية ولا النصرانية وهذا مما نسخ مبناه
وبقي معناه لحديث البخاري الدين يسر قال الكاشي فان قلت فهل
الفائدة من ذكر صفاته المدح والثناء بما يليق بذاته ولا تسلسل ذنبه ذكره
والابتهاج باسمه كما قيل شعر اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره هو المسك
ما كررته يتضوع لا التعريف والتشهير بهذه الاخلاق فانه مستغن عنها
على الاطلاق قلت نعم وما احسن قول من قال ان بالخال اساميا لم تزده معرفة
وانما اللذة ذكرناها وقد قال الاعشى شعر ما ان مدحت محمدا بمقالتي
لكن مدحت مقالتي بمحمد صلوات الله عليه وسلامه اي انواع رحمته
واصناف سلامه نازلة اليه وواصلة لديه خاصة وعلى سائر النبيين منه في القرآن
اي جميعهم عامة فيحصل له دعوة ثانية تامة وهو بالياء والهمزة كما قرئ بهما

فقيل النبيء بالهمزة فعيل بمعنى الفاعل من النباء وبالياء فعيل بمعنى المفعول
من النبوّة بمعنى الرفعة وزاد ابن حجر في اصل شرحه والمرسلين وقال فحصل
وما بينهما من العموم والخصوص وفيه مخالف للاصول المعتمدة والنسخ
المعتبرة مع انّه مستغن عنه لدخول الخاصّ تحت العامّ وآل كلّ اي اقارب
كلّهم من جهة النسب والحسب ومن اختص بهم من حيث العلم والادب
وبالايم الاول قوله وسائر الصالحين اي وباقي المؤمنين من الصحابة
والتابعين واتباعهم الى يوم الدّين كافّة والصالح الكامل هو العالم
العامل القائم بحقوق الله وحقوق خلقه وما احسن قول من قال
من ارباب الحال اُحبّ الصالحين ولستُ منهم لعلّي ان انال بهم شفاعة
واكره من بضاعته المعاصي وان كنّا سواء في البضاعة قال الكافيجي كان
الاولى ان يقال وعلى آل كلّ باعادة كلمة على لكمال العناية بتعلق الدعاء
كما في ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم انتهى ولا يخفى ما فيه من الفرق
هاهنا فانّ الصلوة على الانبياء عليهم السلام اصالة وعلى آلهم بتبعيّة
فلا ينبغي التسوية في القضيّة مع ما فيه من الايماء الى التفنّن في وجوه
العربيّة واما ما ذكره الشيعة من حديث من فصل بيني وبين آلي بعلى
فعليه كذا وكذا فموضوع باتّفاق حفّاظ السُنّة هذا ولعلّ المصنّف
استعمل السائر في مقاميه باعتبار اختلاف مراميه كما اشرنا اليه
فلا اعتراض عليه في تكرار لفظيه امّا بعد كلمة يؤتى بها في اوائل الكتاب
ويسمّى فصل الخطاب لانّه اي المصنّف يفصل به بين ما سبق من ذكره سبحانه
وبين ما اراد من الغرض المسوق اليه في الباب وقد اتى به صلّى الله عليه وسلّم
في خطبه كما صحّ عنه بل ثبت ثبوتا قطعيّا اذ رواه اثنان وثلاثون صحابيّا
والمبتدئ بها داود عليه السلام وقيل غيره من الكرام والمشهور ضمّ داله مبنيّا
واجاز الفرّاء نصبه منوّنا واجاز ابن هشام فتحه وانكره غيره

ولكون أمّا نابت عن اسم شرط

ولكون امّا نابت عن اسم شرط هو مهما اجيبت بالفاء فالتقدير
مهما يكن من شيء من الكلام بعد ما تقدّم في هذا المقام من البسملة والحمدلة
والصلوة والسلام فقد روينا بفتح اوليه مع تخفيف الواو عند
الاكثرين من روى اذا نقل عن غيره وقال جمع الاجود ضمّ الراء وكسر الواو
مشدّدة اي روانا مشايخنا اي نقلوا الينا فسمعنا عن فلان كذا قال
بعض المحقّقين وهو بعيد رواية ودراية والمختار انّه بصيغة المجهول
مخففا على طريق الحذف والايصال اي روي الينا ونقل لدينا نقلا عقلا سماعا
او قراءة او اجازة خاصّة او عامّة او مناولة او مكاتبة او اعلاما
او وجادة او بصيغة المعروف ليكون قوله انّ مع صلتها مفعولا له هذا
وانّما ذكره المصنّف بصيغة الجمع لمشاركة غيره كما في قول ابن حجر نحن
وحدّثنا فالاوجه لجعل ابن حجر النون للعظمة ليحتاج الى تكلّف
وتعسّف في خروجه عن طريق الملاولة عن عليّ بن ابي طالب رضي الله عنه
هو اوّل من اسلم وله سبع سنين او ثمان شهد المشاهد كلّها سوى تبوك
حيث قال اما ترضى ان تكون منّي بمنزلة هارون من موسى الّا انّه
لا نبيّ بعدي احد العلماء الربّانيّين بل اوحدهم والشجعان المشهودين
بل اشجعهم استشهد غداة الجمعة سنة اربعين من ضربة عبد الرحمن
ابن ملجم لسبع بقين من رمضان وما بعد ثلاث وكان له ثلاث وستّون سنة
ودفن عند مسجد الجماعة في الرحبة ممّا يلي ابواب كنده على ما قاله الصغاني
او في قصر الامارة عند المسجد الجامع وصلّى عليه ابنه الحسن رضي الله عنهما
وغيّب قبره كما في تاريخ اليافعي ومدّة خلافته خمس سنين
الّا ثلاثة اشهر ونقش خاتمه الله الملك وكنيته ابو الحسن
وابو تراب كنّاه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم لمّا وجده نائما في المسجد
وقد علق التراب بجسمه فايقظه وقال قم يا ابا تراب فكان احبّ

الالقاب اليه لوروده على لسانه صلى الله عليه وسلم ولقب ايضا بحيدر
وهو اول سل سيفا لاهل الحسد ومروياته خمسمائة وستة
وثمانون حديثا وعبد الله والمراد به عند الاطلاق كما اصطلح عليه
المحدثون ابن مسعود الهذلي صاحب سواك رسول الله صلى الله عليه وسلم
وطهوره ونعليه قيل وسجادته ومخدته وهو افقه الصحابة
بعد الخلفاء ومن اكابر القراء توفي بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين
ودفن بالبقيع وهو ابن بضع وستين او ثمانين ومروياته ثمانمائة
وثمانية واربعون ومعاذ بن جبل بضم الميم انصاري شهد بدرا
وما بعدها وبعث الى اليمن قاضيا ومعلما مات في طاعون عمواس
بالاردن سنة ثماني عشرة وهو ابن ثلاث وثلاثين ومروياته مائة وخمسون
وابي الدرداء عويمر بن عامر الانصاري كان فقيها عالما عابدا زاهدا
شهد المشاهد العظام وسكن الشام ثم عاد الى المدينة ومات بالربذة
سنة اثنتين وثلاثين ومروياته مائة وتسعة وسبعون وابن عمر
اي عبد الله وهو المراد به عند الاطلاق اسلم مع ابيه وهو صغير كان شديد
الاتباع للسنة توفي بمكة سنة ثلاث وسبعين ولم يعرف موضع قبره
وقد ولد قبل الوحي بسنة ومروياته الفا وسبعمائة وثلاثون
وابن عباس اي عبد الله كما يراد به حال الاطلاق ايضا حبر الامة
وعالمها رأى جبرائيل مرتين مات بالطائف سنة ثمان وستين وهو
ابن سبعين وقبره هناك يزار ويتبرك به واما ما على السنة العامة
من انه صلى الله عليه وسلم قال من لم يقدر على زيارة قبري فعليه بزيارة
ابن عمي فباطل لا اصل له وهو احد العبادلة الاربعة وهم عبد الله بن عمر
وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير على ما قاله
الامام احمد بن حنبل وسائر المحدثين واما قول الجوهري ان عبد الله بن مسعود

احد العبادلة فادخله

احد العبادلة فادخله فيهم واخرج ابن عمر منهم فغلط نعم اذا اطلق عبد الله
فالمراد به ابن مسعود في اصطلاح المحدثين فانه اجلهم وافضلهم وانس بن مالك
انصاري خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم من عشر سنين ودعا له بكثرة المال والولد
وطول العمر والبركة فاثمرت ارضه كل سنة مرتين ودفن من صلبه سوى
اسباطه مائة وخمس وعشرون ومات بالبصرة بعد ان عمر اكثر من مائة سنة
وهو آخر من مات من الصحابة فيها ولد قبل الهجرة بعشر سنين ومات سنة احدى
او اثنتين او ثلاث وتسعين ومروياته الفان ومائتان وستة وثمانون
وابي هريرة دوسي واسمه عبد الرحمن بن صخر على الاصح من ثلاثة وثلاثين
قولا كان في صغره يلعب بهرة وفي كبره يحسن اليها فكني بها فمنع صرفها
لكونها علما لها حال كبرها ولو صغر وقت صغرها ولانها كانت صغيرة بالنسبة
الى غيرها اسلم سنة ست وكان عريف اهل الصفة ومات سنة تسع او سبع
وخمسين بالمدينة وله ثمان وسبعون سنة واحاديثه المرفوعة خمسة آلاف
وثلاثمائة واربعة وستون وابي سعيد الخدري بضم الخاء المعجمة
وسكون الدال المهملة نسبة الى خدرة قبيلة من الانصار كان من الحفاظ
المكثرين والعلماء المعتبرين مات سنة اربع وسبعين وله اربع وتسعون
ودفن بالبقيع ومروياته الف ومائة وسبعون رضي الله عنهم
وقد نقل عن عبد الله بن عمرو بن العاص ايضا كما قاله المنذري وغيره
وعن جابر بن سمرة وسلمان كما اخرجه ابن ماجه من طرق كثيرات اي اسانيد
كثيرة وطرق جمع طريق وهو جمع الكثرة فتأكيده بالكثيرات مبالغة
للكثرة بروايات متنوعات مختلفة المباني متفقة المعاني كما سيأتي بيانها
وتفاوت شانها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ابو القاسم محمد بن عبد الله
سيد المرسلين وخاتم النبيين حملت امه في ايام التشريق في شعب ابي طالب
عند الجمرة الوسطى وولد بمكة عام الفيل او قبله بثلاثين او اربعين يوما

ومات ابوه لما اتى عليه شهران او سبعة اشهر ولما بلغ ستا او اربعا
ماتت امه وكان في حجر عبد المطلب ثمان سنين وشهرين وعشرة ايام
فتوفي وولّيه ابو طالب وذهب به الى الشام بعدما تم له اثنتا عشرة سنة
وشهران وعشرة ايام ورجع من بصرى وخرج اليها مرة اخرى
مع ميسرة غلام خديجة لتجارة لها وتزوجها بعدما بلغ خمسا
وعشرين سنة وبقيت عنده ثماني عشرة سنة ولما بلغ خمسا
وثلاثين شهد بناء الكعبة ولما تم له اربعون بعثه الله تعالى
رحمة للعالمين بشيرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين ونزل عليه القرآن
وفرض عليه التبليغ والبيان ولما اتت عليه احدى وخمسون وتسعة اشهر
اسري به ليلة الاثنين وخص بالرؤية بالعين وفرض عليه خمس صلوات
ولما بلغ ثلاثا وخمسين هاجر الى المدينة يوم الاثنين لثمان خلون
من ربيع الاول ودخلها يوم الاثنين واذن له في السنة الثانية
لمن ابتدأ به في غير الاشهر الحرم والمحرم ثم ابيح ابتداؤه فيهما ايضا
وفرض فيها صوم رمضان واما الزكوة فقيل فرضت قبله وقيل بعده
وفرض الحج في السنة السادسة او الخامسة وفيها بيعة الرضوان وفي الثامنة
فتح مكة وفي العاشرة حجة الوداع وكانت وقفة عرفة فيها
يوم الجمعة بالاجماع ولم يحج بعد الهجرة الا اياها ولم يضبط ما حج قبلها
واعتمر اربعا وكانت غزواته سبعا وعشرين وسراياه ستا وخمسين
وتزوج احدى وعشرين امرأة طلق ستا ومات عنده خمس وتوفي عن عشر
لم يدخل بواحدة منها واولاده ثمانية ولما بلغ ثلاثا وستين
اختار الرفيق الاعلى يوم الاثنين وسط النهار لثنتي عشرة خلت
من ربيع سنة احدى عشرة ودفن يوم الثلاثاء او الاربعاء عليه
افضل التحية واكمل الثناء قال من حفظ على امتي لاجل تعليم امتي

فعلى للتعليل كقوله تعالى

فعلى للتعليل كقوله تعالى ولتكبروا الله على ما هداكم وقيل التقدير شفقة
على امتي واصل الحفظ ضبط الشيء ومنعه عن ضياعه وهو هنا قد يكون بحفظه
مبنى او معنى او جمعا بينهما وقد يكون بضبطه في الكتاب وقد يكون بسبب
نقله الى اولي الالباب قال المؤلف معنى الحفظ ان ينقل الاحاديث الى المسلمين
وان لم يحفظها ولم يعرف معناها هذا حقيقة مؤداه اذ به يحصل
انتفاع المسلمين لا بحفظه ما لم ينقله اليهم انتهى والامة جميعهم جامع من دين
او زمان او مكان ويطلق تارة على كل من بعث اليهم ويسمون امة الدعوة
واخرى على المؤمنين منهم وهم امة الاجابة وهم المراد هنا لانهم المنتفعون
باحاديث النبوة اربعين حديثا المراد هنا قول الرسول صلى الله عليه وسلم
وفعله وتقريره ومعرفة شمايله من امر دينها اي من جملة امور يتعلق بها
ما هم مامورون بتدينها سواء يكون من الاصول او الفروع المرتبة عليها
وكأنه احترز عن الامور العادية الدنيوية التي من لوازم البشرية مما ليس بها
ضرورة في الاحوال الدينية والاخروية بعثه الله تعالى يوم القيامة في زمرة الفقهاء
بالفروع والعلماء بالاصول الدينية وتأخير العلماء للترقي في الاداء
والتعبير بالبعث في زمرتهم للايماء الى انه لم يكن في مرتبتهم فلا يشترط
فقه المبنى ولا علم المعنى كما اشار اليه المص [illegible] لمن نازع في هذه الدعوى فيه
وفي صنيع المص هذا اشعار بان كل من نقل حديثا من كتاب سواء بعينها وتصرف
بحذف اسناده او اختلاف ترتيبه في ابوابه يكون داخلا في حفظ الاحاديث
والا ففي الحقيقة لم ينقل هذه الاربعين الا من سيأتي ذكرهم من المخرجين
المتقدمين في التدوين وفضل الله واسع شأن الحفاظ علو الدين وان كان
يختلف ويتفاوت مراتب المجتهدين كما يدل خير ثوابك على قدر تعبك
ثم لا فرق بين حفظ اربعين حديثا صحيحة او حسنة وكذا ضعيفة
في فضائل الاعمال الا في باب الحرام والحلال لامتناع العمل بها فيهما في جميع الاحوال

يختلف

وقد اشرنا في صدر هذا الكتاب الموجه الينا رهذا العدد في الباب
وقد روي من اخلص لله اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه
واذا مات المؤمن بكى عليه مصلاه اربعين يوما ويبقى دعاء الوالدين
للولد البار اربعين سنة ولما كمل بايمان عمر رضي الله عنه عدد الاربعين
من المؤمنين نزل قوله تعالى يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين
وقد افاد بشر الحافي قدس سره بقوله يا اهل الحديث اعملوا من كل اربعين حديثا
بحديث كما قال صلى الله عليه وسلم ادوا عشر اموالكم من كل اربعين درهما
يعني بشرط بلوغ دراهمه مائتي درهم فعدد الاربعين اقل ماله عشر صحيح
فكما ان حديث الزكوة على تطهير ربع العشر للباقي كذلك العمل بربع
عشر الاربعين يخرج باقيها عن ان يكون غير مكفول بها وفي الحديث المحسن
انكم في زمان من ترك منكم عشر ما امر به هلك ثم يأتي زمان من عمل منهم بعشر
ما امر به نجا ثم الظاهر ان هذا العدد ادنى الكمال في الحال والا فمن
خرج من بيته في تحصيل حديث بصدق نيته او تعلم حديثا واحدا
واراد تكميل غيره في طويته يبعث مع العلماء والفقهاء وفي رواية
بعثه الله فقيها عالما اي ولم يكن في الدنيا فقيها عالما بل يكون ناقلا مجردا
وفي الاحياء من حمل من امتي اربعين حديثا لقي الله يوم القيامة فقيها عالما
قال العراقي رواه ابن عبد البر من حديث انس وضعفه وفي الجامع الصغير لشيخ
مشايخنا السيوطي من حمل من امتي اربعين حديثا بعثه الله يوم القيامة
فقيها عالما رواه ابن عدي عن انس بسند ضعيف وفي هاتين الروايتين
دلالة على اعتبار مجرد الحمل من غير احتياج الى النقل وبه يندفع قول المص
لا يحفظه ما لم ينقله الى غيرهم اعتمادا على ظاهر ما اختاره من الفاظ الروايات
وهو قوله على امتي ولكن يمكن ان يكون على بمعنى من كقوله تعالى الذين
اذا اكتالوا على الناس اي منهم على ما صرح به ولم يجتمع مؤدى الفاظ

هكذا خط الشارح والظاهر غيره

فكون الحديث شاملا

١٢

وكون الحديث شاملا لمن حمل سواء حفظا وعلما او عملا او نقلا ولا
وهذا التعميم في باب الترغيب اولى كما لا يخفى ثم ما نفاه المص
ماخوذ من مفهوم حديثه فلا يعارض منطوق حديث غيره مع ان اعتبار
المفهوم مختلف بين اهل العلوم وفي رواية ابي الدرداء وكنت
وفي نسخة كنت له يوم القيامة شافعا وشهيدا اي مشاهدا له بكمال
ايمانه وجمال احسانه وفي رواية بعثه الله فقيها وكنت له يوم القيامة شافعا
وشهيدا كذا ذكره بعض الشراح من المحققين وهذا يؤيد ثبوت واو العاطفة
وفي الاحياء من حفظ على امتي اربعين حديثا من السنة
كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة قال العراقي رواه ابن عبد البر
من حديث ابن عمر وضعفه وهذا يؤيد نسخة كنت بلا عطف وذكره السيوطي
في جامعه الصغير بهذا اللفظ وقد رواه ابن عدي عن ابن عباس ثم قال
وروى ابن النجار عن ابي سعيد بلفظ من حفظ على امتي اربعين حديثا
من سنتي ادخلته يوم القيامة في شفاعتي وفي رواية ابن مسعود
قيل له ادخل من اي ابواب الجنة شئت اي تعظيما لمقامه
وتكريما لمرامه وفي رواية ابن عمر كتب في زمرة العلماء وحشر في زمرة
الشهداء واختلاف الروايات وان كان مؤداها واحدا الا ان فيها
اشارة الى اختلاف مراتب الحفاظ باعتبار الاقتصار على حفظ مبانيها
او بانضمام فهم معانيها والعمل بما فيها وتصحيح النية في روايتها ودرايتها
وكتابتها واتفق الحفاظ اي حفاظ الحديث على انه اي الحديث المذكور
حديث ضعيف وان كثرت طرقه اي اسانيده عند مخرجيه عن الصحابة
مرفوعا وموقوفا اذ ليس في جميع طرقه ما يقوى ويقوم به الحجة اذ لا يخلو طريق منها
ان يكون فيها مجهول او معروف او مشهور بالضعف قال ابن السبكي
ليس يروى من وجه يثبت وقال الدارقطني في علله كل طرقه ضعاف والبيهقي

أسانيده كلها ضعيفة والكلام يحتاج إلى تقدير ليتم المرام بأن يقال
هو عطف على مقدر أي إن لم تكثر وإن كثرت كذا حرره الكازروني وفيه
أن المقصود ثبوت الكثرة وهو لا يتحقق من تقدير العبارة وقد قال خسرو
أن مثل هذا التركيب واقع في عبارات المصنفين وظاهره غير مستقيم وغاية
ما يمكن أن يقال فيه أن الواو زائدة انتهى وبعده لا يخفى والأظهر أن يقال
وإن كثرت طرقه فهو ضعيف إذا لم يكثر طرقه فهو بالأولى ضعفه هذا
وقد أغرب الكازروني حيث فسر الطريق بالطرق السبعة في تحمل الحديث
من السماع والقراءة والإجازة والمناولة والمكاتبة والإعلام والوجادة
والصواب ما قدمناه بأن المراد بالطريق الإسناد ثم اعلم أن لأهل الحديث
مراتب أولها الطالب وهو المبتدئ الراغب ثم المحدث وهو الأستاذ الكامل
ثم الحافظ وهو الذي أحاط علمه بمائة ألف حديث ثم الحجة وهو الذي أحاط علمه
بثلاثمائة ألف حديث ثم الحاكم وهو الذي أحاط علمه بالجميع متنا وإسنادا
وجرحا وتعديلا وتاريخا كذا في شرح الفوائد النفيسة ثم الضعيف
في اصطلاح المحدثين هو الحديث الذي لم يجتمع فيه شروط الصحيح ولا شروط
الحسن فمعرفته موقوفة على معرفتهما فالصحيح هو ما اتصل سنده بنقل
العدل الضابط وسلم عن شذوذ وعلة والحسن ما قصر ضبط راويه
عن راوي الصحيح مع بقاء سائر الشروط المتقدمة في حد الصحيح كذا أفاده
السيد جمال الدين وتحقيقه في شرح النخبة على ما أوضحت الشرح بالشرح
وقال بعضهم في تعريف الضعيف ما يكون رواته مردودا بواسطة عدم
العدالة أو الرواية عمن لم يره أو سوء الحفظ أو تهمة في العقيدة أو عدم
المعرفة بما يحدث عنه والإسناد إلى من لا يعرف أو بعلل أخر هذا وقد قال
الحافظ أبو طاهر السلفي في أربعينه روي من طرق وثقوا بها وركنوا إليها
وعرفوا صحتها فعولوا عليها انتهى وكأنه أراد بصحتها ثبوتها وهو أن يكون حسنا

قال المنذري يمكن

قال المنذري يمكن أنه سلك في ذلك مسلك من رأى أن الأحاديث
الضعيفة إذا انضم بعضها إلى بعض أحدثت قوة انتهى وكأن هذه المسألة
مختلف فيها ولعل المص اختار خلاف ما اختاره السلفي والظاهر أن اختيار
السلفي أولى لأن ما اختاره المص إنما يكون فيما إذا لم يخلو طريق من طرقه عن كذاب
أو وضاع هنالك وهذا ليس كذلك كما دل عليه كلام الأئمة وأما ذكر ابن
الجوزي له في الموضوعات فتساهل منه أو محمول على سند خاص عنده وأما خبر
من حفظ على أمتي حديثا واحدا كان له أجر أحد وسبعين نبيا صديقا
فهو موضوع وآثار الكذب لائحة عليه وواضحة لديه **وقد صنف**
العلماء رضي الله عنهم في هذا الباب أي باب الأربعينيات أو في جميع الأربعين
ما لا يحصى من المصنفات بيان لما وهذه العبارة مبالغة في الكثرة لا أنها
محمولة على الحقيقة والمقصود أن لهم في ذلك الأسوة الحسنة فإنهم
قدوة الأئمة **فأول من علمته صنف فيه** أي في هذا الباب أو في جميع الأربعين
وهو مفعول الفعل الأول وفاعل الثاني ضمير راجع إلى من والخبر للمبتدأ أي وهو
أول قوله **عبد الله بن المبارك** أي المروزي وهو الإمام المجمع على جلالته
وأمانته وفقاهته فإنه من أصحاب أبي حنيفة وأرباب الوجوه في مذهبه وترجى
المغفرة بحبه وتستنزل الرحمة بذكره وهو من أتباع التابعين زبدة العباد
وقدوة الزهاد توفي منصرفا من الجهاد سنة إحدى وثمانين ومائة وله
ثلاث وستون كان أبوه مملوكا لرجل من همدان عليه الرحمة والرضوان قيل له كيف
لا تستوحش في مقامك فقال كيف يستوحش من يجالس النبي صلى الله عليه وسلم
والصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين يعني الكتب لأن فيها الأخبار والسير
والآثار رواه الحاكم في تاريخه عن نعيم بن حماد **ثم** وفي نسخة و**محمد بن**
أسلم الطوسي بالواو وبضم الطاء نسبة إلى بلد من خراسان **العالم الرباني**
بزيادة الألف والنون للمبالغة في تحقق النسبة والدالة على كمال الصفة

كما قال الشعراني والجياني اي الراسخ في علم الدين الثابت في مقام اليقين
وقيل هو الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره وقيل هو العامل بعلمه
المعلم لغيره وقيل هو الطالب بعلمه مرضاة ربه وقالت الصوفية ان الرباني
هو الكامل من كل الوجوه في جميع المعاني توفي سنة اثنتين واربعين
ومائتين ثم الحسن بن سفيان النسوي بالواو في اصلنا المعتمد عليه
وهو بفتح النون والسين منسوب الى نسا بلد بخراسان وفي نسخة النسائي
بالهمز بدل الواو وهو مقصور وقد يمد والهمز في استعمال المحدثين
اكثر واشهر فتدبر وهو محدث خراسان وقد رحل البلاد وسمع من محدثي
الزمان فيما وصل اليه من المكان وكان له كرامات توفي سنة ثلاث وثلاثمائة
وابو بكر بالواو العاطفة الى آخر الاسماء الآتية وكأنه اورد بلفظ ثم
في الاولين لعلمه بالتأخر الزماني فيهما بخلاف من بعدهما الآجري بهمزة ممدودة
وضم جيم وتشديد راء فياء نسبة وهو محمد بن الحسين البغدادي كان دينا
ثقة وله تصانيف كثيرة منها كتاب الشريعة حدث ببغداد ثم انتقل الى مكة
خير البلاد واستطابها في المراد فقال اللهم احيني في هذه البلدة ولو سنة
فسمع هاتفا يقول بل ثلاثين فلما كملت قيل له قد وفينا بالعهد فمات بمكة
سنة ستين وثلاثمائة وابو بكر محمد بن ابراهيم اي العطار مستملي ابن نعيم
كان ثقة يملي من حفظه توفي باصفهان سنة ست وستين واربعمائة
وقوله الاصفهاني بالباء والفاء مع كسر الهمزة وفتحها والفتح افصح
كذا قاله الامام في كتاب الاسماء والالقاب وفي نسخة بالباء العجمي
واما قول ابن حجر بالفاء لا الباء فمحمول على ما عنده من الانباء وفي القاموس
اصل اصبهان اسبهان اي سمنت المليحة سميت بحسن هوائها
وعذوبة مائها وكثرة فواكهها فخففت والصواب انها اعجمية
وقد يكسر همزها وقد تبدل باؤها فاء واصلها اصباه انتهى وذكر في المغني
فرق بين الفاء والباء فقال

فرق بين الفاء والباء فقال الاصفهاني بكسر همزة وفتحها وبفاء مفتوحة
في اهل المشرق وبباء موحدة في المغرب انتهى والاطلاق يؤيد المشهور بالاتفاق
والدارقطني بفتح الراء ويسكن نسبة الى دار قطن محلة كبيرة ببغداد
وهو الحافظ ابو الحسن علي بن عمر مات سنة خمس وثمانين واربعمائة والحاكم
اي محمد بن عبد الله النيسابوري صاحب المستدرك مات سنة خمس واربعمائة
وابو نعيم اي الاصفهاني كما في نسخة وهو احمد بن عبد الله مصنف حلية الاولياء
مات سنة ثلاثين واربعمائة وهذه الاسماء ساقطة من شرح ابن حجر
موجودة في الاصول المصححة والمتون المشروحة وابو عبد الرحمن اي محمد بن حسين
السلمي بضم سين وفتح لام مخففة منسوب الى سليم قبيلة مشهورة من قبائل
العرب وهو صاحب الحقائق وطبقات الاولياء كان عدلا ثقة استاذ ابي القاسم
القشيري وشيخ ابي سعيد بن ابي الخير واثنى عليه الشيخ عبد الله الانصاري
صاحب المنازل كثيرا وقد طعن فيه ابن الجوزي كما هو دابه في شان الائمة
توفي سنة اثنتي عشرة واربعمائة وابو سعيد بالياء وفي نسخة ابو سعد
وهو الموافق لما قاله السمعاني وهو المشهور على السنة خراسان وهو احمد بن محمد
الماليني بكسر اللام فتحتية نسبة لمحل معروف من اعمال هراة وقبره هناك يزار ويتبرك به
ويقال له المالاني وهو من رواة ابن عدي الحافظ كان ثقة متقنا وقال شارح
رحل الى مصر فمات بها سنة اثنتي عشرة واربعمائة وابو عثمان الصابوني
نسبة الى عمله وعبد الله بن محمد الانصاري وفي نسخة زيادة الهروي
وهو صاحب منازل السائرين ومن المشايخ المعتبرين من اجلاء الحنابلة
كان جامعا بين العلم والعمل والمعرفة حاويا للسنة منسوب الى انصار النبي
صلى الله عليه وسلم وهو الاوس والخزرج ولد سنة خمس وتسعين وثلاثمائة
كان كثير السهر وقد حدث وصنف وكان قويا في نصرة الدين توفي بهراة
يوم الجمعة وقت الغروب سنة احدى وثمانين واربعمائة وفي نسخة بدله

ومحمد بن عبد الله الانصاري والظاهر انه انقلاب من بعض الكتاب
وقد صرح الكازروني بان النسخة الاولى هي الصواب وابو بكر البيهقي مؤلف
شعب الايمان مات سنة ثمان وخمسين واربعمائة ولما خصص المشاهير بالذكر
عمم الباقين فقال وخلائق لا يحصون بصيغة المجهول اي لا يعدون لكثرتهم
من المتقدمين والمتأخرين اي بعد الصحابة والتابعين والا سيما المتقدمين ما
ساقط من شرح ابن حجر فتدبر وقد استخرت الله اي طلبت الخيرة منه
كما دل عليه قاله العقل وناقله النقل فقد ورد ما خاب من استخار
ولا ندم من استشار رواه الطبراني في الاوسط عن انس وروي من سعادة
ابن آدم استخارته الله ومن شقاوته ترك استخارته في جمع اربعين
حديثا اي من كلام سيد الانام اقتداء بهؤلاء الائمة الاعلام
اي المشهورين فيما بين الانام وحفاظ الاسلام فان مثلهم لا يفعلون
الا ما ثبت من المرام وقد اتفق العلماء على جواز العمل بالحديث
الضعيف في فضائل الاعمال اي لا في الفرض والوجوب والحرمة والحلال
لانه ان كان صحيحا في نفس الامر فقد اعطي حقه من العمل به والا لم يترتب
على العمل به مفسدة وقال شارح يعني اذا ثبت منا فيجب حديث صحيح
او حسن يجوز لنا رواية حديث ضعيف في فضيلته والترغيب فيه
ليكون كالتابع له لانه يحتج به في اثبات امر مندوب اذ تقرر في الاصول
انه لا يستدل في اثبات الاحكام الخمسة الا بالصحيح او الحسن انتهى
والاظهر ان المراد بالاعمال انما هي الافعال المباحة وانه اذا ورد حديث ضعيف في شأنه
يترتب في المقام استحسانه ففي حديث ضعيف من بلغه عني ثواب عمل
فعمله حصل له اجره وان لم اكن قلته ومع هذا الجواز المذكور فليس
اعتمادي في جميع الاربعين على هذا الحديث اي المشهور فقط بل على قوله
صلى الله عليه وسلم في الاحاديث الصحيحة اي في قوله الآتي فيها

هكذا خط الشارح والظاهر ساقطان

ليبلغ الشاهد منكم

ليبلغ الشاهد منكم الغائب بكسر اللام الاولى للامر وتشديد الثانية
ويجوز تخفيفها وبهما قرئ قوله تعالى ابلغكم رسالات ربي اي ليوصل الحاضر
كلامي الغائب عن المجلس او عن عالم الوجود والخطاب للصحابة ثم من بعدهم
وهلم جرا فانه من فروض الكفاية وهذا تحريض على التعلم والتعليم فانه
لولاه لانقطع العلم وانقطع العمل بكثرة الجهل والحديث اخرجه الشيخان
في صحيحهما في خطبته حجة الوداع واخرجه ابن منده في مستخرجه
عن ثمانية عشر صحابيا وقوله اي وعلى قوله صلى الله عليه وسلم
نضر الله امرأ روي بالتشديد والتخفيف والاول هو الاكثر اي حسنه
وجمله قال المص وروي عن سفيان بن عيينة انه قال ما من احد يطلب الحديث
الا في وجهه نضرة فكانه اراد انها دعوة اجيبت فصدقت ولا يبعد او اخبار صح
ان يراد به النضارة يوم القيامة قال تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم
وقال تعالى ولقاهم نضرة وسرورا فاهل الحديث يكون لهم زيادة نضرة
ولغيرهم مزيد حسرة وحكى ابن العربي عن ابن بشكوال انه بالصاد المهملة
وهو شاذ بل تصحيف لمبناه وتحريف لمعناه سمع مقالتي اي مني
او من اصحابي واتباعي فوعاها اي حفظها بقلبه وداوم على تفقهها
فاداها اي بلغها كما سمعها من غير تغيير مبناها او معناها رواه
الترمذي عن ابن مسعود وقال حسن صحيح وابن حبان في صحيحه والحاكم
في مستدركه عن جبير بن مطعم وقال صحيح على شرط الشيخين وابو داود
وابن ماجه والترمذي عن زيد بن ثابت قال حسن صحيح وفي حديث صحيح
نضر الله امرأ سمع منا حديثا فاداه عنا فرب مبلغ اوعى من سامع رواه احمد
والترمذي وابن حبان عن ابن مسعود والمبلغ بفتح اللام وفي رواية نضر الله امرأ
سمع منا حديثا فحفظه حتى يؤديه غيره فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل
فقه الى من هو افقه منه ثم من العلماء وفي نسخة ثم ان وفي اخرى ثم اعلم

ان من العلماء من جمع الاربعين في اصول الدين اي الالهيات
والنبويات والحشر والنشر وبعضهم في الفروع اي جمعها في الاحكام
الفرعية المتعلقة بالافعال العملية وبعضهم في الجهاد اي في فضائل
القتال مع الكفار وبعضهم في الزهد اي قلة الرغبة في دار الاكدار
يقال زهد فيه رغب عنه وزهد عنه رغب فيه والمراد ترك فضول الدنيا
والاعراض عما يشغله عن الاخرى وبعضهم في الاداب وفي نسخة في الادب
وهو حسن الاخلاق والاحوال واحتمال الحميدة من الخصال وبعضهم في الخطب
جمع خطبة وهي الموعظة وهو كلام يلين القلوب القاسية ويرغب
الطبايع النائية ماخوذ من الخطب لانهم اذا المّ بهم خطب وشان
خطبوا له ليجتمعوا في امره او يحتالوا في دفعه وكلها مقاصد صالحة
اي اغراض حسنة رضي الله عن قاصديها بالنيات المستحسنة وقد جمعت
بحمد الله وحسن توفيقه اربعين في الاحاديث القدسية واربعين
في فضل الصلوات النبوية وارجو من الله ان يكون معي حتى اكمال اربعين
اربعينا وقد رأيت من الرأي اي حصل لي رأي صحيح للنصح في الهدى
والاعانة على البر والتقوى جمع اربعين اي حديثا كما في نسخة اهم من هذا
كله اي مما ذكر فرادى جميعه وهي اربعون حديثا مشتملة اي من نعتها
انها المحتوية على جميع ذلك اي في الجملة وفي نسخة زيادة كلها
للتأكيد وفي نسخة بنصب مشتملة على الحالية ولا يرد عليه زيادة
حديثين لان العدد لا مفهوم له وقد قيل فمن زاد زاد الله في حسناته
او لانه كان المص عزمه هنا الاقتصار على الاربعين ففي فراغها
عنّ له زيادة الحديثين المحكمة لعلها هي ان احدهما من باب الوعظ
بمخالفة الهوى وموافقة الهدى ففيه حث على العمل بجميع الاحاديث
السالفة وثانيهما من باب الرجاء والدعاء ففيه تأنيس النفس من التشديدات

الواقعة في خلال

الواقعة في خلال الاحاديث السابقة ففي التعقيب بهما تمام
المناسبة وكل حديث منها اي من هذه الاربعين قاعدة عظيمة
من قواعد الدين يبنى عليها كثير من مسائل المجتهدين ويرجع اليها
في تحقيق مقام اليقين قد وصفه العلماء بان مدار الاسلام
اي غالب احكامه عليه لاستنباطها منه ابتداء او بواسطة مقدمات
منضمة اليه كحديث ان الحلال بين والدين النصيحة ونحوهما
او هو نصف الاسلام عطف على محل الجملة التي بعد ان وفيه
ان هذا جائز في ان المكسورة لفظا وحكما كما اذا وقعت بعد العلم
وتكلف بعضهم وجوّز ان تكون الجملة خبر ان المقدرة مع الاسم
اي بانه هو نصف الاسلام او ثلثه بضم اللام ويسكن كحديث
انما الاعمال بالنيات وازهد في الدنيا وامثالهما ومن نظم الشافعي رحمه
عمدة القول عندنا كلمات اربع قالهن خير البرية اتق الشبهات
وازهد ودع ما ليس يعنيك واعملن بنية او نحو ذلك بالرفع
واو للتنويع فيه وفيما قبله وفي نسخة ونحو ذلك وهو بالرفع
ايضا للعطف على نصف الاسلام وذكر الشارح الكازروني انه بالجر
عطف على ان ولا يخفى بعده مبنى ومعنى والمعنى نحو ما ذكر وهو
ربع الاسلام وخمسه كسائر الاحاديث المعتبرة فكل واحد من هذه
الاربعين وصف باحد هذه الاوصاف الاربعة كما ذكره ابن الصلاح
في اكثرها فانه ذكر اقوال الائمة في تعيينها واختلاف فهم في اعيانها
فبلغ ما قيل فيه ذلك سبعة وعشرين كلها مندرجة في هذه الاربعين منها
عشرون صحيحة وسبعة حسنة وبلغها المص في اذكاره الى ثلاثين
وزاد عليها هنا اثني عشر وذكر في السابع والعشرين حديثين لاجتماعهما
على معنى واحد وقال الفاكهاني صح عن جماعة من العلماء ان مدار الاسلام

على اربعة احاديث حديث انما الاعمال بالنيات وحديث الحلال بين والحرام بين
وحديث ازهد في الدنيا يحبك الله وحديث من حسن اسلام المرء تركه
ما لا يعنيه وقد نظمها الشيخ ابو طاهر بن المعور وذكرها نسبة الى الشافعي
فيما سبق وقال الامام احمد بن حنبل الاسلام او قال اصول الاسلام
يدور على ثلاثة احاديث الاعمال بالنية والحلال بين والحرام بين ومن احدث في امرنا
هذا ما ليس منه فهو رد وقال ابو داود الفقه يدور على خمسة احاديث
الاعمال بالنيات والحلال بين والحرام بين وما نهيتكم عنه فانتهوا وما امرتكم به
فأتوا منه ما استطعتم ولا ضرر ولا ضرار وروي عن ابي داود السجستاني
قال كتبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس مائة الف حديث الثابت منها اربعة
الاف حديث وهو يرجع الى اربعة احاديث انما الاعمال بالنيات ومن حسن
اسلام المرء تركه ما لا يعنيه ولا يكون المؤمن مؤمنا حتى يرضى لاخيه
ما يرضى لنفسه والحلال بين والحرام بين ثم لو استوفى شرح هذه
الاحاديث لاستدعى الى استنباطات لا تسع الا في مجلدات اذ من جملتها
حديث جبريل كم فانه يحتاج الى حكم الايمان وهو علم الاصول والى حكم الاسلام
وهو علم الفروع والى حكم الاحسان وهو علم التصوف **ثم** اي قال ابن حجر
ثم بعد هذه الاربعين ولا وجه له عندي بل اليقين فالصواب ان يقال
اي بعد التزامي ما تقدم من كلامي **التزم في هذه الاربعين** اي في تأليفها
وتصنيفها **ان تكون** اي اسانيد احاديثها **باسرها صحيحة** اي ثابتة
غير ضعيفة فيتناول الحسن بعبارة لطيفة او اراد ما ذكره من الحسن
في هذا الكتاب يكون صحيحا لغيره في هذا الباب قيل خاصية هذه الاربعين
كونها مشتملة على قواعد الدين اما الصحة فقد شاركه فيها غيره من المصنفين
قلت وليس فيه محظور اذ صنيعه نور على نور **معظمها** وفي نسخة ومعظمها
اي اكثرها حال **في صحيحي البخاري ومسلم** اي جمعا او فرادا فالمتفق عليه فيها

اثنا عشر

67

اثنا عشر وفرد البخاري اربعة عشر وفرد مسلم ثلاثة عشر والباقي لغيرهما
ثم الجملة حال من اسم يكون الراجع الى الاربعين **واذكرها** بالرفع
عطفا على التزم وبالنصب على يكون **محذوفة الاسانيد** اذ لا فائدة في ذكرها
بالنسبة الى عامة مطالعها لا سيما اذ علمت ثبوتها باسنادها الى مخرجيها
والاسناد هو رفع الحديث الى قائله من النبي وغيره بذكر رواته فيما بين قائله
وناقله **ليسهل حفظها** بسبب قلة لفظها **ويعم الانتفاع بها** اذ الاكثرون
عاجزون عن حفظها باسانيدها **ان شاء الله تعالى** ذكره امتثالا لامره سبحانه
ولان الانتفاع بها مما يخفى على المصنف شانه فلا وجه لقول ابن حجر اتى للتبرك
ثم اتبعها بالرفع من الاتباع وفي نسخة بفتح الهمزة والباء والمعنى اعقب هذه
الاربعين **بباب في ضبط خفي الفاظها** اي الفاظها الخفية باعتبار ابنيتها
مبانيها او معانيها وقد التزمت ان اذكرها في محالها كما نص عليها **وينبغي**
اي يتعين **لكل راغب في الاخرة** اي ثوابا وما بها يقال رغبت فيه اي مال اليه
ورغب عنه اي اعرض **ان يعرف هذه الاحاديث** اي يعلم مبناها ويبحث عن معناها
مما دلت عليه واشار اليه وينقلها ويعمل بما فيها وفي نسخة ان يعرف
مقدار هذه الاحاديث اي مراتبها بالنسبة الى غيرها **لما اشتملت عليه
من المهمات** وهي بيان العقايد الدينية التي هي بيان قواعد الملية واصول
الشرايع الالهية **واحتوت** اي ولما انطوت **عليه من التنبيه على جميع
الطاعات** اي القلبية والقالبية مما يصلح امر معاش العباد وزاد حال المعاد
وذلك اي ما ذكر من الاشتمال والاحتواء **ظاهر لمن تدبره** اي تفكره وتذكره
واصل التدبر النظر في دبر الامور **وعلى الله** اي لا على ما سواه **اعتمادي**
اي توكلي في جميع اموري **واليه** لا الى غيره **تفويضي** اي انقيادي واستسلامي
واستنادي اي التجائي واعتصامي **وله الحمد** حالا وخالصة **والنعمة**
بالكسر العطية فلا نعمة من غيره الا صورة قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله

وبه اي بسبب عونه **التوفيق** وهو لغة جعل الشيء موافقا للاخر
واصطلاحا خلق القدرة على الطاعة **والعصمة** اي المحافظة عن الوقوع في المخالفة
قال الراغب هي فيض الهي يقوى به العبد على تحري الخير وتجنب الشر
الحديث الاول ابتدأ به اقتداء بالسلف الكرام وتنبيها على مزيد الاهتمام
بتحسين النية وتزيين الطوية في مقام المرام قال ابن مهدي ينبغي
لمن صنف كتابا ان يبتدئ فيه بهذا الحديث تنبيها للطالب على تصحيح النية
قلت وكذا المطلوب على تصفية الطوية وقال الخطابي كان المتقدمون
من شيوخنا يستحبون تقديم انما الاعمال بالنيات امام كل شيء ينشؤ
ويبتدئون من امر الدين وقد روى هذا الحديث من الائمة فوق ثلاثمائة
وقيل سبعمائة عن سعيد بن يحيى بن سعيد الانصاري وهو تابعي صغير
سمع انسا وغيره عن محمد بن ابراهيم التيمي ولم يروه غير الانصاري عن علقمة
ولم يروه عن الانصاري غير التيمي فهو بهذا المعنى غريب في الابتداء ومشهور
في الانتهاء وليس متواترا كما توهمه بعض الفضلاء اللهم الا ان يقال بالتواتر
المعنوي وقد روي عن عمر جماعة من الصحابة كعثمان وعلي وطلحة وسعد
وابن عوف وابن مسعود وابن عمر وابن عباس وابن الزبير وانس بن مالك
وابي هريرة وخلق سواهم وابنته حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم
وطائفة من التابعين وقد روي الحديث من طريق ابي سعيد الخدري وابي هريرة
وابن عباس وابن عمر ومعاوية قالوا ولا يصح مسندا الا من حديث
عمر رضي الله عنه فلو كان اسنادهم صحيحا كان يكون الحديث متواترا
قال الشافعي يدخل هذا الحديث في سبعين بابا من الفقه يعني سبعين
قاعدة كلية من الضوابط الفقهية والا فيزيد عليها المسائل
الجزئية فاندفع به قول من قال اراد به المبالغة وقال ايضا يدخل في هذا
الحديث ثلث العلم قال البيهقي لان كسب العبد بقلبه ولسانه وجوارحه

فالنية احد الاقسام

فالنية احد الاقسام الثلاثة وهي ارجحها لانها تكون عبادة بانفرادها
بخلاف غيرها ولذا كانت نية المؤمن خيرا من عمله ولان القول والعمل يدخل فيهما
الفساد بالسمعة بخلاف النية وقال ابو داود هذا الحديث يضعف خبر
نية المؤمن خير من عمله **عن امير المؤمنين** قال المص هو اول من سمي بذلك
من الخلفاء اذ ورد في منتظم ابن الجوزي ان رسول الله صلى الله عليه بعث جيشا
في السنة الثانية من الهجرة وامر عليهم عبد الله بن جحش وسماه امير المؤمنين
كذا ذكر شارح وقال آخر قال لعمر اصحابه انا ندعوك فقال انتم المؤمنون
وانا اميركم قالوا اذن انت امير المؤمنين **ابي حفص عمر بن الخطاب** كناه
صلى الله عليه وسلم وهو لغة الاسد ولقبه بالفاروق لفرقانه بين الخطأ
والصواب كان شديدا في امر الله ودينه مجتهدا محتسبا في مقام يقينه
جعل الحق على لسانه واعز الدين في زمانه واستبشر اهل السماء بايمانه
كان وفاته بعدما عاش ثلاثا وستين هلال محرم سنة اربع وعشرين
وخلافته عشر سنين وستة اشهر واربع ليال ونقش خاتمه
كفى بالموت واعظا يا عمر احاديثه المرفوعة خمسمائة وسبعة وثلاثون
رضي الله عنه وهو قرشي عدوي يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في كعب بن لوي
اوصى له ابو بكر رضي الله عنه بالخلافة فتولاها يوم مات الصديق وهو يوم
الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الاخرة سنة ثلاثة عشر اسلم سنة ست
من البعثة وهاجر الى المدينة قبل قدومه صلى الله عليه وسلم بها وشهد المشاهد
كلها وفتح البلاد من العراق والسواد والجبال واذربيجان والجزيرة
والموصل والشام ومصر والاسكندرية فبلغ في خلافته خراج السواد
والجبال والعراق في العام الاول مائة الف الف وعشرين الف الف ومصر
الكوفة والبصرة واستقضى القضاة في الامصار ودون الدواوين
وفرض العطيات وهو اول من حمل الطعام من مصر الى الحجاز مناقبه اشهر من ان تذكر

ومآثره أكثر من أن تحصى وأفرد لترجمته أبو الفرج ابن الجوزي كتابا
مات شهيدا قتله أبو لؤلؤ النصراني غلام المغيرة بن شعبة طعنه وهو
يصلي بالناس صلوة الصبح فعاش ثلاثة أيام أو سبعة أيام ثم توفي
وصلى عليه صهيب بن سنان الرومي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول إنما الأعمال بالنيات قال المص معناه لا تحسب الأعمال الشرعية
إلا بالنية قيل هذا على مذهب الشافعية وأما على مذهب الحنفية فمعناه
لا يثاب الأعمال إلا بالنية لاختلافهم في أن النية هل هي معتبرة في صحة
الأعمال أم لا وهذا الخلاف إنما هو في أعمال الوسيلة دون الأعمال المقصودة
فإن النية معتبرة فيها بلا خلاف بين الفريقين أقول وبالله التوفيق
إن هذا الكلام لم يصدر عن طريق التحقيق فإن الشافعية وكذا المالكية
والحنبلية لم يعتبروا صحة شيء من أعمال الوسيلة بالنية إلا الطهارة
والمسألة هذه حجة عليهم في القضية إذ لا ريبة ولا شبهة
أن الطهارة من جملة شرائط الصلوة وكذا البقية كستر العورة
واستقبال القبلة والوقت والنية فلا فرق بين الطهارة من الحدث
والطهارة من الخبث وستر العورة إذ الكل من أعمال الوسيلة
فيحتاج إلى فرق صحيح وبيان صريح في تخصيص هذا الشرط بالنية
من بين سائر الشروط الشرعية ثم قوله لا تثاب الأعمال ليس في محله
لأن الأعمال المستقلة في العبادة عند الحنفية لا تصح أيضا إلا بالنية
وأما الثواب فهو مترتب بعد صحتها على القبول المتوقف على الإخلاص وتحسين الطوية
بأن لا تكون مقرونة بنحو الرياء والسمعة فالأحسن ما قرره المص بقوله
لا تحسب يشمل الصحة والمثوبة إلا أن قوله الأعمال الشرعية
يخرج سائر الأعمال مع أنها يثاب عليها أيضا بالنية فالأولى أن يقال
لا يعتبر مطلقا الأعمال إلا بالنية ففي الأعمال الشرعية اعتبارها بالصحة

وفي غيرها بمجرد

وفي غيرها بمجرد المثوبة وهذا أمر متفق عليه فينبغي حمل الحديث عليه
أما توقف صحة الأعمال الشرعية على النية فأجمعوا عليه كما هو مبين في الكتب
الفقهية وأما توقف ثبوت المثوبة على غيرها من الأعمال كالوضوء والغسل
وستر العورة وطهارة الثوب ونحوها وكذا البيع والشراء والنكاح
والطلاق وأمثالها فاتفقوا عليه كما هو مقرر في كتب الصوفية وبهذا
اندفع ما حرره بعض الشراح من أرباب التدقيق أن المراد نفي الأحكام المتعلقة
بوجودها كالصحة والكمال أي لا صحة أو لا كمال إلا بها فالشافعية
يحملونها على الأول والحنفية يحملونها على الثاني والأول أولى لأنه
لما امتنع الحمل على الحقيقة فالحمل على مجاز أقرب إليها وهو الصحة أولى
كما تقرر في الأصول انتهى وقد عرفت أن الحنفية يقولون بالصحة
في الأعمال المستقلة وبالكمال في غيرها وفيما يكون كالوسيلة
فيعطون كل ذي حق حقه هذا مجمل الكلام وأما تفصيل المرام
فيتوقف على تحقيقات شريفة وتدقيقات لطيفة منها أن قوله
إنما هي لتقوية الحكم الذي هو في حيزها اتفاقا ولإفادة الحصر وضعا
عند أكثر الأصوليين خلافا للجمهور النحويين فإنها عرفا تفيد تأكيد الإثبات
لا غير عندهم ثم الحصر إثبات الحكم لما بعدها ونفيه عما عداه وهو مبني على أن
إنما غير بسيطة بل مركبة من إن الإثباتية وما النافية فإما أن تنفي الحكم
عما بعدها وتثبته لغيره وهو باطل إجماعا وإما عكسه فهو المطلوب
اتفاقا وأما إذا قلنا ببساطتها تعين الأول فتأمل ونوزع بأنها لو كانت
مركبة فقد يبقى إما فيها كما ثم الحصر إما حقيقي وإما إضافي وقد اجتمعا
في قوله تعالى قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي إنما إلهكم إله واحد ومن الإضافي
حديث أسامة إنما الربوا في النسيئة خلافا لابن عباس حيث ذهب إلى أنه من الحقيقي
ولم ينازع في فهمه الحصر بل عورض بأنه إضافي أو دفع بدليل آخر

فهي ذلك اتفاق على انها للحصر قال ابن حجر فان قلت حذف لفظ انما
في رواية صحيحة يدل على عدم اعتبار الحصر قلت ممنوع لان رواية
ذكرها فيها زيادة وزيادة الثقة مقبولة انتهى وهو وهم منه
لان انما هنا للحصر الاضافي دون الحقيقي لان الاعمال لا تتم ولا تصح بمجرد
النية بل لا بد لها من مزاولتها ومعالجتها باتيان شروطها واركانها
واذا كان الحصر اضافيا فلا تنافي بين وجودها وبين عدمها وبهذا يندفع كلام
الفاكهاني حيث دل السياق على الحصر الاضافي تقريبه والا فالاول الاطلاق
ومنها هذا الحديث ثم اعلم ان هذا الحديث ذكره البخاري في سبعة مواضع من صحيحه
كما صرح به في محله وروي في الصحيح بالالفاظ اربعة وهي انما الاعمال بالنيات
انما الاعمال بالنية الاعمال بالنيات العمل بالنية كذا قال بعض الشراح
وقال النووي لفظ الاعمال بالنيات لا يصح ورد بعضهم بانه رواه كذلك
ابن حبان والحاكم وابو حنيفة في مسنده ومنها ان الاعمال ثلاثة بدنية
وقلبية ومركب منهما فالاول كرد المغصوبات والعواري والودائع
والنفقات وازالة النجاسات فلا يشترط فيه النية لصحتها بل لاثابته
والثاني كالاعتقادات والتوبة والحب والبغض في الله وامثال ذلك
فلا يشترط فيه النية وقد اغرب بعض العلماء حيث اوقع الطلاق بمجرد النية
اعتمادا على هذا الحديث نعم الثواب والعقاب يترتب على عزم الطاعة والمعصية
وان لم يعمل بما نواه على ما ذهب اليه المحققون من اصحابنا وصرح به النووي والقرطبي ايضا
ويؤيده ما روي ان النبي صلى الله عليه قال لاصحابه في منصرفه من غزوة تبوك
ان بالمدينة قوما ما صعدتم جبلا ولا هبطتم واديا الا وهو معكم فيه
قالوا كيف وهم بالمدينة حبسهم العذر او قال الضرر ومن شرف النية اعتبارها
في الاخرة بناء على تحقق خلود الطائفتين في المنزلتين لما في نية كل منهما
الاستمداد على ما تدين بهما ففي خبر ابن ماجة انما يبعث الناس على نياتهم ورواه مسلم بمعناه

قال وهم بالمدينة
صح

والثالث كالصلوة

والثالث كالصلوة والصوم والزكوة والحج فيشترط حصول النية في صحتها
بقي الكلام في الاقوال فلا يشترط النية لصحتها بل للثبوت المثوبة عليها
واغرب الفاكهاني في قوله وبعض خصص العمل بما لا يكون قولا واستبعد لانه
لا فرق في ذلك بين عمل بجارحة وبين عمل باخرى انتهى وقد عرفت
الفرق بينهما ثم من العجيب قوله اما الافعال فقد استعملت مقابلة
الاقوال ولا شك ان الحديث يتناول الاقوال والله اعلم بالحال ثم اعلم
ان الاعمال عادية وعبادية والنية شرعت لتمييز الثاني عن الاول ولترتب
الصحة والمثوبة واما قول الشارح من الشافعية وهي اما ما تعبدنا الله بتركه
كالقتل والسرقة فلا يشترط فيه النية اتفاقا ففيه انه لا تشترط للصحة
واما للثبوت المثوبة فلا بد من النية اتفاقا واما قوله واما ما تعبدنا بفعله
كالوضوء والصلوة وتجب فيه النية ركنا او شرطا فقد مر انه ينتقض بستر العورة
مع انه شرط اتفاقا ثم العمل اخص من الفعل وهو كل ما صدر من الحيوان بقصده
قلبيا او قالبيا ذكره الراغب ومنها ان قوله بالنيات متعلق بمحذوف فهو
فقيل تقديره انما الاعمال معتبرة بالنيات او انما اعتبار الاعمال بالنيات على حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقال شارح الباء للاستعانة او المصاحبة
ليعلم منه وجوب المقارنة او المقاربة لكنها تشعر بوجوب استصحابها
الى اخر العمل لانه الظاهر من المعية فالاولى احوط انتهى ولا يخفى انه ح
لا يستفاد المقارنة او المقاربة فالحمل عليه اعني على غايته ان معية
النية في الاعمال الشرعية مختلفة الكيفية بناء على التوسعة العرفية
الشاملة للحالة القبلية والبعدية ومنها ان رواية الاعمال بالنيات
لمقابلة الجمع بالجمع واما وجه افراد النية مع جمع الاعمال على رواية
كونها مصدرا او انما جمعت في رواية لاختلاف انواعها والاولى حمل
النية على ارادة الجنسية ومنها ان المراد بالنية قصد المكلف للشيء

المأمور به ومحلها القلب اجماعا وانما استحب بعض العلماء انضمام اللسان
بالجنان للتقوية والا فاجمع المحدثون على عدم ثبوت النية باللسان عن النبي
صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة والتابعين ثم قال ان جميع النيات المعتبرة في العبادات
لا بد لها من المقارنة للفعل الا الصوم والكفارات فانه يجوز تقديمهما على الفعل
والشرع انتهى وتفصيل محل النية في العبادات الشرعية محلها الكتب الفقهية
واما اعتبار الشافعي تصورات اركان الصلوة حال النية مقرونا بالتحريمة بوصف
المعية فلا يظهر وجه تخصيصه بالصلوة دون سائر العبادات مع انه
حرج ظاهر بالنسبة الى الخواص فضلا عن العوام والله اعلم بما استدركه في هذا
المقام وقال البيضاوي النية لغة القصد وشرعا توجه القلب نحو الفعل
ابتغاء لوجه الله وامتثالا لامره وهي في الحديث محمولة على المعنى اللغوي ليحسن
تطبيقه على ما بعده وتقسيمه لقوله فمن كانت الى آخره انتهى
ونازع فيه شارح بما لا طائل تحته وتوضيحه ان مجرد قصد القلب كاف في تصحيح العمل
واما المعنى الشرعي فيحتاج اليه من زيادة قصد الامتثال وتحصيل الاخلاص
لاجل ثواب العمل وقبوله وهذا معنى قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله
مخلصين له الدين وفي كلام حجة الاسلام ان النية هي الارادة الباعثة للقدرة
المنبعثة عن معرفة كمال الشيء لان الافعال الاختيارية لا تصح الا بعلم
مهيج للارادة باعثة لقدرة خادمة لها بتحريك العمل وهي يعني النية
روح العمل تؤثر بنفسها بخلاف العمل فان المقصود منه تأثيره في القلب
ليميل الى الخير وينفر عن الشر الموصلين الى الايمان والمعرفة اللذين هما
سبب سعادته في الدارين والنية عبارة عن الميل فعلم سر قوله صلى الله عليه
وسلم نية المؤمن خير من عمله انتهى وقد جعلت رسالة في حل هذا المبنى
وتحقيق ما فيه من المعنى **وانما لكل امرئ ما نوى** والمعنى لكل شخص من الرجل
او المرأة جزاء ما نواه في عمله من خير او شر فهو من باب حذف المضاف

او تقديره لكل احد جزاء

او تقديره لكل احد جزاء نيته والاولى الاولى لرواية ليس للمرء من عمله
الا ما نواه وفي نسخة صحيحة وانما لامرئ ما نوى فالمراد بالمرء جنسه
وقد يكون النكرة فيها معنى العموم كقوله تعالى علمت نفس وان لم يكن
في سياق النفي ففي هذا المقام بحث فانه في الجملة وقع في سياقه لان انما بمعنى
ما والا والحصر هنا حقيقي مع زيادة الكل المفيد للاحاطة وافادة الاختصاص
من اللام فتبين بهذا التقدير زيادة افادة هذه الجملة من جهة العموم الشامل
للاعمال الشرعية وغيرها على الجملة الاولى المختصة بالعبادات المستقلة
وتوضيحه ان مفاد الاولى ان صلاح العمل بحسب النية الموجبة له ومفاد
الثانية ان جزاء العامل بحسب نيته من خير او شر وهاتان كلمتان
جامعتان وقاعدتان كليتان ثم قيل تفيد هذه الجملة ما لا تفيده الاولى
وهي اشتراط تعيين المنوي كمن عليه صلوة وقتية او فائتة حيث لا يكفيه
ان ينوي الصلوة فقط حتى يعينها ظهرا او عصرا وايضا اذا عمل عملا
ذا وجهين من وجوه الثواب كالتصدق على الاقارب الفقراء ولم ينو الا
وجها واحدا فليس له الا ذلك وبهذا يندفع ما قيل من ان الجملة الثانية
تأكيد للجملة الاولى اذ من المعلوم ان الافادة خير من الاعادة وقد قال
بعض المحققين ان هذه الجملة من جوامع الكلم الصادرة عن منبع الحكمة
الالهية ومهبط الانوار القدسية اللاهوتية يستضيء طائفة
بعباراتها وطائفة باشاراتها وكل حزب بما لديهم فرحون
ومن اشاراتها ان مدار الاعمال القالبية على الاحوال القلبية فما افاد منها
ملكة فاضلة وتوجهها نحو الحضرة الربانية كان وسيلة الى المقصد الاعلى
وذريعة الى السعادة العظمى وما اوقع منها خلقا رديا وبعدا عن تلك
الحضرة كان موجبا للشقاوة ومنتجا للندامة وبحسب ذلك تفاوت الاعمال
جودة ورداءة فكل عمل اوجب زلفاك من مولاك كان خيرا وما كان بخلافه

كان شرا لك ثم ان للنفس تمويهات مزخرفة وتلبيسات مموهة
فربما صورت لك السراب عذبا فراتا وارتك الماء الزلال ملحا اجاجا فاشكل
الميز بين ما يدنيك من اللذة الكبرى وما يرديك من موجبات الردى في الدنيا
والاخرى فما احوجك الى التمسك بالعروة الوثقى والاعتلاء الى ذروة
التقوى بمتابعة الشرع المؤيد من السماء ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء
وقال الطيبي في هذه الجملة اشارة الى ثمرة النية من القبول والرد
والثواب والعقاب وفهم من الكلام الاول ان الاعمال لا تكون محسوبة
الا بالنية ومن الثاني انها انما تكون مقبولة بالاخلاص وتبعده عن الرياء
والسمعة وتوضيحه انه اشار في الجملة الاولى ان الاعمال الشرعية يتوقف
صحتها على النية اللغوية واشار في الثانية الى اعتبار النية الشرعية بقوله
ان حاصل المرء كل ما نواه سواء كان محمودا او مذموما فيعلم منه انه يمكن
ان يجعل العادات عبادات كالماكل والمشارب والمناكح والملابس والطيب
ونحوها من المباحات اذا نوى بها القوة على الطاعات وقصد اقامة السنة
او دفع الرايحة المؤذية عن الخلق لا استيفاء اللذات وقد تنعكس
القضية بان تصير العبادات عادات فلا يترتب عليه مثوبات بل عقوبات
كمن قعد في المسجد للتفكه بالمحادثة والتلذذ بالمجالسة
وللمناظرة على سبيل المباهات ونحوها من المباحات او الممنوعات ففي الخبر
من تطيب في الله جاء يوم القيامة ريحه اطيب من المسك ومن تطيب لغير الله
جاء يوم القيامة وريحه انتن من الجيفة وكذا ورد من تعلم القرآن لغير الله
ونحو ذلك ففي الجملة كل عمل صدر عن العبد لله الحق فهو العمل
الذي ينفعه ومالا فلا يفيده بل قد يضره فقد روي ان رجلا في بني
اسرائيل مر بكثبان رمل في مجاعة فقال في نفسه لو كان هذا الرمل طعاما لي
لقسمته بين الناس فاوحى الله الى نبيهم قل ان الله صدقك وشكر

حسن صنيعك واعطاك

حسن صنيعك واعطاك ثواب ما لو كان طعاما فتصدقت به
وهذا احد معاني حديث نية المؤمن خير من عمله لان نيته قد تنفعه من غير
عمله واما عمله فلا ينفعه بدون نيته ففي خبر البيهقي لا عمل لمن لا نية له
فمن كانت هجرته اي اذا عرفت ان الاعمال الشرعية لا تصح بدون النية اللغوية
وان سائر العبادات البدنية لا تثاب ما لم تقترن بالنية الشرعية فمن كانت هجرته
الى الله ورسوله وهي في الشريعة مفارقة دار الكفر الى دار الاسلام
خوف الفتنة وفي معناه الهجرة من دار البدعة الى دار السنة
وفي الحقيقة مفارقة ما يكره الله عز وجل الى ما يحبه كما ورد المهاجر
من هجر ما نهى الله عنه وهي اعم انواع الهجرة واتمها والمعنى فمن قصد بهجرته
وجه الله وابتغاء رضاه فهو كناية عن تخليص النية وتحسين الطوية
وذكر الله توطئة لذكر الرسول صلى الله عليه وسلم وتعظيما للهجرة اليه
فهجرته الى الله ورسوله كناية عن شرف الهجرة وانها بمرتبة علية
او كونها مقبولة مرضية فلا يضر اتحاد الشرط والجزاء في العبارة الصورية
وتكرير الاسمين لتعظيم الهجرة لديه وتكريم المهاجر والمهاجر اليه
ومجمل القضية فمن كانت هجرته الى الله ورسوله قصدا ونية فهجرته الى الله
ورسوله ثمرة ومنفعة وقال المص قوله فهجرته الى الله ورسوله معناه
مقبولة انتهى ولا يخفى ان الجار والمجرور على هذا خبر لقوله فهجرته
والاظهر ان التقدير فهجرته الى الله ورسوله مقبولة على حذف الخبر
فالجار يتعلق بقوله فهجرته وان في الكلام وضع الظاهر موضع المضمر
فان من احب شيئا اكثر من ذكره كما قيل شعر اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره
هو المسك ما كررته يتضوع ولا يبعد ان يكون التقدير فتكفيه هجرته اليهما
ثم اعلم ان هذا الكلام تفصيل لما سبق من المرام في قوله انما لكل امرئ
وانما فرض القصة في الهجرة لانها السبب الباعث على هذا الحديث وذلك ان رجلا

من اهل مكة كان يهوى امرأة يقال لها ام قيس فهاجر الى المدينة فهاجر الرجل
لاجلها لا لدنيا فعرض النبي صلى الله عليه وسلم به في حال تنفيره عن مثل
قصده وكان الرجل بعده يدعى بمهاجر ام قيس فان قلت اذا كان القصد
مشتركا بين العبادة وامور العادة فما حكمه قلت الحكم بغالب الامر
فقد صرح علماؤنا كما في الذخيرة والتجنيس وغيرهما ان الرستاقي
اذا سعى يوم الجمعة الى المصر يريد اقامة الجمعة واقامة الحاجة فان كان معظم
مقصوده اقامة الجمعة ينال ثواب السعي الى الجمعة وان كان قصده اقامة
الحاجة لا غير او كان معظم مقصوده اقامة الحاجة لا ينال ثواب السعي الى الجمعة
ثم اعلم ان العمل اما رياء محض بان يراد به غرض دنيوي فقط ولو مباحا
فهو حرام لا ثواب فيه واما مشوب برياء ولا ثواب فيه ايضا للخبر الصحيح
من عمل عملا اشرك فيه غيري فانا منه بريء هو للذي اشرك وحمل الغزالي
الاشراك فيه على المساواة والظاهر ان محل كلام الامام فيما لم يشترط فيه
النية اللغوية لقوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا
ولا يشرك بعبادة ربه احدا بل محله العبادة التي يعتبر فيها النية الشرعية
وهي الاخلاص فخلوص الطوية كما هو من اخلاق الصوفية لقوله تعالى
وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين واما من قصد بجهاده اعلاء
كلمة الله ونيل نحو غنيمة نقص اجره ولم يبطل لخبر مسلم ان الغزاة ان غنموا
تعجلوا ثلثي اجرهم والا تم لهم اجرهم وقد قيل من حج بنية التجارة كان له
ثواب بقدر قصده ومن عقد عملا لله ثم طرأ خاطر رياء فان دفعه
لم يضر اجماعا وان استرسل معه ففيه خلاف والذي رجحه الامام احمد
وجماعة من السلف ثوابه بنيته الاولى قيل ومحله في عمل يرتبط اجره باوله
كالصلوة والحج دون نحو القراءة ففيها لا اجر بعد حدوث الرياء
ولو تم عمله خالصا فاثني عليه ففرح لم يضر لخبر مسلم تلك عاجل بشرى المسلم

ومن كانت هجرته لدنيا

ومن كانت هجرته لدنيا اللام للتعليل اي لاجل غرضها ومتاعها او حصول
غرضها وانتفاعها او بمعنى الى كما في نسخة صحيحة وهو اولى لانه
قابله بقوله الى ما هاجر اليه حيث لم يقل لما هاجر اليه كذا قيل والاظهر
انها هنا بمعنى اللام كقوله تعالى والامر اليك وحق لفظ الجلالة في موضعها
والهجرة غير مختصة بصوب المدينة لكونه صلى الله عليه وسلم فيها
بل المعنى هجرته لاجل رضا الله ورسوله فهجرته منتهية اليهما والى رضاهما
والمعنى هو غاية طاعته ومن كانت هجرته لغرض الدنيا وما فيها فهجرته
منتهية اليها والى حصولها والمعنى هو نهاية همته لا يتجاوز عنها
وبهذا التقرير يستغنى عما قالوه من التقدير هذا وقد قال المالكي في استعمال
دنيا منكرا اشكال لانها انثى الادنى وهو افعل التفضيل فكان ظاهره
الدنيا كالكبرى الا انها وردت على خلاف القياس لانسلاخها عن معنى
الوصفية واجرائها مجرى الاسمية وقيل النكتة فيه الايماء الى تجريد الدنيا
وترك زوائدها وهو مأخوذ من الدنو او الدناءة وقد يكسر داله
ولا يبعد انها نكرت اشارة الى ما يسمى دنيا من انواع ما في الدنيا وترك
تنوينه تخفيفا لكثرة استعمالها ويؤيده انه روي منونا **يصيبها**
حال مقدرة اي لا يقصد اصابتها وتحصيلها فشبه قصد الدنيا
وتحصيلها باصابة الغرض بالسهم بجامع حصول المقصود **او امرأة ينكحها**
بفتح الياء وكسر الكاف اي يتزوجها كما في نسخة ثم او للتنويع او للشك
فهو من باب عطف الخاص على العام اشعارا بان النساء اعظم ضرر ما في الدنيا
او ايماء بانه لما كان قصد النكاح الذي هو سنة عظيمة من سنن اهل الفلاح
اذا كان يبطل ثواب الهجرة فكيف غيره من الامور المباحة او المكروهة
ولا يبعد ان مهاجر ام قيس المذكور كان يحبها لمالها وجمالها فجمعها
في التعريض به ويحتمل انه كان يطلب نكاحها وغيره من الناس هاجر لتحصيل

دنيا من جهة ما فرض بهما **فهجرته الى ما هاجر اليه** اى من اصابة
الدنيا وتزوج المرأة ولم يذكرهما صريحا للاعراض عنهما وعدم الاحتفال
بامرهما وللزجر عن قصدهما بخلاف ما تقدم والله اعلم والمعنى من كانت هجرته
للدنيا وانتهت هجرته اليها او كانت نهاية هجرته اليها لا يحصل له ثواب
الهجرة سواء حصل غرضه من الدنيا وما فيها ام لا فعلم ان الطاعة فى اصل
صحتها وتضاعف ثوابها مرتبطة بالنيات وبها ترتفع الى الخالق البريات
فلا بد للساعى من تصحيح النية وللبانى من احكام اساس البنية ✻
فانها بدون العمل منتج للمثوبة والعمل بدون تصحيح النية موجب للعقوبة ✻
اما مثال الثانى فقد ورد من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه ✻
الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة اما مثال الاول
فقد ورد فى سند ابى يعلى الموصلى مرفوعا ان الله تعالى يقول للحفظة ✻
يوم القيامة اكتبوا لعبدى كذا وكذا من الاجر فيقولون ربنا لم نحفظ عنه ذلك
ولا هو فى صحيفتنا فيقول الله انه نواه ونقل الاستاذ ابو القاسم القشيرى
ان زبيدة رؤيت فى المنام فقيل لها ما فعل الله بك فى ذلك المقام فقالت
غفر لى جميع الاثام فقيل لها لكثرة عمارتك الابار والبرك والمصانع فى طريق مكة
وانفاقك فيها من الذهب والفضة فقالت هيهات هيهات ذهب ذلك كله ✻
الى اربابه واصحابه وانما نفعنا النيات منه فغفر لى بها السيئات هذا وبلسان العارفين
معناه ان اعمال الظاهر متعلق بما وقع فى القلوب من انوار الغيوب وان كشوف
اسرار الطريقة وانوار الحقيقة فى الباطن انما بدايته من جمال الفهم والالهام
اذا انفتح سنا برق صفة الفعل من زنود صفات الجلال والاكرام والكبرياء
جمع الهم فى تنفيذ العمل للمعمول له وان لا يسنح فى السر ذكر غيره وللناس
فيما يعشقون مذاهب ثم نية العوام فى طلب الاغراض فى الفعل مع نسيان
الفضل ونية الجاهل التحصن عن سوء القضا ونزول البلاء ونية اهل النفاق

التزين عند الخلق وعند الخالق ونية العلماء اقامة الطاعة اداما
العبادة لحرمة ناصبها لا لحرمة جانبها ونية الصوفية ترك الاعتماد
على ما يظهر منهم من الطاعات الصورية والحالات المعنوية ونية اهل الحقيقة
ربوبية تولت عبودية وانما لكل امرئ ما نوى من مطالب السعداء ومناقب
الاصفياء وهى الخلاص عن الدركات السفلية من الكفر والشرك والجهل
والمعاصى والاخلاق الذميمة والحجب النفسية والفوز بالدرجات العلية
وهى المعرفة والتوحيد والعلم والطاعة والاخلاق المحمودة والجذبات
الالهية والفناء عن انانيته والبقاء بهويته او من مقاصد الاشقياء وهى
ما يبعد عن الحق فى مقام الاصطفاء فمن كانت هجرته بخروجه من مقامه ✻
الذى هو فيه غاية مرامه سواء كان منزلا من منازل النفس او مقاما من مقامات القلب
الى الله وتحصيل رضاه ورسوله باتباع علمه والتوجه الى طلب الاستقامة
فى استقامة احواله فهجرته الى الله ورسوله فتخرجه العناية الالهية من ظلمات
الحدوث والفناء الى نور الشهود والبقاء وتجذبه من حضيض العبدية ✻
الى ذروة العندية ويذهل عن عالم الناسوت ويفنى فى عالم اللاهوت ويبقى بالحى
الذى لا يموت ورجع اليه الانس ونزل بحلة القدس واشرقت عليه سبحات الوجه
الكريم وحل بقلبه روح الرضى العميم ووجد فيه الروح المحمدى واحيانا عرف
ان له مثوى وما باهذا حال اخص الخواص واما العوام فهجرتهم لسبب
الا وقا بشرط جاهدوا فينا من الكفر الى المعرفة ومن الشرك الى التوحيد ومن الجهل
الى العلم ومن المعصية الى الطاعة ومن مقابح الاخلاق الى محاسنها واما الخواص
فهجرتهم بجذبات الهداية نهم سبلنا من حجب وصف الخلق الى درجات تجليات
صفات الحق ومن كانت هجرته لدنيا من تحصيل شهوة الحرص على الجاه والمال
ونيل المنال فيبقى مهجورا عن الحق فى وطن الغربة وديار الظلمة له نار الفرقة
والقطيعة نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة لا نار الجحيم لا تحرق الجلد

ولا يخلص الا القلب فانها بالنسبة الى نار فرقة القلوب وحرقة القطيعة
عن غيب الغيوب كنسيم الحياة الى سموم الممات ولذا قالوا الحجاب اشد العذاب
وانشدوا شعر ففي فؤاد المحب نار هوى احر نار الجحيم ابردها وما احسن من قال
من ابيات يا غافل القلب عن ذكر المنيات عما قليل ستثوى بين اموات
ان الحمام له وقت الى اجل فاذكر مصايب ايام وساعات لا تطمئن الى الدنيا
وزينتها قد حان للموت يا ذا اللب ان ياتي وكن حريصا على الاخلاص في العمل
فانما العمل الزاكي بنيات هذا وفي معنى الهجرة طلب العلم وصحبة الصوفية بل كل
حركة وسكون يحتاج الى تصحيح النية وفي الخبر ان الله لا ينظر الى صوركم
واعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم ونياتكم رواه اماما المحدثين اى المصنفين
في علم الحديث من المتاخرين احدهما ومنهما ابو عبد الله محمد بن اسمعيل
بن ابراهيم بن المغيرة بضم فكسر ابن بردزبه بموحدة مفتوحة فراء ساكنة
فدال مهملة مكسورة فزاي ساكنة فموحدة فهاء ساكنة ومعناه بلسان
اهل بخارى الحارث بمعنى الزارع كان مجوسيا ومات عليه البخاري منسوب الى بخارى
بلد معروف من اعظم بلدان ما وراء النهر وفي بعض النسخ زيد الجعفي
بفتح الجيم وسكون العين المهملة فالفاء نسبة الى اليمان بن اخنس الجعفي
لان المغيرة اسلم على يده هذا وقد ولد سنة اربع وتسعين ومائة
وتوفي بخرتنك قرية على فرسخين من سمرقند سنة ست وخمسين ومائتين
فعمره اثنتان وستون سنة قال خرجت كتابي الصحيح من زهاء ستمائة الف حديث
لست عشرة سنة وما وضعت فيه حديثا الا اغتسلت وصليت فيه ركعتين
فضائله اكثر من ان تحصى واوفر من ان تستقصى وقد افردت بالتاليف
روي انه عمي في صباه فراى الخليل عليه وعلى نبينا صلوات الله الجليل السلام في المنام
فدعا له وتفل في عينيه وبرك عليه فابصر باذن الملك العلام فمن ثمة
يقرا كتابه في كرب الافراج وقد روى هذا الحديث في سبعة مواضع من صحيحه

وعدد احاديث صحيحه

وعدد احاديث صحيحه سبعة الاف ومائتان وخمس وسبعون وباسقاط
المكرر اربعة الاف وقد كتب عن احمد بن حنبل ويحيى بن معين وخلائق يزيدون
على الف وروى عنه مسلم خارج صحيحه والترمذي وابن خزيمة قيل والنسائي
وابو الحسين مسلم بن الحجاج بفتح الحاء وتشديد الجيم الاولى ابن مسلم القشيري
بضم القاف وفتح الشين المعجمة منسوب الى قشير بن كعب بن ربيعة بطن من العرب
النيسابوري بفتح النون والسين المهملة معرب المعجمة مدينة بخراسان
وهو الامام الهمام النبيل والبحر الحبر الجليل ولد سنة اربع ومائتين وتوفي سنة
احدى وستين ومائتين واحاديث كتابه بعد اسقاط المكرر اربعة الاف ايضا اخذ عن احمد
وخزيمة وخلائق وروى عنه الترمذي حديثا واحدا رضي الله عنهما كذا
في النسخ جميعها وفيه توسعة والا فالانسب ان يقال رحمهما الله لان الترضية
تختص عرفا بالاصحاب المصطفوية في صحيحيهما انما خص بهما لان لهما كتبا غيرهما
ليست في رتبتهما وهو متعلق برواه لا حال من الضمير الراجع الى الحديث
كما ذكره الكازروني اللذين بفتح الذال وكسر النون هما اصح الكتب المصنفة
اى المؤلفة احترازا من الصحف المنزلة واما قول الشافعي ما اعلم كتابا بعد
كتاب الله اصح من موطأ مالك فذاك قبل وجودهما ثم الاول اصح منهما
على الاصح من الاقوال فيهما وقد رواه غيرهما كالامام احمد وابي داود والترمذي
والنسائي وابن ماجه وغيرهم حتى صار شبيها بالتواتر عندهم وقد روى البخاري
انه صلى الله عليه وسلم خطب به فقال يا ايها الناس انما الاعمال بالنيات
وخطب به عمر رضي الله عنه على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم كما اخرجه البخاري ايضا
الحديث الثاني عن عمر رضي الله عنه ايضا اي عادت عنه الرواية عودا يقال
اض فلان الى اهله اى رجع قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم المستفاد من كلام
الرضي ان ما في بينما كافة لانها تكف المقتضي وتمنعه عن اقتضاء المضاف اليه
وقد روي فيما بينما وفي بعض الروايات بينا على اشباع الفتحة ليكون الالف

الحاصلة دليلا على عدم اقتضائه للمضاف اليه لانه كأنه وقف عليه
فان الالف قد يؤتى بها للوقف عليها كما في انا والظنونا ثم بين في اصله
مستعمل في الزمان والمكان واما اذا كف بما او الالف واضيف الى الجمل
فلا يكون الا للزمان لانه لا يضاف الى الجمل الا حيث من ظروف المكان والمعنى
في اثناء اوقات شريفة وازمنة لطيفة نحن حاضرون لديه وواقفون
بين يديه **ذات يوم** اي ساعة نهار ففائدة زيادة ذات في البيان عدم تجويز
التوهم في اطلاق القوم على مطلق الزمان وهو ظرف عند لما فيه من معنى الاستقرار في الخبر
اذ طلع علينا رجل اي ظهر لنا شخص بصورة رجل من جنسنا والتنوين
فيه للتعظيم او للتكثير والمعنى فاجانا وقت طلوعه حين كنا عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي مجلس حضوره وحال ظهور نوره رجل عالي الجناب
شديد بياض الثياب باضافة الشديد الى البياض وفي نسخة تنوين شديد
ورفع ما بعده وكذا الكلام في قوله **شديد سواد الشعر** بفتح العين ويسكن و
وفيه ايماء الى استحباب البياض والنظافة في الثياب وان زمان طلب العلم اوان الشباب
وفي حديث الترمذي ان الله نظيف يحب النظافة وصح ان خير ثيابكم البياض
فالبسوه وكفنوا فيها موتاكم وقدم البياض على السواد لفضله وجمع الثياب
دون الشعر اشعارا بان جميعها كذلك او للتفنن في العبارة باستعمال الجمع
تارة واعتبار الجنس اخرى وهذا بالتحقيق احرى وفي رواية النسائي
عن ابي هريرة وابي ذر اذ اقبل رجل احسن الناس وجها واطيب الناس ريحا
كان ثيابه لم يمسها دنس واغرب ابن حجر في روايته عن ابي هريرة وذر انتهى
وغرابته لا يخفى **لا يرى** بضم الياء من يرى قاله المص وروي بالنون المفتوحة
كذا في شرح مسلم **عليه اثر السفر** برفع الاثر ونصبه كما يقتضيه اختلاف الاثر
والاثر العلامة من نحو الشعث والغبرة والسفر ماخوذ من السفر وهو الكشف
لانه يكشف احوال الرجال واخلاقهم في احوال الانتقال **ولا يعرفه منا** اي معشر الصحابة

احد تقدم منا للاهتمام ومؤداه وحاصل معناه انه حتى انا ان يكون ملكا
او جنيا اذ لو كان بشرا من المدينة او غريبا كان اثر السفر في سيماه وفي هذا الحديث
تصريح بانهم رأوه وسمعوا كلامه واما حديث الامام احمد عن غير عمر نسمع رجع النبي
صلى الله عليه وسلم ولا نرى الذي يكلمه ولا نسمع كلامه فاما محمول على تلون
حال جبريل او كان القضية واحدة واما على تعدد القصة لتأكيد تعليم
الامة وهذا اولى من قول ابن حجر يرد حديث عمر الاصح منه واما قول الفاكهاني رواه
ابو العباس العيدي لا نريده ولا نعرفه بالنون فانما يصح مع عدم قوله منا احد
حتى جلس متعلق بمحذوف دل عليه طلع اي سلم واستاذن واتى ودنا حتى جلس
مائلا **الى النبي صلى الله عليه وسلم** والمعنى بين يديه ففي الحديث كان يجلس بين يدي
النبي صلى الله عليه وسلم وكانما على رؤوسنا الطير ومتصلا اليه فيكون له تفسير
قوله **فاسند ركبتيه الى ركبتيه** اي اوصل ركبتيه الى ركبتي النبي صلى الله عليه وسلم
لان الجلوس على الركب الى التواضع اقرب وانسب الى كمال الادب وايضا ابلغ في الاصغاء
وحضور القلب والصفاء والاستيناس بالتوحش عن الناس كذا حكمه
وضع الكف في قوله **ووضع كفيه على فخذيه** بفتح الفاء وكسر الخاء وجوز
في اللغة كسر اوله وسكون ثانيه اي فخذي النبي صلى الله عليه وسلم كما في رواية
النسائي هذا وقد ابعد ابن حجر عن التحقيق حيث قال في جلس الى هنا يعني عند
او مع هذا وفي رواية لابي ذر والنسائي عن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم كان
يجلس مع اصحابه فلا يعرفه الغريب فبنيت له مصطبة من طين فجاءه جبرئيل
وهو عليها فقال السلام عليكم يا محمد فرد عليه صلى الله عليه وسلم قال ادنو يا محمد
قال ادنه فما زال تقول فيقول ادنو مرارا ويقول ادنه حتى وضع يديه على ركبتي
النبي صلى الله عليه وسلم انتهى وصيغة عليكم بلفظ الجمع للتعظيم او له ولمن معه
على وجه التعميم كما قال الفقهاء انه ينوي بالسلام بصيغة الجمع على الواحد
نظرا لمن معه من الملائكة ولا ينافي تخصيصه بالنداء بعد تعميم الثناء **وقال يا محمد**

لعل نداءه بذلك قبل التحريم او لانه لم يكن داخلا في التعميم او التحريم
محمول على ما اذا اريد به مجرد العلمية غير التعظيم المستفاد من الدلالة
او الوصفية الموجبة للتفخيم واما ما ورد في الصحاح من نداء بعض
الصحابة باسمه فذلك اما قبل التحريم واما على قصد ما ذكرنا من التعظيم
وقال شارح ناداه باسمه اذ الحرمة تختص بالامة في زمانه وهو ملك
معلم انتهى وفيه انه في هذا المقام تنزل الى مرتبة التعلم والحالة تعليم
غيره في السؤال والجواب فمقتضاه انه كان يتأدب في الخطاب ويسميني اول الباب
والله اعلم بالصواب وقال الفاكهاني وناداه هذا كان تعمية لحاله اقول
وهذا بعيد عن مقام جلاله وحسن سؤاله اخبرني عن الاسلام
وهو لغة الانقياد للاحكام ولذا اجاب عنه عليه الصلاة والسلام بالاركان
الخمسة من ظواهر احكام الشريعة وانما قدم السؤال عنه وان كان التصديق
مقدما بحسب الرتبة لانه جاء لتعليم مراتب الشريعة فبدأ بالادنى
ثم ترقى الى الاعلى ثم الى المشاهدة المولى فيكون هذه الرواية هي الاولى من رواية
الترمذي تقديم الايمان كما في رواية الصحيحين عن ابي هريرة فلعلها رواية بالمعنى هنا
وقد ذكر ابو عبد الله بن ابي حفص الكبير عن ابيه عن محمد بن الحسن عن ابي حنيفة رحمه الله
عن علقمة عن يحيى بن يعمر عن ابن عمر ان جبرئيل ساله عن شرايع الاسلام
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام ان تشهد اي شهادتك واقرارك
عبادتك ان لا اله الا الله ان مخففة من المثقلة وضمير الشان محذوف
ويدل عليه عطف قوله الاتي وان محمدا الخ والمقصود من هذه الكلمة اثبات
التوحيد في الجملة بحسب ظاهر الشريعة والا فتفصيله على وجه الحقيقة اثبات
ذات الله بوحدانيته منعوتا بالتنزه عن ما يشابهه اعتقادا فقولا وعملا
فيقينا وعرفانا فمشاهدة وعيونا فثبوتا ودواما كما ستقف عليه مفصلا وتماما
وقال الغزالي للتوحيد لبان وقشران كاللوز والقشرة العليا هي القول باللسان

المجرد والثانية

المجرد والثانية الاعتقاد بالقلب جزما واللبان ينكشف بنور الله
سر التوحيد بان يرى الاشياء الكثيرة صادرة عن فعل واحد ويعرف
سلسلة الاسباب مرتبطة بمسببها ولب اللب ان لا يرى في الوجود الا واحدا
ويستغرق في الواحد الحق غير ملتفت الى غيره واغرب ابن حجر بقوله قال
اعلم بذلك اشهد او اسقطهما فقال لا اله الا الله محمد رسول الله لم يكن مسلما
وايده بحديث امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا مع انه جاء في رواية صحيحة
حتى يقولوا وقد كثر الروايات الثابتة عنه صلى الله عليه وسلم مثل من قال
لا اله الا الله دخل الجنة على ان المراد بهذه الكلمة ضم الاخرى من الاقرار
بالنبوة لتلازمهما في اعتبار الشريعة وان الاقتصار على هذه الكلمة من باب
الاكتفاء او للبناء على ان هذه علم للاقرار بالتوحيد والنبوة فكيف
اذا تكملت الكلمة بضم محمد رسول الله فقوله وان محمدا رسول الله
ايماء الى الاقرار بصحة النبوة وهما اصلان متلازمان في اقامة الدين ضرورة
توقف الاسلام على الشهادتين وقد يقال الشهادة تجيء في اللغة على ثلاثة
معان الاول بمعنى العلم كقوله تعالى يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله وانتم تشهدون
اي تعلمون والثاني بمعنى الحضور والابصار كما قال تعالى وليشهد عذابهما
طائفة من المؤمنين والثالث بمعنى الاخبار عن العلم والحضور كقوله تعالى
وما شهدنا الا بما علمنا وهذا المعنى هو المناسب لمقام الاسلام واما العلم والمشاهدة
فهما من مراتب العلماء الكرام ومناقب الاولياء العظام ومنه قوله تعالى فاعلم انه
لا اله الا الله وشهد الله انه لا اله الا هو قال المحققون مجرد التوحيد هو
الاحتجاب بالجمع عن التفصيل وهو محض الجبر المؤدي الى الاباحة واسناد القول والقدرة
والفعل الى الرسول وسائر الخلق احتجاب بالتفصيل عن الجمع الذي هو صرف
المؤدي الى التعطيل والثنوية والجمع بينهما هو الحق المحض قال في العوارف
الجمع اتصال لا يشاهد صاحبه الا الحق فمن شاهد غيره فما ثمة جمع والتفرقة

شهود لمن شاهد بالمباينة فقول امنا بالله جمع وما انزل الينا تفرقة
قول نقول لا اله الا الله جمع وقول محمد رسول الله تفرقة كما قيل اياك نعبد تفرقة
واياك نستعين جمع وفي جمع المثالين ايماء لجواز تقديم التفرقة على الجمع
كما للسالك المجذوب المسمى بالمريد وتقديم الجمع على التفرقة كما للمجذوب
السالك المسمى بالمراد وهو اكمل من المريد في مقام المريد كما اشار اليه قوله سبحانه
الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب وقال الجنيد قدس سره القرب
بالوجد جمع وغيبته في البشرية تفرقة وكل تفرقة بلا جمع تعطيل **وتقيم الصلوة**
اي تديمها بمحافظة شرايطها ورعاية اركانها والصلوة لغة الدعاء
نقل الى افعال مخصوصة واقوال معلومة لان الدعاء جزء الصلوة **وتؤتي الزكوة**
اي تعطيها مصارفها من زكى نمى او طهر وهو اسم للقدر المخرج من النصاب
لانه يزيد بركة المخرج عنه ويطهره او يطهر قلب صاحبها عن خساسة البخل
ونجاسة حب الدنيا طلبا لحب المولى ورسمها بالواو على خلاف القياس بناء على اصلها
ثم اعلم ان الرواية بنصب تقيم وتؤتي وما بعدهما وتوبيخه حديث بني الاسلام على خمس
واما من جعل الواو استينافية على زعم ان اتيان الشهادتين يكفي في اجراء احكام
الاسلام فاجيب بان الانقياد ثم اقرار وتوابعهما من المذكورات او نحوها اكمل
على انه قد يقال المراد ببقية الافعال الخمسة هو الانقياد بقبول فرضيتها واعتقاد
ركنيتها اذ انكار وجوبها كفر اجماعا لانها من المعلوم بالدين ضرورة **وتصوم**
رمضان فيه جواز اطلاق رمضان من غير ذكر شهر وهو علم للشهر المشهور من رمض
اذا احترق فاضيف اليه الشهر وسمي به لارتماضهم من حر الجوع او لاحتراق
ذنوبهم بالصبر على حرارة الجوع ومرارة العطش والصوم لغة الامساك وشرعا
امساك مخصوص بوصف مخصوص **وتحج البيت** الحج بفتح الحاء وكسرها لغة
القصد او قصد المعظم وشرعا قصد بيت الله في وقت معين بشرايط معلومة
والبيت اسم جنس غلب على الكعبة علما **ان استطعت اليه** اي الى البيت او الحج

المفهوم من تحج

المفهوم من تحج يعني ان امكنك الوصول اليه **سبيلا** تمييز عن نسبة
الاستطاعة اي ان استطعت سبيل البيت والحج فاخر ليكون اوقع في النفس
وهي الطريق الذي فيه سهولة ويستعمل في كل ما يتوصل به الى الشيء وهو المراد
هنا ولذا فسرت في الحديث بالزاد والراحلة رواه الحاكم وصححه لكن ضعفه
آخرون والحاصل ان الاستطاعة عند ابي حنيفة بمجموع البدن والمال وعند مالك
بالبدن وعند الشافعي بالمال وفي كتب الفقه تفصيل الاحوال ومن جملة تفاريعه
انه هل يجب على الفور والتراخي ففيه خلاف مشهور بين اصحابنا وكذا فيما بين
اصحاب مالك والشافعي واما من حج حجة الاسلام ثم ارتد والعياذ بالله تعالى
ثم عاد الى الاسلام فقال ابو حنيفة واحمد والمشهور من مذهب مالك يجب عليه
حجة الاسلام خلافا للشافعي ثم الاستطاعة سلامة الاسباب وصحة الالات
وهي قد تتقدم على الفعل ويطلق على عرض في الحيوان يفعل به الافعال الاختيارية
ولا يكون الا مع الفعل وهي على ما فسرت استطاعة صحة فلا يرد ما قيل من ان الاستطاعة
التي بها يتمكن المكلف من فعل العبادة مشروطة في الكل فكيف خص الحج بها
وتنكيره للعموم وتقديم اليه عليه للاختصاص اي سبيلا ما الى البيت
او الحج على اي وجه كان قريبا او بعيدا بشرط اختصاص انتهائه اليه لا الى غيره
وايراد الافعال على صيغة المضارع لافادة الاستمرار التجددي المناسب لكل منها
ففي التوحيد الاستمرار الدائم مدة الحياة الى الممات وفي الصلوة دونه ثم في الصوم
والزكوة دونهما وقدم الاهم واخر ما وجب في العمر مرة وهو الاشق الاتم
ولذا قيد بالاستطاعة والله اعلم وقد نزل صلى الله عليه وسلم يوم عرفة وهو
على ناقته في حجة الوداع اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي
ورضيت لكم الاسلام دينا **قال** اي الرجل **صدقت فعجبنا له** اي قال عمر رضي الله عنه
فتعجبنا لاجل السائل او من كلامه المتقابل حال كونه **يسأله ويصدقه**
اذ سؤاله يقتضي عدم علمه وتصديقه يوجب خلاف حاله ثم زال التعجب

الناس عن الجهل بسبب الشيء بعلمهم انه جبرئيل اتاهم في صورة متعلم ليعلمهم
امر دينهم قال فاخبرني عن الايمان هو في اللغة التصديق الذي معه
امن وطمانينة وتحقيق وحقه ان يتعدى بنفسه الا انه لما كان متضمنا لمعنى
الاعتراف عدي بالباء في قوله قال ان تؤمن بالله كذا قرره بعض
الشراح وفيه ان الاقرار شرط لاجراء الاحكام او شرط لمفهوم الايمان كما هو
عند بعض الاعلام فلا اكتفاء به لا يكون الحد على وجه النظام فالاولى
ما قال بعضهم من ان المراد بالمحدود الايمان الشرعي ومن الحد الايمان اللغوي
فانه متعد بالباء كما في القاموس آمن به ايمانا صدقه فالمعنى ان الايمان هو
تصديق وجود ذات الله المستجمع لصفات الكمال من نعوت الجمال والجلال
وحسن الافعال وبكل ما جاء من عنده على طريق التفصيل او سبيل الاجمال
قال ابن الصلاح هذا الحديث بيان اصل الايمان وهو التصديق والاسلام هو انقياد
الاحكام وحكم الاسلام يثبت بالشهادتين وانما اضاف اليهما الاعمال المذكورة
لانها اظهر شعايره ثم الايمان قد يطلق على الاسلام كما في حديث وفد عبد القيس
هل تدرون ما الايمان شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلوة
وايتاء الزكوة الحديث وقد يطلق الايمان على الاسلام لحديث الايمان بضع وسبعون شعبة
ادناها اماطة الاذى عن الطريق واعلاها شهادة ان لا اله الا الله وقد يطلق الاسلام
ويراد به المعنى الاعم لقوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام ولحديث ابن ماجه الاسلام
قال تشهد ان لا اله الا الله وتشهد اني رسول الله وتؤمن بالاقدار كلها خيرها وشرها
حلوها ومرها ومنه ما روي الايمان اعتقاد بالجنان واقرار باللسان وعمل بالاركان
واسم الاسلام يتناول اصل الايمان وهو التصديق والطاعات فان كل ذلك استسلام
فعلم انهما يجتمعان ويفترقان وان كل مؤمن مسلم من غير عكس كما يدل عليه قوله تعالى
قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا وخبر احمد الاسلام علانية
والايمان في القلب وفي حديث سعد تركت فلانا لم تعطه وهو مؤمن فقال او مسلم

فاعاد عليه فاعاد

فاعاد عليه فاعاد وهذا التحقيق موافق لمذهب جمهور العلماء من الاشاعرة
والماتريدية حيث جعلوا الايمان مجرد التصديق والاقرار شرط لاجراء الاحكام
وهو مذهب الامام وبه اخذ علم الهدى والاشعري في اصح الروايتين عنه على ما ذكره الكردري
وقيل الاقرار ركن والتصديق شرط وهو قول ساقط علاوة للتحقيق واما على ما ذهب اليه بعض
الحنفية من ان الاعتراف شرط للايمان لكنه يسقط بالاعذار في بعض الاحيان
فكل مؤمن مسلم وكل مسلم مؤمن على ما هو المتعارف في الزمان واما عند الشافعي وهو
المنقول عن علي كرم الله وجهه مرفوعا ان الايمان هو المعرفة بالجنان والاقرار باللسان والعمل
بالاركان والظاهر ان المراد به الايمان الكامل وعليه جميع اهل السنة خلافا للمعتزلة حيث
قالوا كما ذكر في الكشاف ان الايمان الصحيح هو ان يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله
وكذا عند الخوارج الا ان المعتزلي يقول مرتكب الكبيرة يخرج من الايمان
ولا يدخل في الكفر والخارجي يحكم بكفره فاذا كان الامر كذلك فلا وجه لاسناده
ما قال علي الى انه كذا عند الشافعي واتباعه على ما ذكره بعض الشراح من اشياعه فيلزم منه
انه خالف اهل السنة وتابع اهل البدعة وليس كذلك فانه لم يقل بالتفريع
الذي ذكره الخوارج والمعتزلة وبطلان ما ذكروه ظاهر اذ حيث جاء
في الكتاب والسنة عطف العمل على الايمان فيدل على مغايرته للعمل بالاركان
ومما يدل على بطلان ما ذهبوا اليه انه امن شخص ولم يلحق تكليف من عمل ومات وهو مؤمن
عند الله اجماعا وان ابا حنيفة واتباعه انكر قبول الايمان للزيادة والنقصان
ووافقه امام الحرمين من الاشاعرة وجوزهما آخرون قال المص وهو مذهب السلف
والمحدثين قال الفخر الرازي وغيره الخلاف مبني على ان الطاعة اذا اخذت في مفهومه
قبلهما والا فلا لان الايمان اسم للتصديق الجازم مع الاذعان وهذا لا يتغير بضم طاعة
ولا معصية اليه ثم قال المص قال المحققون من اصحابنا المتكلمين ان نفس التصديق
لا يقبلهما والايمان الشرعي يقبلهما بزيادة ثمراته وهي الاعمال ونقصها قالوا
وفي هذا توفيق بين ظواهر النصوص التي جاءت بالزيادة وبين المعنى المفهوم من اللغة

قال وهذا الذي قاله هؤلاء وان كان ظاهرا حسنا فالاظهر والله اعلم
ان نفس التصديق يزيد لقوة النظر وظهور الادلة ولهذا يكون ايمان الصديقين
اقوى من ايمان غيرهم بحيث لا تعتريهم الشبه ولا تتزلزل ايمانهم بعارض
ولا يشك عاقل في ان تصديق ابي بكر رضي الله عنه لا يساويه تصديق احاد الناس اقول
ثم اعلم ان المراد بالاركان الاتيان بالاوامر المفروضة والانتهاء عن الزواجر المحرمة
واغرب شارح في تفسير الاركان بالاعضاء السبعة وهي العين واللسان والاذن
واليد والبطن والفرج والرجل واذا كان الايمان التصديق على وجه التحقيق فلا يقبل الزيادة
والنقصان الا باعتبار ثمراته من الاعمال او مراتب ظهوره وانكشاف نوره في صدور ارباب
الاحوال اذ التصديق عند اهل التدقيق اذعان النفس وقبولها بما يجب قبوله عليها
وهو تقليدي وتحقيقي والتحقيقي اما استدلالي او ذوقي والذوقي شهودي
اما كشفي واقف على حد العلم او عيني غير واقف عليه والعيني اما مشاهدة او
والاول هو الاعتقاد الجازم المطابق الممتنع الزوال وهو اول ما لا بد منه في صحة
العمل بالاركان والثاني الاعتقاد الجازم المطابق الممتنع الزوال الثابت البرهان
والثالث الممتنع الزوال الثابت بالوجدان والثلاثة مراتب الايمان بالغيب والاخير ان علم اليقين
والرابع هو المشاهدة الروحانية مع بقاء الاثنينية ويسمى عين اليقين
والخامس هو الشهود الحقاني عند تجلي الوحدة الذاتية وزوال الاثنينية
ويسمى حق اليقين ومحصل الكلام في مقام المرام ان ايمان العوام هو التصديق بالجنان
والاقرار باللسان وايمان الخواص عزوف النفس عن الدنيا وسلوك طريق العقبى وشهود القلب
مع المولى وايمان خواص الخواص ملازمة الظاهر والباطن في طاعة وابانة الخلق الى الفناء في الله
واخلاء السر للبقاء في الله واما قول المص في شرحه لمسلم اتفق اهل السنة من المحدثين
والفقهاء والمتكلمين على ان من آمن بقلبه ولم ينطق بلسانه مع قدرته كان مخلدا في النار
فمعترض على ما قاله ابن حجر بانه لا اجماع على ذلك بان لكل من الائمة الاربعة
قولا انه مؤمن عاص بترك التلفظ بل الذي عليه جمهور الاشاعرة

وبعض محققي الحنفية

وبعض محققي الحنفية كما ذكره المحقق الكمال ابن الهمام وغيره من علماء الانام
ان الاقرار باللسان انما هو شرط احكام الدنيا فحسب قلت واذا كان الامر كذلك
فينبغي ان يحمل كلام النووي على امتناع اقراره مع قدرته وقت مطالبته به
ولذا اجمعوا على كفر ابي طالب حيث طالبه صلى الله عليه وسلم بالاقرار ولم يعترف
خوفا من الملامة والعار مع انه كان عارفا بحقيقة نبوته صلى الله عليه وسلم
لما رأى من آثار الانوار وبثبوت دار القرار باستدلاله العقلي حيث قال
لا بد من دار اخرى لجزاء الخلق وللتمييز بين الفجار والابرار اذ الامر منعكس في هذه
الدار حيث اكثر الابرار في المحنة وجمهور الفجار في النعمة والحاصل
ان امتناعه عند مطالبته مع وجود قدرته مبطل لمعرفته كما لو سجد لصنم باختياره
او استخف بنبي او بالكعبة او برمي القرآن في القاذورات ونحو ذلك من المكفرات
فانه يحكم بارتداده وبطلان اعتقاده لذلك ولا يفيده تصديقه القلبي هنالك
اذ انقلب ايمانه كفرا ولا يبعد ان يقال الاقرار ركن صار شرطا فيكون ذا وجهين
كما قال اصحابنا في الاحرام انه من وجه شرط ومن وجه ركن وبه يجمع بين الاقوال المختلفة
والله اعلم وايضا لو لم يعتبر ما قاله المص لزم ان يكون بعض اليهود والنصارى
مؤمنا عند الله وهو خلاف الاجماع قال تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به
اي ما عرفوا نبوته فلم ينفعهم الايمان بالله ووحدانيته هذا وقد اتفق اهل الحق وهم
الاشاعرة والحنفية على انه لا عبرة بايمان بلا اسلام وعكسه اذ لا ينفك
احدهما عن الآخر في الشريعة وان كانا متغايرين في اصل اللغة فعلم انه باختلال
احد من الامرين ينتفي لازم الايمان في الدارين لكن الحنفية اشد مبالغة في رعاية
الملة الحنفية ومن ثمة كفروا باقوال وافعال كثيرة نظرا منهم الى انها تدل على الاستخفاف
بالشريعة كتعمد صلوة بلا وضوئها ودوام ترك سنة استخفافا بها واستقباح سنة
كتحنيك العمامة وهو جعل طرفها تحت حلقه حتى روي ان ابا يوسف رحمه الله
ذكر في مجلس انه صلى الله عليه وسلم كان يحب الدباء فعارضه بقوله انا ما احب الدباء

فسل له السيف وقال جدد ايمانك والا قتلتك **وملائكته** جمع ملك
على غير قياس والتاء لتانيث الجماعة وهم اجسام لطيفة نورانية مبرأة عن كدورات
نفسانية وظلمات حيوانية مقتدرة على تشكلات مختلفة معصومون عن المخالفة
فهم وسائط بين الله وبين انبيائه المبعوثين الى الخليقة ولكل مقام معلوم ومرام مقسوم
وفي حديث مسلم عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا خلقت الملائكة من نور وخلقت
الجن من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم **وكتبه** اي ما انزل الله على انبيائه
اما مكتوبا في الالواح او مسموعا من وراء حجاب او من ملك مشاهد او هاتف
وذلك بان يعلم ان كلها وحي من الله مشتمل على احكامه واخباره واعلامه
ويعتقد ان القرآن كلام الله غير مخلوق بل ازلي قديم قائم بذاته
منزه عن حرف وصوت وحدوث شيء في صفاته وهو المكتوب في مصاحفنا
المحفوظ في صدورنا المقروء بالسنتنا قال الزمخشري وغيره وهي
مائة كتاب واربعة منها خمسون على شيث وثلاثون على ادريس وعشرون
على آدم وعشرة على ابراهيم والتورية والزبور والانجيل والفرقان
ورسله بان يعرف انهم بلغوا ما انزل اليهم وقاموا بما وجب عليهم وانهم
معصومون من الكبائر والصغائر عمدا لا سهوا وخطأ بشرط التذكر
في الحال او التنبيه عليه بحسن المقال وهذا الترتيب في التعريف مما يقتضيه
حكمة عالم الوسائط والتكليف والا فمقام لي مع الله وقت لا يسعني فيه
ملك مقرب ولا نبي مرسل معلوم لنبينا صلى الله عليه وسلم اذ فيه
اشارة الى تمكينه في وقت كشوف المشاهدة واستغراقه في لجة
بحر الوحدة حيث لا يبقى فيه اثر البشرية ولا تصور الاثنينية الا انه سبحانه
كان يرده في بعض الاوقات من هذه النسبة الجمعية الى النظر في تربية اصحابه العلية
وتدبير مراتب احوال امته المرضية ليجري عليه احكام التلوين بعد تحققه
في مقام التمكين ولئلا يذوب في نيران كبرياء الازل او يغرق في بحر الفناء

ومقام حق اليقين ومن هنا

ومقام حق اليقين ومن هنا كان يقول لعائشة رضي الله عنها احيانا كلميني يا حميراء
واليوم الآخر اي يوم القيامة لانه آخر ايام الدنيا ولانه لا ليل بعده ولا نهار
اي ويؤمن بوجود الابد الدائم الذي لا ينقطع وبما فيه من حشر الاشباح مع الارواح
والمحاسبة والمجازات وموافقة من الصراط والميزان ودخول الجنة ودرجاتها
والنار ودركاتها في رواية والبعث الآخر فكان البعث الاول هو الخلق بعد العدم
وتؤمن بالقدر بفتحتين مصدر قدر يقدر وقد يسكن داله وهو ما قضاه الله
وحكم به من الامور كذا في جامع الاصول انتهى واعاد العامل اما لبعد العهد
كقول الشاعر **شعر** اذا علم الحي اليماني انني اذا قلت اما بعد اني خطيبها او لشرف قدره
وتعاظم امره لانه محار الافهام ومزل الاقدام فلذا اهتم بشأنه
ثم قرره بالابدال بقوله **خيره وشره** اي حلوه ومره وفي رواية لمسلم
وبالقدر كله وليس تؤمن في اصل ابن حجر من شرحه فهو ساقط من الكتاب
او من صاحب الكتاب ويؤيد الثاني عدم تكلمه في هذا الباب والله اعلم بالصواب
قال المؤلف معناه يعتقد ان الله تعالى قدر الخير والشر قبل خلق الخلق
وان جميع الكائنات بقضاء الله وقدره وهو مريد لها انتهى فالطاعات يحبها
ويرضاها ويثيبها بخلاف الكفر والمعاصي قال تعالى ولا يرضى لعباده الكفر
والارادة لا تستلزم الرضاء وقد قال سبحانه انا كل شيء خلقناه بقدر وفي الخبر
كل شيء بقدر حتى العجز والكيس واجمع السلف والخلف قول ما شاء الله
كان وما لم يشأ لم يكن ولانه سبحانه اعظم من ان يقع في ملكه ما لا يشاء او
ما لا يكون من الاشياء وقد قيل قدر الخير والشر قبل خلق الخلق بخمسين الف
سنة لهذا ولو كان العبد يخلق الشر والمخالفات وهي اكثر وقوعا من الطاعات لكان اكثر
ما يجري في الوجود على خلاف مراد المعبود وذلك امر لا يرضاه امير بلدة ولا زعيم قرية
وقال الغزالي قدس سره كيف يكون الحيوان مستبدا بالاختراع ويصدر من العنكبوت
والنحل ونحوهما من لطايف الصناعات ما يتحير فيه عقول ذوي الالباب

فكيف انفردت هي باختراعها دون رب الارباب وهي غير عالمة بتفصيل
ما يصدر منها من الاكتساب هيهات هيهات ذلت المخلوقات وعلا خالق المصنوعات انتهى
فالايمان بالقدر هو التصديق بان ما قدره الله في ازله لا بد من وقوعه وما لم يقدره
مستحيل وقوعه فكل حادث في العالم فعله وخلقه واختراعه لا خالق سواه
ولا محدث الا اياه خالق الخلق وصنعتهم واوجد قدرتهم وحركتهم قال تعالى
خالق كل شيء والله خلقكم وما تعملون وما تشاؤن الا ان يشاء الله وفي صحيح مسلم
عن عمران بن حصين مرفوعا قال كان الله ولم يكن قبله وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق الله
السموات والارض ثم ان الله خلق الخلق على ما علم منهم وعلى ما قدر عليهم
قال تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر اي بحسب ما قدره قبل ان يخلقه وعن انس مرفوعا
من لم يرض بقضائي فليطلب ربا سوائي ثم القضاء هو الحكم بنظام جميع الموجودات
على ترتيب خاص في ام الكتاب اولا ثم في اللوح المحفوظ ثانيا على سبيل الاجمال
واما القدر فهو تعلق الارادة بالاشياء في اوقاتها وهو تفصيل قضائه
السابق بايجادها في المواد الجزئية المسماة بلوح المحو والاثبات كما يسمى الكتاب
بلوح القضاء واللوح المحفوظ بلوح القدر في وجه هذا تحقيق كلام القاضي
البيضاوي رحمه الله فذكر القدر دون القضاء اما من باب الاكتفاء او يكون
الايمان بالقدر مستلزما للايمان بالقضاء ولعل الاوجه ان يقال انما اختار
لفظ القدر لقوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر وقوله تعالى وكان امر الله
قدرا مقدورا وذكر الراغب ان القدر هو التقدير فالقضاء هو التفصيل
فهو اخص وقد قال ابو عبيدة لعمر رضي الله عنه حين اراد ان لا يدخل في الشام
وقت الطاعون اتفر من القضاء فقال افر من قضاء الله الى قدره اي القدر
ما لم يكن قضاء فمرجو ان يدفعه الله فاذا قضي فلا وقيل القدر التقدير
والقضاء الخلق قال الجزري في النهاية القضاء والقدر امران متلازمان
لا ينفك احدهما عن الاخر لان احدهما بمنزلة الاساس والاخر بمنزلة البناء

وقال بعضهم مثل هذا

وقال بعضهم مثل هذا بان القدر ما اعد للبس والقضاء بمنزلة اللبس
ويؤيده ما ذكره الحكيم الترمذي ان كان في البدء علم ثم ذكر ثم مشيئة ثم تدبير
ثم تقدير ثم اثبات في اللوح ثم ارادة ثم قضاء فاذا قال كن فكان على الهيئة التي علم
فذكر ثم شاء فدبر ثم قدر ثم اثبت ثم قضى فعلم منه انه ما من شيء حين استقام في العلم
الازلي الى ان استقر في اللوح ثم استبان في عالم الوجود الا ان يتعلق به
امور من الله سبحانه وقال بعض العارفين قدس سره ان القدر كتقدير النقاش
الصور في ذهنه والقضاء كرسمه تلك الصورة للتلميذ بالاسرب ووضع
التلميذ الصبغ عليها متبعا لرسم الاستاذ هو الكسب والاختيار الجزئي وهو
في اختياره لا يخرج عن رسم الاستاذ كذلك العبد في اختياره لا يمكنه
الخروج عن القضاء والقدر ولكنه متردد بينهما فقد بان ان لكل نعمة منه
فضل ولكل نقمة منه عدل لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وهو اعلم باحوال خلقه منهم
قال تعالى هو اعلم بكم اذ انشأكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم
وقال عز وجل هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن اذ لا يكفر احد بخلقه
لقوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فالمعنى
فمنكم من هو كافر في علمه ومنكم من هو مؤمن في علمه كما في حديث خلقت هؤلاء
للجنة ولا ابالي وخلقت هؤلاء للنار ومن ثمة قال بعض العلماء يجب
السكوت عن كيف في صفاته وعن لم في افعاله ثم اعلم ان الايمان بالقدر على قسمين
احدهما الايمان بانه استولى علمه بفعل عباده من خير وشر وما يجازون عليه
وانه كتب ذلك عنده واحصاه وان اعمال العباد تجري على ما سبق في علمه
وكتابه وثانيهما انه تعالى خلق افعال عباده كلها من خير وشر ونفع وضر
وايمان وكفر وطاعة ومعصية وهذا القسم ينكره القدرية والاول لا ينكره منهم
الا قليلون وكفرهم بانكاره كثيرون ومحل الخلاف حيث لم ينكروا العلم
القديم والا كفروا كما نص عليه الشافعي واحمد وغيرهما ثم المخير

ما يصلح به حال الرجال وما يرغب فيه الكمال والشر بخلافه وكل منهما
اما مطلق لم يزل مرغوبا فيه كالعلم او عنه كالجهل او مقيد يكون بالنسبة
الى احد خيرا والى آخر شرا كالمال وكمال الخير ضربان اخروية وهي النجاة
عن العقوبة ودخول الجنة ثم مشاهدة الجمال الاحدية ومطالعة جلال
الصمدية ودنيوية وهي اربعة نفسانية وهي الايمان والعرفان وحسن الخلق
والحكمة والعفة والشجاعة والعدالة وجسمانية وهي الصحة وحسن الصورة
وطول العمر والعبادة وخارجية وهي المال والجاه والاهل والنسب
كذلك الشر على هذه المرتبة ثم اعلم بان الايمان بالقدر يستلزم العلم بتوحيد
ذات الحق لان اتيان المقدورات واحكامها المختلفة على ما هو في ازمنة
وامكنة مخصوصة يدل على توحد الحكم بتقديرها المقتضي لتوحد المقدر لها
ويستلزم ايضا العلم بصفاته كسعة علمه ورحمته على العالمين وآثار قدرته
وانوار حكمته للمخلوقين ونفوذ قضائه فيهم مطيعين او مكرهين والعلم بكمال صنعه
وافعاله العلية وان الحوادث مستندة الى الاسباب الالهية فيعلم ان الحذر
لا يقطع القدر وقال بعض العارفين ان الله قدر وجود الكائنات مظاهر
تجلي الاسماء والصفات فلكل ذرة من الذرات لسان ملكوتي ناطق بالتسبيح
والتحميد والتهليل والتمجيد تنزيها لله وحمدا له على ما له من مظهريتها
للصفات الجمالية والنعوت الجلالية فالاشياء كلها مقادير لاسماء الله
وصفاته دون ذاته فانه لا يسعها الا قلب المؤمن المنور بتجلياته ففي الكلام
الانسي والحديث القدسي لا يسعني ارضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي
المؤمن ولذا قيل القلب عرش الرب وقال ابو يزيد قدس سره لو وقع العالم
الف الف مرة في زاوية من زوايا قلب العارف ما احس ولعل من هاهنا
قيل ان الانسان هو العالم الاكبر فتدبر ولا تنظر بعين الحقارة الى الاكبر والاصغر
وقد كتب الحسن البصري قدس سره الى الحسن بن علي رضي الله عنهما يسأله عن القضاء والقدر

فكتب اليه الحسن

فكتب الحسن بن علي من لم يؤمن بقضاء الله وقدره وخيره وشره فقد كفر
نسأل الله العافية ومن حمل ذنبه على ربه فقد فجر وان الله تعالى لا يطاع استكراها
ولا يعصى بغلبة لانه تعالى المالك لما ملكهم والقادر على ما اقدرهم عليه فان عملوا بالطاعة
لم يحل بينهم وبين ما عملوا وان عملوا بمعصية فلو شاء لحال بينهم وبين ما عملوا
فان لم يفعل فليس هو الذي اجبرهم على ذلك ولو جبر الله تعالى الخلق على الطاعة
لاسقط عنهم الثواب ولو اجبرهم على المعصية لاسقط عنهم العقاب ولو اهملهم
كان ذلك عجزا في القدرة ولكن له فيهم المشيئة التي غيبها عنهم فان عملوا بالطاعة
فله المنة عليهم وان عملوا بالمعصية فله الحجة عليهم والسلام قال المصنف
قيل يؤخذ من هذا الحديث تكفير القدرية بانكار القدر لانه جعل الايمان به من جملة
اركان الدين التي يكفر منكر واحد منها ويشهد له تبرئة ابن عمر رضي الله عنهما منهم
وخبر القدرية مجوس هذه الامة والاشبه عدم كفرهم لتعارض شبههم
عندهم فلهم نوع عذر انتهى والمختار الذي عليه جمهور المتكلمين والفقهاء من اتباع
المجتهدين انه لا يكفر احد من المخالفين الا بانكار ما كان من ضروريات الدين كفناء العالم
وحشر الاجساد في المعاد وعلمه تعالى بالجزئيات والكليات بخلاف ما اذا لم يكن من ضرورياته
كقول المعتزلة ان الشر غير مراد له سبحانه وان القرآن مخلوق وامثاله
الا اذا اريد بالمخلوق المختلق فان قائله ح يكفر بلا خلاف وذلك التفصيل
لان الجهل به تعالى من بعض الوجوه ليس بكفر هذا واعلم ان الايمان لا يشترط فيه
الاستدلال والبرهان بل يكفي اعتقاد جازم في ذلك العلم وان المختار الذي عليه
السلف والائمة الاربعة واتباعهم من الخلف صحة ايمان المقلد واما نقل
منع الصحة عن الاشعري امام السنة فكذب عليه كما قاله الاستاذ ابو القاسم
القشيري وايضا لما فتح الصحابة رضي الله عنهم اكثر العجم قبلوا ايمان عوامهم كاجلاف
العرب من اقوامهم وان كان بعضهم تحت السيف واسلم تبعا لغيره ولم يأمروا
احدا اسلم بترديد نظره ولم يسألوه عن دليل تصديقه فاما خلاف الباقلاني

والاسفرايني وابي المعالي فمبني على المتابعة لما ابتدعه المعتزلة ومن الحق بان
انه يشترط لصحة الايمان ما لم يعرفه هؤلاء الاغبياء وهم انما فهموا من فهم عن الله تعالى
واخذوا عن رسوله صلى الله عليه وسلم واثبتوا سنته وطريقته وبلغوا شريعته
واما البراهين التي حررها المتكلمون ورتبها الجدليون فانما احدثها المتاخرون
ولم يخض في شيء منها السلف الصالحون ومن ثمة اختار الغزالي وغيره
ان الذين لا اهلية فيهم لفهمها انهم لا يخوضون فيها اي يحرم ذلك عليهم
مخافة ان يقعوا في شبهة لا يمكن ازالتها عنهم ولذا قال الشافعي لان القى الله
بجميع المعاصي ما عدا الكلام اهون علي من القاه بشيء من علم الكلام هذا مع انه
يقل ان يرى مقلد في الايمان بالله سبحانه لانا نجد كلام العوام محشوا بالاستدلال
في مقام المرام واما ما نقل بعضهم من ان الاجماع على تاثيم المقلد بترك الاستدلال
فمحمول على الاستدلال بالايات المنصوبة في الافاق والانفس واختلاف الاحوال
التي هي ظاهرة عند ارباب الكمال بل واضحة عند الكفار والجهال الا ما ترى
قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقالت رسلهم
افي الله شك فاطر السموات والارض ثم اعلم ان جمعا من الحنفية ذهبوا الى ان الايمان
غير مخلوق وبالغ منهم فكفر من قال بخلقه ولعله مبني على ان التصديق
لم يحصل الا بالتوفيق او بما انبته الله في مقام كما قال تعالى اولئك كتب في قلوبهم
الايمان فانما ينسب الى العبد اسنادا مجازيا حيث دخل كسبه مما يسمى
اختيارا جزئيا فيكون نظير قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى
فالايمان من حيث انه فعل الله غير مخلوق بل هو فضل وهبي ومن حيث انه
دخل تحت اكتساب قلب العبد فهو امر كسبي وهذا قريب من اصطلاحات الصوفية
في مقام الجمع والتفرقة وهذا القول مما انفرد به ابو حنيفة من السلف الصالح
بل نقله الاشعري عن احمد وجمع من المحدثين ومال اليه لكن وجهه
بان المراد بالايمان ما دل عليه وصفه تعالى بالمؤمن فان ايمانه هو تصديقه

في الازل بكلامه

في الازل بكلامه القديم بوجود وحدانيته وليس تصديقه هذا محدثا ولا مخلوقا
تعالى ان يقوم به حادث بخلاف تصديقه لرسله باظهار المعجزة من صفات الافعال
وهي حادثة عند الاشاعرة قديمة عند الماتريدية انتهى ولا يخفى بعدهم عن قصد
هذا المعنى لان ما دل عليه وصفه تعالى بالمؤمن فهو غير مخلوق قطعا ثم الايمان
باق حكما شرعيا مع النوم والغفلة والاغماء والجنون وغلبة الحال ونظير ذلك
بقاء حكم النكاح ونحوه من العقود في هذه الاحوال هذا وقد منع جماعة
من العلماء الاعلام ومنهم ابو حنيفة واصحابه الكرام ان لا يقول احد انا مؤمن
ان شاء الله واجازه كثيرون قال السبكي وهم اكثر السلف من الصحابة والتابعين
ومن بعدهم من الشافعية والمالكية والحنابلة ومن المتكلمين من الاشاعرة
وهو قول سفيان الثوري وقال المص في شرح مسلم عن اكثر اصحابنا المتكلمين ان لا يقول
انا مؤمن مقتصرا عليه بل يضم اليه ان شاء الله وعن الاوزاعي وغيره التخيير
وهو حسن اذ من اطلق نظر الى انه جازم في الحال ومن قال ان شاء الله اما للتبرك
او للجهل بخاتمة الاعمال قال ابن حجر ووجه جوازه انه ليس القصد بالاستثناء فيه
الا التبرك اتباعا لقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله
فانه يعم طلب الاستثناء حتى في قطعي الوصول وقد صرح به فيه في لتدخلن
المسجد الحرام ان شاء الله مع ان خبره تعالى قطعي التصديق تعليما للعباد في صرف
الامور كلها الى مشيئته انتهى ولا يخفى انه خلط بين الاستثناء بالتعليق
المستفاد من الاية الاولى من قصد فعله او وعده بقوله في زمن الاستقبال
وهو مما لا يخالف فيه احد من ارباب الكمال وبين الاستثناء المتبرك الذي
يقال في قطعي الحصول كما في الاية الثانية ايماء بانه لا يجب عليه شيء من الافعال
وانما الكلام فيما يكون ذا وجهين متحقق في الحال وقابل للزوال في الاستقبال
وان الاولى ما ذا من الاقوال والظاهر انه لا يستثنى ليكون الجواب على طبق السؤال
اذ السائل انما قصد بسؤاله اتصافه بالايمان في زمن الحال اذ من المعلوم

ان احدا لم يطلع على المآل وكذا لا يحسن الاستثناء في قطعي الوقوع اصلا لانه
اذا سئل انت مكي او مدني او جائع او عاطش او شاب او طويل لا يقال ان شاء الله
وكذا اذا سئل ان الرب واحد او محمد نبي فلا يقال نعم ان شاء الله لانه يحصل
التردد في تصديقه والشك في تحقيقه ولذا قيل في توجيه منعه ان تركه
ابعد عن التهمة بعدم الجزم في الحال وبتقدير انه قصد غير التعليق فربما
اعتادت نفسه التردد في الايمان لكثرة اشعار النفس بواسطة الاستثناء
بترددها في ثبوت الايمان واستمراره انتهى واجاب ابن حجر بما لا طائل تحته فتدبر
ولعل ما صدر من الاستثناء عن بعض السلف مبني على كثرة خوفهم اذ لا يكون داخلا
في المنافقين حيث قال تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر
وما هم بمؤمنين ومن ثمة قال البخاري عن ابن ابي مليكة ادركت ثلاثين صحابيا
كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم من احد يقول ان ايمانه على ايمان جبريل
وميكائيل لان ايمانهما مقطوع بهما لعصمتهما واما غير المعصوم فهو
غير جازم الا بحسب الظاهر لان تحقق السابقة واللاحقة غير معلوم الا عند
المطلع على السرائر ولذا لما سئل ابو يزيد قدس سره لحيتك احسن او ذنب الكلب
فقال ان مت على الايمان فهي احسن منه والا فذنب الحيوان خير منها
وعند الشافعية خلاف غريب في الكافر فقال بعضهم لم يقال هو كافر ولا يقال
ان شاء الله ومنهم من يقول هو كافر ان شاء الله **قال فاخبرني عن الاحسان**
اي في الاتيان باعمال الاركان والمراد به ايقاع الاسلام والايمان او الاخلاص
فانه غاية الاستحسان حيث قيل الاخلاص تصفية العمل من طلب عوض وكسب
غرض وتخليصه من رياء وسمعة ولوطرء وعرض وابعد ابن حجر حيث قال
ان فيه للعهد الذهني المذكور في الايات الكثيرة من القران نحو للذين احسنوا
الحسنى وهل جزاء الاحسان الا الاحسان انتهى ولا يخفى ان المراد بالحديث
المعنى الاخص من افراد الاحسان كما لا يخفى على ارباب العرفان وكما سيأتي في جواب جبريل

ما يكون شافيا كافيا

ما يكون شافيا كافيا في بيان البيان ودالا على انه اراد به مقام المشاهدة
قال ان تعبد الله كأنك تراه يعني في غاية الخضوع ونهاية الخشوع
كما يقتضيه مقام الادب عند شهود الرب والمعنى حال كونك مشبها بمن ينظر
الى الله ولم يلتفت الى ما سواه فيكون فانيا عن نفسه باقيا ببقاء مولاه
وهذا من جوامع الكلم لان العبد اذا قام بين يدي سيده معاينا له وفي حضرته
لم يترك شيئا من تحسين عمله في خدمته مما قدر عليه في حالته وهذا المعنى
موجود في عبادة العبد مع علمه رؤية الله فينبغي ان يعمل بمقتضاه
فان لم تكن تراه اي مثل الرؤية المعنوية **فانه يراك** اي فكن بحيث انه
يراك او فلا تغفل في العمل فانه يراك ففيه الحث على الاخلاص في الاعمال
ومراقبة العبد ربه في جميع الاحوال قال القشيري ولم تتم المراقبة الا بعد تحقق
المحاسبة قال بعض العارفين الاول اشارة الى مقام المكاشفة ومعناه اخلاص
العبودية عن رؤية الغير المعبر عنها بالاثنينية بغتة ادراك القلب
عيانا جمال ذات الرب والثاني الى مقام المراقبة في الاجلال وحصول الحياء من العلم
باطلاع ذي الجلال وهاتان الحالتان من ثمرة معرفة الله وخشيته
ولذا جاء في خبر ان تخشى الله كأنك فعبر بالخشية عن العمل مجازا
عن المسبب باسم السبب اذ حالة الخشية اعم من حالة العبادة فينبغي ان يكون
السالك دائما على ذلك المنوال فانه مقام الكمال ولا يبعد ان يقال معنى تعبد الله
تكون عبدا له في جميع الاحوال بوصف الخشية في الحال والمآل لتنال حسن المنال
وقد سئل ابن عطاء ما افضل الطاعات فقال مراقبة الله على دوام الاوقات
والحاصل ان الخلق يراقبون ظاهرك والله رقيب باطنك هذا وليس معناه
فان لم تكن تعبد الله كأنك تراه فاعبده كأنه يراك فانه خطأ بين
لا يخفى على ذي الادراك واما ما توهمه بعض الصوفية من ان المعنى فان لم تكن
بان تكون فانيا تراه باقيا فلا يساعده اثبات الالف في تراه مع عدم ملايمة بما بعده

من قوله فانه يراك وانما لم يقل ههنا صدقت لان الاسلام هو الاخلاص
وهو سر من اسرار الله تعالى لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل كما جاء في الحديث
المسلسل الى بأن الاخلاص سر من اسراري استودعته قلب من احببت من عبادي
كذا قيل وفيه بحث ظاهر فالاولى ان يقال انه سقط من بعض الرواة نسيانا
او اختصارا لانه في بعض روايات صحيح مسلم وشرح السنة واما ما وقع في شرح
ابن حجر هنا من قوله صدقت فلا يوجد في اصل من الاصول المعتمدة وفي نسخة من الشروح
المعتبرة نعم رواه الترمذي في جامعه وفيه صدقت في المواضع الثلاثة وقيل
النكتة في تركه على الاصح من الرواية انه لما صدقه في البعض علموا تصديقه له
في الباقي واما ما قيل من ان في الحديث دلالة على ان رؤيته تعالى في الدنيا ممكنة
فمردود عليه فان كاف التشبيه في المبنى يمنع عن ارادة هذا المعنى
واما تقرير ابن حجر قوله وتقييده بقوله وامكانها في الدنيا عقلا هو الحق
ففيه انه ليس الكلام في الامكان العقلي والحديث الذي هو المعتمد في الدليل
النقلي يشير الى انه لا يمكن في الدنيا بل انه مختص تحققه بالعقبى نعم جزاء
هذا الاحسان الذي هو المشاهدة والمراقبة ليس الا الاحسان في الجنة بالرؤية
والزلفة كما يشير اليه قوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان **قال فاخبرني**
عن الساعة اي عن قيام الساعة كما صرح به في رواية مسلم اي وقت وقوع القيامة
وهي جزء من اجزاء الازمنة عبر بها عنها وان طال زمنها اعتبارا باول احوالها
فانها تقع بغتة او سريعة حسابها او على العكس لطولها وهذا باختلاف احوال اهلها
او لانها عند الحق كساعة عند الخلق وليس المراد بها الساعة المتعارفة عند اهل الهيئة
وهي جزء من اربعة وعشرين جزءا من اجزاء الليل والنهار ثم انها كما تطلق على القيامة
وهي الساعة الكبرى تطلق على موت اهل القرن الواحد من المدن والقرى وتسمى
الساعة الوسطى كما في قوله صلى الله عليه وسلم حين سألوه عن الساعة فاشار الى اصغرهم
ان يعش هذا لا يدركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم اذ المراد بها انقضاء عصرهم

ولذا اضاف اليهم

ولذا اضاف اليهم وعلى موت كل واحد وهي الساعة الصغرى ومنه حديث
من مات فقد قامت قيامته ثم الساعة الكبرى قد يراد بها القيامة كما هنا وهي بالنفخة
الثانية وقد يراد بها النفخة الاولى فانها ايضا تقع بغتة في ساعة
واحدة حتى من تناول اللقمة لا يقدر على بلعها وهو المراد بقوله تعالى
فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة فقد جاء اشراطها **قال ما المسؤول عنها**
اي عن وقتها والعائد الى اللام هو المستتر فيه اذ يقال سألت المسألة عن زيد
وسألت عنها زيدا اي ليس الذي سئل عن الساعة **باعلم من السائل** اي عنها
نفى ان يكون صالحا لان يسأل عنه في امر الساعة لانها من مفاتيح الغيب لا يعلمها
الا هو على سبيل الكناية لما عرف ان المسؤول عنه يجب ان يكون اعلم من السائل
فلا يقال لا يلزم من نفي الاعلمية نفي اصل العلم عنهما مع انهما متساويان في عدم
العلم بها ومساق الكلام يقتضي ان يقول لست اعلم بعلم الساعة منك لكنه
عدل عنه ليفيد العموم لان المعنى كل سائل ومسؤول متساويان في هذا الامر المجهول
هذا خلاصة ما حققه الطيبي فان قلت فلم سأل جبريل عنها مع علمه بان غيره تعالى
لا يعلمها فالجواب انه لتنبيههم بذلك على انه ليس له جواب عما لا علم له به في هذا
الباب وعلى عدم الاستنكاف من قول لا ادري الذي هو نصف العلم كما نبههم بما له
الجواب عنه مما قد سلف له بحسن السؤال الذي هو نصف العلم فتم العلم على الوجه الاحكم
والله اعلم وقد روي عن علي كرم الله وجهه وابردها على كبدي اذا سئلت
عما لا علم ان اقول لا علم وقال بعض السلف اذا اخطأ العالم فقال لا ادري
فقد اصيبت مقالته وقد قالت الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا وتقول الرسل
لا علم لنا وسئل النبي صلى الله عليه وسلم اي بقاع الارض افضل فقال لا ادري
حتى اسأل جبريل فسأله فقال لا ادري حتى اسأل الله ثم ذهب فاتاه جبريل
فقال ان الله عز وجل يخبرك ان خير بقاع الارض المساجد وشر بقاعها
الاسواق رواه البزار وسأل النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عن معنى قوله تعالى

خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين فقال لا ادرى ثم ذهب فجاءه
فقال قال الله يأمرك ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك
وسئل مالك عن اربعين مسئلة فاجاب في اربعة وقال في ست وثلاثين لا ادرى
قال فاخبرني عن امارتها بفتح الهمزة اى علاماتها ويقال امار بلا هاء
لغة لكن الرواية بالهاء قاله المص وفي نسخة عن اماراتها فافردها واراد جنسها
اى علاماتها الدالة على اقترابها قال ان تلد الامة ربتها اى سيدتها
او سيدها والتأنيث باعتبار النفس فيشمل بنتها وابنها وفي رواية ربها
اى سيدها وفي اخرى بعلها بمعنى ربها ومنه قوله تعالى اتدعون بعلا والتذكير
فيشمل جنس ولدها ولذا قيل المعنى مالكها ومولاها لاجل انها سبب عتقها
او مولاها بعد سيدها وعدم تأنيثها لاجل الادب مع الله سبحانه وهذا اشارة
الى قوة الاسلام والمسلمين واستيلائهم على الكفرة والمشركين فتكثر السراري
حتى تلد السرية بنت سيدها وهي في حكم سيدها وهي من علامات القيامة لان بلوغ
الغاية منذر بالانحطاط المؤذن بقيام الساعة وقيل اشارة الى كثرة بيع السراري
لفساد الزمان وفسق اهلها حتى يستعبد المرأة امه جاهلا بحالها وقيل عبارة
عن كثرة العقوق واضاعة الحقوق فيعامل الولد امه معاملة السيد امته من المهنة
والمهانة ويلائمه رواية ان تلد المرأة وخبر لا تقوم الساعة حتى يكون الولد
غيظا والمال فيضا او كناية عن كثرة بيع السراري حتى يتزوج الانسان امه
وهو لا يدري ويناسبه رواية بعلها بمعنى زوجها والتحقيق ما ذكره الطيبي من انه
اشارة الى ان الاعزة تصير اذلة لان الام مربية للولد ومدبرة لامره
فاذا صار الولد ربا سيما اذا كان بنتا ينقلب الامر وكان القرينة الآية
تدل على عكس هذه القضية وهي ان الاذلة ينقلبون اعزة فيتلائم
المعطوف انتهى ويؤيده ما ورد من انه اذا ضيعت الامانة ووسد
الامر الى غير اهله فانتظر الساعة قال المؤلف قوله ربتها اى سيدتها

ومعناه ان تكثر

ومعناه ان تكثر السراري حتى تلد الامة السرية بنتا لسيدها وبنت
السيد في معنى السيد وقيل يكثر بيع السراري حتى تشتري المرأة امها
وتستعبدها جاهلة بانها امها وقيل غير ذلك وقد اوضحته في شرح مسلم بما لا
وجميع طرقه وان ترى اى تبصر او تعلم خطاب عام ليدل على بلوغ الخطب مبلغا
لا يختص به رؤية راء دون غيره الحفاة بضم الحاء جمع حاف وهو من لا نعل في رجله
العراة بضم اوله جمع عار وهو من لا شيء على جسده كذا ذكره ابن حجر والظاهر
ان المراد بهم العراة العرفية وهم الذين ليس لهم ما عدا ستر العورة العالة
بتخفيف اللام اى الفقراء واصله عولة بفتحتين جمع عائل من عال افتقر
ومنه قوله تعالى ووجدك عائلا فاغنى قال المص قوله العالة اى الفقراء ومعناه
ان اسافل الناس يصيرون اهل ثروة ظاهرة رعاء الشاء بكسر الراء وبالالف
الممدودة جمع راع والشاء اسم جنس للشاة والمعنى حفاظ الغنم وفي رواية لمسلم
رعاء البهم بضم الموحدة جمع بهيمة بفتحها صغار الضأن والمعز وفيه غاية
التحقير بحالهم وفي اخرى للبخاري رعاء الابل البهم جمع بهيم بمعنى الاسود الصرف
على انه نعت للمضاف او المضاف اليه فان قيل القضية متحدة لا متعددة
فكيف الجمع بين الروايات المختلفة فالجواب انه صلى الله عليه وسلم جمع بينهما فنقل
كل راو ما ثبت عنده حفظها او وجد في الاختلاف بسبب نقل المعنى عند نسيان المبنى
او تداخل الروايات في المسند يتطاولون في البنيان يتفاضلون في رفعه
ويتفاخرون في حسنه وهو مفعول ثان ان جعلت الرؤية فعل البصيرة
او حال ان جعلتها فعل الباصرة والمعنى ان اهل البادية واشباههم من اهل الفاقة
تبسط لهم الدنيا فيتوطنون البلاد ويبنون القصور المرتفعة ويباهون العباد
فهو اشارة الى تقلب الاراذل وتذلل ارباب الكمال وتوطي الرياسة من لا يستحقها
وتعاطي السياسة من لا يحسنها ومن ثمة صح من اشراط الساعة ان توضع الاخيار وترفع
الاشرار وصح ايضا في الاخبار لا تقوم الساعة حتى يكون اسعد الناس بالدنيا

لكع بن لكع اى لئيم بن لئيم وبالغ في رواية في تحقيرهم فوصفهم بانهم صم بكم
اى جهلة لا يسمعون كلام الحق ولا يتكلمون بالصدق ولعل تخصيص الامارتين من بين
الامارات مع كثرة العلامات عليها وردت في الروايات المجلالة خطبهما وبناهة
شانهما وقرب وقوعهما ثم انطلق اى ذهب الرجل فلبثت اى مكثت وتوقفت
لا ادرى من الرجل مليا بفتح فكسر فتشديد تحتية اى وقتا طويلا وهو ثلاثة ايام
كما في رواية ابي داود والترمذي قال المؤلف قوله مليا بتشديد الياء اى زمانا كثيرا
وكان ذلك ثلاثا هكذا جاء مبينا في رواية ابي داود والترمذي وغيرهما انتهى
وهذا مخالف لرواية ابي هريرة من انه صلى الله عليه وسلم ذكره في المجلس اللهم الا
ان يقال ان عمر رضي الله عنه لم يحضر في الحال بل قام فاخبر الصحابة
ثم اخبر عمر رضي الله عنه بعد ثلاثة ذكره في شرح مسلم على ما نقله بعض الشراح
وخبر ابي هريرة هو قوله فادبر الرجل فقال صلى الله عليه وسلم ردوه فاخذوا
يردونه فلم يروا شيئا فقال هذا جبرئيل الحديث وقال ابن حجر في رواية ابي داود
والترمذي وغيرهما انه لبث ثلاثا وظاهره انها ثلاث ليال انتهى
وهو مخالف لما نقل عن شرح مسلم ثم انه جعل لبث في الحديث الاربعين اصلا
ثم قال في رواية فلبثت اخبارا عن نفسه وهو مخالف لما عليه النسخ المصححة
اذ كلها بلفظ المتكلم ثم رأيت في شرح الفاكهاني قال الشيخ محيي الدين هكذا
ضبطناه لبث آخره ثاء مثلثة من غير تاء وفي كثير من الاصول المحققة
لبثت بزيادة تاء المتكلم وكلاهما صحيح انتهى ولا يخفى انه يشير الى ان ضبطه
مخالف لسائر الاصول في متن مسلم ولعله اعتمد في روايته هذا على ما اتفقوا عليه لانه
اصح مبنى واوضح معنى واما لبث بصيغة الماضي الغائب فيحتاج الى تكلف
بان يقال فيه التفات وضميره الى جبرئيل او النبي صلى الله عليه وسلم والكل بعيد
فالاول هو النقل السديد ثم قال اى النبي صلى الله عليه وسلم يا عمر اتدري من السائل
قلت الله ورسوله اعلم لان الامارات السابقة والتعجب في الحالة الاولى حققه

او قعه في التردد

اوقعه في التردد اهو بشر ام ملك وهذا القدر يكفي في الشركة على ان اسم التفضيل
كثيرا يراد به اصل الفعل مع ما يقتضيه مقام الادب من التفويض الى علم الرب
ثم الى علم رسوله ليتوصل به الى حقيقة سؤاله وحقيقة مأموله فان ادب
التلميذ اذا سأله استاذه عن شيء يعلمه ان يقول في جوابه انت اعلم فان سماع
الحكمة من لسانكما احلى واحكم قال فانه جبريل جزاء شرط مقدر
اى اذا كلتم العلم وفوضتم الامر الى الله ورسوله وراعيتم الادب في جواب سؤاله
فان ذلك الرجل جبريل على تأويل الاخبار اى تفويضكم ذلك سبب للاخبار بانه
جبريل هنا وقرينة المحذوف قوله الله ورسوله اعلم فالفاء فصيحة لانها تفصح عن شرط مقدر
فتدبر ووقع في اصل ابن حجر قال هذا جبريل وهو مخالف للاصول المعتمدة ومتون
الشروح المعتبرة ومع كونه ليس من الرواية لا وجه له من جهة الدراية
ثم اعلم ان جبريل بكسر الجيم والراء اشهر الروايات واكثر القراءات ومنها فتح الجيم وكسر الراء
ومنها فتحهما مع زيادة همزة بعدها وبدونها اتاكم جاءكم قيل كان ذلك قبل موته
صلى الله عليه وسلم بشهر يعلمكم دينكم وفي رواية ابن حبان يعلمكم امر دينكم اى تقرير
امر دينكم بطريق السؤال والجواب ليتمكن في النفوس اشد التمكن في مقام الصواب
لان المحصول بعد الطلب اعز من المنساق من غير التعب واشار الى ان الاسلام
والايمان والاحسان هو الدين الكامل من بين الاديان هذا وجبريل ملك متوسط بين الله
ورسله ومن خواص الملك انه يتمثل للبشر فيراه جسما قاله البيضاوي
وقال بعض المحققين والسر في التوسط ان المكالمة تقتضي المناسبة بين المتخاطبين
فاقتضت الحكمة توسط جبريل ليتلقف الوحي بوجهه الذي في عالم القدرة من الله سبحانه
تلقفا روحانيا ومن اللوح ويلقيه بوجهه الذي في عالم الحكمة الى صاحب النبوة
فربما ينزل الملك الى الصورة البشرية وربما يرتقي النبي الى الرتبة الملكية
ويتعرى عن الكسوة البشرية فيرد وحي الرب على القلب في لبسة الجلال وابهة
الكبرياء ويأخذ بمجامعه فاذا سري وجد المنزل ملقى في الروع كما في المسموع

وهذا معنى قوله يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت
ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول رواه مسلم ورواه البخاري
أيضا في كتاب الزكوة لكن مع تغيير يسير لأن ظاهر رواية البخاري أنه لم يعرفه
إلا في آخر الأمر وورد ما جاءني في صورة لم أعرفها إلا في هذه المرة وفي حديث
صحيح لابن حبان والذي نفسي بيده ما شبه علي منذ أتاني مثل مرتي هذه
وما عرفته حتى ولى ثم لم يخرج البخاري عن عمر رضي الله عنه فيه شيئا وإنما أخرج
هو ومسلم عن أبي هريرة نحوه فالحديث متفق عليه معنى وكان الأولى للمص أن يذكر
ما اتفقا عليه عن أبي هريرة والله أعلم بقصده في هذا المبنى وهذا الحديث
متفق على عظم موقعه وجلالته وكاد أن يكون مدار الإسلام عليه وهو حقيق
بأن يسمى أم السنة كما سميت الفاتحة أم القرآن لتضمنها جمل المعاني المدرجة في مفصل
المباني ومن ثمة قيل لو لم يكن في هذه الأربعين بل في سنن سيد المرسلين غيره
لكان كافيا في أحكام الشريعة وشافيا في قواعد الطريقة والحقيقة والله سبحانه أعلم
قال إبراهيم الخواص ليس العلم بكثرة الرواية وإنما العلم لمن اتبع العلم واستعمله
واقتدى بالسنة وإن كان قليل العلم الحديث الثالث عن أبي عبد الرحمن عبد الله
ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما توفي بمكة وهو ابن أربع وثمانين بعد ابن
الزبير بثلاثة أشهر وقبره غير معروف قال ابن سيرين كانوا يرون أنه
أعلم الناس بالمناسك بعد ابن عفان وقال أبو إسحق الهمداني كنا عند ابن أبي ليلى في بيته
فجاءه أبو سلمة بن عبد الرحمن فقال عمر كان عندكم أفضل أم ابنه فقالوا بل عمر
كان في زمان ليس له نظير روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ألف حديث وستمائة
وثلاثين حديثا كان واسع العلم كثير الاتباع وافر الصلاح كثير الزهد في الدنيا
اعتزل الفتنة فلم يقاتل مع علي ولا مع معاوية ورعا ثم لما بانت الفئة الباغية
ندم على عدم قتاله مع علي كرم الله وجهه قيل وذكر له الخلافة يوم التحكيم فقال بشرط
أن لا يجري في محجم دم فروي عنه عمرو بن العاص لما رأى أنه لا يولونه شيئا أن استخلف

الحديث الثالث

ويكفي من مناقبه

ويكفي من مناقبه ما روته أخته حفصة أم المؤمنين عنه صلى الله عليه وسلم
أنه قال إن عبد الله رجل صالح لو أنه يقوم الليل فلم يترك قيامه بعد وقال جابر
ما منا إلا من نال من الدنيا ونالت منه إلا عمر وابنه وأولع بالحج أيام الفتنة
وبعدها قيل حج ستين حجة واعتمر ألف عمرة وحمل ألف فرس في سبيل الله
قال نافع مولاه أعتق ألف رقبة وأزيد وكان أرقاؤه يقبلون على الطاعة
ويلازمون المسجد والعبادة ليعتقهم فقيل له إنهم يخدعونك
فقال من خدعنا بالله انخدعنا له وروى ابن أبي الزناد عن أبيه قال اجتمع في الحجر
مصعب وعروة وعبد الله أبناء الزبير وعبد الله بن عمر فقالوا تمنوا
فقال عبد الله بن الزبير أما أنا فأتمنى الخلافة وقال عروة أما أنا فأتمنى
إمرة العراق والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين
وقال ابن عمر أما أنا فأتمنى المغفرة قال فنالوا كلهم ما تمنوا ولعل ابن عمر قد غفر له
وسبب موته أن الحجاج سفه عليه حيث قال له ابن عمر بعدما أخر الصلوة
جدا إن الشمس لا تنتظرك فقال لقد هممت أن أضرب الذي فيه عيناك
فقال عبد الله إن تفعل فإنك سفيه مسلط فتغير عليه فأمر رجلا فسم
زج رمحه فزحمه في الطواف ووضع الزج على قدمه فمرض أياما ولما دخل
الحجاج يعوده فسأله عن الفاعل فقال وما تصنع به قال قتلني الله إن لم أقتله
قال لست بفاعل قال ولم قال لأنك الذي أمرت به وروي عنه أنه قال
قتلني الذي أمر بإدخال السلاح الحرم ولم يكن يدخل به فأوصى أن يدفن في الحل
فلم تنفذ هذه الوصية لأجل الحجاج فدفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين
وقيل بفخ قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جملة حالية بني الإسلام
أي أسس للانقياد للشريعة والاستسلام للحقيقة على خمس أي خمس قوائم
أو دعائم وقد صرح به عبد الرزاق في روايته أو خصال قواعد وفي بعض
الروايات على خمسة بالتاء وهي رواية لمسلم أي أركان أو أشياء أو أصول

ويقال وانما حذف التاء لان اسماء العدد انما يكون تذكيرها بالتاء وتانيثها بسقوط
اذا كان المميز مذكورا اما اذا لم يذكر فيجوز فيها الامران كما صرح به النحاة
في قوله تعالى يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اي عشرة ايام وفي الحديث
من صام رمضان واتبعه ستا من شوال كان كمن صام الدهر كله ففي هذا الحديث
يجوز من جهة النحو وجود التاء وعدمها **شهادة ان لا اله الا الله**
وان محمدا عبده ورسوله بجر الشهادة مع ما بعدها عطف بيان
او بدل الكل من الكل وهو الاحسن وقال الكازروني هو الرواية ويجوز
رفعه بتقدير مبتداء اي احدها او بحذف خبر اي منها وهذا اولى لان النحاة
عند تعارض حذف المبتداء والخبر عند النحاة حذف الخبر قال الكافيجي
ويجوز النصب بتقدير اعني قال الحسن رضي الله عنه في مجمع شهود جنازة
للفرزدق ما اعددت لهذا المقام فقال شهادة ان لا اله الا الله منذ
كذا سنة فقال الحسن هذا العمود فاين الاطناب فهو تمثيل شبه الاسلام
بخيمة عمودها كلمة التوحيد واطنابها الاعمال الصالحة وفي رواية
للبخاري تعليقا ايمان بالله ورسوله وهي اظهر في العمودية اللهم الا ان يقال
المراد بالاسلام هو الايمان بالخمسة اركان الاسلام فيكون تشبيها للمعقول
بالمحسوس لانه اوقع في النفوس فشبه بحالة خباء اقيمت على خمسة اعمدة
وقطبها الذي يدور عليها الاركان هو الشهادة وبقية شعبه بمنزلة الاوتاد
فيكون الايمان مغايرا للاركان كمغايرة الخباء للعمود والاوتاد **واقام الصلوة**
اصله اقوام فحذف الواو لنقل حركتها الى ما قبلها وقلبها واجتماع الساكنين
عندها وعوض التاء عنها وتركت تخفيفا عند المضاف اليه لقيامه مقامها
واما ما قيل من انه مصدر فغير صحيح وكذا ما ذكره ابن حجر من ان حذفها للازدواج
خارج عن المنهاج **وايتاء الزكوة** اي اعطائها مستحقها وتمليكها اياهم
وحج البيت بفتح الحاء وكسرها لغتان مصدران **وصوم رمضان** هكذا رتبت

العبادات كما في سائر

العبادات كما في سائر الروايات وفي رواية بتقديم الصوم على الحج وهو محمول
على ان ابن عمر رضي الله عنهما سمع الحديث مرتين فرواهما في وقتين او روى بعض
الرواة بالمعنى اذ الواو لمجرد الجمع في المبنى وان رمضان فرض في شعبان في السنة
الثانية من الهجرة والحج سنة ست او تسع بالمثناة فوق والظاهر ان المراد بهن
ما تعبد الناس به في ابدانهم واموالهم لان العبادة اما بدنية محضة كالصلوة او مالية
محضة كالزكوة او مركبة منهما كالحج او كالاخيرين لدخول التكفير بالمال فيهما
واما عدم ذكر الجهاد لانه غالبا فرض كفاية على العباد بل ذهب جماعة كثيرة الى ان فرض
الجهاد قد سقط بعد فتح مكة على ما صرح به القرطبي وذكر انه مذهب ابن عمر
والثوري وابن سيرين الا ان ينزل العدو بقوم من العباد او يامر الامام بالجهاد
والله اعلم ثم اعلم ان هذا تعريف الاسلام الكامل عند اهل السنة والجماعة فمن تركها
ولو كلها ما عدا الشهادة على خلاف فيها فهو فاسق على ما ثبت عند الجمهور من الجمع
بين ادلة الكتاب والسنة وخالف احمد وآخرون فاخذوا بظاهر خبر مسلم
بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلوة وحديث من ترك صلوة متعمدا
فقد كفر وكفروا تاركها مطلقا اي سواء استحل تركها او انكر فرضيتها ام لا
وبالغ اسحق فقال عليه اجماع اهل العلم وقال غيره عليه جمهور اهل الحديث
واجرت طائفة ذلك في الاركان الثلاثة ايضا وهو رواية عن احمد اختارها طائفة من اصحابه
وبعض المالكية ثم اعلم ان لكل من تلك الاركان احكاما ظاهرية تبين تفاصيلها
في الكتب الفقهية ولها انوار وحقايق واسرار ودقايق ذكرها ارباب
القلوب من الطائفة الصوفية اما التوحيد فسيجيء بيانه في محل اليق بشانه
واما الصلوة فقد قيل كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم معراجان في عالم الحس وهو من المسجد
الحرام الى المسجد الاقصى ثم الى عالم الملكوت ومقام دنى فتدلى فكان قاب
قوسين او ادنى ومعراج في عالم الارواح والاسرار من الشهادة الى الغيب ومن الغيب
الى غيب الغيب وهكذا الى ان ينتهي الى نور الانوار وروح الاسرار فلما اراد

صلى الله عليه وسلم ان يرجع الى هذا العالم قال الرب تعالى المسافر اذا عاد الى وطنه
اتحف اصحابه فان تحفة امتك الصلوة الجامعة بين المعراجين الجسماني بالافعال
والروحاني بالاذكار ولذا ورد الصلوة معراج المؤمن فالاركان السبعة وهي
والركوعان والسجودان والقومة بين الركوع والسجدة على مثال طباق السبع
والقعود للتشهد مطلع شمس الشهود ومنتهى سر الوجود فاذا وصل الى ذلك
المقام وانتهى الى عتبة جلال الملك العلام يقول التحيات لله باللسان والصلوات بالاركان
والطيبات بقوة الايمان فعند ذلك تتلاقى روحه بروح محمد صلى الله عليه وسلم
فيقول السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته فيجيبه بقوله على لسانه
اظهارا للعلو شانه السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فكأنه قيل له في تلك
الحالة بم نلت هذه المقامة فقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
واشهد ان محمدا عبده ورسوله ثم اتحف محمدا بالصلوة عليه ثم دعا الله
وتضرع اليه ثم سلم على الملائكة الكرام ومن حضره من الخواص والعوام
واما الصوم ففي الطريقة هو الامساك عما حرم الله على عبده والافطار بما اباح له
في حكمه وفي الحقيقة هو الامساك عن الاكوان والافطار بمشاهدة الرحمن
والزكوة فهي اشارة الى تزكية احوال الظاهر والباطن بترك الاموال وصرفها
الى اسباب الوصال وتخلية القلب عن الاغيار وتجلية الخاطر لظهور تجليات
الانوار واما الحج فهو الاحرام بالخروج عن الرسوم والعادات والتجرد عن المألوفات
والتوجه الى الله بصفات الطويات والوقوف بعرفات المعرفة والعكوف على عتبة
جبال الرحمة والتقرب في المزدلفة الى مقام الزلفة ورمي بين يديك من السوى
في وصول المنى وقطع تعلق الخلق بالقصر والحلق ليحصل محو الاثار النفسية
بموسى الانوار القدسية ثم الطواف بالخروج عن الاطوار السبعية بالاشواط
السبعية حول كعبة الربوبية والسعي بين صفاء الصفا ومروة المروات
وقس عليه سائر المناسك ولله در القائل الناسك يا من الى وجهه حجي ومعتمري

ان حج قوم الى ترب

٤١

ان حج قوم الى ترب واحجار لبيتك من قرب ومن بعد سرا بسر واضمارا باضمار
رواه البخاري اي في الايمان والتفسير باعيان ومسلم في الايمان والحج خماسيا
وكذا رواه احمد والترمذي والنسائي الحديث الرابع عن ابي عبد الرحمن عبد الله
ابن مسعود رضي الله عنه هذلي اسلم قديما بمكة روي انه قال رأيتني سادس ستة
ما على وجه الارض مسلم غيرنا هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة والمشاهد كلها
وشهد بيعة الرضوان وصلى بالقبلتين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقربه
ولا يحجبه وكان ابن مسعود كثيرا يدخل عليه واذا قام يلبسه نعليه واذا جلس
ادخلهما في ذراعيه وكان يمشي معه وبين يديه ويستره اذا اغتسل
ويوقظه اذا نام وكان معروفا في الصحابة بانه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسواكه ووسادته وطهوره في السفر وروي في بعض طرق حديث العشرة المبشرة بالجنة
انه احدهم وقال صلى الله عليه وسلم في حقه رضيت لامتي ما رضي لها ابن ام عبد
وسخطت لها ما سخط لها ابن ام عبد وقال من احب ان يقرأ القرآن غضا اي طريا
كما نزل فليقرأ على قراءة ابن ام عبد وكان رجلا قصيرا نحيفا يكاد قيامه يوازي جلوس
طوال الرجال وقد روي عن علي كرم الله وجهه انه صلى الله عليه وسلم امره يعني ابن مسعود
ان يصعد شجرة فصعد فنظر اصحابه الى حموشة ساقيه فضحكوا فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لرجل عبد الله في الميزان اثقل من احد وقال فيه ابو موسى
لا تسألوني ما دام هذا الحبر فيكم ودخل عليه عثمان بن عفان رضي الله عنه في مرض موته
فقال ما تشكو قال ذنوبي قال فما تشتهي قال المغفرة قال الا آمر لك بطبيب
قال الطبيب امرضني قال الا ما تركت لاولادك فقال اني لا اخشى عليهم الفقر
بعد ان علمتهم سورة الواقعة يقرؤنها كل ليلة توفي بالمدينة سنة اثنتين
وثلاثين وهو ابن بضع وستين سنة ودفن بالبقيع روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثمانمائة حديث وثمانية واربعين حديثا روى عنه الخلفاء الاربعة وكثيرون
من الصحابة ومن بعدهم رضي الله عنهم قال حدثنا اصل معناه انشاء خبر احاديثنا لنا

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق أي في أقواله وأفعاله
وأحواله مع الحق المصدوق أي فيما يأتيه من الوحي المطلق والجمع بينهما للتأكيد
وقيل المصدوق فيما وعده سبحانه أو المصدوق بمعنى المصدق والجملة اعتراضية
لا حالية لتعم الأحوال بالكلية إن أحدكم بكسر الهمزة على حكاية لفظه صلى الله عليه وسلم
وجزم به المص في شرح مسلم وجوز غيره فتحها والخطاب لبني آدم والمعنى أن واحدا منكم
يجمع خلقه بصيغة المجهول أي يضم ويحرز مادة خلقه وهو ما يخلق هو منه
في بطن أمه أي في رحمها أربعين يوما حال كونه نطفة كما في نسخة صحيحة
أي منيا سائلا في مدة الأربعين مجتمعة أو متفرقة وهو الأظهر إذ الجمع
إنما يكون بعد التفرقة وذلك أن النطفة إذا وقعت في الرحم فأراد الله
أن يخلق منها بشرا طارت في بشرة المرأة تحت كل ظفر وشعر ثم مكثت أربعين ليلة
ثم تنزل دما في الرحم فذلك جمعها ووقت كونها علقة وقد روي ذلك
عن ابن مسعود والصحابة أعلم الناس بتفسير ما سمعوه وأحق بتأويل ما نقلوه
فليس لمن بعدهم أن يرد عليهم كذا حققه الطيبي وجاء في تفسير الجمع بمعنى آخر
عند الطبراني وابن منده بسند صحيح على شرط الترمذي والنسائي أنه صلى الله عليه وسلم
قال إن الله تعالى إذا أراد خلق عبد فجامع الرجل المرأة طار ماؤه في كل عرق
وعضو منها فإذا كان يوم السابع جمعه الله ثم أحضره كل عرق له دون آدم
في أي صورة ما شاء ركبك ويؤيد هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم لمن قال
ولدت امرأتي غلاما أسود لعله نزعه عرق هذا والخلق في الأصل بمعنى التقدير
يستعمل في إيجاد الشيء بمادة وغيرها فالإيجاد بالأسباب والمواد يتعلق بعالم الملك
والشهادة وهو مظهر الحكمة والإيجاد بغيرهما يتعلق بعالم الملكوت والغيب
وهو مظهر الأمر والقدرة فالأشباح لما كانت من عالم الخلق اقتضت المادة
والمدة والأرواح لما كانت من عالم الأمر لم تقتض شيئا من تلك العدة وهذا معنى
قوله تعالى ألا له الخلق والأمر ثم قالت الصوفية خصوصية الأربعين لموافقة

تخمير طينة آدم

تخمير طينة آدم وميقات موسى عليهما السلام وذلك لاختصاصها بالكمال
لتركبها من عشرة وأربع ولكل خاصية في الكمال أما الأول فلأنها غاية
الآحاد من غير تكرارها أما الثاني فلأنه قد استمر كل مستقيم البنيان على أربعة أركان
كالطبائع والفصول الأربعة قال القرطبي وهذا الترتيب العجيب وإن خفيت علينا
حكمته فقد لاحت لنا حقيقته وهو أنه كذلك سبق في علمه وثبت في قضائه
وحكمه وإلا فمن الممكن أن يوجد أنواع الإنسان وأصناف الحيوان بل وجميع المخلوقات
في أسرع من لحظة وأيسر من النطق بلفظه كيف لا وقد سمع السامعون إنما قولنا لشيء
إذا أردناه أن نقول له كن فيكون قول ولعله حكمة التدريج في عالمي الأصغر
والأكبر نفي توهم القدم وثبوت تقدم العدم والله أعلم وقال الخطابي الحكمة في تأخير
كل منها أربعين يوما أن يعتاده الرحم لأنه لو خلق دفعة لشق ذلك على الأم
ويخاف عليها الغم وأيضا فيه إظهار آثار قدرة الله تعالى وإشعار الكائنات بنعمته على عبيده
ليعبدوه ويشكروه على جميل نعمائه وأيضا تقليبه في هذه الأطوار المباينة
تأكيد لأمر البعث لأن من قدر عليه ابتداء يقدر على إعادته انتهاء بل هي في العادة
أدخل فيها وأهون منها هذا وفي بطن أمه متعلق بيجمع على أنه ظرف مكان له وقوله
أربعين يوما ظرف زمان له وأغرب الكازروني فيما أغرب حيث قال في بطن أمه
صفة لخلقه أو حال منها أي مادة الخلقة الحاصلة في بطنه أو حاصلة وقوله
أربعين يوما ظرف لذلك المقدر فتدبر ثم يكون أي عقب هذه الأربعين
يصير خلقه علقة وهي قطعة دم جامد أو طري وهو الأظهر وسمي بها
لأنها إذ ذاك تتعلق بالرحم مثل ذلك أي مقدار الزمن الذي هنالك
يعني أربعين يوما ونصبه على أنه صفة لعلقة والإشارة إلى خلقه والمعنى
علقة مماثلة لخلقه في أنهما يكونان أربعين يوما ثم يكون مضغة أي قطعة
لحم قدر ما يمضغ كذا قاله الشراح والظاهر أنه قطعة لحم كأنها ممضوغة
مثل ذلك وأما ما ذكره الكازروني على ما وقع في أصله ثم يكون في ذلك

علقة مثل ذلك وفي شرحه في ذلك الاول اشارة الى المحل الذي اجتمعت فيه النطفة وصارت علقة وفي ذلك الثاني اشارة الى الزمان الذي هو الاربعون وكذا القول في قوله ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك فهو مبني على خلاف الاصول المعتمدة من متون هذه الاربعين ثم الظاهر ان ثم في هذا الحديث وقع موقع الفاء اذ لا مهلة بين الاربعين واما قوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة الاية فقال البيضاوي واختلاف العواطف لتفاوت الاستحالات انتهى وهو مدفوع بهذا الحديث كما لا يخفى والتحقيق الحري ما ذكره الرضي من ان افادة الفاء الترتيب بلا مهلة لا ينافي كون الثاني المترتب يحصل تمامه في زمان طويل اذا كان اول اجزائه متعقبا لما تقدم كقوله تعالى جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة نظرا الى تمام صيرورتها علقة ثم قال فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما نظرا الى ابتداء كل طور ثم قال ثم انشأناه خلقا آخر اما نظرا الى تمام الطور الاخير واما لاستبعاد مرتبة هذا الطور الذي فيه كمال الانسانية عن الاطوار المتقدمة والله سبحانه اعلم ثم اي في الطور الرابع حين تتكامل اجزاؤه وتتشكل اعضاؤه يرسل اليه الملك بصيغة المجهول وفي نسخة بغير اليه وفي اصل ابن حجر تبعا للفاكهاني ثم يرسل الله الملك وهو مخالف للاصول المحررة نعم ضبط في بعض النسخ بصيغة المعلوم من غير ذكر الجلالة فيرجع الى هذه العبارة مآله ولعله صحف عليه اليه بالجلالة لديه والمراد بالملك الموكل بالرحم والمراد بالارسال امره بها والتصرف فيها اذ ثبت في الصحيحين انه موكل بالرحم من حين كانت نطفة او ذلك ملك آخر غير ملك الحفظ ويجئ النطفة بتراب قبره كما ورد في قوله تعالى منها خلقناكم ان الملك يأخذ من تراب مدفنه فيبدده على النطفة ولكونه سلالة من طين جاء مختلف الالوان والاخلاق حسب اختلاف اجزاء الطين بل بحسب اختلاف المركبات من الطين

فيه حرص النملة

فيه حرص النملة والفارة وشهوة العصفور وغضب الفهد وكبر النمر وبخل الكلب وشره الخنزير وحقد الحية وغير ذلك من ذمائم الصفات وفيه شجاعة الاسد وسخاوة الديك وقناعة البوم وحلم الجمل وتواضع الهرة ووفاء الكلب وبكور الغراب وهمة البازي ونحوها من محاسن الاخلاق فان قلت قد ورد في صحيح مسلم برواية حذيفة بن اسيد لا ابن مسعود كما في المشارق انه اذا مر بالنطفة ثنتان واربعون ليلة بعث الله ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها وعظامها ثم يقول يا رب اذكر ام انثى فيقضي ربك ما يشاء ثم يكتب اجله ورزقه فعلم منه ان التصوير بعد الاربعين الاولى وهو مناف لهذه الرواية قلت الجواب ان لتصرف الملك اوقاتا احدها حين يكون نطفة ثم ينقلب علقة وهو اول علم الملك بانه ولد وذلك عقيب الاربعين الاولى وحينئذ يأمره ربه بكتب رزقه واجله وعمله وخلقه وصورته ثم يتصرف فيه بتصويره وخلق اعضائه وذلك في الاربعين الثالثة ثم ينفخ فيه الروح فالمراد بتصويرها بعده انه يكتب ذلك ثم يفعله في وقت آخر لان التصوير بعد الاربعين الاولى غير موجود عادة كذا في شرح مسلم وقد استفاض بين النساء ان النطفة اذا قدرت ذكرا تتصور بعد الاربعين الاولى بحيث يشاهد منه كل شيء حتى السوءة فيحمل رواية ابن مسعود على الغالب وتلك باختلاف في خلق العباد على ما اراد ففي رواية اخرى لمسلم ان النطفة تقع في الرحم اربعين ليلة ثم يتسور عليها الملك وفي اخرى لمسلم ان ملكا موكلا بالرحم اذا اراد الله تعالى ان يخلق شيئا باذن الله تعالى لبضع واربعين ليلة الحديث وفي رواية في الصحيح يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر في الرحم باربعين يوما وفي اخرى بخمس واربعين فيقول يا رب اشقي ام سعيد وفي اخرى عند الشيخين ان الله تعالى قد وكل بالرحم ملكا فيقول اي رب نطفة اي رب علقة اي رب مضغة والمعنى يقول وقت النطفة يا رب هذه نطفة ونحو ذلك في البقية وفي رواية في سندها السدي وهو مختلف في توثيقه عن ابن مسعود وجماعة من الصحابة

ان التصوير لا يكون قبل ثمانين يوما وبه اخذ طوايف من الفقها وقالوا اقل ما يتبين فيه خلق الولد احد وثمانون يوما لانه لا يكون مضغة **فينفخ** اى الله او الملك **فيه الروح** اى بعد تكميل جسده وتصوير شكله وفى نسخة بصيغة المجهول قال القاضى عياض واقره المص وغيره ظاهر الحديث ان الملك ينفخ الروح فى المضغة وليس مرادا بل انما ينفخ فيها بعد ان يتشكل بشكل ابن آدم ويتصور بصورته كما قال تعالى فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر اى بنفخ الروح فيه وقال القاضى اتفق العلماء على ان نفخ الروح لا يكون الا بعد اربعة اشهر اى عقبها كما صرح به جماعة وعن ابن عباس انما ينفخ بعد اربعة اشهر وعشرة ايام واخذ به احمد قيل وهكذا حكمة كون عدة الوفاة اربعة اشهر وعشرا لانها بالشروع فى الخامس من غير ظهور حمل يتبين براءتها منه والعشرة احتياطا او ان الروح ينفخ فيها كما قاله ابن المسيب وتبعه احمد فيما روى عن ابن عباس ثم علم ان ظاهر آيات القرآن شاهدة ان التصوير من الله تعالى وقد ورد فى بعض الروايات اضافته الى الملك الموكل على الرحم والحمل على ظاهر القرآن اولى قال تعالى هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء كذا ذكره بعضهم والاولى ان الاضافة فيه الى الله حقيقية والنسبة الى الملك مجازية كما جمع بين قوله تعالى الله يتوفى الانفس وبين قوله قل يتوفيكم ملك الموت وهذا جمع لطيف يؤدى الى جمع شريف مستفاد من قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وقد جمع بعضهم بين القرآن والخبر بان الملك الموكل بالرحم من اعوان اسرافيل وهو ناظر اليه واسرافيل ناظر الى الصور المنقوشة فى العرش كما ورد به الخبر ان الله تعالى جعل لكل ما خلق صورة مخصوصة فى ساق العرش وتلك الصور حكاية عما فى علم الله تعالى الازلى فياخذ اسرافيل الصورة المختصة بتلك الذرة ويلقيها الى الارحام وملك الارحام تلقيها الى الجنين فيتصور بتلك الصورة المختصة فحيث ما اضيف الى نفسه تعالى التصوير فلانه هو المقدر للصور فى الاصل حقيقة

وحيث ما اضيف الى الملك فلانه المباشر لها حسب ما راى فى نسخة اسرافيل واما نفخ الملك فى الصورة فسبب لخلق الله تعالى عنده فيه الروح والحيوة وقد قال بعض العارفين فى الحديث الشريف معنى لطيف بلسان الاشارة بعد بيان العبارة وهى انه اذا سقطت من صلبه ولاية رجل من رجال الحق نطفة ارادة فى رحم قلب مريد صادق يستسلم لتصرفات ولاية الشيخ اذ هى بمثابة ملك الارحام ويضبط المريد احواله الظاهرة والباطنة على وفق امر الشيخ وتدبيره فالله تعالى يتصرف ولاية الشيخ المؤيد بتأييد الحق بمرور كل اربعين عليه بشرايطها يحولها من حال الى حال ومن مقام الى آخر الى ان يرجع الى حظاير القدس ورياض الانس التى صدر منها الى عالم الانس فيكون الجنين فى رحم القلب وهو طفل خليفة الله فى ارضه فيستحق الان ان ينفخ فيه الروح المخصوص بانبياءه واولياءه يلقى الروح من امره على من يشاء من عباده وايدهم بروح منه فاذا نفخ فيه يكون آدم وقته فتسجد له الملائكة اجمعون اى فينقادون له ويصلون عليه ويعظمون امره ويكرمون شأنه **ويؤمر** اى الملك عطف على فينفخ **باربع كلمات** اى بكتابة اربعة احكام مقدرة على جبهته لخبر البزار كتابة ذلك لكل ما هو لاق هنا يكون بين عينيه او بطن كفيه او ورقة تعلق بعنقه كما قاله مجاهد ويؤيده قوله تعالى وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه واعلم ان الكتابة التى فى ام الكتاب تعم الاشياء كلها وهذا خص به كل انسان اذ لكل كتابة ثلاث سابقة وهى ما فى اللوح ولاحقة تكتب ليلة القدر ومتوسطة اشير اليها فى الحديث ثم ظاهر سياق الخبر ان هذا الامر والكتابة بعد الاربعين الثالثة ورواية البخارى ان خلق احدكم يجمع فى بطن امه اربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثله ثم يكون مضغة مثله ثم يبعث اليه الملك فيؤمر باربع كلمات فيكتب رزقه واجله وعمله وشقى او سعيد ثم ينفخ فيه الروح كالصريحة فى ذلك لكن فى رواية اخرى لمسلم وغيره ان كتابة تلك الامور عقب الاربعين الاولى وبها اخذ جماعة من الصحابة وجمع بعضهم بان ذلك

يختلف باختلاف الناس فمنهم من يكتب ذلك عقب الاربعين الاولى
ومنهم من يكتبه عقب الاربعين الثالثة ولا يبعد تكرر الكتابة والله اعلم
ثم ظاهر رواية البخاري ان النفخ بعد الكتابة وفي رواية البيهقي عكسه
واما رواية الكتاب فيحتمل البعدية والقبلية لان الواو لمطلق الجمعية
وفي صحيح ابن حبان بخمس وهي الثلاثة الاتية والاثر والمضجع اي القبر
ولا تنافي لان الزايد على تلك الاربع اعلم به صلى الله عليه وسلم بعد اخباره
او هذا الزايد يكتب لبعضهم دون آخرين بكتب رزقه اي ما ينتفع به
حلالا او حراما ماكولا وغيره قليلا او كثيرا والجار بدل من قوله اربع
اذ المضاف اليه مقدر فيه ويروى يكتب على الاستيناف معلوما وكذا مجهولا
فيتغير اعرابا بعده واجله اي مدة عمره طويلا او قصيرا وعمله صالحا
او طالحا وفي رواية حرفه اي صنايع الشاغل يعمله ما اعماله وشقي اي وهو شقي في الآخرة
او سعيد فيها وكان مقتضى ظاهر العبارة ان يقال وشقاوته وسعادته
فعدل عنه اما حكاية لصورة ما يكتبه لانه يكتب شقي او سعيد او التقدير
انه شقي او سعيد فعدل لان الكلام مسوق اليهما والتفصيل الاتي وارد عليهما
كما حققه الطيبي وظاهر الحديث يدل على ان الامر بالكتابة ابتداء منه تعالى
والاحاديث الصحيحة تدل على ان الامر بها بعد ان يسال الملك عنها فيقول
يا رب ما الرزق ما الاجل ما العمل هل هو شقي او سعيد ومن تلك الاحاديث
ان النطفة اذا استقرت في الرحم اخذها الملك بكفه فقال اي رب اذكر
ام انثى شقي ام سعيد ما الاجل ما الاثر باي ارض تموت فيقال له انطلق الى ام
الكتاب اي اللوح المحفوظ فانك تجد قصة هذه النطفة فينطلق فيجد
قصتها في ام الكتاب انها تخلق وتاكل رزقها وتطا اثرها فاذا جاء اجلها
قبضت فدفنت في المكان الذي قدر لها ومنها انه يقول يا رب مخلقة او غير مخلقة
فان قال غير مخلقة قذفتها الارحام دما وان قيل مخلقة قال يا رب اذكر ام انثى وذكر ما مر

ثم السعادة معاونة

ثم السعادة معاونة الامور الالهية للانسان على نيل الخيرات والمبرات
المرضية وتضادها الشقاوة وهي اما قلبية او بدنية او ما حول البدن
فالقلبية هي المعارف والحكم اللدنية والكمالات العلمية والعملية والبدنية الصحة
والقوة واللذات الجسمانية وما حول البدن من الاموال والاسباب الدنيوية المعينة
للامور الدينية والاحوال الاخروية وقدم الشقاوة ليعلم ان الشر كالخير
من عند الله وبتقديره على ما قضاه ردا على الثنوية المثبتين شريكا فاعلا للشر
في المرتبة الربوبية وما احسن قول الشاعر وكم اديب فهم قلبه مستكمل
العقل مقل عديم وكم جهول مكثر ماله ذلك تقدير العزيز العليم وتحقيق
هذا المقام ان يقال ان لله صفتي جمال وجلال او نعتي لطف وقهر فالسعداء
واعمالهم ومنازلهم مظاهر اللطف وفائدة بعثة الانبياء وانزال الكتب من السماء
ترجع اليهم انما انت منذر من يخشيها كما ان فائدة نور الشمس لاهل البصر
فهي اشارة وبشارة بالسعادة والاشقياء وافعالهم ومثويهم ومادتهم مظاهر
القهر وفائدة البعثة لهم الزام الحجة عليهم لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل
وهو في الحقيقة نعي عليهم بالشقاوة قال البيضاوي ومن وجده مستعدا
لقبول الحق اثبته في عداد السعداء ومن رآه قاسي القلب ضاريا بالطبع للخلق
متابيا عن قبول الحق كتبه في ديوان الاشقياء هذا اذا لم يعلم من حاله وقوع
ما يغير ذلك في ماله فان علم كتبا اوايله واواخره وحكم عليه وفق
ما يتم به عمله وما يختم به امره كما اشار اليه بقوله فوالذي الفا فصيحة
اي اذا كانت الشقاوة والسعادة مكتوبة فوالذي لا اله غيره اكد بالقسم
لتاكيد امر القضاء في القضية ليعلم ان الكسب لا مدخل له في الحقيقة
ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة اي فيما يبدو للناس وهو من اهل النار
كما في خبر مسلم حتى ما يكون بالنصب وفي بعض النسخ المصححة بالرفع
قال الطيبي حتى هي الناصبة وما نافية ولم تكف يكون عن العمل فهي منصوبة

وأجاز غيره أن تكون حتى ابتدائية فيكون على هذا بالرفع وهو مستقيم أيضاً
كذا ذكره الشيخ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري شرح البخاري وقال بعض الشراح
يكون في الموضعين بالرفع لأن ما النافية كافة عن العمل لأن المعنى على حكاية
حال الرجل لا الإخبار عن المستقبل نحو مرض حتى لا يرجونه انتهى ولا يخفى أن وجه
النصب أظهر وروايته أشهر وأغرب ابن حجر تبعاً للفاكهاني حيث اقتصر على تعيين
الرفع وعلل بأن ما ألغت حتى وفيه أن ما النافية ما ألغوها كما اعتبرها كافة
فلا تصح هنا لعدم صحة الاستثناء ح بقوله **بينه وبينها إلا ذراع**
أي قدره وهو مثل يضرب بمعنى المقاربة كحديث من تقرب إلي شبراً
تقربت منه ذراعاً وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً فالمراد به
التمثيل بالقرب من موته ودخوله عقيبه في جنته **فيسبق عليه الكتاب**
أورد الفاء ليدل على حصول السبق بلا مهلة وعداه بعلى تضميناً لمعنى
يغلب أي فيغلب عليه كتاب الشقاوة قبل النفخ عند الولادة المستند
إلى اللوح المأخوذ من أم الكتاب وهو العلم الأزلي المتعلق به في هذا الباب
والكتاب في المتن يحتمل أن يكون مصدراً وأن يكون بمعنى المكتوب **فيعمل** أي في تلك الحالة
بعمل أهل النار أي ويموت على ذلك **فيدخلها** أي مع أهلها هنالك
لأن بذر الشقاوة والسعادة قد اختفى في الأطوار الإنسانية لا يبرز إلا
إذا انتهى إلى الغاية الطغيان والإيمان **وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى**
ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة
أي بأن يستغفر ويتوب منه **فيدخلها** إذ الخاتمة نسخت السابقة
وفي هذا الحديث إثبات القدر كما هو مذهب أهل السنة خلافاً للمعتزلة ومن تبعهم من أهل
البدعة قال القاضي وغيره الأول نادر جداً بخلاف الأخير فإنه كثير وجوداً
ولعله خبر أن رحمتي سبقت غضبي وفي رواية تغلب غضبي فلله الحمد والمنة
ثم الحكمة في إخفاء القضية أن يعلم أن لا عبرة بالصورة بل بالإخلاص

وحسن السيرة وأن لا يغتر بحسن الأعمال ولا يقنط من روح الله بقبح الأفعال
ولا يحقر أهل الشقاوة في ظاهر الأحوال إذ الأمر منوط بمطلق القضاء في الأزل
وأن يعلم أن ما يجري في العالم من الإيمان والكفر والطاعات والسيئات من الكليات والجزئيات
بتقدير الله وإيجاده في عباده وفق مراده إذ لا مؤثر في الوجود إلا الله الملك المعبود
لا علة لفعله ولا معقب لحكمه ثم القدر سر لم يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل
فلا يجوز البحث عنه فإنه تعالى لا يسأل عما يفعل ولذا قال علي كرم الله وجهه
لمن سأله عن القدر هو طريق مظلم لا تسلكه فأعاد السؤال فقال بحر عميق لا تلجه
فأعاد السؤال فقال سر خفي عليك فلا تفتشه ولله در من قال تبارك من أجرى
الأمور بحكمه كما شاء لا ظلماً أراد ولا هضماً فما لك شيء غير ما الله شاءه فإن شئت
طب نفساً وإن شئت مت كظماً ثم في هذا الحديث الشريف إيماء للسالك إلى مبادئ
أحواله ومنتهى آماله من غير اعتبار أعماله وفيه سر قول من عرف نفسه فقد عرف ربه
ثم منهم من نظر إلى السابقة ومنهم من نظر إلى الخاتمة اللاحقة والأول أولى وفي المرتبة
أعلا فإن فيه ملاحظة فعل الحق مجرداً عن الخلق فهو أنسب إلى مقام التقريب
وحال التوحيد بل هو رتبة الجمع بخلاف الأخير فإنه يشير إلى منزلة التفرقة
رواه البخاري ومسلم وكذا الأربعة وفي بعض روايات هذا الحديث إنما الأعمال بالخواتيم
وفي حديث الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من سعد في بطن أمه وفي الصحيحين
أنه صلى الله عليه وسلم قال ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة أو النار
فقالوا يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له
أما أهل السعادة فسييسرون لعمل أهل السعادة وأما أهل الشقاوة فسييسرون لعمل
أهل الشقاوة ثم قرأ فأما من أعطى واتقى الآيتين وفي رواية للبخاري إنما الأعمال بخواتيمها
كالوعاء فإنه إذا طاب أعلاه طاب أسفله فإذا خبث أعلاه خبث أسفله وفي رواية لمسلم
أن الرجل ليعمل الزمان الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار وأن الرجل
ليعمل الزمان الطويل بعمل أهل النار ثم يختم له عمله بعمل أهل الجنة وأخرج أحمد والترمذي

والنسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده
كتابان فقال اتدرون ما هذان الكتابان قلنا لا يا رسول الله الا ان تخبرنا فقال للذي في يده
اليمنى هذا كتاب من رب العالمين فيه اسماء اهل الجنة واسماء ابائهم وقبائلهم ثم اجمل
على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم ابدا وقال للذي في شماله هذا كتاب
من رب العالمين فيه اسماء اهل النار واسماء ابائهم وقبائلهم ثم اجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم
ولا ينقص منهم ابدا فقال اصحابه ففيم العمل يا رسول الله ان كان امر قد فرغ منه فقال
سددوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل اهل الجنة وان عمل اي عمل
وان صاحب النار يختم له بعمل اهل النار وان عمل اي عمل ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيديه فنبذهما وقال فرغ ربكم من العباد فريق في الجنة وفريق في السعير
واخرج احمد والترمذي انه صلى الله عليه وسلم كان يكثر ان يقول في دعائه
يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقيل يا رسول الله امنا بك وبما جئت به
فهل تخاف علينا قال نعم ان القلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد
يصرفه حيث يشاء ثم قال اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك
فلنختم الكلام على هذا الحديث الشريف العظيم بهذا الدعاء الكريم الحديث الخامس
عن ام المؤمنين كنية ازواج سيد المرسلين لقوله تعالى وازواجه امهاتهم
اي في حرمة النكاح ووجوب التعظيم والتكريم دون نحو النظر والخلوة وسائر
ما يتعلق بالاجنبيات من التحريم ام عبد الله كناها صلى الله عليه وسلم بابن
اختها اسماء عبد الله بن الزبير او بسقط من رسول الله صلى الله عليه وسلم
سمي عبد الله وهو ضعيف كما ذكره في الاذكار عائشة بكسر الهمزة لا بالتحتية
كما تقوله العامة رضي الله عنها اسلمت صغيرة وتزوجها صلى الله عليه وسلم
وهي بنت ست سنين قبل الهجرة بثلاث سنين ودخل بها في المدينة في شوال
منصرفه من بدر سنة اثنتين من الهجرة وهي بنت تسع وبقيت معه
تسعا وعاشت بعده اربعين سنة مروياتها الف ومائتا حديث وعشرة

اي اشار

الحديث الخامس

قالت قال

قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احدث اي اتى بامر
حادث بان ابتدع من قبل نفسه واخترع من عند عقله في امرنا شاننا او شرعنا
او امرنا المهتم عندنا وفي رواية في ديننا هذا في ايراد اسم الاشارة بدلا
او صفة افادة التعظيم وايماء الى ظهور التفخيم واشعار بان امر الدين كمال ظهوره
ظهور المحسوس في مقام التكريم ما ليس منه اي من اصوله او مما ينافيه
مبانيه او معانيه وفي نسخة ما ليس فيه اي رأيا ليس فيه مستند من الكتاب
او السنة او اجماع الامة سواء كان فعلا او قولا وحالا فهو رد بضم الراء
وسكون اي فذلك المحدث مردود عن جانبنا ومطرود عن بابنا فان الدين
اتباع آثار الآيات والاخبار واستنباط الاحكام منها لا ربان الآراء وقد كمل
الدين كما اشار الى ذلك في الكتاب المبين فمن رام الزيادة عليه حاول امرا غير مرضي
لديه لانه من قصور فهمه رآه ناقصا بدون ما احدثه مردود فلا تقبلوا
وبمقتضاه لا تعملوا فالضمير الى الشخص والامر الاول ابلغ والثاني اظهر
كذا قاله بعض الشراح والصواب ان يقال الضمير الحدث او المحدث فتفكر ثم في ايراد
الرد بصيغة المصدر مبالغة عظيمة فتدبر وقال المؤلف قوله رد اي مردود
كالخلق بمعنى المخلوق رواه البخاري ومسلم وكذا ابو داود والنسائي
وفي رواية لمسلم من عمل عملا اي من اتى بشيء من الطاعات البدنية او الحالات
القلبية او بشيء من الاعمال الدنيوية او الاخروية سواء كان محدثا او لاحقا
او مقدما على الامر سابقا وكان من صفته انه ليس عليه امرنا اي اذننا
وحكمنا بل اتى به على حسب هواه وان حسن غرضه فيما نواه فهو رد اي مردود عليه
غير مقبول فيما نسب اليه فهذه الرواية اعم وفي باب الدراية اتم فهذا الحديث
عمدة في التمسك بالعروة الوثقى واصل في الاعتصام بحبل الله الاقوى
ورد للمحدثات والبدع وقد انشد في هذا المعنى شعر اذا ما دجا الليل البهيم
واظلم بامر فظيع شق اسودهما فاعلى البرايا من الى السنن اعتزى واعمى البرايا

من الى البدع انتهى ثم اعلم ان هذا الحديث اصل عظيم فى ابطال المنكرات
وحوادث الضلالات وقد قال تعالى وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا
السبل فتفرق بكم عن سبيله قال مجاهد السبل البدع وروى الدارمى انه صلى الله عليه وسلم
خط خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله ثم قال هذه
سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا الآية وقال عز وجل فان تنازعتم فى شىء
فردوه الى الله والرسول قال ميمون بن مهران من فقهاء التابعين الرد الى كتاب الله
والى رسوله فى حياته والى سنته بعد مماته وقال عز وجل قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى
يحببكم الله وفى حديث مسلم انه صلى الله عليه وسلم يقول فى خطبته ان احسن الحديث
كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الامور محدثاتها وكل محدثة بدعة
وكل بدعة ضلالة زاد البيهقى وكل ضلالة فى النار وروى الدارمى
ان ابن مسعود انكر على جماعة اجتمعوا فى المسجد يعدون الاذكار بالحصا
واشار اليهم ان يعدوا سيئاتهم وانهم مفتتحوا باب ضلالة واخرج البيهقى
ان ابن عباس رض قال ان ابغض الامور الى الله تعالى البدع وان من البدع الاعتكاف
فى المساجد التى فى الدور واخرج ابو داود عن حذيفة كل عبادة لم تفعلها الصحابة
فلا تفعلوها وقال الغزالى قدس سره السكوت عما تكلم فيه السلف جفاء
والكلام فيما سكتوا عنه شقاء وورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
عمل قليل فى سنة خير من عمل كثير فى بدعة اى ولو مستحسنة لان من البدع
ما استحسنه السلف ومنها ما استحبه الخلف فمن قبيل الاول جمع القرآن
كما اتفق عليه الشيخان وكذا جمع عثمان بن عفان وكما وقع لعمر رضى الله عنه
فى جمع الناس لصلوة التراويح فى المسجد بعد تركه صلى الله عليه وسلم لذلك
بعدما فعله ليالى وقال عمر رضى الله عنه نعمت البدعة هذه لانها وان حدثت
فى الجملة الا انها ليس فيها رد للفعلة المتقدمة بل مقوية لتلك الحسنة
فانه صلى الله عليه وسلم علل تركها بخشية الفرضية فان بوفاته صلى الله عليه وسلم

توهم عود القضية ومن امثلة الثانى بناء نحو الربط وخانات السبل
فانهما فى معنى الخيرات الجارية الداخلة فى الاحكام الوقفية وكالتصنيف
فى العلوم الشرعية من الاصول والفروع الفقهية وما يتعلق بها من الآلات
الضرورية من القواعد الصرفية والنحوية والمعانى والبيان والمحسنات البديعية
وقال الشافعى ما احدث وخالف كتابا او سنة او اجماعا او اثرا فهو البدعة الضلالة
وما احدث من الخير ولم يخالف شيأ من ذلك فهو البدعة المحمودة قال الامام ابو شامة
شيخ المص ومن احسن ما ابتدع فى زماننا كل عام فى اليوم الموافق ليوم مولده
صلى الله عليه وسلم من الصدقات واظهار السرور والزينة مع ما فيه من الاحسان الى الفقراء
يشعر بمحبة سيد الانبياء وتعظيم سند الاصفياء كذا ذكره ابن حجر
ثم قال وصلوة الرغائب اول ليلة الجمعة من رجب وليلة النصف من شعبان
بدعتان مذمومتان خلافا لمن استحسنهما وحديثهما موضوع كما بينه المص
فى شرح المهذب وغيره ممن قبله وبعده انتهى وفيه ان الصلوة خير
موضوع واحياء كل ليلة بالعبادة مشروع واذا لم يصح حديثهما لم يلزم عدم فعلهما
نعم لا يعتقد سنيتهما مع انه جاء فى ليلة شعبان قوموا ليلها وصوموا نهارها
على ما رواه الترمذى وفى خبر انه تعالى يغفر ليلتها لاكثر من عدد
شعر غنم كلب وفى خبر انه تعالى يغفر ليلتها لجميع خلقه الا المشرك او مشاحن
وقد اخرج البيهقى انه صلى الله عليه وسلم صلى ليلتئذ وقال فى هذه الليلة
يكتب كل مولود وهالك من بنى آدم وفيها ترفع اعمالهم وتنزل ارزاقهم
ويعين آجالهم وقد سماها الله سبحانه فى القرآن انا انزلناه فى ليلة مباركة
فهى من مواسم الخيرات ومنازل المبرات فصلوة مائة ركعة فى كل ركعة قراءة
الاخلاص عشر مرات باى طريق لا يكون من البدع المذمومة مع ما ورد عن ابن مسعود
ان ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ثم قال ومنها الوقود ليلة
عرفة او المشعر الحرام والاجتماع ليالى الختوم آخر رمضان فيكره ما لم يكن فيه

لاختلاط الرجال بالنساء فان تتضام اجسامهم فانه حرام انتهى
وهو ليس على اطلاقه فان توقير المشعر بالتعظيم كتعظيم ليلة المولود والاجتماع
عند ختم القرآن من المستحبات كما هو في التبيان نعم ما يترتب عليه من المفاسد
وتشويش خاطر الغافل والناس والاسراف في المال باعتبار عدم الاحتياج الى كثرة
السراج لا سيما في الليلة القمراء وامثال هذه الاشياء تكون من الامور المنكرة
وقد اغرب بعض الشافعية وعد منها مداومة الامام في صبح الجمعة
قراءة سورة السجدة وسورة الدهر وكذا مداومة الاضطجاع بين
سنة الفجر وفرضه لكن فيه ملحظ لطيف وسر شريف لئلا يتوهم
الفرضية بالمواظبة السنية بالاقوال وكان على الائمة الحنفية ان يقروا
السورتين في بعض الاوقات الرضية ليرتفع الوهم بالكلية وقد بلغني
ان اثنين من اهل ما وراء النهر لما رجعوا الى بلادهم وسألوا عن غرائب
ما رأوا في سيرهم ومعادهم فقال واحد رأيت الشافعية بمكة يصلون
صلوة الفجر ثلاث ركعات فقال الآخر انما كان ذلك يوم الجمعة لا جميع الاوقات
واما ايراد ابن حجر ما رواه الطبراني انه صلى الله عليه وسلم كان يقرؤهما في كل جمعة
فمحمول على الاغلبية لا الكلية والا فالمواظبة دليل الوجوب في القواعد
الاصولية واما ادخال ابن حجر صلوة بلال شكر الوضوء في البدعة المستحسنة
فمدفوع لان الصلوة باعتبار اصلها مشروع مع انه صلى الله عليه وسلم
قررها من السنة المقررة والعبادة المحررة ثم اعلم ان الانسان له روح نوراني
من عالم الملكوت ونفس ظلمانية من عالم الملك وكل منهما نزاع وشوق
الى عالمه فغاية بعثة الانبياء عليهم السلام تزكية النفوس عن ظلمة اوصافها
وتجليتها بانوار الارواح حتى يتجلى فيها ان الموجود الحقيقي ذات الله
وصفاته وافعاله فاقالوا على العبد ان يدق بمطرقة كلمة التوحيد تمرد
النفس الى ان تؤمن بذلك وتكفر بطاغوت وجوده ووجود ما سوى الله

هذا هو الدين

هذا هو الدين القويم والطريق فمن احدث فيه بتسويل الشيطان غير ذلك بان ايس عن الله
وتعلق قلبه بما سواه ولم ينسلخ عن صفاته وافعاله وآثاره ولم ينطمس ظلمات
ذاته في انواره فهو مردود ولا يكون مريدا بل مريد يتبع الشيطان مريدا الحديث السادس
عن عبد الله النعمان بضم اوله ابن بشير بفتح الموحدة صحابيان انصاريان
رضي الله عنهما ولد على رأس اربعة عشر شهرا من الهجرة على الاصح وحنكه
صلى الله عليه وسلم بتمرة وهو اول مولود ولد في الانصار بعد قدومه صلى الله عليه وسلم
المدينة كما ان عبد الله بن الزبير المولود في عامه اول مولود ولد للمهاجرين بها
روى له مائة واربعة عشر حديثا قتل بقرية من قرى حمص سنة اربع وستين
ولم ينفرد برواية هذا الحديث بل رواه ايضا سبعة من اكابر الصحابة رضي الله عنهم
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وفي رواية انه اهوى الى اذنيه
باصبعيه وفيها تأكيد للتصريح بسماعه من النبي صلى الله عليه وسلم هذا هو الصحيح
ولا التفات الى اختلاف فيه قال للص والمراد به ما نقله الشيخ صلاح الدين
ابن العلاء عن يحيى بن معين ان اهل المدينة يقولون لم يسمع من النبي
صلى الله عليه وسلم واهل العراق يصححون سماعه منه وليس يقول سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا في حديث الحلال بين والباقي يقول عن ان الحلال بين
اي واضح غير خفي حله نظرا الى ما نص الله ورسوله او اجمع المسلمون على تحليله
ومنه ما لم يعلم فيه منع على اظهر القولين كما بين في محله وان الحرام بين
في اكثر النسخ المصححة باعادة ان لتأكيد القضية وهو ما ورد دليل ظاهر
على تحريمه من كتاب او سنة او اجماع امة ثم التحريم اما لمفسدة جلية
او مضرة خفية كالربوا ومذبوح المجوس واما المفسدة واضحة او مضرة
لايحة كالسم والخمر وكذا سائر المسكرات والمخدرات كالحشيشة والافيون
والبنج وكذا جوزة الطيب كما افتى بها ابن حجر ونقل فيه نص اربات المذاهب الثلاثة
من الشافعية والمالكية والحنابلة قال وهو مقتضى كلام الحنفية بغاية وصل

الى حد السكر واما الافيون فصرح علماؤنا بانه يحرم اكله واذا اعتاده
يجب عليه استعماله **وبينهما مشتبهات** اى امور مشتبهة لوقوعها بين
اصلين متغايرين او وجودها بين دليلين متعارضين بحيث يعسر ترجيح احد
الطرفين فيقع الاشتباه في الحكمين اذ لكونها ذات جهة الى الحلال
لم يجزم بعدها من الحلال المبين ولكونها ذات جهة من الحرام لم يجزم بعدها
من الحرام المعين **لا يعلمهن** لا يعرف حكمهن **كثير من الناس** وقد جاء واضحا
في رواية الترمذي ولفظه لا يدرى كثير من الناس امن الحلال ام من الحرام
يعني لتعارض الامارتين وتناقض العلامتين واما العارفون والمحققون
والعلماء المجتهدون وقليل ما هم لا يشتبه ذلك عليهم فاذا تردد الشيء
بين الحل والحرمة ولم يكن نص او اجماع الائمة اجتهد المجتهد فالحقه
باحدهما بدليل شرعي ظهر له فاذا فقد فالورع تركه كما يدل عليه الحديث
فيما بعده قال المص وللعلماء فيه ثلاثة اقوال الحكم بالحل والحرمة والتوقف
فالاول دليله قوله صلى الله عليه وسلم كالراعي يرعى حول الحمى فيدل على ان ذلك حلال
والثاني دليله قوله استبرأ لدينه وعرضه والثالث دليله التعارض او قوله
صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين فالمشتبه ليس منهما قلت فينبغي
ان يقال مكروه ثم رأيت القرطبي صوب الكراهة وفسر الامام احمد واسحاق
وغيرهما المشتبه بما اختلف في حل اكله كالخيل او شربه كالنبيذ او لبسه
كجلود السباع او كسبه كبيع العينة وفسره احمد باختلاط الحلال والحرام
قيل ومنها اموال السلاطين لكن في زماننا لا يخفى حكمه على اهل التدين
نعم منها اذا شرى شيئا في الذمة وقضى ثمنه من مال حرام ومنها معاملة
من في ماله حرام ولذا قيل هذا زمان المشتبهات والورع عن المحرمات والاظهر
ما عممه الغزالي من ان من كان اكثر ماله حراما حرمت معاملته ثم لما كان سياق
الكلام وتفصيل الاحكام للارشاد الى التحرز من الحرام وذلك لا يحصل

الا بالانتهاء عن

الا بالانتهاء عن المشتبه لتمام النظام قال **فمن اتقى الشبهات**
فيه وضع المظهر موضع المضمر تفخيما لشانها فقد برأ اى اجتنبها في المعاملات
واحترزها في الاستعمالات **استبرأ** اى طلب البراءة **لدينه** من الذم
الشرعي **وعرضه** من الطعن العرفي لاتهامهم اياه بمواقعة المحظورات
اذا لم يتق الشبهات اى صان دينه وحمى عرضه عن وقوع الناس فيه
واما قول ابن حجر فقد استبرأ بالهمز وقد يخفف فيقال لفظ فقد غير موجود
في الاصول وتخفيف الهمز المتحرك غير صحيح الا حال الوقف عند بعضهم
وحمل الشارح المظهر العرض على النفس حيث قال طهر دينه وبرأه من العقوبة
وكلاهما صحيح ففي النهاية العرض موضع المدح والذم من الانسان سواء كان في نفسه
او سلفه ولما كان موضعه النفس حمل عليها اطلاقا للمحل على الحال والحاصل
ان ما اشتبه امره في الحل والحرمة ينبغي اجتنابه لئلا يجره الى الوقوع في الحرام
وانه لو وجد في بيته ما لا يدري اله ام لغيره فالورع تركه كما فعله النبي
صلى الله عليه وسلم في التمرة التي وجدها في بيته وقال اخشى ان تكون من الصدقة
ولا يحرم لانه في يده والاصل ان لا يكون من الصدقة كما ان الاصل في الثوب الطهارة
وكذا ترك المعاملة مع من في ماله شبهة ربوا ونحوه ما لم يتيقن حرمته منه
فانه صلى الله عليه وسلم رهن درعه عند يهودي بشعير اخذه لقوت
اهله او ضيفه مع اكلهم الربوا واثمان الخمور كذا ذكره شارح ففعله
صلى الله عليه وسلم بيانا للجواز ولعله ان شعيره هذا ليس فيه شبهة لما كان هنالك ان من قوته
او لم يكن موجودا الا عندهم كما ضرورة هذا وفي عطف العرض على الدين
اشعار بان طلب براءته للمتقين ومن ثمة ورد ما يقي به العرض فهو صدقة
وجاء في الاثر من وقف تهمة وفي رواية من عرض نفسه للتهمة
فلا يأمن من اساءة الظن به وقد قال صلى الله عليه وسلم لرجلين رأياه مع امرأة
على رسلكما انها صفية خوفا عليهما ان يظنا به شيئا فيهلكا فقال لا

يا رسول الله من كنا نتهمه فلا نتهمك فقال ان الشيطان يجري
من ابن آدم مجرى الدم واني خشيت ان يقذف في قلوبكما شرا
وروي ان انسا رضي خرج لصلوة الجمعة فرأى الناس راجعين منها
فدخل محلا لا يرونه وقال من لا يستحيي من الناس لا يستحيي من الله تعالى
قيل ورفعه الطبراني فلو امره احد ابويه باكل شبهة او اكلها
فقال احمد لا يطيعهما وقال بعض السلف يطيعه وتوقف آخرون
ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام اي من سهل على نفسه واكثر تعاطي
الشبهات فضاه الحال منه تدريجا الى ارتكاب محرمات المقطوع بحرمتها
وان كان هنا ذو قدر يأثم اذا قصر في التحري بذلك والمعنى انه يعتاد
المساهلة في المعاملة ويجسر على شبهة ثم شبهة اغلظ منها ثم اخرى
الى ان يقع في الحرام عمدا في الحالة الاخرى والمعنى وقع في الجملة في ارتكاب
المحرمات لان الذي ارتكبها من المشتبهات ربما كان حراما فيقع فيه بخلاف المحتاط
فانه اذا امتنع من الشبهات فبالاولى ان لا يرتكب المحرمات ولذا جاء في خبر الترمذي
لا يكون احد من المتقين حتى يترك ما لا باس به مخافة ما باس به وقال الحسن
ادركنا قوما كانوا يتركون سبعين بابا من الحلال خشية الوقوع في باب من الحرام
ومن ثمه قيل الصغيرة تجر الى الكبيرة والكبيرة الى الكفر وقال بعض السلف المعاصي
بريد الكفر وقيل انه حديث ويؤيده قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
وروى الترمذي عن ابي هريرة ان الرجل ليصيب الذنب فيسود قلبه فان هو تاب
صقل قلبه وفي رواية ان العبد اذا اذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه
وكلما زاد زادت حتى تعلق قلبه فذلكم الران وفي رواية ان هذه القلوب
تصدأ كما يصدأ الحديد قيل ما جلاؤها يا رسول الله قال ذكر الموت وتلاوة القرآن
وحاصله ان من اكثر من مواقعة الشبهات اظلم قلبه لفقدان نور الورع
فيقع في الحرام ولا يشعر بالحرام وحاصله ان ما قارب الشيء خالطه غالبا ومنه قوله تعالى

تلك حدود الله فلا تقربوها نهي عن المقاربة حذرا من المواقعة واليسير من الخمر
ليس محذورا في نفسه وانما حرم لئلا يندرج منه الى الكثير المحذور وكذا الخلوة
بالاجنبية لا محذور فيها الا لكونها داعية بالتدريج الى الوطئ وكذا قبلة
الصائم اذا حركت شهوته انما يكره لئلا يندرج الى الوطئ المفسد للصوم ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده اي يتدرج
من سرقة ما لا قطع فيها الى سرقة ما يقطع به هذا وفي رواية للصحيحين
ومن اجترأ على ما شك فيه من الاثم اوشك ان يقع فيما استبان اي الحرام الذي ظهر
وتبين وفي رواية لغيرهما ومن يخالط الريبة يوشك ان يجسر على الحرام المحض وفي خبر
مرسل من يرعى بجنب الحرام يوشك ان يخالطه ومن تهاون بالمحقرات يوشك ان يخالط الكبائر
وحكمة الامران الحرام البين ابتلاء للعامة والشبهة اختبار للخاصة كالراعي حاله
كحال الراعي للابل ونحوها يرعى اي دوابه حال او صفة لان الراعي في المعنى كالنكرة
حول الحمى بكسر الحاء ما يحمى من الارض لاجل الدواب ويمنع دخول الغير وهذا غير
جائز الا للنبي صلى الله عليه وسلم لقوله لا حمى الا لله ورسوله وقد حمى صلى الله عليه وسلم حرم المدينة
عن ان يقطع شجره او يصاد صيده وفي معناه الخليفة اذا حمى لابل الصدقة كما روي عن ضيع
عمر رضي الله عنه يوشك بضم الياء وكسر الشين اي يسرع ويقرب ان يرتع بفتح الياء والتاء
اي الراعي يرعى ماشيته فيه اي في الحمى لعدم الاحتماء بناء على تساهله في المحافظة
وجرأته على الرعي والمخالفة فيستحق العتاب او العقاب وهذا ضرب مثل وفائدته
تجلية المعاني المعقولة بصور المحسوسات الذي يكشف المقولة وله شان عجيب في ابراز
الحقايق ورفع الاستار عن وجوه الدقايق ثم نبه بكلمة ألا على امور خطيرة في الشرع في
ثلاثة مواضع من هذا الحديث ارشادا الى ان كل امر دخله حرف التنبيه لجلالة شانه التنبيه
يستحق ان ينتبه المخاطب له ويستانف الكلام لاجله ألا وهي مركبة من همزة الاستفهام
او حرف النفي فتفيد التنبيه على تحقق ما بعدها ولافادة التحقيق لا تكاد تقع الجملة بعدها
الا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم كقوله تعالى الا ان اولياء الله وان لكل ملك

من ملوك العرب حمى يمنع الناس عنه ويعاقبون عليه كما في الجاهلية
فقيل هو عطف على الا بناء على انه يفهم من لفظة الا انه ومن قوله
ان لكل ملك احقق فبهذا التأويل صح العطف اذ عطف المفرد على الجملة
لا يصح الا باعتبار ان يتضمن المفرد معنى الفعل كما في قوله تعالى فالق الاصباح
وجعل الليل سكنا على قراءة الكوفيين والاوطان يقال هنا انها واو الابتداء
التي سمتها النحاة واو الاستيناف الدالة على انقطاع ما بعدها عما قبلها
في الجملة كما ذكره صاحب المغني او هي عطف على الكلام السابق ولفظة الا متوسطة
لاعادة المحاذر بين وكذا وكذا وان لكل ملك حمى او على مقدر يناسب المقام
كما ذكره الزمخشري في قوله تعالى او كلما عاهدوا وانتم لما كان التورع والتهتك مما يتبع
ميلان القلب الى الصلاح والفساد نبه على ذلك بقوله **الا وان حمى الله محارمه**
هي المعاصي كما في بعض الروايات ويطلق المحارم على المنهيات وعلى ترك المامورات
قال المص ومعناه الذي حماه الله ومنع دخوله هو الاشياء التي حرمها انتهى
والحديث يشير الى قوله تعالى تلك حدود الله فلا تقربوها **الا وان في الجسد**
مضغة اي قطعة لحم قدر ما يمضغ وهي كما قيل صغيرة في الجرم كبيرة
في الجرم **اذا صلحت** بفتح اللام وضمها والفتح افصح **صلح الجسد كله**
اي اعضاء البدن جميعها من العين والاذن واللسان وسائر الاركان
واذا فسدت بفتح السين ويضم والاول هو الرواية على ما صرح به الكازروني
فسد الجسد كله لما روي انه صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يعبث بلحيته
ويلعب بثوبه في صلاته فقال لو خشع قلبه لخشعت جوارحه **الا وهي**
اي تلك المضغة **القلب** سمي به لتقلبه في امره وانقلابه بقضاء الله
وقدره وفي الحديث ان القلب كريشة بارض فلاة تقلبها
الرياح وقد قال الشاعر **شعر** قد سمي القلب قلبا من تقلبه فاحذر على القلب
من تقلبه وتحويله والمعنى ان صلاح الجسد تابع لصلاح القلب وفساده

تابع لفساده

تابع لفساده لان القلب مبدأ الحركات البدنية والارادات النفسانية
فان صدرت عنه ارادة صالحة تحرك الجسد بحركة صالحة وان صدرت عنه
ارادة فاسدة تحرك الجسد بحركة فاسدة فاهم الامور مراعاة القلب في انقياده الى
فمن صلح قلبه بالايمان والمعرفة والعلم ونية الخير والاخلاص صلح الجسد كله بالاعمال
المرضية والاحوال البهية واذا فسد القلب بالجحود والشك والكفران فسد
الجسد بارتكاب الفجور والعصيان فعلى المكلف ان يقبل عليها في جميع الحالات
ويمنعها عن الانهماك في الشهوات حتى لا يبادر الى الشبهات ولا يستعمل جوارحه
باقتراف المحرمات ثم اعلم ان الجمهور ذهبوا الى ان العقل في القلب ويؤيده قوله تعالى
افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها وقوله عز وجل
ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب اي عقل فلعدم انفكاكه عنه كانه عينه
ونسب الى ابي حنيفة ان محله الدماغ وهو مذهب الحكماء بدليل انه اذا فسد فسد
ولا يبعد ان يكون له تعلق ما بالدماغ في حال من احواله فيختل باختلاله
والحاصل انه كالملك في القضية والاعضاء كالجنود او كالرعية وفيه من الاشارة
انه حمى الله سبحانه فلا ينبغي ان يتعرض لما يقتضي من نقصان شانه وشبه بالعين
والبدن كمزرعة فان عذب ماؤها عذب زرعها وان ملح ملح او هو كالعين
والاعضاء كالانهار او هو كالارض والاعمال كالنبات كما يشير اليه قوله تعالى
والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا ثم ان الانسان
متميز عن الحيوان بالقلب الذي هو محل العقل الكامل فيميز بين مصالح الامور ومنافعها
وبين مفاسدها ومضارها ويطلع به على الكليات والجزئيات ويفرق به بين الواجبات
والجائزات والمستحيلات واذا عرفت ان هذا القلب لم يشرف من حيث صورته الشكلية
بل من حيث تلك الخاصية الالهية علمت انه اشرف الاعضاء واعز الاجزاء
وان غيره مسخرة له ومطيعة فيما استقر فيه ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا
فعند ذلك انكشف لك معنى قوله اذا صلحت الخ فما هنالك تعقل الحواس

مع القلب بمنزلة بيت للملك له خمس طاقات يشاهد من كل منها ما لا يشاهد من الاخرى
ثم مما يصلحه تدبر القرآن وخلو الجوف وقيام الليل والتضرع عند السحر
ومجالسة الصالحين واسه الاعظم اجتناب المحرمات واحتراز الشبهات
فان اكل الحلال ينوره ويصلحه واكل الشبهة والحرام يصديه ويقسيه
ويظلمه ولذا قال تعالى كلوا من الطيبات واعملوا صالحا قال الغزالي الطعام بذر الافعال
ان دخل حلالا خرج حلالا وان دخل حراما خرج حراما وان دخل شبهة خرج شبهة
انتهى وقيل انه يخاف على اكل الحرام ان لا يقبل له عمل ولا يسمع له دعاء لقوله تعالى
انما يتقبل الله من المتقين ولما شرب ابو بكر رضي الله عنه جرعة من لبن استقاءها
فاجهده ذلك حتى تقياها فقيل له اكل ذلك في شربه فقال والله لو لم تخرج
الا بنفسي لاخرجتها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل لحم نبت من سحت
فالنار اولى به وقد قال يوسف بن اسباط اذا تعبد احد قال الشيطان
انظروا من اين مطعمه فان كان مطعمه سوءا قال دعوه لا تشتغلوا به دعوه
يجتهد وينصب فقد كفاكم شره وقد سئل سفيان الثوري عن فضل الصف
الاول فقال انظر كسرتك التي تأكلها من اين تأكلها وقم في الصف الاخير
وهذه مصيبة عظمى وبلية كبرى في زماننا اذ المكاسب فسدت والمحارم كثرت
مع ضرورة المخالطة والحاجة الملجئة الى المعاملة وعلى هذا فالخلاص بعيد
والامر شديد وقد بلغني عن شيخ مشايخ العالم الرباني مولانا اسمعيل الشرواني
انه قال من يوم دخلت الصرة والوظيفة في الحرمين الشريفين ذهبت الولاية
وسبب ذلك انهم كانوا قبل ذلك يتعيشون بالمكاسب الشرعية من التجارة
والزراعة او بالمواهب الغيبية والفتوحات المكية من حيث لا يحتسبون
ثم ابتلوا في هذه الازمنة باكل الحرام كعشور جاوا والشبهة كالصرة
فصار امامتهم واذانهم ونحو ذلك كلها معلولة ويبعد كونها خالصة مقبولة
وبحكم البلية اذا عمت طابت لم يبق في قلوب اهلها تحاش من تناولها بل عرضهم

مرض الاستسقاء

مرض الاستسقاء حيث لا اكتفاء لهم بشرب الماء ولا يقنعون بمقدار
الضرورة حتى يكون لهم في الجملة نوع من المعذرة فان الضرورات تبيح المحظورات
بل يتعدون عن حد الفقراء ويصلون الى مرتبة الاغنياء وهم يزاحمون
المساكين على حقوقهم من سكنى الخلوة ووظيفة الخدمة ولا يفرقون بين الحلال
والحرمة فنسأل الله العفو والعافية وحسن الخاتمة عند حلول العاقبة
قال بعض العارفين القلب هدف سهام القهر واللطف ومظهر الجمال
والجلال ومنشأ البسط والقبض ومبدأ المحو والصحو ومنبع الاخلاق الرضية
والاحوال الردية فاذا وقعت هذه المضغة في بحار المنكرات مالت
من تأثير القهريات الى عالم الشهوات فالى الجوارح مباشرة السيئات واذا وقعت في بحار
المعارف مالت ببعث المحبة والشوق الى المشاهدة فاستنارت بنورها فنورت العقل
والحس والروح والصورة فيتولد من حسن خشوع الصورة في هيئتها جوارحها صح
وصلاح الجوارح في خدمته ثم له ظاهر وهو المضغة الصنوبرية المودعة
في تجويف الايسر من الصدر وهو محل اللطيفة الانسانية ولذا نسبت اليه الصلاح
والفساد في الامور الدنيوية والاخروية وله باطن وهو اللطيفة النورانية
الربانية العالمة التي هي مهبط الانوار الالهية الصمدانية وبها يكون الانسان
انسانا وبها يستعد لاكتساب الاوامر واجتناب الزواجر وهي خلاصة
تولدت من الروح الروحاني ويعبر عنها بالنفس الناطقة قال تعالى ونفس وما سواها
وبالروح قال عز وجل قل الروح من امر ربي وهو مقر الايمان كما في القراءة اولئك
كتب في قلوبهم الايمان كما قال عز وجل افمن شرح الله صدره للاسلام والفؤاد
مقر المشاهدة لقوله سبحانه ما كذب الفؤاد ما رأى واللب مقام التوحيد
لقوله تعالى انما يتذكر اولوا الالباب اي الذين خرجوا من قشر الوجود المجازي
وبقوا بلب الوجود الحقيقي لكن معرفته كما هي متعذرة والاشارة الى حقيقتها
على ارباب الحقائق واصحاب الدقائق متعسرة رواه البخاري ومسلم وكذا الاربعة

عليه في الجامع الصغير و لفظه الحلال بين والحرام بين وبينهما امور
مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لعرضه ودينه
ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كراع يرعى حول الحمى الا وان لكل ملك حمى
الا وان حمى الله تعالى في ارضه محارمه الحديث رواه الطبراني في الاوسط عن عمر مرفوعا
ولفظه الحلال بين والحرام بين فدع ما يريبك الى ما لا يريبك وروى
الترمذي وابن ماجه والحاكم في مستدركه عن سلمان مرفوعا ولفظه الحلال
ما احل الله والحرام ما حرم الله في كتابه وما سكت عنه فهو مما عفا عنه
الحديث السابع عن ابي رقية بضم الراء وفتح القاف وتشديد الياء اي التحتية
قاله المص ابنة له لم يولد له غيرها تميم بن اوس الداري نسبة الى جد له
اسمه الدار وقيل الى موضع يقال له دارين ويقال فيه ايضا الديري
نسبة الى دير كان يتعبد فيه وقد بسطت القول في ايضاحه في اوائل شرح مسلم
قال المص رضي الله عنه كان نصرانيا وقدم المدينة فاسلم وذكر للنبي
صلى الله عليه وسلم قصة الجساسة والدجال وانه وجده هو واصحابه في البحر
فحدث النبي صلى الله عليه وسلم بذلك على المنبر وعد ذلك من مناقبه
اذ لم يقع نظيره لغيره في مراتبه فيكون من رواية الاكابر عن الاصاغر
قال ابن السكن اسلم سنة تسع هو واخوه نعيم ولهما صحبة وقال ابو نعيم
كان راهب اهل عصره وعابد اهل دهره في فلسطين وهو اول من
اسرج السرج في المسجد واول من قص في زمن عمر رضي الله عنه باذنه
انتقل الى بيت المقدس بعد قتل عثمان رضي الله عنه وسكن فلسطين وكان صلى الله عليه وسلم
اقطعه بها قرية وكان كثير التهجد يختم القرآن في ركعة قام ليلة لقوله تعالى
ام حسب الذين اجترحوا السيئات الاية حتى اصبح مات سنة اربعين
ودفن ببيت جبريل او جبرين من بلاد فلسطين وهو قرية من قرى الخليل
روى له ثمانية عشر حديثا للمسلم منها واحد وهو هذا الحديث

ان النبي صلى الله عليه وسلم قال

ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الدين اي دين الاسلام يعني مدار قوامه
معظم مرامه النصيحة مأخوذة من النصح ضد الغش من نصحت العسل
اذا صفيته وهي كلمة جامعة يفسرها ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن
ان يعبر هذا المعنى بكلمة واحدة تجمع معناها غيرها كما قالوا في الفلاح
ليس كلمة اجمع لخير الدنيا والآخرة منه وزيد في المشكوة ثلاثا
ثم لما كانت النصيحة من الامور الاضافية استفصلت لرفع الحالة الابهامية
قلنا معشر السامعين من الصحابة والظاهر ان السؤال وقع من بعض ارباب الكمال
لكن لما كان يرضى بقية ارباب الكمال نسب اليهم المقال لمن اي النصيحة لمن
والنكتة في الابهام اولا ثم التبيين ثانيا كون القضية اوقع في النفس مما اذا
يهجمه مرة واحدة وفي حالة غفلة قال اي النبي صلى الله عليه وسلم لله اي بالايمان بوجوب
وجوده وبصفاته الثبوتية والسلبية والاضافية وبافعاله المحمودة المرضية
وبان يعلم ان كل ما سواه فانما حدث بقدرته القوية ومشيئته الجلية
وحكمته الخفية وباحكامه بان يعلم انها غير معللة وان المراد من شرعها
منافع عائدة الى العباد ولا يجب عليه شيء ان اثاب فبفضله وان عذب فبعدله
ثم باخلاص الطاعة واجتناب المعصية وهذه الاوصاف راجعة الى العبد
في نصيحته نفسه فان الله غني عن العالمين وعن نصح الناصحين
وحكاية الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام يا روح الله من الناصح لله قال الذي يقدم
حق الله على حق الناس هذا والمفهوم من شرح ابن حجر ان زيادة عز وجل
هنا في المتن وهو غير موجود في الاصول ولكتابه بان يعتقد انه كلامه
ويعتبر بمواعظه ويتدبر في عجائبه وغرائبه ويعمل بمحكمه ويسلم في متشابهه
ويكل علمه الى عالمه ويذب عنه تأويل المحرفين وطعن الطاعنين وينشر علومه
ويبحث عن عمومه وخصوصه وناسخه ومنسوخه ومطلقه ومقيده ومجمله ومبينه
ويحفظ مبانيه ويراعي معانيه والعمل بما فيه والمراد بالكتاب القرآن لان الايمان به

يتضمن الايمان بجميع الكتب المنزلة او جنس الكتب السماوية اذ الجنس المضاف
يفيد العموم كما قرر في الاصول **ولرسوله** بالايمان به وبجميع ما جاء به
والانقياد لاوامره والامتثال لزواجره ومعاداة من عاداه وموالاة من والاه
ونصر ملته ونشر دعوته واحيا سنته ومحبة اهل بيته وصحابته
والمراد به محمد صلى الله عليه وسلم او الجنس ليشمل الانبياء والملائكة ايضا لانهم
رسل الى الانبياء كما قال الله تعالى جاعل الملائكة رسلا **ولائمة المسلمين** بان ينقاد لطاعتهم
ولا يخرج عليهم والامام من له خلافة الرسول في اقامة الدين بحيث
يجب اتباعه على الخلق اجمعين قال الخطابي ومن النصيحة لهم الصلوة خلفهم
والجهاد معهم واداء الصدقات اليهم انتهى ويعني بالاخير ما
اذا كانوا عدولا في حكمهم والا فالاخفاء عنهم وصرفها الى المستحقين اولى
ان لم يخش ضررا منهم وفي معناهم العلماء الاعلام بقبول ما رووه من الاحكام
واحسان الظن بهم فيما استنبطوه من فروع الاسلام **وعامتهم** بارشادهم الى مصالحهم
ومنافعهم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ودفع الضرر عنهم
وجلب الخير اليهم وستر عوراتهم وسد خلاتهم وتوقير كبيرهم وشفقة
صغيرهم وان يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير ويكره لهم ما يكره لنفسه من الشر
وقد قال بعض السلف من وعظ اخاه سرا فهي نصيحة ومن وعظه على رؤس الناس
فهي فضيحة هذا ولم يقل ولعامتهم للاشعار بان عامة الامة اتباع للائمة
رواه مسلم منفردا به عن تميم وليس له في صحيحه عنه سواه واخرجه
البخاري في صحيحه تعليقا وفي بعض النسخ رواه البخاري ومسلم
وهو كذا في الاذكار والمشكوة ورياض الصالحين لكن فيه مساهلة
ومسامحة لان العبارة تقتضي ان يكون البخاري في صحيحه روى هذا الحديث متصلا
مسندا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من طريق تميم الداري وليس كذلك
بل انما اورده في ترجمة باب بدون ذكر تميم الداري نعم تقدم انه

روى صدر هذا الحديث

٥٥ روى صدر هذا الحديث في تاريخه عن ثوبان فالصواب الاكتفاء بقوله
الحديث الثامن رواه مسلم والله اعلم **الحديث الثامن عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال امرت** اي امرني ربي وفائدة العدول عن التبيين
دعوى التعيين والتعويل على شهادة العقل اذ ليس يامره غيره عز وجل
ان اقاتل الناس اي بان اقاتلهم اذ تعدية الامر تقال بغير حرف الجر
نحو امرتك الخير لكن ما امرت به والمراد بالناس عبدة الاوثان دون اهل
الكتاب كما ذهب اليه اكثر شراح الحديث لان غاية مقاتلتهم ليس ما ذكر فقط بل اما
ذاك او اعطاء الجزية او المراد بهم الاعم لكن خص منه اهل الكتاب بالاية
ذكره الطيبي قيل وهو الاولى لان الامر بالقتال انما نزل بالمدينة مع كل
من يخالف الاسلام قال ابن الصباغ في الشامل لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم فرض عليه
التبليغ وقراءة القران لقوله تعالى اقرا باسم ربك الذي خلق ثم فرض الصلوة
بمكة وفرض الصوم بعد سنتين من الهجرة والحج في السنة السادسة او التاسعة
واما الزكوة فقيل بعد الصيام وقيل قبله واما الجهاد فلم يؤذن له بمكة واذن له
بالمدينة لمن ابتداه به ثم ابتداهم به دون الحرم والاشهر الحرم ثم نسخ ذلك
وابيح ابتداؤهم في الاشهر الحرم والحرم واما قول الخطابي ان المراد بالناس
عبدة الاوثان لان اهل الكتاب يقولون لا اله الا الله ثم يقاتلون ولا يرفع عنهم
السيف حتى يقروا بالشهادتين محمول على رواية ابي هريرة رضي الله عنه في اقتصارها
على لا اله الا الله لا على رواية ابن عمر لقوله **حتى يشهدوا ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله** مع ان التحقيق في المراد بلا اله الا الله كلمتا الشهادة
وان الاقتصار عليها من باب الاكتفاء او صارت هذه الكلمة علما للجملة ولذا
ورد في كثير من الاحاديث من قال لا اله الا الله دخل الجنة واما قول ابن حجر ان تخصيص
جمع من الشراح الناس بما قاله الخطابي وهم فانما هو وهم منه لعدم فهمه
كلامهم وغرض مرامهم على ما قررنا بتيانه وحررنا برهانه هذا وفي رواية

حتى يقولوا وهي صريحة في عدم اشتراط لفظ الشهادة وفي الرد
على من يقول بعدم صحة التقليد في باب التوحيد بل ايمان المقلد صحيح عند ارباب
التأييد قال المص وهو مذهب المحققين والجماهير من السلف والخلف
واشتراط تعلم ادلة المتكلمين ومعرفة الله بها وان لم يكن من اهل القبلة هو
خطأ ظاهر فان المراد بالايمان هو التصديق الجازم وقد حصل ولانه
صلى الله عليه وسلم اكتفى بالتصديق بما جاء به ولم تشترط المعرفة بالدليل
وقد تظاهرت هذه الاحاديث فحصل بمجموعها التواتر والعلم القطعي انتهى
ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة خصصهما بالذكر من بين اركان الاسلام
اهتماما بشانهما لانهما اما العبادات البدنية والمالية ولان سمي الصلوة عماد
الدين والزكوة قنطرة الاسلام وقد قرن بينهما في القران امرهما
والمعنى حتى يقبلوا احكام الاسلام وينقادوا تحت الاحكام والا فبمجرد
الشهادتين لا تجوز المقاتلة معهم حيث اتوا بنظام المرام ولا تتوقف
اجراء احكام الاسلام على اداء الصلوة وايتاء الزكوة باجماع العلماء الاعلام
واغرب ابن حجر في هذا المقام حيث قال فيه دليل لقتل تارك الصلوة
وادعى ان عليه اكثر العلماء لانه غيى الامر ولا يخفى ما فيه من تزييف المقال
اذ القائل بقتل تاركها لا يخرجه عن كونه مسلما بل يقتله حدا كقتل القاتل
قصاصا وهو مناف لان يكون غاية للمقاتلة مع ان المقاتلة مع الكفار
والقتل مع الفجار على ان الشافعية لم يقولوا بقتل تارك الزكوة وقد وقع
الاجماع على قتال مانعيها بطريق الامتناع كما وقع في زمن الصديق والفاروق
ومن تبعهما من اهل التحقيق ولم ينقل من السلف والخلف انهم قتلوا احدا
ترك صلوة او زكوة بل ولم تشترط احد لمريد الاسلام التزام صلوة
ولا زكوة بل روي عن الامام احمد انه قبل اسلام من اشترط ان لا زكوة ولا جهاد
ومن اشترط ان لا يصلي الا صلوتين ومن اشترط ان لا يسجد من غير ركوع

وهذا مبني

وهذا مبني على ان الاسلام يصح على الشرط الفاسد ثم يؤمر بالشرائع كلها
وهذا هو المناسب لمقام التدريج في احكام الاسلام وقد جاء في حديث
ضعيف على ما نقل انه صلى الله عليه وسلم لم يكن يقبل من اجاب الى الاسلام
الا باقام الصلوة وايتاء الزكوة وهذا لا ينافي قتال اهل الردة وامتناعهم
اداء الزكوة بعد انقياد احكام الاسلام وحديث ابي هريرة في صحيح مسلم كالتصريح
لما ذهبنا اليه وهو انه صلى الله عليه وسلم يوم خيبر حين اعطى الراية لعلي فقال علي
ما اقاتلهم قال على ان يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاذا فعلوا ذلك
عصموا منك دماءهم واموالهم الا بحقها فجعل بمجرد الاجابة اليهما عاصمة للنفوس
والاموال الا بحقها ومنه حديث معاذ لما بعثه الى اليمن امره ان يدعوهم اولا الى الشهادتين
وان من اطاع بهما اعلمه بالصلوة ثم بالزكوة نعم نقاتل قوما واهل قرية اتفقوا على ترك
الصلوة وكذا في ادنى شعائر الاسلام كالاذان على ما صرح به علماؤنا الاعلام
الا انه لا يجوز قتل كل فرد منهم بعلة ترك الصلوة والاذان اجماعا الا ما قال الامام احمد
من ان تارك الصلوة متعمدا كافر يعني يصير كافرا بجحود وتركها والجمهور اولوا
الحديث بان المراد بقوله من ترك صلوة متعمدا فقد كفر اي كفر النعمة او قارب الكفر
او يخشى عليه الكفر او محمول على المستحل **فاذا فعلوا ذلك** اي ما ذكر من الشهادتين
والاقامة والايتاء واطلاق الفعل على المشار اليه مع ان بعضه قول اما باعتبار انه
عمل اللسان المعبر عن عمل الجنان او على سبيل تغليب الاثنين على الواحد **عصموا** بفتح الصاد
اي حفظوا **مني** اي من تعرضي **دماءهم واموالهم** فان قيل جعل غاية المقاتلة
وجود ما ذكر فمقتضى الحديث ان من شهد واقام واتى ترك القتال معه وان جحد
سائر ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم لكنه ليس كذلك اجيب بان الشهادة برسالته
تتضمن التصديق بجميع ما جاء به مع ان قوله **الا بحق الاسلام** يدخل فيه
جميع ذلك وانما خصصنا بالذكر لما قدمناه هنالك والمراد بحق الاسلام
القتل بالقصاص والزنا والقطع بالسرقة وغرامة ما اتلف من مال اخيه المسلم

ونحو ذلك فانها حدود واجبة الاحكام بحق الاسلام والمسلم التزمها
بالاسلام فيقام عليه بمقتضى التزامه والمعنى فاذا فعلوا ذلك لا يتعرض لهم بسبب
من الاسباب يحدث هنالك الا بحق الاسلام **وحسابهم** اى محاسبة بواطنهم
على الله تعالى اى انا احكم فيهم بهذه الاحكام ظاهرا وحسابهم يتعلق الى الله عز وجل
باطنا فرب عاص يصادق عند الله عز وجل خيرا في الباطن وبالعكس لحديث
نحن نحكم بالظواهر والله اعلم بالسرائر ولحديث ما امرت ان اشق عن قلوب الناس
ولا بطونهم وقال لاسامة فهلا شققت عن قلبه وفيه دليل على ان من اظهر الاسلام
وابطن الكفر قبل اسلامه ظاهرا وهو ما ذهب اليه الجمهور وقال مالك واحمد لا تقبل
توبة الزنديق وكذا قال بعض علمائنا **رواه البخاري ومسلم** اى ما عدا قوله
الا بحق الاسلام ولما كان الاعتبار لاكثر الكلام صح اسناده الى مسلم في هذا المقام
فاندفع قول ابن حجر ويتعجب من المص مع شدة تحقيقه وحفظه كيف اوهم
ان كلا من الشيخين خرجه جميعه انتهى ويؤيد ما قلنا من ان السيوطي ذكر
هذا الحديث في الجامع الصغير وقال رواه الشيخان والاربعة عن ابي هريرة مرفوعا
ولفظه امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله واني رسول الله فاذا قالوها
عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله وذكره في الكبير ايضا
وقال رواه ابن جرير والطبراني في الاوسط عن انس ولفظه امرت ان اقاتل الناس
حتى يشهدوا ان لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها
قيل وما حقها قال زنى بعد احصان او كفر بعد اسلام او قتل نفس فيقتل بها
وفي حصر الثلاثة في معرض البيان دلالة على ان تارك الصلوة لا يقتل قتلا امر
ولا يغرنك قول ابن حجر من ان سياق الحديث وانه كان في الكافر لكن المسلم ولحق به بذلك
لانه تركها مع اعتقاد وجوبها بخلاف الكافر الاصلي فانه ممنوع ومدفوع بان المسلم
معصوم الذمة الا ان ترك احدى الثلاثة المذكورة عليها وورد بصيغة الحصر
في حديث صحيح بلفظ لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث كما سيأتي في اصل الكتاب هذا

وجاء في رواية

وجاء في رواية للشيخين عن ابي هريرة امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا
ان لا اله الا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم
واموالهم الا بحقها وفي رواية حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله
عصم مني الى اخره واخرجه مسلم عن جابر بهذا اللفظ وزاد ثم قرأ انما انت مذكر
لست عليهم بمصيطر واخرجه مسلم عن انس ولفظه امرت ان اقاتل المشركين حتى يشهدوا
ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وان يستقبلوا قبلتنا وان ياكلوا ذبيحتنا
وان يصلوا صلاتنا فاذا فعلوا ذلك حرمت علينا دماؤهم واموالهم الا بحقها لهم
ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين واخرجه الذهبي عن يونس بن بكير عن قتادة
قال لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم ارتدت طوايف كثيرة من العرب عن الاسلام
ومنعوا الزكوة اى ومنهم من منع الزكوة ولم يكفر كما صرح به غيره فنهض ابو بكر
رضي الله عنه لقتالهم فاشار عمر رضي الله عنه وغيره ان يفتر عن قتال مانعي الزكوة
فقال والله لو منعوني عقالا او عناقا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقاتلتهم عن منعها فقال عمر رضي الله عنه كيف تقاتل الناس وقد قالوا لا اله الا الله
وقد قال صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني
دماءهم واموالهم الا بحقها فقال ابو بكر رضي الله عنه لاقاتلن من فرق بين الصلوة والزكوة
فان الزكوة حق المال وقد قال صلى الله عليه وسلم الا بحقها فقال عمر رضي الله عنه فوالله
ما هو الا رأيت الله شرح صدر ابي بكر رضي الله عنه للقتال فعرفت انه الحق انتهى
وبهذا يندفع قول ابن حجر ومن العجايب ان حديث ابن عمر رضي الله عنهما هذا الذي ساقه المص
نص في قتال مانعي الزكوة ولم يبلغه ابا بكر وعمر رضي الله عنهما مع تشاجرهما
واختلاف رأيهما فاستدل ابو بكر رضي الله عنه بالحديث الثاني وعمر رضي الله عنه بانه
اقتصر على قول لا اله الا الله انتهى ولا يخفى ان عمر رضي الله عنه وغيره ذهبوا الى ان
الاحاديث فيه الاكتفاء بالشهادتين في الغاية فلا يجوز قتال مانعي الزكوة كما لا يجوز قتال
تارك الصلوة واختار ابو بكر رضي الله عنه انه يجوز قتال قوم تركوا من شعاير الاسلام

شيأ من ترك صلوة وزكوة وجمعة وجماعة واذان ونحوها ارجعوا
الى قوله رضى الله عنه فكون اجماعا واما قتل احد بترك صلوة او زكوة او جمعة ونحوها
مع اقراره بالفرضية فلا يعرف له سند مرضى فى القضية وحاصل جميع الاحاديث
انه امر ان يقاتل الكفرة حتى يقروا بالتوحيد والنبوة وان ينقادوا الاحكام الملة
ثم اعلم ان فى هذا الحديث اشارة الى نور التوحيد وظهور التفريد وهو وضوح
فناء اثار الخلق بتشعشع انوار لقاء الحق وله مراتب منها التوحيد النظرى
وهو علم بالاستدلال او التقليد ثم ان علم بمجرد تصديق المخبر الصادق فى مقام
الكمال وسلم القلب فى توحيد الرب من الشبهة والحيرة والريبة وهو ان يعتقد
ان الله متفرد بوصف الالوهية متوحد باستحقاق العبودية كما اشار اليه فى الحديث
ان به تحصن الدماء والاموال وتخلص من الشرك الجلى فى الاحوال ومنها
التوحيد العلمى وهو ان يصير العبد بخروجه من غشاوة صفاته صفا وخلا من سجف
ظلمات ذاته وانسلاخه عن لباس الاختيار حيران فى فضاء عظمة الجبار ولهان
تحت سبحات سطوات الانوار فيعرف ان الموجد هو الحق والمؤثر المطلق هو الله
الواحد القهار وان كل ذات فرع من نور ذاته وكل نعت من علم وقدرة وارادة
وسمع وبصر عكس من انوار صفاته واثر من آثار افعاله واسرار مصنوعاته
ومنشاؤه نور المراقبة ومنها التوحيد الحالى وهو ان يصير التوحيد وصفا
لازما لذات الموحد بتلاشى ظلمات رسوم وجود الغير الا قليلا فى غلبة اشراق
نور التوحيد واستتار حاله فى نور علم التوحيد كما قال بعض اهل التأييد
فلما استنار الصبح ادرج ضوءه باسفاره اضواء نور الكواكب واستغراقه
فى مشاهدة جمال وجود الواحد بحيث لا يظهر عند شهوده الا ذات الواحد
ويرى التوحيد صفة الواحد لا صفته بل يرى ذلك هنالك قال الجنيد قدس سره
التوحيد معنى يضمحل فيه الرسوم ويندرج فيه العلوم ويكون الله كما لم يزل
ومنها التوحيد الالهى وهو ان الله تعالى كان فى الازل موصوفا بالوحدانية فى الذات

وبالاحدية

وبالاحدية فى الصفات كان ولم يكن معه شئ والان كما كان كل شئ هالك
الا وجهه لان عزة وحدانيته لم تدع لغيره وجودا وفى هذا المعنى انشد
العارف الانصارى شعر شريف المبنى ظريف المعنى ما وحد الواحد من واحد
اذ كل من وحده جاحد توحيد من ينطق عن نعته عارية ابطلها الواحد
توحيده اياه توحيده ونعت من ينعته لاحد ثم اعلم ان كل جمع ليس بعده
تفرقة فهو الحاد وزندقة فنرجع عن هذا التدقيق ونقول فى مقام
التوفيق ان التحقيق هو ان يقال الشهادة اشارة الى تخلية لوح القلب عن الشرك
الجلى والخفى وسائر النقوش الكونية ثم تحليته بالمعارف والحكم الالهية
والاعتقادات الحقية واحوال المعاد وغيرها من الامور الاخروية لان من اثبت
ذات الله بجميع اسمائه وصفاته التى دل عليها اسم الجلالة ونفى غيره وصدق
رسالة النبى بنعت الصدق والامانة وفى بعهده عهده وبذل نفسه جهده
فى بداية جهده وامن بجميع ما اوجب من الكتب والرسل والمعاد ولذا لم يتعرض
فى الحديث لاعداد سائر الاعداد ثم اقامة الصلوة ارشاد الى ترك الراحات
البدنية واتعاب الالات الجسدية وهى ام العبادات التى اذا وجدت لم يتأخر عنها
البقية ولذا يستغنى عن عدها عداها وعن ترك السيئات بعدها فان الصلوة
تنهى عن الفحشاء والمنكر ثم ايتاء الزكوة هو الاعراض عن الفضول المالية بل عن كل
الموجودات الوهمية وبذل المال الذى هو شقيق الروح لاستفتاح ابواب الفتوح
ولرفع المانع عن الاشتغال بعقبات ارباب الكمال ولعدم الانس بالفانى عن الباقى
من مطالعة جماله ومشاهدة جلاله والله سبحانه اعلم بحقيقة الاحوال الحديث التاسع
عن ابى هريرة وصوبه جماعة لانها جزء علم واختار اخوه منع صرفه
كما هو الشائع على السنة العلماء من المحدثين وغيرهم لان الكل صار كالكلمة
الواحدة واعترض عليه بانه يلزم عليه رعاية الاصل والحال معا كلمة بل فى لفظ
هريرة اذا وقعت فاعلا مثلا فانها تعرب اعراب المضاف اليه نظرا للحال

ونظيره خفي في جنس المقال قال ابن حجر ويجاب بان الممتنع رعايتهما من جهة
واحدة لا من جهتين كما هنا وكان الحامل عليه الخفة واشتهار هذه الكنية
حتى نسي الاسم الاصلي بحيث اختلفوا فيه اختلافا كثيرا انتهى ولا يخفى ان هذا
مما لا يشفي الغليل فالمعتمد ما قدمناه في الخطبة ان ابا هريرة صار علما حتى كان
يطلق عليها وهي كبيرة وسبب تلقيبه بذلك ما رواه ابن عبد البر عنه
انه قال كنت احمل يوما هرة في كمي فرآني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه
فقلت هرة فقال يا ابا هريرة واختلف في اسمه على خمسة وثلاثين قولا
اصحها ما ذكره المص بقوله **عبد الرحمن** وقد روى ابن اسحق عنه انه
ابدل به في الاسلام عن عبد شمس اسمه في الجاهلية **ابن صخر رضي الله عنه**
اسلم عام خيبر وشهدها ثم لازم النبي صلى الله عليه وسلم الملازمة التامة
رغبة في العلم راضيا بشبع بطنه في باب القناعة ومن ثمه كان من احفظ الصحابة
قال البخاري روى عنه اكثر من ثمانمائة ما بين صحابي وتابعي توفي سنة
وخمسين بالمدينة ودفن بالبقيع وما اشتهر ان قبره بقرب عسقلان
لا اصل له وانما ذاك صحابي آخر اسمه جيدرة **قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم**
يقول ما نهيتكم عنه سواء كان نهي تحريم او تنزيه ليشمل الحرام والمكروه
فاجتنبوه اي اجعلوه في جانب واتركوه وفي رواية فدعوه قاله في حجة
الوداع حين خطب قال ايها الناس فرض عليكم الحج فقال الاقرع بن حابس
اكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال لو قلت نعم لوجب
ولما استطعتم وهذا الخطاب ونحوه يختص لغة بالموجودين عند نزوله
وعم فيشمل من بعدهم لما هو معلوم من الدين بالضرورة ان هذه الشريعة
عامة الى يوم القيامة ولقوله حكمي على الواحد حكمي على الجماعة **وما امرتكم به**
فأتوا وفي نسخة صحيحة **منه** اي مما امرتكم وجوبا في الواجب وندبا
في المندوب **ما استطعتم** ما قدرتم عليه فانه سبحانه يريد بكم اليسر

ولا يريد بكم العسر

ولا يريد بكم العسر ولا يكلف الله نفسا الا وسعها وبهذا الحديث
والرواية الموافقة له يخص عموم قوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه
فانتهوا ثم هذا الحديث موافق لقوله فاتقوا الله ما استطعتم واما قوله عز وجل
اتقوا الله حق تقاته فقيل منسوخ والاصح ان تلك مبينة لهذه وانما يتم
هذا على تفسير حق تقاته بامتثال امره واجتناب زجره واما على تفسيره بان يذكر
فلا ينسى ويطاع فلا يعصى فلا وجه للنسخ فان هذه لما نزلت حرجت
الصحابة منها وقالوا اينا يطيق ذلك فنزلت والاظهر ان هذا التفسير
بيان لتقوى الخاصة وما سبق لتقوى العامة وعن احمد انه يؤخذ من هذا الحديث
ان النهي اشد من الامر لانه لم يرخص في شيء منه والامر مقيد بالاستطاعة
ويؤيده قول بعضهم اعمال البر يعملها البار والفاجر والمعاصي لا يتركها
الا الصديقون وقد يؤخذ من هذا الحديث مبنى القاعدة المشهورة وهي
ان درء المفاسد اولى من جلب المصالح فاذا تعارضت مفسدة ومصلحة قدم
رفعها على نفعها الا ان اعتناء الشارع بالمنهيات اشد منه بالمأمورات وهذا
يوافق الحكمة البدنية ايضا من ان الاحتماء اولى من استعمال الدواء **فانما اهلك**
الذين من قبلكم اي صار سبب هلاكهم **كثرة مسائلهم** اي ما لم تحتج اليها
الضرورات وقيل الاستفسارات يحسن في الاخبارات ويقبح في الانشاءات
وذلك كقصة بني اسرائيل في قضية البقرة ونحوها **واختلافهم**
قال المص برفع الفاء لا بكسرها يعني لفساد المعنى اي عصيانهم **على انبيائهم**
او ترددهم في انبائهم ثم اعلم ان هذا الحديث من جوامع الكلم وقد تضمن احكاما
منها وجوب ترك المنهيات ومنها وجوب فعل المأمورات لان الامر فيهما للوجوب
ومنها تحريم الاختلاف الموجب للاختلال وكثرة السؤال من غير ضرورة
داعية الى تلك الحال لانه توعد عليه بالهلاك والوعيد على الشيء يقتضي تحريمه
وقد قال تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا اما الاختلاف في فلانه

بسبب تفرق القلوب ووهن الدين وظهور العتو كما جرى للخوارج
حين تبرأ بعضهم من بعض وان حضوا وذلك حرام وسبب الحرام حرام
واما كثرة السؤال عن غير ضرورة به فمشعر بالتعنت ومفض اليه وهو حرام
وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن قيل وقال وكثرة السؤال وروى معاوية رضي الله عنه
عنه صلى الله عليه وسلم نهى عن الاغلوطات وهي المسائل المشكلات وورد سيكون اقوام
من امتي يغلطون فقهاءهم بعضل المسائل اولئك شرار امتي وقال الحسن
شرار عباد الله الذين يتبعون شرار المسائل يعمون بها عباد الله وقال الاوزاعي
ان الله اذا اراد ان يحرم عبده بركة العلم القى على لسانه المغاليط فلقد رأيتهم
اقل الناس علماء وكان ابي بن كعب وزيد بن ثابت وغيرهما من افاضل الصحابة رضي الله عنهم
اذا سأل احدهم عن مسئلة يقول او قعت فان قيل نعم قال فيها بعلمه
او احال على غيره وان قيل لا قال دعها حتى تقع ثم هذا كله فيمن يسأل تعنتا
وتكلفا واما من سأل حاجة وتعرفا فهو مثاب لقوله تعالى فسألوا اهل الذكر ان كنتم
لا تعلمون لا سيما اذا كان المسؤول عنه معدن الحقايق ومنبع الدقايق شعر
وان كنت لا بد مستشربا فمن اعظم البحر تستشرب وفي الحديث اشارة الى وجوب
اتباعه صلى الله عليه وسلم وتسليم ما جاء به من الاحكام من غير معارضة ولا مدافعة
اذ لم يترك شيأ يقرب الى الله الا امر به ولا شيأ يبعد عنه سبحانه الا نهى عن ذلك
وهي امور لا يرشد اليها بمجرد العقل اذ العقل لا قاصر عن رسم العبودية لا لادراك
رسوم الربوبية بل تلك اسرار يكاشف بها من حضرة القدس وحظيرة الانس
القلب الاصفى للنبي المصطفى لانه من بين الخلق تخلق باخلاق الحق فهو العرش
محمود وهذا محمد قال العارف بالله السهروردي قدس سره وجاء مثالك
ايها المحبوس في قفص عالم الحكمة مثال الجنين في بطن الام فانه لو قيل له ان الله
خلق السموات والارض والعرش والكرسي والشمس والقمر ما يفهم ذلك ولا يهتدي
الى ما هنالك فانت ايها المتعقل بعقلك ذلك الجنين ما انفقست عينك

منايم عالم

منايم عالم الشهادة ولا تقضضت بيضة وجودك بعد ما ولدت
فاذا مت يقال لك فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد فتستيقظ
من رقدتك بموتك وترى عالما ما رأيته بعينك كما قال بعضهم الناس
نيام فاذا ماتوا انتبهوا واما اهل خاصته فوجد وا ذلك ذوقا وما لوا اليها
شوقا وقد قال قائلهم لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا رواه البخاري ومسلم
عن ابي هريرة خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس قد فرض الله عليكم الحج
فحجوا فقال رجل اكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ثم قال ذروني ما تركتكم فانما هلك الذين من قبلكم
بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم
واذا نهيتكم عن شيء فدعوه هذا وقد قال تعالى لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم
تسؤكم فقيل انها نزلت لما سألوه عن الحج وقالوا افي كل عام والمعنى ان جميع ما يحتاج اليه
من امر الدين لا بد ان يتبين في القرآن المبين فلا حاجة الى السؤال وانما المحتاج فهم ما فيه
بمساعدة احاديث سيد المرسلين قال تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون
وقد صح ان اعظم المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من اجل مسئلته وعن انس
نهينا ان نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء وكان يعجبنا ان يجيء الرجل من اهل البادية
العاقل ونحن نسمع وروى احمد انهم رشوا اعرابيا برداء حتى يسأله ولعل هذا
هو السبب لسؤال جبريل عم الحديث العاشر عن ابي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله طيب اي حسن جميل ماخوذ من الطيب
والمعنى طيب الثناء مستلذ الاسماء قيل فهو من اسماء الحسنى لصحة الحديث به
كالجميل لحديث ان الله جميل يحب الجمال رواه البيهقي بسند صحيح عن ابي سعيد
واما ما زاد ابن عدي سخي يحب السخاء ونظيف يحب النظافة جواد يحب الجود
ففي اسناده مقال والحاصل ان معناه متصف بجميع صفات الكمال ومنزه عن سمات النقصان
والزوال لا يقبل من الاعمال والاقوال والاموال والاحوال الا طيبا لقوله تعالى

اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والمعنى الطاهر خالصا من المفسدات
كالعجب والرياء او حلالا احترازا من المال المغصوب والربوا واعلم ان الطيب
يطلق لمعان منها المستلذ طبعا نحو هذا طعام طيب ونحو قوله تعالى فانكحوا
ما طاب لكم من النساء ومنها الحلال ويقابله الخبيث كقوله تعالى قل لا يستوي
الخبيث والطيب ومنها الطاهر كقوله تعالى الطيبون للطيبات اي الطاهرون
من العيوب للطاهرات من الذنوب وان الله عز وجل طيب بهذا المعنى اي طاهر
منزه عن جميع النقايص والا فان لا يقبل من الاعمال الا الطاهر من المفسدات
ولا من الاموال الا الطاهر من المحرمات ثم اعلم ان انتفاء القبول قد يوذن بانتفاء
الصحة كما في حديث لا يقبل الله صلوة احدكم اذا احدث حتى يتوضأ
وقد يفسر القبول بالثواب ومنه خبر احمد من صلى في ثوب قيمته عشرة دراهم
فيه درهم حرام لم يقبل له صلوة ما كان عليه ومنه قوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين
فمعنى الحديث لا ينبغي ان يتقرب الى الملك المتعال الا بما يكون حلالا من خيار المال
كما قال تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ولا يقبل الا عبدا متحليا بفضيلتي العلم
والعمل نقيا من الشبهات نقيا من النجاسات سليما قلبه من الافات ثم هذه الجملة
المصدرة توطئة لما هو الغرض من سياق هذا الحديث وهو استعمال اكل الحلال لحيازة
الكمال المستلزم لاجابة الدعاء في غالب الاحوال ولذا قال وان الله عز اي شانه
وجل اي برهانه امر المؤمنين بما امر به المرسلين فسوى بين الرسل وامهم
في خطاب المقال العموم وجوب اكل الحلال فقال اي الله كما في نسخة صحيحة
وفي اخرى اكتفى بقوله تعالى يا ايها الرسل هذا الخطاب والنداء ليسا على ظاهرهما
لانهم ارسلوا في ازمنة مختلفة فالمراد الاعلام بان كل رسول نودي
بهذا في زمانه ليعتقد السامعون ان ما نودوا به جميعا حقيق بالاخذ والعمل به
كذا في الكشاف وفيه نفحة اعتزالية لانهم لما لم يثبتوا قدم الكلام حملوا
على ذلك لنظام المرام لكن الحق ان الله متكلم في الازل وان لم يكن ثمة مخاطب

فالخطاب على ظاهره

فالخطاب على ظاهره واجيب عن هذا بان التعلق التنجيزي حال العدم
بان يطلب من المكلف الفعل في حال العدم محال بالاتفاق والمراد بالخطاب
للمعدوم كما حققه شارح المختصر التعلق العقلي وهو ان المعدوم الذي
علم الله انه يوجد بشرايط التكليف يوجه عليه حكم في الازل بما يفهمه
ويعقله فيما لا يزال انتهى وقد يقال يمكن الجمع بين القولين بانه كما تعلق
العلم الازلي بهذا الخطاب ظاهر على وفقه التعلق التنجيزي بخطاب الرسل واحدا
بعد واحد في هذا الباب ويؤيده ان هذا كله محفوظ في ام الكتاب كلوا من الطيبات
اي الحلالات ولو كانت من المستلذات وقدمه على قوله واعملوا صالحا اي كل
ما يصلح من العبادات ليكون اشارة الى ان الصالح من الاعمال لا بد ان يكون
مسبوقا باكل الحلال وقال تعالى يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم
اي حلالات ما ملكناكم واعطيناكم اسند الرزق الى نفسه تحريضا لهم على غاية
احتياطهم حتى لا ياكلوا الا الحلال المطلق الذي يستاهل ان يضاف اليه
ومن تبعيضية صيانة لهم عن الاسراف في الكمية او اشارة الى ان جملة رزقه
ومحصوله اكثر من ماكوله ومع هذا هو حريص على زيادة تحصيله والامر للاباحة
او للوجوب كما لو اشرف على الهلاك في المجاعة او للندب كموافقة الضيف ومعاونة
الصوم وقوة العبادة قال سهل بن عبد الله اداب الاكل ان يكون حلالا وهو ما لا يعصى الله
فيه وصافيا وهو ما لا ينسى الله فيه وقواما وهو ما يمسك والعقل وتماما
وهو ان يؤدى شكر المنعم وفي الاية اشارة الى ان الحرام رزق وهو مذهب اهل
السنة خلافا للمعتزلة ودليلنا من الكتاب قوله تعالى وما من دابة في الارض
الا على الله رزقها وقد علمنا ان جميع المكلفين ليس ياكلون حلالا فانهم
قد يسرقون ويغصبون فيتغذون به ومن السنة حديث ان نفسا
لن تموت حتى تستكمل رزقها فدل على ان جميع ما اكلته كل نفس رزقها بملكها
حلالا كان او حراما مع اجماع الامة على ان الله يرزق البهائم ما تاكله وليس

فدل على ان اصل الرزق لا يشترط فيه الملك قال ابو هريرة رض ثم ذكر
اى النبى صلى الله عليه وسلم الرجل استطرادا بانه عقب كالابتداء بذكر الرجل الموصوف
استبعادا لان الله لا يقبل دعاء آكل الحرام لبعده بسببه منا عن جانبه الاقدس
لتكدر روحه وتسود قلبه فلفظة ثم للترتيب في الوجود لا في رتبة الشهود
يطيل السفر منصوب المحل بانه صفة للرجل لانه في المعنى كالنكرة او حال
كما جوز الوجهان في قوله تعالى يحمل اسفارا وقيد الاطالة لانها اقرب الى الاجابة
لان طول الغربة تقتضى زيادة الكربة والمعنى يطيل السفر في العبادات
كالحج وطلب العلم والغزوات ومع ذلك لا يستجاب له الدعوة فكيف لمن هو
منهمك في المعصية او الغفلة اشعث متفرق الشعر كما هو من لوازم
السفر اغبر مغبر الوجه في الاكثر صفتان اخريان او حالان مترادفان من فاعل
يطيل او متداخلان وفي هذين الحالين ايضا اشارة الى ان رثاثة الهيئة
من اسباب الاجابة ومن ثمة قال صلى الله عليه وسلم رب اشعث اغبر ذى طمرين
مدفوع بالابواب لو اقسم على الله لابره ولذا ندب في ذلك دعاء الاستسقاء
يمد يديه اى يرفعهما الى السماء لانها قبلة الدعاء قائلا يا رب
اعطنى كذا يا رب جنبنى كذا والمراد بهما التكرار والالحاح ويؤيده انه
اخرج البزار مرفوعا اذا قال العبد يا رب اربعا قال الله لبيك عبدى
سل تعط ولذا غالب ادعية القرآن مصدرة بذكر الرب فان نعت
الربوبية ينادى حالة العبودية وقد قال جعفر الصادق رضى الله عنه
من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد لان الله
حكى عنهم في آخر آل عمران انهم قالوه خمسا ثم قال فاستجاب لهم ربهم وفي الحديث
ان الله كريم يستحيى من عبده ان يرفع اليه كفيه ثم يردهما صفرا خائبتين
رواه احمد وابو داود والترمذى والحاكم والبيهقى عن ابى موسى
وسبب ذلك ان في رفعهما اشعارا الى الذل والانكسار والاقرار بسمة العجز

ابتدا بالنداء لانه كلمة معناه ... بالقوة والبلاء

والافتقار ولذا قال

والافتقار ولذا قال صلى الله عليه وسلم سلوا الله ببطون اكفكم ولا تسألوه
بظهورها فاذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم واما ما ورد في صحيح مسلم انه
صلى الله عليه وسلم جعل ظهورهما الى السماء فلعله من خصوص صيغة دعاء الاستسقاء
لما فيه الايماء الى انقلاب الاحوال كما ذكر في تقليب الرداء وروى احمد انه
صلى الله عليه وسلم فعله وهو واقف بعرفة وحملوه على انه جمع بين الوجهين
فالاول لحصول مطلوب من النعماء والثاني في دفع ما وقع به من البلاء وجاء ايضا
انه رفع يديه وجعل ظهورهما الى جهة القبلة وهو مستقبلها وجعل بطونهما
مما يليه ولعله لبيان الجواز او لدفع ما يتوقع به من المحنة فجعل يديه بمنزلة
الجنة ثم في رفعهما الى السماء ايماء الى ان السماء مخزن الارزاق ومعدن اسرار
الخلاق ومعبد العمال ومحل الضياء ومنزل الصفاء ومطعمه حرام
حال من فاعل قائلا وهو مصدر ميمى بمعنى المفعول وكذا قوله ومشربه حرام
وملبسه حرام وغذى هو بضم الغين وكسر الذال ذكره المص وهو بتخفيف
الذال المعجمة في اكثر النسخ المعتبرة وفي المصابيح وردت مشددة اى والحال
انه قد حصل تغذيته وتنميته وتربيته بالحرام فهو اشارة الى حال صغره
كما ان قوله مطعمه الى حال كبره تنبيها على استواء حاليه في امره فانى
الاستفهام للاستبعاد اى كيف ومن اين يستجاب اى يجاب الدعاء لذلك
اى للرجل الموصوف بالابتلاء او لاجل كون مطعمه ومشربه وملبسه حراما
من الابتداء الى الانتهاء وقد قيل ان للدعاء جناحين اكل الحلال وصدق المقال
لكنه في هذا الزمان لا يوجد الا قليلا من الاحوال فلنكتف بغيره بما يحفظ روعا
لئلا نموت جوعا وما احسن قول بعض الظرفاء يقول لي الجهول بغير علم دع المال
الحرام وكن قنوعا فلما لم اجد مالا حلالا ولم آكل حراما مت جوعا لكن
قال بعض العارفين واذا كنت مضطرا باكل الميتة فينبغى انك ما دمت تلقى
غنما لا تأكل من حمار وما دمت تجد حمارا لا تأكل من كلب وما دمت تصادف كلبا

لا تباشر خنزيرا ففيه اشارة الى ان وقت الابتلاء بالمحرمات والشبهات
ينبغي ان يراعي ما يوجد اقرب الى الحلال ثم اقل المراتب في هذا الباب ان يحترز
مما حرمه فتوى العلماء وهو ورع العامة ثم يمتنع عما يتطرق اليه احتمال
التحريم وان افتى المفتي بحله لقوله صلى الله عليه وسلم فيما سياتي وان افتوك
وهو ورع الصالحين ثم ترك ما لا باس به مخافة ما به باس وهو ورع المتقين
ثم التحرز عن كل ما لا يراد بتناوله القوة على طاعة او يتطرق الى بعض اسبابه
معصية او كراهية وهو ورع الصديقين رواه مسلم وهو احد الاحاديث
التي عليها قواعد الاسلام ومباني الاحكام وعليه العمدة في اكتساب الحلال
واجتناب الحرام واخرج الطبراني عن ابن عباس قال تليت عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذه الاية يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا
قال سعد بن ابي وقاص يا رسول الله ادع الله ان يجعلني مستجاب الدعوة
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا سعد طب مطعمك تكن مستجاب الدعوة
والذي نفس محمد بيده ان العبد ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه اربعين يوما
وايما عبد نبت لحمه من سحت فالنار اولى به وقد قيل له لم تستجاب دعوتك
دون الصحابة فقال ما رفعت الى فمي لقمة الا وانا اعلم من اين جاءت
ومن اين خرجت وجاء في حديث انه اذا خرج الحاج بالنفقة الخبيثة
فوضع رجله في الغرز اي الركاب فقال لبيك ناداه ملك من السماء لا لبيك
ولا سعديك وحجك مردود عليك الحديث الحادي عشر قيل انه
مبني على السكون وقيل على الفتحة التقديرية وقيل بالفتحة اللفظية
عن ابي محمد الحسن كناه بذلك وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابن علي بن ابي طالب وقع في اصل ابن حجر رضي الله عنهما وهو في غير
محله لتوهم رجع الضمير الى علي وابي طالب فالصواب تاخيره كما في النسخ المعتبرة
على ما سياتي سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجر على انه بدل من ابي محمد

او ريانة الحسن

او ريانة الحسن ويجوز رفعه على انه خبر مبتداء مقدر هو هو ونصبه بتقدير
اعني اي ابن بنته فاطمة الزهراء رضي الله عنهما وريحانته اي طيب قلبه
او رزق ربه او راحة روحه ولبه وهو ماخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم
في شان الحسن والحسين هما ريحانتاي من الدنيا وفي رواية من الجنة ولد في نصف
رمضان سنة ثلاث من الهجرة على الاصح ومات سنة خمسين مسموما من زوجته
باشارة يزيد بن معاوية لها على ذلك كما قيل ودفن بالبقيع وكان من حكماء الكرماء
ومروياته ثلاثة عشر حديثا وعلقت فاطمة باخيه الحسين بعد خمسين يوما
من ولادته رضي الله عنهما اي عن الحسن وعلي ومن جملة مناقبه وعلو مراتبه
ما رواه مسلم عن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال للحسن اللهم اني احبه فاحبه
وعن معاوية قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم يمص لسانه او قال شفته يعني الحسن
وانه لن يعذب لسان او شفة مصهما النبي صلى الله عليه وسلم وروي انه
حج خمس عشرة حجة والنجايب تقاد بين يديه وخرج من ماله مرتين
وقاسم لله ماله ثلاث مرات وربما اجاز الواحد مائة الف وقد احصن سبعين امراة
ولما بايعه الناس بعد ابيه ولي الخلافة سبعة اشهر واحد عشر يوما ثم تركها
خشية سفك الدماء مطابقة لما روى الحسن البصري قدس سره عن ابي بكرة
قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب جاء الحسن حتى صعد المنبر فقال ان ابني
هذا سيد ولعل الله سيصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين قال
حفظت من وفي نسخة ضعيفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم دع ما
يريبك الى ما لا يريبك وهو بفتح اليا وضمها لغتان والفتح افصح واشهر
ومعناه اترك ما شككت فيه واعدل الى ما لا تشك فيه ذكره المص
واشار فيه الى ان الى متعلقة بمقدر كاعدل او اذهب والمعنى خذ ما
ايقنته حسنا وحلالا واترك ما شككت في كونه حسنا ام قبيحا
وفي كونه حلالا ام حراما ويقال دع ذلك الى كذا اي استبدله به

والامر فيه للندب فعن عمر رضي الله عنه مكسبة فيها بعض الريبة
خير من المسألة ويروى عن زيد بن ثابت انه قال ما شيء اسهل من الورع
اذا رابك شيء فدعه وقال ابو ذر تمام التقوى ترك بعض الحلال
خوفا ان يكون حراما وقيل لابن ادهم قدس سره الا تشرب من ماء زمزم
فقال لو كان لي دلو لشربت اشارة الى ان الدلو من مال السلطان وهو مشتبه
ثم اعلم ان الريبة تقع في العبادات والمناكحات وسائر انواع المعاملات ومن ثمة
كان الخروج من الخلاف في كل مسألة افضل باجماع علماء الامة لانه ابعد
عن الشبهة فالمعنى اترك ما تشك فيه من الاموال انه من نوع الحرام او الحلال
او ما تردد فيه من الاقوال والافعال انه منهي عنه او لا او سنة او بدعة
واعدل الى ما لا تشك فيه من الاحوال والمقصود ان يبني المكلف اموره
في الدين على اليقين واما بلسان العارفين فمعناه اذا كنت صحيح الخاطر
طاهر الباطن نقي القلب مراقبا للغيب وتعرف لمة الملك من لمة الشيطان
والالهام من حديث النفس وكنت مميزا بين الحق والباطل بنور الفراسة دع
ما يريبك من الاغلوطات القلبية والشبهات النفسانية والشيطانية
الى ما لا يريبك مما يتنزل بقلبك وعقلك وروحك من الالهام الالهي
وكما ان ترك ما يريبك مأمور به فترك ما يريب الغير مما يصعب على افهام
العامة اولى كما اشار الى ذلك الامام الاعلى **شعر** اني لاكتم من علمي جواهره
كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا يا رب جوهر علم لو ابوح به لقيل لي انت
ممن يعبد الوثنا ولاستحل رجال مسلمون دمي يرون اقبح ما ياتونه
حسنا **رواه الترمذي** بكسر التاء والميم وبفتح الاولى وحكي ضمهما
والكل بالذال المعجمة نسبة لمدينة قديمة على طرف جيحون نهر بلخ وهو ابو عيسى
محمد بن عيسى بن سورة وكان من اوعية الفقه والحديث لقي البخاري وخلقا كثيرا
توفي بترمذ من وراء جيحون في رجب سنة تسع وسبعين ومائتين **والنسائي**

بفتح النون والسين

بفتح النون والسين مقصورا وبمد منسوب الى نسا خراسان وهو الامام
ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب رحل واجتهد واتقن الى ان تفرد فقها
وحديثا وامامة وديانة ومات بمكة سنة ثلاث وثلاثمائة كذا ذكره الشارحون
وينسبونه الى الجامع لا صول ونقل ابن حجر انه مات بالرملة والله اعلم ورواه ايضا
ابن حبان في صحيحه والحاكم **وقال الترمذي حديث حسن صحيح**
اي حسن باعتبار اسناد وصحيح باعتبار اسناد اخر والجمع بينهما باعتبار
التردد فيه هل هو مترق من درجة الحسن الى الصحة ام لا بحذف
كلمة او كما يحذف من الذي بعدي فلا يرد ما قيل من ان الجمع بينهما
في حديث واحد كالجمع بين المتنافيين لان الحسن قاصر درجته عن مرتبة
الصحيح كما يظهر ذلك من تعريفهما في اصول الحديث وذكر ابن الصلاح وجها اخر
وهو انه اراد بالحسن اللغوي وبالصحيح الاصطلاحي وهو ما تستحسنه
النفس ويميل الطبع اليه انتهى ولا يبعد ان يكون الامر بالعكس بان يراد انه ثابت في
سنده وقد يقال حسن لذاته وصحيح لغيره هذا وعند الترمذي وغيره زيادة
وهي فان الصدق طمانينة والكذب ريبة ولفظ ابن حبان فان الخير طمانينة
وان الشر ريبة وقد اخرجه احمد ايضا عن انس والطبراني عن وابصة بن معبد
والخطيب عن ابن عمر وروى ابو نعيم في الحلية والخطيب عن ابن عمر مرفوعا
دع ما يريبك الى ما لا يريبك فانك لن تجد فقد شيء تركته لله
وروى باسناد ضعيف عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل
دع ما يريبك الى ما لا يريبك قال وكيف لي بالعلم قال اذا اردت امرا فضع
يدك على صدرك فان القلب يضطرب للحرام ويسكن للحلال
وان المسلم الورع يدع الصغيرة مخافة الكبيرة زاد الطبراني قيل له فمن الورع
قال الذي يقف عند الشبهة ومن ثمة تنزه يزيد بن زريع عن خمسمائة
من ميراث ابيه فلم يأخذها وكان ابوه يلي الاعمال للسلاطين وكان يزيد

يعمل الخوض ويتقوت منه الحلال وقد قيل ينبغي ان التدقيق في التوقف
عن الشبهات انما يصلح لمن استقامت احواله وتشابهت اعماله بخلاف
المنتهك في المحرمات ومن ثمه قال ابن عمر لمن ساله عن دم البعوض قتلوا
الحسين ولم يسالوا واستاذن رجل بعض السلف ان يكتب من محبرته فقال
هذا ورع مظلم وقال الاخر في مثل ذلك ما بلغ ورعي ولا ورعك هنالك
وقد قال بعض علمائنا هذا زمان الشبهات اي وقت استعمالها وترك المحرمات
والمعنى ان كثرة الشبهات وقلة الحلالات وجبت ان يكون الورع منحصرا
في ترك المحرمات ويؤيده انه صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انتم في زمان
لو تركتم عشر ما علمتم لهلكتم ويأتي على الناس زمان لو عملوا بعشر ما علموا لنجوا
وفقنا الله لمرضاته ورزقنا رزقا حسنا متقويا بالطاعات الحديث الثاني عشر
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حسن
اسلام المرء تركه ما لا يعنيه بفتح اوله ذكره المص يعني وبكسر ثالثه
اي لا يهمه من العناية بمعنى الاعتناء والمعنى ما لا ضرورة فيه ولا منفعة له
والضمير المستتر المرفوع راجع الى ما والضمير المنصوب الى المرء بمعنى الشخص
الشامل للرجل والمرأة ومن للتبعيض لان محاسن الاسلام كثيرة ومن جملتها
فعله ما يعنيه وتركه مصدر مضاف الى الفاعل الراجع الى المرء وما لا يعنيه
مفعوله والمجموع مبتدأ ومن حسن خبره وانما قدم الخبر لاشتمال
المبتداء على ضمير يرجع الى متعلق الخبر فهو من باب على التمرة مثلها زبدا
ثم اعلم ان الذي يعني الانسان من الامور ما يتعلق بضرورة حياته في معاشه
مما يشبعه من جوع ويرويه من عطش ويستر عورته ويعف فرجه
ويكنه ويسكنه وبضرورة سلامته في معاده وهو الاسلام والايمان
والاحسان على ما مر بيانه وسبق برهانه وذلك يسير بالنسبة الى ما لا يعنيه
ان سلم من سائر الافات وجميع الشرور والمخاصمات وكان ذلك من الفوائد

الدالة على حسن

الدالة على حسن اسلامه وثبات مقامه وحقيقة تقواه ومجانبة هواه
لاشتغاله بمصالحه الاخروية واعراضه عن اغراضه الدنيوية واعراضه
الشهوية من التوسع في الدنيا الدنية وطلب المناصب والرياسات النفسية
ومجمل الكلام انه ينبغي للمرء ان يشتغل بالامور التي يكون فيها صلاح معاشه
ومعاده ويتصرف في الدنيا بمقدار ما اخذ زاده لحصول مراده ويسعى في الكمالات
العلمية والحالات العملية التي هي وسايل الى حصول السعادات الابدية ووصول
النعم السرمدية وقد قال انس رضي الله عنه استشهد غلام منا يوم احد فوجد على بطنه
صخرة مربوطة من الجوع فمسحت امه التراب عن وجهه وقالت هنيئا لك الجنة
فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه
وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لابي هريرة تريد ان لا يجري عليك القلم
قال نعم يا رسول الله قال اد فرايض الله وكف عن المحارم ودع الكلام فيما لا يعنيك
وكان الصديق الاكبر رضي الله عنه يقول يا ليتني كنت اخرس الا عن ذكر الله
وقال معروف قدس سره مقت الله للعبد ان يراه مشتغلا بما لا يعنيه
فانه ما يعنيه وقال الغزالي قدس سره حد ما لا يعنيك في الكلام ان تتكلم
بما لو سكت عنه لم تأثم ولم تتضرر حالا ومالا فانك به تضيع زمانك وتحاسب
على ما نطق به لسانك ان تستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير ولو صرفته
في الفكر والدعاء ربما تنفتح لك من نفحات وجه الله ما يعظم جدواه ولو سبحت
بني لك قصر في الجنة ومن قدر على ان ياخذ كنزا من كنوز الجنة واخذ بعمله
مدرة كان خاسرا في التجارة ثم حسن الاسلام عبارة عن كماله وتمامه والاستسلام لاحكامه
وهو علامة شرح الصدر بنور الرب ونزول السكينة على القلب حديث حسن
بل صرح ابن عبد البر بانه صحيح رواه الترمذي وغيره في الجامع الصغير
للسيوطي رواه الترمذي وابن ماجه عن ابي هريرة واحمد والطبراني عن الحسن بن علي
والحاكم في الكنى عن ابي بكر رضي الله عنه والشيرازي عن ابي ذر والحاكم في تاريخه

ان من اشتغال المرء بما لا يعنيه صح

عن علي بن ابي طالب والطبراني في الاوسط عن زيد بن ثابت وابن عساكر عن الحارث
ابن هشام هذا وفي اصل ابن حجر زيادة هكذا مخالفا لما في الاصول فقال
اي موصولا ولا ينافيه رواية مالك له في الموطا عن الزهري مرسلا
لان للزهري فيه اسنادين احدهما مرسل وهو ما رواه مالك والاخر موصول
وهو ما رواه الترمذي وغيره والاتصال مقدم على الارسال وبذلك
يجاب عن قول احمد والبخاري وابن معين والدارقطني لا يصح الا مرسلا
اقول وله جواب آخر وهو ان اسناد المرسل صحيح واسناد الموصول حسن ولا تنافي بينهما
فلا يحتاج الى قول ابن حجر على ان له طرقا مرفوعة اذا اجتمعت حدثت له قوة
ولعل هذا من اسباب تحسين المص له انتهى ولا يخفى انه لم يقل احد بضعف هذا
الحديث حتى احتيج لتحسينه بتعدد طرقه بل الحق تعدد طرقه باسانيد حسنة
اوجب ابن عبد البر يقول بتصحيحه فكانه اراد انه حسن لذاته
صحيح لغيره او باعتبار بعض طرقه صحيح ومن ثمة قال ابن عبد البر رواته ثقات
ثم هذا الحديث من جوامع الكلم الجزيلة لاندراج المعاني الجليلة في اندماج المباني
القليلة ولعله مستفاض من قوله تعالى فيما وصف به المؤمنون الكاملون
قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون
ولهذا لما راى صلى الله عليه وسلم من يعبث بلحيته قال لو خشع قلبه لخشعت جوارحه
وفيه اشارة الى ان اللغو يكون في القول والفعل والخاطر وقد قال ابو داود وهذا الحديث
ربع الاسلام وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال في صحف ابراهيم من عد كلامه
من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه وروي ان رجلا وقف على لقمان الحكيم وهو في حلقة
عظيمة فقال الست عبد بني فلان قال بلى قال فما الذي بلغ بك الى ما ارى قال
قدر الله وصدق الحديث وترك ما لا يعنيني وعن الحسن من علامة اعراض الله عن العبد
ان يجعل شغله فيما لا يعنيه واخرج الترمذي ان رجلا مات شهيدا كما في رواية
فقال آخر ابشر بالجنة فقال صلى الله عليه وسلم اولا تدري فلعله تكلم بما لا يعنيه

او يبخل بما

او يبخل بما يعنيه واخرج العقيلي مرفوعا اكثر الناس ذنوبا اكثرهم كلاما فيما لا يعنيه
الحديث الثالث عشر عن ابي حمزة بحاء مهملة وزاي مفتوحتين بقلة حريفة
كناه صلى الله عليه وسلم بها لاجتنائه اياها **انس بن مالك رضي الله عنه**
الانصاري الخزرجي النجاري **خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم** لما قدم المدينة
كان عمره عشر سنين وان امه ام سليم اتت به صلى الله عليه وسلم اي في السنة
الاولى من الهجرة فقالت له خذ غلاما يخدمك فقبله وقد قالت له يوما
يا رسول الله ادع الله له فقال اللهم اكثر ماله وولده وادخله الجنة وفي رواية
اكثر ماله وولده وبارك له فيه قال فلقد رزقت من صلبي سوى ولدي
ولدي مائة وخمسة وعشرين اي ذكورا ولم يرزق الا بنتين على ما قيل وان ارضي
لتثمر في السنة مرتين وانا ارجو الثالثة واستمر في خدمته صلى الله عليه وسلم
الى ان توفي وهو عنه راض ثم توطن بالبصرة وكان آخر الصحابة بها موتا سنة
تسعين عن مائة سنة او وعشرين سنة مات بقصره بالطف على فرسخين من البصرة
واوصى ثابتا البناني ان يجعل تحت لسانه شعرة كانت عنده من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ففعل وهو احد المكثرين روي له الفا ومائتا حديث منها **عن النبي صلى الله عليه وسلم**
انه قال لا يؤمن احدكم اي ايمانا كاملا بدليل ما سبق في حديث جبريل من تعريف
اصل الايمان انه التصديق فقط ونفي اسم الشيء على نفي الكمال عنه مستفيض شائع
في كلامهم كقولهم فلان ليس بانسان فان قيل فاذا حصل هذه المحبة يلزم ان يكون مؤمنا
كاملا وان لم يات بسائر الطاعات اجيب بان هذا مبالغة كان الركن العظيم فيه
هذه المحبة نحو لا صلوة الا بطهور او هذا الحصر بالنسبة الى حقوق العباد
دون حقوق الله سبحانه والمعنى لا يكمل ايمان احدكم بان يترقى من حضيض
التقليد الى ذروة اليقين والتاييد **حتى يحب لاخيه** اي المسلم كما في رواية
الاسماعيلي وكذا رواية احمد والنسائي ولفظه حتى هنا جارة لا عاطفة
ولا ابتدائية اذ ما بعدها في خلاف ما قبلها وان بعدها مضمرة ولهذا نصب يحب

كما صح عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم صح

ولا يجوز رفعه هنا لان علم الايمان ليس سببا للجنة **ما يحب لنفسه**
اي من الطاعات والمباحات كما جاء في رواية النسائي من الخير كذا قاله شارح
ولكن رواية الاسماعيلي والنسائي وابن منده حتى يحب لاخيه من الخير ما يحب لنفسه
اي مثل ما يحب لنفسه فان عين ذلك المحبوب محال ان يحصل في محلين
قال المص في شرح مسلم وليس هذا من الصعب الممتنع كما ظن اذ القيام بذلك
يحصل بان يحب له حصول مثل ذلك من جهة لا يزاحمه فيها بحيث
لا تنقص النعمة عن اخيه شيئا من النعمة عليه ويرحم عليه في جميع الاحوال
وذلك سهل على القلب السليم انتهى وكذا من كمال الايمان ان يبغض لاخيه
ما يبغض لنفسه ولم يذكره لان حب الشيء مستلزم لبغض نقيضه فيكون من باب
الاكتفاء كما اكتفى في الحديث السابق بترك ما لا يعنيه عن فعل ما يعنيه
ثم رايت خبر احمد افضل الايمان ان تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك
وتحقيق ذلك ان المؤمنين متحد وبحسب الارواح متعدد باعتبار
الاشباح كنور واحد في مظاهر مختلفة او كنفس واحدة في ابدان متفرقة بحيث
لو تالم البعض تالم الكل كما جاء في الحديث الآخر المؤمنون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه
عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر وذلك لان ايمانهم من اثر نور الهداية
شريعة وطريقة ومن اثر انوار اسمائه وصفاته حقيقة فارواحهم اتحدت بذلك النور
المقتضي للالفة والرحمة فان حزن واحد حزنوا وان فرح فرحوا وهذا مقام
الجمع بالروح وهو ان يجتمع عند تجلي الروح له عن تفرقة الطبيعة وهناك
مقام اعلى يقال له جمع الجمع وهو ان يجتمع عند تجلي الحق له عن تفرقة الغير روحانيا
ونفسانيا ملكيا وملكوتيا فلا يرى غير الله لاختفاء ما سواه من جميع الاشياء
كاختفاء النجوم عند اشراق الشمس في السماء او كالبناء في الهواء **رواه البخاري ومسلم**
ورواه احمد والترمذي والنسائي وابن ماجه كلهم عن انس لكن لفظ مسلم والذي
نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لاخيه او قال لجاره ما يحب لنفسه

ولفظ احمد

ولفظ احمد لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى يحب للناس ما يحب لنفسه من الخير
وقد ورد لا حرج على من كره الامتياز بالجمال وروى احمد والحاكم وصححه عن مالك
ابن مرارة قال يا رسول الله قد قسم لي من الجمال ما ترى فما احب ان احدا من الناس
فضلني بشراكين فما فوقها اليس ذلك هو البغي فقال لا ليس ذلك من البغي
ولكن البغي من بطر او قال سفه الحق **الحديث الرابع عشر عن ابن مسعود رضي الله عنه**
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ بحذف المضاف
واقامة المضاف اليه مقامه اي لا يحل اراقة دم شخص وهو كناية عن قتل
مسلم اي يشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله كما في البخاري ومسلم وجامع الاصول
وقال اخرجه الخمسة فوجه حذفه لا يظهر ولعل الاكتفاء به
وقع في رواية لهما لكن الاولى ان يختار اللفظ الاشهر والاكثر **الا باحدى**
ثلاث اي ثلاث خصال والتقدير لا يجوز قتل مسلم بسبب من الاسباب الا بسبب
احدى خصال ثلاث وهي زنا المحصن وقتل النفس بغير حق والارتداد
ففصل ذلك بتعداد المتصفين به المستوجبين القتل لاجله فقال
الثيب بالرفع وهو الرواية كما صرح به الشارح الكازروني فيقدر المبتدا
اي احدها او الخبر اي منها او مضاف اي خصلة الثيب او زناه او يقال
هم الثيب الى آخره وهو الاظهر فتامل وجوز نصبه بتقدير اعني وجره بالبدل
وهو اسم جنس يشمل الرجل والمراة **الزاني** بحذف الياء تخفيفا كالمتعال
وفي نسخة صحيحة باثبات الياء والمراد بالثيب المحصن وهو المكلف الحر
الذي اصاب بعد التكليف والحرية نكاحا صحيحا ولا بد من تحقق وطء
عندنا لمقابلته بقوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر ثم للامام لا للآحاد رجمه
ولا يجوز قتله بغير ذلك اجماعا لما ثبت ان عمر رضي الله عنه قال في خطبته ان الله
بعث محمدا نبيا وانزل عليه كتابا وكان فيما انزل الشيخ والشيخة اذا زنيا
فارجموهما البتة نكالا من الله ان الله كان عزيزا حكيما وقد رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم

ورجمنا الحديث رواه مسلم وغيره وكان ذلك بمشهد من الصحابة فلم ينكر عليه
وفي صحيح البخاري قال عمر رضي الله عنه خشيت ان يطول بالناس زمان حتى يقول قائل
لا نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة انزلها الله الا وان الرجم
حق على من زنى وقد احصن اذا قامت البينة او كان الحبل او الاعتراف ورجم علي رضي
ايضا كما في صحيح البخاري وغيره وحكوا على ذلك اجماع الصحابة ومن بعدهم
ممن يعتد باجماعهم واما البكر والمكلف غير المحصن فان كان حرا فيجلد مائة
وان كان رقيقا فيجلد خمسين ولا تغريب عندنا ثم من الحكمة في قتل الزاني
ان في الزنى مفاسد من اختلاط الانساب وتضييع الاولاد ووثوب كل رجل على كل
امرأة بمقتضى طبعه وهواه فيهيج الفتن والحروب بين الانام بعد التشبه
بالبهائم والانعام والله رؤف بالعباد والله لا يحب الفساد ثم حكم اللواطة
تعرف بادلة اخرى تفصيلها في محلها الاحرى والنفس بالنفس اي وقاتل
النفس يقتل قصاصا بالنفس التي قتلها عدوانا بشروطه المعتبرة في الفروع وهو
مخصوص بولي الدم ولا يحل قتله لاحد سواه حتى لو قتله غيره لزمه القصاص
وظاهر الحديث المطابق لقوله تعالى وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس يؤيد
مذهب ابي حنيفة في ان المسلم يقتل بالذمي وان الحر يقتل بالعبد خلافا للائمة
الثلاثة في اعتبارهم تساويهما في الحرية لمفهوم قوله تعالى الحر بالحر والعبد بالعبد
وفي الاسلام لقوله صلى الله عليه وسلم لا يقتل المسلم بكافر ودفع بان المراد بالكافر
الحربي بدليل ما روى الطحاوي في مسنده ان النبي صلى الله عليه وسلم قتل مسلما بذمي
وقال انا احق من وفى بذمته وكذا رواه ابو حنيفة وابو داود في مراسيله
وعبد الرزاق والدارقطني ويؤيده ما رواه الشافعي والدارقطني عن علي كرم الله وجهه
من كان له ذمتنا فدمه كدمنا وديته كديتنا واما الحديث الحسن الذي في التاريخ
الاوسط للبخاري وسنن ابي داود من قوله صلى الله عليه وسلم لا يقتل مسلم بكافر
ولا ذو عهد بعهده فمحمول على الكافر الحربي المستأمن جمعا بين الادلة

وان المقابلة

وان المقابلة في الاية الرد على اهل الجاهلية في عدم اعتبار المثلية بالكلية
كما يدل عليه قوله سبحانه والانثى بالانثى فان الاجماع على انه يقتل الذكر بالانثى
والانثى بالذكر واما استدلالهم بقوله تعالى ولكم في القصاص حيوة فردية لا مساواة
في الانفس كما لو قتل عشرة واحدا او قتل صحيح سليم كبيرا ضعيفا ورجل امرأة
مع نقصان عقلها ودينها عن دية الرجل فثبت انه لا اعتبار بالمساواة في ايجاب
القصاص في الانفس وان الكامل يقاد منه للناقص ومن قال بان الحر يقتل بالعبد
سعيد بن المسيب والنخعي والشعبي وقتادة والثوري محتجين بقوله
صلى الله عليه وسلم المسلمون تتكافؤ دماؤهم بل وذهب النخعي والثوري في احد
قوليهما الى ان الحر يقتل بعبده وان كان عبده محتجين بما رواه النسائي من حديث
الحسن عن سمرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل عبده قتلناه ومن جدع عبده
جدعناه ومن خصاه خصيناه قال البخاري وانا اذهب اليه وقال غيره لم يسمع الحسن
من سمرة الا حديث العقيقة وهو مدفوع بان من حفظ حجة على من لم يحفظ
وبان اعتبار الاتصال اولى من اعتبار الانفصال قال بعض العرفاء كما كتب الله سبحانه
القصاص على القتلى كتب على نفسه الرحمة في قتلاه الذين بذلوا الروح لانسانى
عند شهود جلال الصمدانى كما قال من احببته قتلته اي بسيف المجاهدة
او بنور المشاهدة ومن قتلته فانا ديته الحر بالحر والعبد بالعبد
والانثى بالانثى اي من كان متوجها اليه بالكلية كان فيضه به متصلا به بالكلية
ومن كان في رق غيره من المكونات لم يتصل به غاية الاتصال ومن كان ناقصا في دعوى محبته
لم يكن مستحقا لكمال مودته ومن كان الله ديته فله حيوة الدارين والبقاء
برب الثقلين والتارك لدينه يعني به المرتد بعد يقينه وفي رواية لمسلم
التارك للاسلام وهو الظاهر المرام المفارق اي بقلبه واعتقاده او بيده
او لسانه للجماعة اي المعهودين وهم جماعة المسلمين وخرج عن جملتهم وانفرد عن زمرتهم
بالردة التي هي قطع اهل الاسلام ومودتهم فيجب قتله ان لم يتب واستثناء

وهو تأكيد لما قبله اي الذي فارق جماعة المسلمين صح صح

المرتد عن المسلم باعتبار ما كان قبل ردته خصوصا وعلاقة الاسلام مرتبطة بدليل
انه لا يقتل حتى يستتاب ثلاثا وانما يقتل لان فى اقراره على الردة مع اصراره
خللا لنظام عقد الاسلام فوجب قتله حفظا للاحكام واختلف فى المرأة
المرتدة فقال الشافعى واحمد تقتل لقوله صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه
رواه الشيخان وهو عام فى الرجال والمرأة ولان اشارة الحديث المذكور الى ان العلة
تبديل الدين موجودة فى المرأة قال ابو حنيفة لا تقتل لنهيه صلى الله عليه وسلم
عن قتل النساء كما فى الصحيحين وهو خاص فيهن فيقدم على عموم من بدل
دينه فاقتلوه وفى آثار محمد بن الحسن عن ابن عباس اذا هن ارتددن
لا يقتلن ولكن يحبسن ويدعين الى الاسلام ويجبرن عليه ولان العلة
فى قتل الرجل بالردة انه لو اقر على الاصرار للحق بالكفار فكثر سوادهم
وحارب المسلمين فكفت عاديته بالقتل وهذا مفقود فى المرأة فانها
ليست من اهل الحرب والنكاية فلا يخاف منها الاعانة واما قول ابن حجر هذا
منقوض بنحو الاعمى والزمن فمدفوع بانه من النوادر فى هذا الجنس ثم فى الحديث
دليل على انه لا يقتل بالبدعة ونفى الاجماع الخالى عن نقل التواتر كالروافض
والخوارج وكذا تارك الصلوة لا يقتل واما قوله صلى الله عليه وسلم من ترك الصلوة
متعمدا فقد كفر فليس على ظاهره خلافا لاحمد فان الجمهور اولوه بان معناه
قارب الكفر او شابه الكفار او كفر نعمة ربه او جره الى كفر فى آخر عمره او حملوه على مستحله
فى حديث المرتد واما تفسير الشافعى للحديث بانه استحق عقوبة الكفر
فليس ظاهرا فى المراد فانه يحتمل استحقاق عقوبته فى الدنيا او الاخرى مع انه
ليس بقائل بكفره فى المعاصى واما ما ذكر بعضهم الحق المرتد بتارك كل دينه والمفارق
بعض دينه فدخل فى الحديث اهل البغى والخوارج يجب المقاتلة معهم حتى يرجعوا الى الحق
ففيه ان الكلام فى القتل لا فى المقاتلة اما ترى ان الاجماع على عدم جواز
قتل باغ بانفراده او خارجى او رافضى وحده فانه يلزم من جواز المقاتلة

جواز القتل

٦٩

جواز القتل الا ترى ان مانعى الزكوة يقاتلون بخلاف من تركها من غير قتال
فانه لا يقتل فكذا تارك الصلوة فحصلت الموافقة بين هذا الحديث وما سبق من حديث
امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة بان هذا الحديث
مبين لاجمال قوله الا بحق الاسلام فانه محصور فى هذه الثلاث من الاحكام كما جاء
مصرحا مرويا عنه عليه الصلوة والسلام ثم خص من عموم هذا الحديث دفع الصائل
فانه لو لم يمكن دفعه الا بقتله حل اراقة دمه او التقدير لا يحل قتله الا فى الثلاث
وما ابعد من قال ان دخوله فى المفارق للجماعة ولا يخفى ان الارتداد حال الاشقياء
من اهل القهر الالهى والطرد الكلى لا ينفتح لهم باب القلب فيأتيها الالهام ولا باب
السمع والبصر فيدخلهما الفهم والاعتبار فارتدوا عن طريق الحق وصراط
التوحيد واحتجبوا بظلمات الكثرة عن نور التفريد فاستحقوا القتل والالحاد
وحبسوا فى ظلمات النار والبوار فنسأل لطف العزيز الغفار رواه البخارى ومسلم وتقدم
انه رواه الخمسة وقد اخرجه احمد ايضا عن ابى امامة بن سهل قال كنا مع عثمان
وهو محصور فى الدار فقال انهم يتوعدونى بالقتل قلنا يكفيكهم الله يا امير المؤمنين
قال ولم يقتلوننى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى
ثلاث رجل كفر بعد اسلامه او زنى بعد احصانه او قتل نفسا فيقتل بها فوالله
ما احببت بدينى بدلا منذ هدانى الله ولا زنيت فى جاهلية ولا اسلام قط
ولا قتلت نفسا فبم يقتلوننى الحديث الخامس عشر عن ابى هريرة رضى الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
اكتفى بطرفى ما يؤمن به لان المدار عليهما وخص اليوم الآخر بالذكر لان الخير والشر
ورجاء الثواب وخوف العقاب كلها راجعة اليه اما باليوم الآخر فمن لم يعتقد
لم يرتدع عن شر ولم يقدم على خير وتكرير الشرطية فى كل جملة للاهتمام والاعتناء
بكل خصلة مستقلة فليقل بسكون اللام وبكسرها فليقل قوله خيرا او فيه ذكر
خير لما فيه منفعة او ليصمت بضم الميم ذكره المصرى ليسكت ويترك شرا

واو للتنويع والمعنى اذا اراد المؤمن ان يتكلم فان كان ما يتكلم به خيرا يثاب عليه
واجبا كان او مندوبا فليتكلم به وان لم يظهر له خيره سواء ظهر انه حرام او مكروه
او مباح فليمسك عنه فالكلام المباح مأمور بتركه مخافة انجراره الى الحرام
او مكروه او خيفة من غفلة عن حال ذكره ومقام فكره ولذا قال الصديق الاكبر
ليتني كنت اخرس الا عن ذكر الله وفي الخبر ليس يتحسر اهل الجنة الا على ساعة
مرت بهم ولم يذكروا الله فيها وفي حديث آخر من صمت نجا فان علامات الصمت في
صفة الرجال المال في الكلام من الآفات الثقال واختلاف الاحوال من حظ النفس
واظهار الامتياز من بين الاشكال وبه يظهر لمعات الطوارق وتطلع شموس الحقائق
كما ان النطق في موضعه من انفس الخصايل وآنس الشمايل ولذا قال الدقاق
من سكت عن الحق فهو شيطان اخرس وقال غيره الجاهل اذا تكلم فهو كالحمار واذا سكت
فهو كالجدار وفيه اشعار بان سكوته في مقام خير من كلامه اذ لا ضرر في سكوته
مع ظهور الشر في رفع صوته ولقد صدق من قال شعر وحقق تكلم وسدد ما
فانه كلامك حق والسكوت جمال فان لم تجد قولا سديدا تقوله فصمتك عن غير
السديد سداد قال تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا
وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم ان في صحف ابراهيم عليه السلام على العاقل ان يكون بصيرا بزمانه
مقبلا على شأنه حافظا للسانه ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه
وجاء في خبر انك لا تزال سالما ما سكت فاذا تكلمت كتب لك او عليك
وروى احمد والترمذي والنسائي ان احدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله
لم يظن ان تبلغ ما بلغت فيكتب الله بها رضوانه الى يوم القيامة وان احدكم
ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن ان تبلغ ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه الى يوم القيامة
والاحاديث في هذا المعنى كثيرة المبنى وقال الفضيل لا حج ولا رباط ولا جهاد
اشد من حبس اللسان على العباد وقال لقمان لابنه لو كان الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب
ومعناه كما قال ابن المبارك لو كان الكلام بطاعة الله من فضة لكان السكوت

عن معصية

عن معصية الله من ذهب وهو صريح في ان الكف عن المعصية افضل من الطاعة
التي لا يكون تركها معصية وفيه اشارة الى ان الصمت افضل من الكلام لكن
ذهب جماعة من السلف الى تفضيل الكلام ويؤيدهم هذا الحديث حيث قدم الكلام
في معرض المرام وامر بالسكوت عند عدم وجود قول الخير خوفا من وقوعه في الشر
فيفيد ان قول الخير غنيمة والسكوت عن الشر سلامة والايمان مشتق من الامان
ولا امان لمن فاته الغنيمة والسلامة فان الانسان اما ان يتكلم او يسكت فان تكلم
فاما بخير وهو ربح واما بشر فهو خسران وان سكت فاما عن شر وهو ربح واما عن خير
فهو خسر فله في كلامه وسكوته ربحان فينبغي ان يكتسبهما وخسرتان فينبغي
ان يجتنبهما وما احسن ما قال بعض ارباب الحال شعر زيادة المرء في دنياه
نقصان وربحه غير محض الخير خسران وقد قال تعالى ان الانسان لفي خسر الاية
وقد قال عز وجل ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد قال محمد بن الحسن اخبرني
هشام بن عروة عن عكرمة عن ابن عباس قال ان الملائكة لا تكتب الا ما فيه اجر او وزر
وقد روى البيهقي عن عائشة رضي الله عنها قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم نائما قبل العشاء
ولا لاغيا بعدها اما ذاكرا فيغنم واما نائما فيسلم وروي ان داود الطائي قدس سره
وهو من السادات الصوفية
لما اراد ان يقعد في بيته اعتقد ان يحضر مجلس ابي حنيفة رحمه الله
اذ كان تلميذا له ويقعد بين اضرابه من العلماء ولا يتكلم في مسئلة
فلما قوى نفسه على ممارسة هذه الخصلة سنة كاملة قعد في بيته عند ذلك
وآثر العزلة وقال بشر بن الحارث اذا اعجبك الكلام فاصمت واذا اعجبك الصمت فتكلم
ويروى عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال كلم الناس قليلا وكلم ربك كثيرا لعل قلبك يرى الله سبحانه
وقيل ان ابا بكر رضي الله عنه كان يمسك في فيه حجرا كذا سنة ليقل كلامه واما التزام الصمت
واعتقاده قربة مطلقا او في بعض العبادات كالصوم والاعتكاف فمنهي عنه لخبر
خبر ابي داود ولا صمات يوم الى الليل وروى الاسماعيلي النهي عنه في الاعتكاف وروي ايضا
في الصوم ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره بالاحسان اليه

وتحمل ما يصل اليه منه وكف الاذى عنه واما ما وقع في رواية من قوله فلا يؤذ جاره
فمحمول على ادنى الاكرام فقد قال عليه الصلوة والسلام اتدرون ما حق الجار ان استعانك
اعنته وان استقرضك اقرضته وان افتقر جدت عليه وان مرض عدته وان مات
اتبعت جنازته وان اصابه خير هنأته وان اصابته مصيبة عزيته ولا تستطيل عليه
بالبناء فتحجب عنه الريح الا باذنه وان اشتريت فاكهة فاهد له وان لم تفعله
فادخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذه بقتار
قدرك الا ان تغرف له منها اتدرون ما حق الجار والذي نفسي بيده
لا يبلغ حق الجار الا من رحمه الله تعالى ذكره الغزالي في الاربعين وكذا البيهقي
عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده وقد قال تعالى والجار ذي القربى والجار الجنب
فقيل المراد بالاول الزوجة والقريب وبالثاني الاجنبي وقيل الاول المسلم والثاني
الكافر وقيل الاول القريب المسكن منك والثاني ضده لخبر عائشة رضي الله عنها يا رسول الله
ان لي جارين فالى ايهما اهدي قال الى اقربهما منك بابا والجيران ثلاثة
كافر فله حق واحد بالجوار ومسلم فله حقا الجوار والاسلام ومسلم قريب فله
حقوق ثلاثة الجوار والاسلام والقرابة وهذا مضمون حديث له طرق متعددة
بعضها متصلة وبعضها مرسلة وروى الزهري مرسلا ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم
يشكو اليه جارا له فامر صلى الله عليه وسلم بعض اصحابه الا ان اربعين دارا جار وبه
اخذ جمع من السلف وقيل في جار المسجد من سمع الاذان والاقامة فيقدر ذلك
المقدار في الدار وقيل من ساكنك في محلة او بلد فهو جارك وروى مسلم عن ابي ذر
اوصاني خليلي اذا طبخت مرقا فاكثر ماءه ثم انظر الى اهل بيت من جيرانك
فاصبهم منها بمعروف وفي رواية فاكثر ماءه وتعاهد جيرانك وروى البخاري
في الادب كم من جار متعلق بجاره يوم القيامة يقول يا رب هذا اغلق بابه دوني فمنع معروفه
وفي الصحيحين ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه
ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه بالبشر في وجهه وطيب الحديث معه

وتعجيل ما حضر عنده

وتعجيل ما حضر عنده وقيامه بنفسه في خدمته واطعامه ثلاثة ايام بقدر وسعه
ثم موادعته بلطف في تودده واعتذاره في تقصير حقه وروى ابو الليث السمرقندي
والبيهقي ان ابراهيم كان يسمى ابا الضيفان وكان لقصره اربعة ابواب يمشي الميل
والميلين في طلب من يتغدى معه وروى البيهقي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل بم اتخذ الله ابراهيم خليلا قال لاطعامه الطعام
واما خبر الضيافة على اهل المدر وليست على اهل الوبر فقيل موضوع وقيل ضعيف
والجمهور على ان الضيافة مستحبة وذهب احمد والليث بن سعد انها واجبة هذا
وبلسان العارفين كان الحديث يشير الى رعاية السالك حال الاقرب فالاقرب فيبدأ بتكميل نفسه
ويروضها بذكر الحق والسكوت عن غيره لغلبة الروحانية واستيلاء سلطان
الحقيقة الفردانية حتى ينسى اولا نفسه في ذكره ثم ينسى ذكره في ذكره ثم ينسى
كل ذكر في ذكر ربه ثم ينبغي تكميل ما هو اقرب اليه قربا معنويا من الجار الذي في مقام
السلوك وقريب في مقامه والضيف الذي هو السالك في طريق الحق الداخل في الغربة
عن مأوى النفس ولم يصل الى مقام من مقامات اهل الانس فيكرمه ويزكيه
ويونسه بذكر الموطن ويحفظه من التذكار لاولياء الغني ومن ادناس محبة
الدنيا بتحصيل الحيوة الطيبة وهي ان تصير النفس مطمئنة مستعدة لقبول
فيض الروح ويطيب القلب عن دنس الحدث فانيا عن انانيته بكشف جلاله باقيا بشهود
الحق وجماله رواه البخاري ومسلم وفي الجامع الصغير رواه احمد والشيخان
والترمذي وابن ماجه عن ابي شريح وعن ابي هريرة ولفظه من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
فليحسن الى جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله
واليوم الآخر فليقل خيرا او ليسكت انتهى وفي البخاري عن ابي شريح عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن ثلاثا
قالوا وما ذاك يا رسول الله قال الجار لا يأمن جاره بوائقه قالوا وما بوائقه
قال شره وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة مرفوعا لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه

وروى البيهقي عن المقداد بن الأسود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن يزني
الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره ولأن يسرق الرجل من عشرة
بيوت أيسر عليه من أن يسرق من بيت جاره **الحديث السادس عشر عن أبي هريرة
رضي الله عنه أن رجلا** من الصحابة وهو ابن عمر أو جارية بن قدامة
أو سفيان بن عبد الله على ما ذكره الكازروني وغيره أو أبو الدرداء كما ذكره ابن حجر
وقال فقد أخرج الطبراني عنه قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال
لا تغضب ولك الجنة لكن يبعد تعبير أبي هريرة عنه برجل العبادلة اللهم
إلا أن يقال بتعدد السائل أو لشكه في القائل ويؤيده أنه أخرج أحمد عن جارية
ابن قدامة عم الأحنف بن قيس أنه قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت
يا رسول الله قل قولا وأقلل علي لعلي أعقله وأعدت عليه مرارا كل ذلك يقول
لا تغضب لكن نازع في هذا يحيى بن القطان بأنهم يقولون أن جارية هذا
تابعي لا صحابي **قال للنبي صلى الله عليه وسلم أوصني** أي دلني على ما ينفعني
في ديني ودنياي ويقربني إلى الله زلفى وفي بعض طرق الحديث أخبرني ما يبعدني
من غضب الله **قال لا تغضب** أي فيما يتعلق بحظوظ النفس والهوى لا فيما يتعلق
بحقوق المولى **فردد** وزيد في نسخة لفظ ذلك أي كرر الرجل ذلك السؤال
أو كرر ذلك السائل السؤال **مرارا** أي ثلاث مرات وكأنه لم يقتنع بقوله صلى الله عليه وسلم
لا تغضب فطلب وصية أبلغ منها وأنفع له فيها فلم يزده صلى الله عليه وسلم عليها
وفي كل مرة **قال لا تغضب** لعلمه صلى الله عليه وسلم أن اختلال أمره واضطرابه
إنما من استيلاء الغضب عليه فأمره بما هو أولى بالنسبة إليه واختصر على جواب
موجز جامع للمراد فإن جميع المفاسد التي تعرض للإنسان إنما تعرض له من فرط
شهوته واستيلاء غضبه وحدته وضرر ما يقتضيه القوة العصبية
أكثر بالإضافة إلى ما تقتضيه القوة الشهوية فلما سأله الرجل أن يشير إليه
بما يتوسل به إلى التجنب عن الأخلاق الردية نهاه عن الغضب الداعي إلى ما هو

اعظم ضررا واكثر وزرا

أعظم ضررا وأكثر وزرا فإن ارتفاع السبب يوجب ارتفاع المسبب
وفي الحديث اقتباس من قوله تعالى وإذا ما غضبوا هم يغفرون وقوله سبحانه والكاظمين
الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وفي حديث الشيخين
ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب
وذلك لأن الغضب من نزغات الشيطان يخرج به الإنسان عن اعتدال حاله
فيتكلم بالباطل ويفعل المذموم وينوي الأمر الملوم بل يكفر نعوذ بالله من الحور
بعد الكور ويؤيده حديث البيهقي أن الغضب ليفسد الإيمان كما يفسد الصبر
العسل وعلاجه أن يرى الكل من الله ويترك متابعة نفسه وهواه ويذكر
نفسه أن غضب الله أعظم وفضله أتم وكم خالف أمره لديه وهو سبحانه
لم يغضب عليه ويتعوذ ويتوضأ ويصلي ويشغل نفسه بأمر ينفعه في مقام أنسه
وقد ورد أن من كظم غيظا وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا
رواه أبو داود وفي رواية من كظم الغيظ وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله
عز وجل على رؤوس الخلائق يوم القيامة يخيره في أي الحور شاء رواه أحمد وأصحاب
السنن إلا النسائي وأخرج أحمد ما تجرع عبد جرعة أفضل عند الله من جرعة
غيظ يكظمها ابتغاء لوجه الله **رواه البخاري** وفي الجامع الصغير رواه أحمد
والبخاري والترمذي عن أبي هريرة وأحمد أيضا والحاكم في مستدركه عن جارية بن قدامة
وروى الطبراني عن أبي الدرداء ولفظه لا تغضب ولك الجنة وابن أبي الدنيا بلفظ
لا تغضب فإن الغضب مفسدة هذا وفي طريق أخرى أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
أوصني ولا تكثر علي أو قال مرني بأمر وأقلل علي لعلي أعقله قال لا تغضب وفي أخرى
قلت يا رسول الله أوصني قال لا تغضب ففكرت حين قال النبي صلى الله عليه وسلم
ما قال فإذا الغضب يجمع الشر كله ومن ثمة قال جعفر الصادق رض الغضب
مفتاح كل شر وقيل لابن المبارك اجمع لنا حسن الخلق في كلمة قال ترك الغضب
وأخرج محمد بن نصر المروزي أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم من قبل وجهه

فقال يا رسول الله أي العمل أفضل قال حسن الخلق ثم أتاه عن يمينه وقال له
ذلك فقال كذلك ثم عن شماله كذلك ثم عن خلفه فالتفت إليه فقال
ما لك لا تفقه حسن الخلق هو أن لا تغضب إن استطعت وروى أحمد والترمذي
أنه صلى الله عليه وسلم قال في خطبته ألا إن الغضب جمرة تتوقد في قلب
ابن آدم أما ترون إلى انتفاخ أوداجه واحمرار عينيه فمن أحس من ذلك
شيئا فليلزق بالأرض وفي رواية فليجلس ولا يعدو به الغضب
وفي رواية إذا غضب أحدكم فليقعد وإن غضب وهو قاعد فليضطجع
وروى أحمد وأبو داود إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب
وإلا فليضطجع وفي رواية لأحمد إذا غضب أحدكم فليسكت قالها ثلاثا
وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء
فإنما الغضب من النار وإنما انطفاء النار بالماء وفي رواية إن الغضب من الشيطان
وإن الشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإن غضب أحدكم فليتوضأ
وفي رواية أبي نعيم عن معاوية فليغتسل وفي الصحيحين استب رجلان عند النبي
صلى الله عليه وسلم وأحدهما يسب صاحبه مغضبا قد احمر وجهه فقال صلى الله عليه وسلم
إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقالوا للرجل
أما تسمع ما يقول النبي صلى الله عليه وسلم قال إني لست بمجنون قلت قوله هذا
أيضا من الغضب ونظيره ما سأل شيخ كبير طبيبا عن ضعف البصر فقال من أثر الكبر
وهكذا سأله عن ثقل السمع وضعف الظهر وغير ذلك إلى أن غضب الشيخ
فقال أنت مجنون كل هذا من الكبر فقال له هذا أيضا من الكبر وأخرج الطبراني
ثلاث من أخلاق الإيمان من إذا غضب لم يدخله غضبه في باطل ومن إذا رضي لم يخرجه
رضاه من حق ومن إذا قدر لم يتعاط ما ليس له وقالت عائشة رضي الله عنها
كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويسخط لسخطه وأما ما نقل عن الفضيل
ثلاثة لا يلومون على غضب الصائم والمريض والمسافر فمحمول على من كان سبب غضبه

مباحا كالسفر وطاعة كالصوم لا يلائم على ما صدر عليه من حدة كلامه لتشوش
حاله ومرامه والله أعلم وكان الشعبي مولعا بهذا البيت شعر ليست الأحلام في حين
الرضى إنما الأحلام في حين الغضب وعن عبد الرزاق قال سكبت جارية لعلي
ابن الحسين الماء يتهيأ للصلوة فسقط الإبريق من يد الجارية على وجهه
فشجه فرفع وجهه إليها فقالت الجارية إن الله عز وجل يقول والكاظمين الغيظ
فقال كظمت غيظي قالت والعافين عن الناس فقال قد عفا الله عنك قالت
والله يحب المحسنين قال اذهبي فأنت حرة وعن سهل بن عبد الله قال
لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يكون لعبا كالأرض إذا هم عليها ومنافعهم
إليها وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه
برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجذبه من خلفه جذبة
حتى رأيت صفحة عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت بها حاشية
البردة من شدة جذبه فقال يا محمد أعطني من مال الله الذي عندك
فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء رواه مسلم وفي بعض الكتب المنزلة
يقول الله تعالى يا ابن آدم اذكرني إذا غضبت أذكرك إذا غضبت قال الطحاوي
يغضب ويرضى لا كأحد من الورى وقال غيره الغضب فوران دم القلب
أو عرض يتبعه ذلك لدفع المؤذيات قبل وقوعها والانتقام بعد حصولها
فإطلاقه على الله مجاز أي يفعل بهم ما يفعل الملك إذا غضب على من تحت يده
من الانتقام وإنزال العقوبة هذا وقد قال بعض العارفين التحقيق أن الناس
في الغضب على ضربين مغلوب الطبع الحيواني فلا يمكن دفعه وهو الغالب في الناس
والثاني غالب الطبع بالرياضة فيمكن منعه ولولا هذا لكان قوله صلى الله عليه وسلم
لا تغضب تكليفا بما لا يطاق ثم أقوى الأشياء في منع الغضب التوحيد الحقيقي
وهو اعتقاد أن لا فاعل في الوجود إلا الله وأن الخلق آلات لفعله
فإذا توجه إليه مكروه من جهة غيره يرى أن فاعله هو الله لا غيره وأن ذلك الغير

آلة للفصل كالسيف للضارب ونحوه وحديث لا ينفع عنه الغضب لانه لو غضب والحالة هذه لكان غضبه اما على الخالق وهو جرأة منافية للعبودية او على المخلوق وهو اشراك ينافي توحيد الربوبية ولذا جاء في حديث انس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لشيء فعلته لم فعلت ولا لشيء لم افعله لم لا تفعله ولكن يقول قدر الله وما شاء فعل ولو قدر لكان وما ذلك الا لكمال معرفته صلى الله عليه وسلم بان لا فاعل ولا معطي ولا مانع الا الله عز وجل فعلى هذا الفاني في الوجود عند نظر ارباب الشهود هو الله الموجود المعبود المقصود وله الا كبرى وصغرى ووسطى فالكبرى ما له قصد واختيار كالانسان الضارب بالعصا والصغرى ما لا قصد له ولا اختيار كالعصا المضروب بها والوسطى ما له قصد ولا اختيار له كالدابة فيحمل معنى الحديث لا تظهر اثر الغضب الا فيما يوافق غضب الرب **الحديث السابع عشر**

عن ابي يعلى بفتح الياء واللام مضارع علي بفتح فكسر **شداد** بفتح فتشديد **ابن اوس** بفتح فسكون **رضي الله عنه** انصاري خزرجي ابن اخي حسان قال عبادة بن الصامت وابو الدرداء كان شداد ممن اوتي العلم والحلم سكن بيت المقدس واعقب بها وتوفي فيها سنة ثمان وخمسين عن خمس وسبعين سنة قال المص في التهذيب وقبره بظاهر باب الرحمة باق الى الآن انتهى وقيل مات بفلسطين روى له خمسون حديثا وكان اذا اخذ مضجعه يتقلب كالحبة على المقلى يقول اللهم ان النار منعتني النوم ثم يقوم فلا يزال يصلي الى الصباح

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله كتب الاحسان اي فرضه وقدره او اثبته او امر به **على كل شيء** اي الى كل شيء كقوله تعالى ولتكبروا الله على ما هداكم اي لما هداكم او في كل شيء كقوله تعالى واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان اي في ملكه او الحكم كل شيء كذا قيل ولعله مبني على ان الحرف يقوم بعضها مقام بعض ولا يبعد ان يكون على مبناه ومعناه ان الله اوجب على كل شيء ينبغي للفاعل

ان يقوم به ويفعل

ان يقوم به ويفعل معه يعني انه قدر وبين على لسان نبيه النبيه **فاذا قتلتم** اي اذا قصدتم قتل من جوز قتله شرعا من قصاص ونحوه **فاحسنوا القتلة** بكسر القاف هو الرواية وهي هيئة القتل والاحسان فيها اسهل الطريق ايلاما واقلها تعذيبا وايلاما وفيه رد على ما كان عليه الجاهلية من المثلة بقطع الاعضاء وتعذيب الاجزاء **واذا ذبحتم** اي واذا اردتم ذبح ما يحل ذبحه **فاحسنوا الذبحة** بكسر الذال وهي هيئة الذبح وروي الذبح ذكره الكازروني قيل وهو الذي في اكثر نسخ صحيح مسلم وهو المصدر لا غير لكن قال المص القتلة والذبحة بكسرهما هيئة الذبح وهو مختص بالحيوان واحسان الذبح بالبهيمة هو الرفق بها بان لا يصرعها بعنف ولا يجرها من موضع الى اخر بالشدة في جرها واحضار نية الاباحة او القربة وتوجيهها الى القبلة والتسمية وقطع ودجيها اي عروق رقبتها واحداد آلة ذبحها لقوله **وليحد احدكم شفرته** بسكون اللام ويكسر وبضم الياء وكسر الحاء وتشديد الدال المفتوحة ويجوز كسرها لغة والمعنى ليحددها والشفرة بفتح اوله السكين العريض والمراد به السكين ونحوه مما يذبح به **وليرح ذبيحته** بسكون اللام ويكسر وبضم الياء وكسر الراء وجزم الحاء من الاراحة وهي جلب الراحة للشيء الى حصولها له والمعنى ليوصل الراحة اليها بان يتركها على حالها حتى تستريح عن اضطرابها عند ذبحها والذبيحة بمعنى المذبوحة فعيلة بمعنى المفعولة كأنه قال دابته الذبيحة او يكون من باب الاسمية على الوصفية هذا وينبغي ان يسقيها عند ذبحها وان يواري احداد الشفرة عنها لا مره صلى الله عليه وسلم بذلك على ما رواه احمد وابن ماجه ولا يذبح اخرى قبالتها ثم يمر السكين بسرعة عليها ثم يمهلها حتى تبرد ثم يسلخها فقد روى الحاكم والطبراني انه صلى الله عليه وسلم مر برجل واضع رجله على صفحة شاة وهو يحد شفرته وهي تلحظ اليه ببصرها فقال افلا قبل هذا اتريد ان تميتها موتات وروى ابن ماجه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر برجل وهو يجر شاة باذنها

فقال له دع اذنها وخذ بسالفتها اي مقدم عنقها واخرج عبد الرزاق
ان شاة انفلتت من جزار حتى جاءت للنبي صلى الله عليه وسلم فاتبعها
فاخذ يسحبها برجلها فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم اصبري لامر الله
وانت يا جزار فسقها الى الموت سوقا رفيقا واخرج احمد انه قال رجل
يا رسول الله اني لاذبح الشاة وانا ارحمها فقال ان رحمتها رحمك الله
رواه مسلم وكذا احمد والاربعة قال العلماء وهذا الحديث متضمن لجميع
قواعد الاسلام لان الاحسان في الفعل ايقاعه على مقتضى الشرع او العقل
والافعال التي تصدر عن الشخص اما ان تتعلق بمعاشه ومعاده والاول
اما سياسة نفسه وملكه واهله واخوته واولاده او باقي الخلق والثاني
اما الايمان وهو عمل القلب والاسلام وهو عمل البدن فاذا احسن الانسان في هذا
كله واتى به على مقتضى دينه فقد ادى ما عليه من انواع التعظيم لامر الله
والشفقة على خلق الله فرضا وندبا شرعا وعرفا فقوله ان الله كتب الاحسان
معناه انه اوجب وقدر الاحسان على الانسان في كل شيء يتعلق بمعاده باتيان
بالتكليف على وجه المشروع وبمعاشه باصلاح امور نفسه وبايصال
النفع الى اخوته علميا وماليا ودفع الضر عنهم اما في الدنيا بان لا يشتغل
مقابلة الاساءة باخرى واما في العقبى بان يبرئ ذمته عن التبعات
المقتضية للعقوبات والاحسان يطلق على الانعام وعلى الاتقان والاحكام
وفي كلام بعض العرفاء الكرام ان الاحسان اسم جامع لجميع ابواب الحقايق
وهو اما احسان في القصد وهو اصلاحه على مقتضى العلم وابرامه عزما
بان ياخذ من العمل جدا وتصفيته حالا بان لا يلاحظ نفسه ابدا
وفي الاحوال بان يراعي حفظها بالحضور ويسترها عن الناس بالستور
ويجتهد في تحقيق الامور او في الوقت بان لا يفارق المشاهدة ابدا
ولا يلاحظ بهمته احدا ويجعل هجرته الى الحق سرا اسرها ولقد افاد

من جاد بقوله

من جاد بقوله شعر احسن فحسبك ان تسمى محسنا ما احسن الاحسان
ممن احسن واغنم من الذكر الجميل اجله فاجل ما كسب الفتى حسن الثناء وقد قال تعالى
ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان الله يحب المحسنين وان رحمة الله قريب
من المحسنين وهل جزاء الاحسان الا الاحسان واحسن انواع الاحسان
واكمل مقاماته افراد الانسان ما في حديث جبريل الاحسان ان تعبد الله كانك تراه
وهذا في الدنيا واما في العقبى فهو ان ترى الله وتغيب عما سواه وتفنى ثم تبقى ببقائه
الحديث الثامن عشر عن ابي ذر جندب بضم الجيم وضم الدال وفتحها ذكره المصنف
وقال ابن حجر بتثليث الدال ففيه جواز كسرها مع ضم اولها وهو مخالف لما في كتب اللغة
وضبط الاسماء ولانحصاره على وزن معرفة في الصرف نعم جندب كدرهم
لغة في جندب جراد معروف واسم علم ما في القاموس ابن جنادة بضم الجيم قاله المؤلف
وابي عبد الرحمن معاذ بن جبل بضم الميم رضي الله عنهما اي عن ابي ذر ومعاذ
ثم ابو ذر غفاري روي عنه انه قال انا رابع الاسلام اسلم ورجع الى قومه
ثم هاجر الى المدينة وورد بروايات متعددة انه اصدق الناس لهجة وهو احد
النجباء من اصحابه صلى الله عليه وسلم وزهادهم وكان يرى ان من اوكى على صفراء او بيضاء
كوي بها يوم القيامة وقال علي في حقه ملئ علما واوكي عليه فلم يخرج منه شيء حتى قبض
روي له مائتا حديث واحد وثمانون حديثا مات بالربذة سنة ثلاثين وصلى عليه ابن مسعود
ومات بعد عشرة بالمدينة ومعاذ انصاري اسلم وعمره ثماني عشرة سنة شهد بدرا والعقبة
والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم روي له مائة حديث وسبعة وخمسون وورد
انه صلى الله عليه وسلم قال اعلم امتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل وانه قال له يا معاذ
اني لاحبك فقال وانا احبك والله يا رسول الله قال لا تدع ان تقول في دبر كل صلوة اللهم لاحبك نسخه
اعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك وانه قال ياتي معاذ يوم القيامة بين يدي العلماء
برتوة اي رمية سهم او خطوة او درجة وقال مالك بلغني ان ابن مسعود قال ان معاذا
كان امة قانتا لله فقيل يا ابا عبد الرحمن انما ذكر الله بهذا ابراهيم ع م فقال ابن مسعود

ان الامة الذي يعلم الناس الخير وان القانت هو المطيع وفي رواية قال انا كنا نشبه
معاذا بابراهيم عم ممن جمع القران في حيوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال
صلى الله عليه وسلم استقروا القران من اربع عبد الله بن مسعود وسالم مولى ابي حذيفة
وابي ومعاذ ومات بناحية الاردن في طاعون عمواس وهو بفتح اوله قرية بين
الرملة والقدس نسب اليها لانه اول ما ظهر منها سنة ثماني عشرة وهو ابن
ثلاث وثلاثين سنة وقبره متوز بيسان شرقيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اي لكل منهما او لواحد وسمعها او لغيرهما وهما يسمعا اتق الله وهو امر وجوب
لان المراد به الخوف والخشية واكتساب الاوامر واجتناب الزواجر والتقوى لغة حفظ
النفس عما يوذيه كانها جعلت في وقاية وشرعا صيانة النفس عن المحظورات
واختلف في الصغاير والتحقيق ان للتقوى مراتب من ترك المحظور والمكروه والمباح
وما لا يعني والغفلة عن الذكر والشكر والتبري عما سوى الله ولذا قال تعالى ان اكرمكم عند الله
اتقاكم وكلها كما ورد في تفسير قوله تعالى يايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته بان يطاع
فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر اخرجه الحاكم وهو عام حيث ما كنت يستعمل للمكان حيث
والزمان والمعنى اتق الله مخافة الحق حيث يراك اولا يرونك اكتفاء بنظره تعالى كما يشير اليه
قوله عز وجل واتقوا الله ان الله كان عليكم رقيبا وكما ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لابي ذر
اوصيك بتقوى الله في سرايرك وعلانيته والمعنى اتق الله في الخلاء والملا وفي حالي
النعماء والباساء فان الله عالم بسرايرك كما انه مطلع بظواهرك فعليك برعاية دقايق
الادب في حفظ اوامره ومراضيه والاحتراز عن مساخطه ومناهيه والتقوى هي الكلمة
الجامعة لاسم النسا والاحقه تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله
فالتقوى منازل الدين وبه يرتقى الى مراتب اليقين واتبع السيئة الحسنة بفتح الهمزة
وسكون التاء وكسر الباء امر من الاتباع والمعنى باشر الحسنات عقيب السيئات وهو ايضا
للوجوب على ما قيل من ان المراد بالحسنة التوبة بقرينة قوله تمحها فان سائر
الحسنات لم تكفر جميع السيئات والمعنى تمح الحسنة تلك السيئة اي يمح الله بها اثارها من القلب

او من ديوان الحفظة ويثبت مكانها الطاعة كما قال تعالى الا من تاب وامن وعمل صالحا
فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقيل الاولى حمل الحسنة على العموم والمعنى اذا ابتليت
بسيئة فافعل بعدها حسنة تمح اثار السيئة كما قال تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات
وكما ثبت في الاحاديث الصحيحة من تعميم المكفرات وفيه بحث اذ سبب نزول الاية
كما في الصحيحين عن ابن مسعود ان رجلا اصاب من امراة قبلة ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فذكر ذلك له فسكت النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزلت هذه الاية فدعاه فقراها
عليه فقال رجل هذه له خاصة فقال بل للناس عامة فالحسنة محمولة على التوبة اذ جاءه
تائبا وليس في الحديث ما يدل على انه صدر منه حسنة اخرى ولو فرض وقوع طاعة
كصلوة ونحوها فما بقي بالغرض عموم السيئات ليشمل الكبائر وحقوق العباد وايضا
لو اخذ بعموم حكمهما الترتب عليه الفساد من عدم خوف في المعاصي ويؤيد ما قررنا
ان في طريق من طرق وصايا معاذ لما بعثه الى اليمن واذا احدثت فاحدث عندها توبة
ان سرا فسرا وان علانية فعلانية وقد اجمع العلماء على ما قاله ابن عبد البر
ان الاعمال الصالحة لا تكفر غير الصغاير نعم قد يخفف الكبائر على ما صرح به النووي
واما الكبائر فلا بد لها من التوبة لاجماعهم على انها فرض ويلزم من تكفير الكبائر
بنحو وضوء وصلاة بطلان فرضية التوبة وهي فرض عين على الخاصة والعامة
قال تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايه المومنون لعلكم تفلحون وفي الصحيحين الصلوات
الخمسة والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر
فحكى ابن عطية عن جمهور اهل السنة في معناه ان اجتناب الكبائر شرط لتكفيرهن
الفرايض للصغاير فان لم يجتنب لم تكفر شيا بالكلية وهو ظاهر اية ان تجتنبوا
كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم اي بحسناتكم على قواعد اهل السنة
لا بمجرد اجتناب كبائركم كما قالت المعتزلة وقال بعض اهل السنة ان الحسنة تكفر الصغيرة
ما لم يصر عليها سواء فعل الكبيرة ام لا والقول الاصح بان التوبة من الصغيرة
واجبة ايضا ولو لم يات بكبيرة لجواز تعذيب الله سبحانه بها خلافا للمعتزلة

وقيل الواجب الإتيان بالتوبة أو بمكفرها من الحسنة وهذا أجمع مستحسن في التحقيق
والله ولي التوفيق وأما اتباع الحسنة بالسيئة فإن كانت ردة فتحبطها وإلا فلا
على مذهب أهل السنة خلافا للمعتزلة ثم لما أوصاه بحقوق الله وما يتعلق
بإصلاح نفسه ذكر ما يتعلق بحقوق العباد من غيره فقال **وخالق الناس بخلق حسن**
بضم الخاء واللام ويسكن أي وخالطهم مخالطة جميلة وعاشرهم معاشرة سديدة
وهو بسط المحيا وبذل الندى أي العطاء وكف الأذى وحمل جاهل الناس بما تحب
أن يجاملوك به وعاملهم بما يعجبك أن يعاملوك به وفي وصية بعض الحكماء
عليك بالخلق مع الخلق وبالصدق مع الحق ثم الخلق وإن كان في الأصل سجية
لما ورد مرفوعا أن الله قسم بينكم أرزاقكم إلا أن الإنسان قابليته ممكنة
أن يتخلق بالأخلاق الحسنة المرضية إذا تعلق به العناية الربانية
وتدل عليه الأدعية النبوية اللهم فكما حسّنت خَلقي فحسّن خُلقي اللهم
اهدني لصالح الأخلاق لا يهدي لصالحها إلا أنت واصرف عني سيئها
لا يصرف عني سيئها إلا أنت فهو جبلي باعتبار أصله اكتسابي بالنظر إلى محله
وأما ما ورد عن ابن مسعود رفعه فرغ ربك من أربعة الخلق والعمل والرزق والأجل
كذا ذكره ابن حجر ولعله تصحف عليه فتح الخاء بالضم وإلا فهو يوافق قوله تعالى
الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم الآية **رواه الترمذي** أي في جامعه
وقد سبق بعض مناقبه وله تواليف في التاريخ والعلل وفي الشمائل وقد شارك
البخاري ومسلما في كثير من مشايخهما وروى عن أتباع الأتباع وكتب عنه إمام الصنعة
محمد بن إسمعيل البخاري وحسبه بذلك فخرا **وقال حديث حسن** وإنما قال صلى الله عليه وسلم
لأبي ذر لما جاء إليه وهو مختف بمكة فأسلم وأراد المقام معه صلى الله عليه وسلم
فعلم صلى الله عليه وسلم أنه لا يقدر معه على المقام فأمره أن يلحق بقومه عسى أن ينفعهم الله
وقال اتق الله حيث كنت الحديث ولمعاذ لما بعثه إلى اليمن معلما لهم وقاضيا فيهم وقد امتثل
رضي الله عنه هذه الوصية ومن ثمة لما بعثه عمر رضي الله عنه على عمل قدم منه وليس معه شيء

أي الوجه

أخلاقكم كما قسم بينكم صح

فعاتبته امرأته

فعاتبته امرأته فقال لها كان معي ضاغط أي ضابط يضيق علي ويمنعني من أخذ شيء
لدي وأراد به الله عز وجل وظنت امرأته أن عمر رضي الله عنه بعث معه رقيبا فقامت
تشكوه إلى الناس **وفي بعض النسخ** أي نسخ الجامع **حسن صحيح** وقد سبق وجه
الجمع بينهما وفي شرح الكازروني حسن من حديث معاذ وصحيح من حديث أبي ذر
وأما قول ابن حجر تحسينه لهذا الحديث مقدم على ترجيح الدارقطني إرساله للقاعدة المقررة
أن المسند لزيادة علمه مقدم على المرسل ففيه بحث لأن الدارقطني يقدم سند
إرسال الحديث على إسناد الاتصال وهو لا ينافي كونه حسنا لغيره وأما قوله ويؤيد
تحسين الترمذي أن لهذا الحديث طرقا متعددة عند أحمد والبزار والطبراني
والحاكم وابن عبد البر يفيد مجموعها حسنه ففيه نظر ظاهر إذ لم يقل به أحد بتضعيفه
حتى يفيد تعدد الطرق تحسينه بل تعدد الطرق الحسنة تفيد تصحيحه فيكون الحديث
حسنا لذاته صحيحا لغيره ويؤيده أن الحاكم قال صحيح على شرط الشيخين وإن قيل إنه
وهم منه لأن ميمون أحد رواته لم يخرج له البخاري شيئا ولم يصح سماعه من أحد من الصحابة
فلم يوجد فيه شرط البخاري كذا ذكره ابن حجر وفيه أن عدم إخراج البخاري له لا ينفي كونه على شرطه
وكذا عدم سماعه من الصحابة لا ينفي أنه غير صحيح بل يكون منقطعا وهو مختلف في ضعفه
على أن شرط السماع إنما هو معتبر عند البخاري دون مسلم لأنه يكتفي باحتمال السماع عند إمكان
الاجتماع فهو صحيح على شرط مسلم بل وشرط البخاري ذلك من غاية الاحتياط وإلا
فالجمهور على خلافه في اعتبار صحة الحديث هذا وقد قال سهل لا معين إلا الله ولا دليل
إلا رسول الله ولا زاد إلا تقوى الله وقال الكتاني قسمت الدنيا على البلوى وقسمت الجنة
على التقوى وقال النصرآبادي من لزم التقوى اشتاق إلى مفارقة الدنيا قال تعالى
وللدار الآخرة خير للذين يتقون وقيل من تحقق في التقوى هون الله على قلبه
الإعراض عن الدنيا وقيل التقوى على وجوه للعامة تقوى الشرك وللخواص تقوى
المعاصي وللأولياء تقوى التوسل بالأفعال وللأنبياء تقواهم منه إليه وأما الخلق الحسن
فقد روى الحسن عن الحسن عن أبي الحسن عن سبط الحسن أن من أحسن الحسن الخلق الحسن

من غير النزاع صح

وفي حديث انكم لن تسعوا الناس باموالكم وانما تسعونهم ببسط الوجه وحسن الخلق وقيل لذي النون المصري قدس سره من اكثر الناس هما فقال اسوأهم خلقا وقال وهب ما تخلق عبد اربعين صباحا الا جعل الله ذلك طبيعة فيه ثم التحقيق كما ذكره بعض اهل التوفيق انه قد لاح عند ارباب العرفان بطوالع الوحي ولوامع الوجدان ان الانسان جوهر لطيف نوراني من عالم الامر رباني شبيه بالجواهر القدسية الملكوتية وله قوتان يحظى بكمالهما ويشقى باختلالهما فهما قوة عاقلة تدرك حقايق الموجودات باجناسها وانواعها وينتقل منها الى معرفة من استقل بابداعها وقوة عاملة تدرك النافع نافعا فتميل اليها والضار ضارا فتفر عنها وذلك امور معاشية تتعلق بحفظ النوع وكمال النظام وملكات فاضلة واحوال باطنة هي الخلق الحسن وهو اما تزكية النفس عن الرذائل واصولها عشرة شره الكلام والطعام والغضب والحسد والبخل وحب المال والجاه والكبر والعجب والرياء واما تحليتها بالفضائل وامهاتها عشرة التوبة والخوف وذكر الموت والزهد والصبر والشكر والاخلاص والتوكل والمحبة والرضاء بالقضاء ثم الخلق ملكة تصدر بها الافعال عن النفس بسهولة من غير سبق روية وتنقسم الى فضيلة هي الوسط ورذيلة وهي الاطراف وهذا جار في الاعتقادات يكون تو تنزيه بين تعطيل وتشبيه وبين جبر وقدر وفي الافعال يكون كرما بين اسراف وتقتير وفي الاخلاق يكون شجاعة بين تهور وجبن وفي الاحوال يكون بائنا كائنا بين محو وصحو فان خير الامور الوسط وحب التناهي من الغلط وبما ذكرنا تبين لك ان السالك المتقي لا بد له من علم وعمل وتصحيح نية وتحسين طوية وحسن الخاتمة فالتقوى باعتبار مبناها وجيزة ومن جهة معناها عزيزة ومجملها ان الله لا يراك حيث نهاك وقيل يستدل على تقوى الرجل بثلاث بحسن التوكل فيما لم ينل وبحسن الرضاء فيما قد نال وبحسن الصبر على ما فات وروي ان ابا حنيفة ما جلس في الحر في ظل غريمه ويقول في الخبر كل قرض جر منفعة فهو ربوا وذكر الفرغاني ان الجنيد قدس سره كان جامعا لرويم والحريري وابن عطاء فقال الجنيد ما نجا من نجا الا بصدق اللجا

قال تعالى وعلى

قال تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى ضاقت عليهم الارض بما رحبت وقال رويم ما نجا من نجا الا بصدق التقى قال تعالى وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم وقال الحريري ما نجا من نجا الا بمراعاة الوفا قال تعالى الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق وقال ابن عطاء ما نجا من نجا الا بتحقيق الحيا قال تعالى الم يعلم بان الله يرى وقال الاستاذ ابو القاسم القشيري ما نجا من نجا الا بالرضاء بالقضاء قال تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى قلت جميعها مندرجة تحت التقوى ففي الحديث كل الصيد في جوف الفرا وعن جابر قال قال موسى عم يا رب امهلت فرعون اربعمائة سنة فاوحى الله اليه انه كان حسن الخلق سهل الحجاب فاحببت ان اكافيه ومن شعر ابي الدرداء

شعر يريد المرء ان يعطى مراده ويابى الله الا ما اراد يقول المرء فائدتي ومالي وتقوى الله افضل ما استفاد

الحديث التاسع عشر عن ابي العباس حبر الامة وبحر الحكمة ترجمان القران وابو الخلفاء **عبد الله بن عباس** عم النبي صلى الله عليه وسلم **رضي الله عنهما** ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال في حقه اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل اللهم علمه الحكمة وتاويل القران اللهم بارك فيه وانشر منه واجعله من عبادك الصالحين اللهم زده علما وفقها وقال مسروق ادركت خمسمائة من الصحابة اذا خالفوا ابن عباس لم يزل يقررهم حتى يرجعوا الى ما قال وقال كنت اذا رايته قلت احسن الناس واذا تكلم قلت افصح الناس واذا حدث قلت اعلم الناس روي له الف حديث وستمائة وستون مات بالطائف ودفن بها سنة ثمان وستين في خلافة ابن الزبير وصلى عليه محمد بن الحنفية وقال مات رباني هذه الامة وقد استاذنه صلى الله عليه وسلم وهو على يمينه حين شرب فقال له اتاذن لي ان اعطي الاشياخ اي ابا بكر وعمر رضي الله عنهما وغيرهما فقال والله لا اوثر بنصيبي منك احدا فوضع القدح في يده وقد عمي في آخر عمره وفي ذلك يقول ان ياخذ الله من عيني نورهما ففي فؤادي وقلبي منهما نور قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل وفي فمي صارم كالسيف ماثور **قال كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوما**

اي خلف دابته كما في رواية ذكرها الواحدي في وسيطه عن ابن عباس رضي الله عنه
انه اهدى كسرى الى النبي صلى الله عليه وسلم بغلة فركبها بحبل من شعر ثم اردفني
خلفه وسار بي مليا ثم التفت **فقال يا غلام** بضم الميم لانه نكرة مقصودة
ويجوز كسرها بنية الاضافة وهو ابلغ في النسبة وفي رواية يا غليم وهو تصغير شفقة
او لكونه صغيرا اقل من عشرة **اني اعلمك كلمات** اي ينفعك الله بهن كما في رواية لمسلم
اي بتعلمهن وعملهن وتعليمهن والمعنى اعلمك فصولا مفيدة في دفع اللاواء
وجلب الآلاء وفائدة هذا التمهيد ان يتنبه المخاطب السعيد ويسترعي بها
سمعه السديد ليفهم ما يلقيه اليه ويتمكن في نفسه فضل تمكن لديه
ثم ايراد الكلمات بجمع القلة للايماء بانها قليلة المباني جزيلة المعاني يسهل حفظها
ويتيسر ضبطها **احفظ الله** اي امره ونهيه بامتثال الاوامر واجتناب زواجره
والرضاء بما قدره وقضاه وعدم الالتفات الى ما سواه والحفظ مراسم طاعته
ولوازم عباداته **يحفظك** اي يحرسك من مكاره الدنيا ومشاق العقبى
ويحتمل معناه احفظ الله فلا يراك حيث نهاك يحفظك في دينك ودنياك
احفظ الله اي في امتثال حكم شريعته وحسن الخلق مع خليقته فان المدار على التعظيم
لامر الله والشفقة على خلق الله **تجده تجاهك** بضم التاء اي حذاءك
وتلقاءك بنصره اياك واصل تجاه وجاه والتاء بدل من الواو وفي المص
تجاهك بضم التاء وفتح الهاء اي امامك كما في الرواية الاخرى ثم المعنى تجده عنايته
وراقبه قريبا منك يراعيك في جميع الحالات وينقذك من انواع العسرات
ويسعدك باصناف البركات وهذه استعارة تمثيلية شبه حاله في معاونة الله
اياه وملاقاة حالاته وسرعة نجاح حاجاته بحال من جلس امامك يحفظك
ويراعيك في مقامك وهو تلميح الى قوله سبحانه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد
وقد اشار بعض العارفين الى انه لا ذرة من ذرات العالم الا ونور الانوار محيط بها
قاهر عليها اقرب من وجودها اليها لا بمجرد العلم فقط ولا بمعنى الايجاد والامداد

بل بمعنى آخر

بل بمعنى آخر لا يجوز كشفه لعموم العباد **شعر** رمزت اليه حذار الرقيب
وكتمت سر الحبيب حبيب اذا ما تلاشيت في نوره يقول لي ادع فاني قريب
وقال بعضهم لفرط قربه بك لا تراه ولغاية بعدك عنه ترى شيئا سواه
وهذا تمام لمن يطلب معرفة مولاه ولا يصح الطلب الا لمن خالف هواه وخص الامام
اشعارا بشرف المقصد والمرام وبان السالك كالمسافر الى العقبى متحول عن الدنيا
مقبل بكليته على المولى فكان المعنى تجده حيثما توجهت من امر الدين او الدنيا
المعينة على تحقيق امر اليقين والمعنى اجعله بمرأى منك تجده قائدك الى ما
اذا سألت اي اذا اردت سؤال شيء **فاسأل الله** ولا تلتفت الى ما عداه
فانه المعطي والمانع والضار والنافع وخزائن العطايا عنده ومفاتيح المزايا بيده
فينبغي ان لا يرجى الا نعمته ولا يخشى الا نقمته ويلتجى في عظائم المهام اليه
ويعتمد في جمهور الامام عليه وقد قال تعالى واسألوا الله من فضله وفي الحديث
من لم يسأل الله يغضب عليه اذ السؤال اظهار شعائر الانكسار والاقرار بسمة العجز
والافتقار والافلاس عن ذروة القوة والطاقة الى حضيض الاستكانة
والفاقة وفي الخبر ليسأل احدكم ربه حاجته كلها حتى شسع نعله اذا انقطع
وقد قال تعالى لموسى عم سلني يا موسى في دعائك حتى ملح عجينك
واخرج المحاملي وغيره قال تعالى من الذي دعاني فلم اجبه وسألني فلم اعطه
واستغفرني فلم اغفر له وانا ارحم الراحمين **واذا استعنت** اي اردت طلب
المعونة في تحمل المؤنة المتعلقة بامر الدنيا والاخرة **فاستعن بالله** اذ لا معين
سواه ولا فاتح ولا مانح الا اياه وكل معين لا يعين الا بالقاء ربه الاعانة
في قلبه فلا بد من قطع الواسطة في مقام قربه كما يشير اليه قوله تعالى اياك نعبد
واياك نستعين ولانه لا حول عن معصية الله الا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله الا باعانة الله
ومن ثمة كانت لا حول ولا قوة الا بالله كنزا من كنوز الجنة على ما ورد به الحديث
وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز لا تستعن بغير الله يكلك الله اليه

وقيل المعنى اذا سألت غير الله فسأل الله ان يوفقهما اياه واذا استعنت بما سواه
فاستعن بالله ليعينك بخلق الداعية والشفقة في قلبه ان قدره وقضاه
واعلم حيث على التوجه التام نحو الخير الذي هو المقصود والمرام ان الامة
المراد بها هاهنا سائر البرية لو اجتمعت على ان ينفعوك بشيء لفظة لو
بمعنى ان اذ المعنى على الاستقبال كما لو تركوا من خلفهم ونكتة العدول هي
ان اجتماعهم على الامداد من المستحيلات بخلاف الاتفاق على الايذاء فانه
من الممكنات ولذا قيل الظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعله لا يظلم
لم ينفعوك اي بشيء من الاشياء الا بشيء قد كتبه الله لك وان اجتمعوا
على ان يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك
اي قدره واثبته في الذكر وفرغ منه والمعنى وحد الله في الطلب
والرفع وحقق ان الضر والنفع قال تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له
الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله رفعت بصيغة المجهول
الاقلام اي وثبتت الاحكام لما في جامع الترمذي ان اول ما خلق الله
القلم فقال اكتب قال ما اكتب قال اكتب القدر ما كان وما يكون وفي رواية
لابي داود والترمذي اول ما خلق الله القلم ثم قال اكتب في تلك الساعة
ما هو كائن الى يوم القيامة وجفت بالجيم المفتوحة وتشديد الفاء
اي يبست الصحف اي كتابة ما ذبر في اللوح وفرغ منها على وفق
ما قدره وهو كناية عن جريان القلم بالمقادير وعدم امكان شيء من التغيير
لا يقال هذا ينافي قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت لانا نقول المحو والاثبات
مما جفت به الصحف ايضا لان القضاء قسمان مبرم ومعلق ونقول ما في اللوح
قابل للمحو والاثبات على نهج الصواب بخلاف ما في علمه سبحانه واليه الاشارة بقوله
وعنده ام الكتاب رواه الترمذي وقال اي هذا كما في نسخة حديث حسن صحيح
وقد روى مسلم ان الله كتب مقادير الخلق قبل ان يخلق السماء والارض بخمسين

الف سنة

الف سنة وروي ايضا قيل يا رسول الله فيما العمل اليوم افيما جفت به الاقلام
وجرت به المقادير ام فيما يستقبل قال بل فيما جفت به الاقلام وجرت به
المقادير قيل ففيم العمل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وقد روى جماعة غير الترمذي
من عدة طرق عن ابن عباس وجاء انه صلى الله عليه وسلم وصاه بذلك عن علي وابي سعيد
وسهل بن سعد وعبد الله بن جعفر لكن قال ابن منده وغيره اصح الطرق كلها
الطريق التي اخرجها الترمذي ثم هو حديث كبير الشان كثير البرهان للدلالة على رعاية
حقوق الله والتفويض والتوكل عليه وعجز الخلق وافتقارهم اليه وشهود توحيده
وظهور تفريده وفي رواية غير الترمذي وهو عبد بن حميد في مسنده
لكن باسناد ضعيف ورواه احمد باسنادين منقطعين ولفظه يا غلام
او يا غليم الا اعلمك كلمات ينفعك الله بهن فقلت بلى يا رسول الله فقال احفظ الله
يحفظك احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة
واذا سألت فسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله قد جف القلم بما هو كائن
فلو ان الخلق كلهم جميعا ارادوا ان ينفعوك بشيء لم يقضه الله لم يقدروا عليه
وان ارادوا ان يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه واعلم
ان الصبر على ما تكره خير كثير وان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب
وان مع العسر يسرا وهذا اتم من حديث عبد بن حميد الذي ذكره المص بقوله
احفظ الله تجده امامك بفتح الهمزة تعرف بتشديد الراء الى الله في الرخاء
اي تحبب اليه بلزوم طاعته واجتناب معصيته ذكره المص لان المعرفة سبب المحبة
وقيل اجعل الله يعرفك بطاعته والعمل فيما اولاك من نعمته يعرفك
بفتح الياء وكسر الراء اي يجازيك ويمدك في الشدة ويجعل لك من كل ضيق
فرجا ومن كل هم مخرجا وحاصل المعنى تقرب اليه بانواع الطاعات واصناف العبادات
وتحبب اليه وتوكل عليه لتكون معروفا بذلك لديه فيسهل عليك همومك
ويدفع عنك غمومك بما سلف من تقربك اليه وتذللك لديه

واعتمادك عليه وفي حديث للترمذي عن ابي هريرة من سره ان يستجيب الله له
عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء ورواه الحاكم عن سلمان
وقال صحيح الاسناد واعلم ان ما اخطأك اي جاوزك من المقادير من نعمة
او شدة فلم يصل اليك لم يكن مقدرا ليصيبك اي لان يصيبك والا
لكان اصابك ولم يتجاوز عنك ولم يتعد عليك وما اصابك من المقدرات
لم يكن مقدرا ليخطئك والمعنى انه فرغ مما اصابك او اخطأك من خير
وشر ونفع وضر وطاعة ومعصية ونعمة ومحنة فما اصابك كانت اصابته لك
محتومة فلا يمكن ان يخطئك وما اخطأك فسلامتك منه محتومة
فلا يمكن ان يصيبك لان ذلك كالسهام الصائبة وجهت من الازل
فلا بد ان تقع مواقعها من غير ان تتغير وتتبدل وقد قال تعالى قل لن يصيبنا
الا ما كتب الله لنا وقال تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل
ان نبرأها اي نخلقها وقد ورد في مسند احمد انه صلى الله عليه وسلم قال
ان لكل شيء حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الايمان حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن
ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه وفي خبر آخر فان استطعت ان تعمل لله
بالرضا في اليقين فافعل وان لم تستطع فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا
وزيد في رواية اخرى بعد هذا قلت يا رسول الله كيف اصنع باليقين قال ان تعلم
ان ما اصابك لم يكن ليخطئك وما اخطأك لم يكن ليصيبك فاذا انت
احكمت باب اليقين وهو العلم بقوة الايمان لا بالحجة والبرهان وقيل هو مشاهدة
الغيوب بصفاء القلوب وملاحظة الاسرار بمحافظة الافكار اي تيقن قلبك بالقضاء
يعينك على الرضا بما اصابك من البلاء وان لم تصل الى هذا المقام فتجرع الصبر
فان في الصبر خيرا كثيرا لتحقق المرام كما اشار اليه بقوله واعلم ان النصر من الله
للعبد على جميع اموره يوجد مع الصبر اي من العبد على امر ربه من امتثال
طاعته واجتناب معصيته وحلول محنته ونزول مصيبته قال تعالى والله مع الصابرين

وقال تعالى واصبر لحكم ربك

وقال تعالى واصبر لحكم ربك وقال واصبر وما صبرك الا بالله وقال ولئن صبرتم لهو
خير للصابرين ومن جملة الخير النصر بل الظاهر كما هو اللغة ان من انتصر بنفسه عدم
النصر ومن صبر ورضي بعلم الله وطلب النصر من عنده فالمعهود من احسانه وكرمه
ان ينصره ويقويه على عدوه ومحصل معناه ان الصبر سبب للنصر وان الفرج
بفتحتين الخروج من الغم مع الكرب بفتح فسكون اي الغم الذي يأخذ بالنفس
اي لا يدوم على احد من الكرب والشدة ولا بد عقباه من الفرج والخلاص من المحنة
ولذا ورد اشتدي ازمة تنفرجي فينبغي للعبد ان يكون صابرا على ما ابتلاه مولاه
وراجيا وقوع الفرج مما نزل به وقدره وقضاه فانه ارحم الراحمين واكرم الاكرمين
وان مع العسر يسرا مصداقه قوله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا فذكر العسر
مرة واليسر مرتين فان المعرفة المعادة عين الاولى بخلاف النكرة فانها غيرها
وكذا قال صلى الله عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين ولعل المعنى ان العسر في الدنيا
يصحب اليسر في الدنيا والعقبى واخرج البزار وابن ابي حاتم واللفظ له لو جاء العسر
فدخل هذا الحجر لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه فانزل الله هذه الاية فان قلت
النصر والفرج واليسر بعد الصبر والكرب والعسر لانهما يتواردان على المحل
فما معنى الاصطحاب المستفاد من مع فالجواب ان المقصود المبالغة في معاقبة احدهما الاخر
واتصاله به حتى جعله كالمقارن زيادة في التسلية والتنفيس وجعلها بمعنى
بعد من ضيق العطن وحاصل معنى الحديث الشريف الحث على التوكل والرضا ونفي الحول
والقوة الا بالمولى اذ ما من حادثة من سعادة وشقاوة وخير وشر ونفع وضر
ويسر وعسر وعمر واجل الا وقد تعلق بقدر الله وقضائه قبل ان يخلق السموات والارض
بخمسين الف سنة ثم جرى قلم القضاء بما يكون فيستوي التحرك والسكون
فيجب الشكر في حال السراء والصبر في حال الضراء معتقدا ان الامر كله لله
وان كل شيء من عند الله فان تعسر شيء فبتقديره وان اتفق شيء فبتيسيره
وفي الحديث ايضا اشارة الى ان الله تعالى اذا اراد ان يفتح لعبده بابا من فضله ابتلاه بشيء من بلائه

ثم يخصه بنعمة من نعمائه وما رأيت شيئا من الامتحان الا رأيت معه وبعده من بوارد لطايف بره وسعة الطريق مجتنيهم وزيادة لمودتهم والحكمة في ذلك ان تعرف قدر النعمة وشرف المنة فبمرارة الفراق تعرف حلاوة الوصال وبجراحة الهجران تدرك راحة العرفان وبالنقطة السوداء في وجه الحسناء تعلم قدر الحسن والبهاء فعلى المؤمن اذا لحقه شدة في صعوبة مآلها ان يعلم انه سينطفي بزوالها لانه اما ان يتخلص عنه بالحيوة واما ان يحصل له النجاة بالممات وحتى يصل الى من لا يهمل شيئا من امره ولا يضيع حقه من صبره وشكره وقال بعض المريدين للسيد ابي الحسن الشاذلي قدس سره علمني الكيميا فقال له هي كلمتان اطرح الخلق عن نظرك واقطع طمعك عن الله ان يعطيك غير ما قسم لك وقال القطب الرباني الشيخ الجيلاني قدس الله اسراره في فتوح الغيب النفس لها حالتان لا ثالث لهما حالة عافية وحالة فالجزع والشكوى والسخط والاعتراض والتهمة للحق عز وجل لا صبر ولا رضاء ولا موافقة بل سوء الادب والشرك بالخلق والاسباب والكفر واذا كانت في عافية فالاشر والبطر واتباع الشهوات واللذات كلما نالت شهوة طلبت اخرى واستحقرت ما عندها من النعم من ماكول ومشروب وملبوس ومنكوح ومسكون ومركوب فتخرج لكل واحدة من هذه النعم عيبا ونقصا وتطلب اعلى منها واسنى مما لا يقسم لها وتعرض عما قسم لها فتوقع الانسان في تعب طويل ولا ترضى بما في يديها وما قسم لها فترتكب الغمرات وتخوض المهالك في تعب طويل لا غاية له ولا منتهى في الدنيا ثم في العقبى كما قيل من اشد العقوبة طلب ما لا يقسم فاذا كانت في بلاء لا تتمنى سوى انكشافها وتنسى كل نعيم وشهوة ولذة لا تطلب شيئا منها فاذا عوفيت منه رجعت الى رعونتها واشرها وبطرها واعراضها عن طاعة ربها وانهماكها في معاصيه وتنسى ما كانت فيه من البلية وحل بها من الويل فترد الى اشد ما كانت عليه من انواع البلاء والضر عقوبة لها بما قد اجترحت وارتكبت من العظائم وفطاما لها وكفا عن المعاصي في المستقبل

اذ لا تصلح لها العافية

اذ لا تصلح لها العافية والنعمة بل حفظها في البلاء والبؤس فلو احسنت الادب عند انكشاف البلية ولازمت الطاعة بالشكر والرضاء بالمقسوم لكان خيرا لها دنيا واخرى فكانت تجد زيادة في النعيم والعافية والرضاء من الله عز وجل والطيبة والتوفيق واللطف فمن اراد السلامة في الدنيا والاخرة فعليه بالصبر والرضاء وترك الشكوى الى الخلق وانزال حوائجه بربه ولزوم طاعته وانتظار الفرج منه عز وجل والانقطاع اليه هو خير من غيره من جميع خلقه حرمانه عطاء عقوبته نعماء بلاؤه دواء وعده نقد نسيئته حالة وقوله فعال انما قوله وامره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون كل افعاله حسنة وحكمة ومصلحة غير انه عز وجل طوى علم المصالح عن عباده وتفرد به فالاولى للعبد واللائق بحاله الرضاء والتسليم والاشتغال بالعبودية من اداء الاوامر وانتهاء النواهي والتسليم في القدر وترك الاشتغال بالربوبية التي هي علة الاقدار ومجاريها واصولها والسكوت عن لم وكيف ومتى والتهمة للحق عز وجل في جميع حركاته وسكناته وتستند هذه الجملة الى حديث عبد الله بن عباس رض وهو ما روى عطاء عن ابن عباس رضي الله عنه قال بينما انا رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال لي يا غلام احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده امامك فاذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله جف القلم بما هو كائن ولو جهد العباد ان ينفعوك بشيء لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه ولو جهد العباد ان يضروك بشيء لم يقضه الله عليك لم يقدروا عليه فان استطعت ان تعمل لله بالصدق واليقين فاعمل وان لم تستطع فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر والفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا قال فينبغي لكل مؤمن ان يجعل هذا الحديث مرآة قلبه وشعاره ودثاره وحديثه فيعمل في جميع حركاته وسكناته حتى يسلم في الدنيا والاخرة ويجد العزة فيهما برحمة الله عز وجل انتهى وقد افرد هذا الحديث بشرح مستقل لبعض العلماء وهو حقيق بذلك لمن اراد تحقيق ما هنالك العشرون

لم يتعرض المص للفظ الحديث من ههنا الى آخر الكتاب كذا قاله الشارح الكازروني وغيره
واما ما وقع في اصل ابن حجر من قوله الحديث الموفي عشرين فمخالف للنسخ المعتبرة ثم اعلم
ان العشرين يطلق على مجموع العقد ومنه قوله تعالى ان يكن منكم عشرون ويطلق على
المكمل للعشرين مجازا كما ههنا لانه تم به العشرون عن ابي مسعود عقبة بن عمرو الانصاري
اي الخزرجي البخاري البدري شهد العقبة الثانية مع السبعين ولم يشهد بدرا
عند الجمهور وانما نسب الى ماء بدر لانه نزل فيه لكن الزهري ومحمد بن اسحق
والبخاري ومسلم ذهبوا الى انه شهدها رضي الله عنه سكن الكوفة ومات بها في خلافة علي
وهي من يوم الجمعة لثماني عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين الى غداة الجمعة
لسبع بقين من رمضان سنة اربعين ومروياته مائة حديث وحديثان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان مما ادرك الناس بالرفع على الفاعلية والراجع الى ما محذوف والفاعل ضمير يعود الى ما
والناس مفعوله لكن الرواية على الاول كما قال الكازروني ولفظة من تبعيضية
اي من جملة ما وصلوا اليه وحفظوه وظفروا به من كلام النبوة الاولى من بيانية لما
اي من كلمات ذوي النبوة المتقدمة واضاف الكلام اليها اعلاما بان الحياء من قضايا
النبوة المجمع عليها فما من نبي الا وقد حث عليه وندب الامة اليه بقوله
اذا لم تستحي فاصنع ما شئت والجملة اسم ان بتاويل هذا القول وفي حديث
لم يدرك الناس من كلام النبوة الا هذا ولهذا قال بعضهم ان من الاولى ابتدائية
يقال استحى واستحيى لكن الاول اصح وافصح ومنه قوله تعالى ان الله لا يستحيي
ان يضرب مثلا ومنه هذا الحديث على ما في الاصول المعتمدة خلافا لمن توهم من شرح
ابن حجر فقد قال المص معناه اذا اردت فعل شيء فان كان مما لا يستحى من الله
ومن الناس في فعله فافعله والا فلا وعلى هذا مدار الاسلام يعني مدار احكام
الاسلام وذلك بان افعال الانسان اما ان يستحى منها او لا فالاول يشمل الحرام
والمكروه وتركهما هو المشروع والثاني يشمل الواجب والمندوب والمباح وفعلها
مشروع في الاولين جائز في الثالث فعلى هذا يتضمن الحديث الاحكام الخمسة

وهذا ورد الحياء هو

وهذا ورد الحياء هو الدين كله رواه الطبراني عن قرة ثم في كلام المصنف
اشارة الى ان صيغة الامر في الحديث للاباحة فان معناه اذا انت لم تستح من صنيع
امر وفعله فذلك دليل على جواز ارتكابه وصنيعه وقال بعضهم الامر للتهديد
كما في اعملوا ما شئتم اي اذا نزع منك الحياء فافعل ما شئت فان الله يجازيك عليه
ويكون هذا تعظيما للحياء وتبجيلا في حقه بالثناء وقيل امر بمعنى الخبر اي صنعت
ما شئت وقيل المعنى انك اذا لم تستح من الله من فعل شيء يجب ان لا تستحي منه في امر الدين
فافعل ولا تبال بالخلق ولعل من هذا القبيل ما قيل من ان الحياء يمنع العلم والرزق
يعني الحياء من الناس ولذا قال تعالى والله لا يستحي من الحق ومن ثمة قالت عائشة رضي الله عنها
نعم النساء نساء الانصار لم يمنعهن الحياء ان يسألن عن امر دينهن وفي حديث ان دينا
هذا لا يصلح لمستحي ولا متكبر والمراد منه الحياء المذموم والا فقد صح ان الحياء
شعبة من الايمان رواه مسلم والترمذي عن ابن عمر رض وفي رواية على ما رواه
ابو نعيم في الحلية والحاكم في مستدركه والطبراني في الكبير الحياء والايمان
قرنا جميعا فاذا رفع احدهما رفع الآخر والحاصل انه لا ينبغي ان يغلبه الحياء من الناس
على الحياء من الله حتى يستحي فيما يضره من امر دينه ودنياه وبهذا تبين لك
صحة قوله صلى الله عليه وسلم الحياء خير كله الحياء لا ياتي الا بخير فان المراد به الحياء من الحق
اذ لا عبرة بالخلق في الشهود المطلق وقيل المعنى اذا بطلت منك هذه القوة التي
هي اصل كل خير وما بقي فيك عين ولا اثر فافعل ما شئت فانه لا يفيد لك دواء
ولا ينفعك احتماء كما ان الطبيب الحاذق اذا يئس من مداواة المريض وعرف ان الاحتماء
والدواء ما ينفعه لفساد مزاجه وعدم قبول علاجه فيأذن للمريض ان يستعمل كل
ما يشتهي من الاشياء ولا يأمره بالاحتماء ولا شك ان الانبياء عليهم السلام للقلوب
كالاطباء للقوالب فهذا تفخيم لامر الحياء ومزيد تعظيم له في مقام الثناء ويؤيده
ما ورد على ما رواه الطبراني عن انس مرفوعا من لا يستحي من الناس لا يستحي من الله ثم الحياء
تغير وانكسار يعتري الانسان من خوف ما يلام به وقال الجنيد قدس سره الحياء رؤية

التقصير ورؤية الآلاء فيتولد من بينهما حالة تسمى الحياء وقال ذو النون قدس سره
الحياء وجود الهيبة في القلب مع وحشة ما سبق منك الى ربك وقال الدقاق الحياء
هو ترك الدعوى بين يدي المولى وقال العارف بالله السهروردي قدس سره
اطراق الروح اجلالا لعظمة الجلال ومن هذا القبيل حياء اسرافيل عليه السلام كما ورد انه
يتستر بجناحه حياء من الله عز وجل وكذا حياء عثمان رضي الله عنه كما قال اني لاغتسل
في البيت المظلم فانطوي حياء من الله عز وجل قيل وللحياء وجوه منها حياء الجناية
كآدم عليه السلام لما قيل له أفرارا منا قال لا بل حياء منك وحياء الكرم كحياء نبينا صلى الله عليه وسلم
كما في قوله تعالى ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم وحياء الحشمة كعلي كرم الله
وجهه حين سأل المقداد حتى سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن حكم المذي لمكان فاطمة
رضي الله عنها منه وحياء الاستحقار كموسى عليه السلام قال انه لتعرض لي الحاجة من الدنيا
فاستحيي ان اسألك يا رب فقال الله عز وجل سلني حتى ملح عجينك وعلف شاتك
وحياء الانعام وهو حياء الرب عز وجل يدفع كتابا مختوما الى العبد بعد
ما عبر الصراط واذا فيه فعلت وفعلت ولقد استحييت ان اظهره عليك
فاذهب فاني غفرت لك وفي بعض الكتب قال الله تعالى ما انصفني عبدي يدعوني
فاستحيي ان ارده ويعصيني ولا يستحيي مني وقال بعضهم التحقيق ينشأ عن علم القلب
بان الله رقيب عليه فيحافظ ظاهره وباطنه من مخالفة احكامه ويستقبح ما يصدر من هفوات
افعاله وزلات كلامه ويتحمل انواع البلاء نشيطا في نظره ولا يشتكي الى غيره
فاذا ترقى وتحقق ان الله اقرب الاشياء اليه استحيى من قربه فوق ما يستحيي من رؤيته
فيدعوه ذلك الى محبته والخلوة معه مستوحشا من الاغيار مستانسا بروح انس
الملك الغفار حتى تطلع عليه انوار التوحيد وتلمع في سره بوارق اسرار التفريد فيستحيي
من شهوده مشهوده المطلق فانيا عن الخلق باقيا مع الحق هذا واعلى الحياء ان لا يراك
حيث نهاك ولا يفقدك حيث امرك رواه البخاري وكذا احمد وابو داود والنسائي
ورواه احمد ايضا عن حذيفة واخرجه ابن ابي شيبة عن ابي مسعود الانصاري مرفوعا

ان آخر ما كان من كلام

ان آخر ما كان من كلام النبوة الاولى اذا لم تستحي فاصنع ما شئت وروى الترمذي من حديث
ابن مسعود رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال استحيوا من الله حق الحياء قالوا انا نستحيي
والحمد لله قال ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء ان تحفظ الرأس
وما حوى والبطن وما وعى وان تذكر الموت والبلى فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله
حق الحياء وروى البيهقي عن سعيد بن زيد ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم
اوصني قال اوصيك ان تستحيي من الله كما تستحيي رجلا صالحا من قومك وعن
بهز بن حكيم عن ابيه عن جده قلت يا رسول الله عوراتنا ما نأتي منها وما نذر قال
احفظ عورتك الا من زوجتك وما ملكت يمينك قلت يا رسول الله
اذا كان احدنا خاليا قال فالله احق ان تستحيي منه ووضع يده صلى الله عليه وسلم فرجه
الحادي والعشرون عن ابي عمرو بالواو **وقيل عن ابي عمرة** اي بالتاء تأنيث عمر
سفيان بن عبد الله بضم السين رواية وبتثليثها دراية **رضي الله عنه**
كان ثقفيا عاملا لعمر رضي الله عنه مروياته خمسة احاديث **قال قلت يا رسول الله**
قل لي اي لاجلي خاصة من بين الانام **في الاسلام** اي فيما يكمل به الاسلام
ويستدل به على توابعه من الاحكام **قولا** كافيا كاملا شاملا واضحا شافيا
لا اسأل عنه احدا غيرك اي لا احتاج فيه الى سؤال غيرك وفي رواية بعدك
اي بعد سؤالك هذا **قال قل آمنت بالله** اي وبجميع ما يجب الايمان به من المعتقدات
ثم استقم على اداء الطاعات والانتهاء عن المخالفات وهذا قول المصنف ثم استقم كما امرت ممتثلا
امر الله مجتنبا نهيه انتهى وقال آمنت بالله شاملا للاتيان بكل مأمور والانتهاء عن كل محذور
فيدخل فيه اعمال القلوب والابدان من الايمان والاسلام والاحسان وقوله ثم استقم
محمول على الثبات فيها ولعظم الاستقامة قال شيبتني هود لانه نزل فيها فاستقم كما امرت
وهي جامعة لجميع انواع التكاليف وقال الصوفية لان الدعوة الى الله مع كون المدعو
على الصراط المستقيم امر صعب لا يمكن الا ان كان الداعي على بصيرة من ربه ان
يدعوه من اسم الى اسم ومن ثمة قال صلى الله عليه وسلم كما اخرجه احمد استقيموا

ولن تطيقوا اي حق الاستقامة وقال ابن عباس رض في قوله تعالى فاستقم كما امرت
ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع القرآن آية كانت اشد ولا اشق عليه من هذه الآية
ولذا قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه حين قالوا له قد اسرع اليك الشيب قال شيبتني هود واخواتها
واخرج ابن ابي حاتم لما نزلت هذه الآية شمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رئي ضاحكا
واما عطف اخواتها فلانها في معنى الاستقامة فان من جملتها همه امته ان لا يقع بهم
ما وقع بالامم السالفة في الدنيا ومنها تذكر احوال الآخرة واهوال يوم القيامة
ولفظ ثم للتراخي الزماني فيفيد ان الكفار غير مخاطبين بفروع الاسلام
بل باصوله فاذا آمنوا كلفوا بفروعه ايضا والاظهر انه مستعار للتراخي
لان الاستقامة افضل من مجرد الايمان لشمولها العقايد والاعمال والاخلاق والاحوال
ولذا قيل الاستقامة خير من الف كرامة وقد نقل انه لا يطيقها الا اكابر الامة لانها
الخروج عن المألوفات ومفارقة الرسوم والعادات والقيام بين يدي الحق على قدم
الصدق ولعله مقتبس من قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الآية
فعن ابي بكر رضي الله عنه لم يشركوا به شيأ اولم يلتفتوا الى اله غيره او استقاموا
على ان الله ربهم وعن عمر رضي الله عنه استقاموا على طاعته ولم يروغوا روغان
الثعالب وعن ابن عباس وجمع من السلف استقاموا على شهادة ان لا اله الا الله
وجاء عن الصديق الاكبر رضي الله عنه في رواية اخرى انه فسرها ايضا بانهم لم يلتفتوا
الى غير الله وهذا هو غاية الاستقامة ونهاية الكرامة وقيل ينقسم الى استقامة العمل
وهو الاقتصاد فيه غير متعد عن نهج السنة ولا متجاوز عن حد الاخلاص الى الرياء
والسمعة او رجاء العوض وطلب الغرض والى استقامة القلب وهي الثبات على دوام
ذكر الرب والى استقامة الروح وهي الثبات على الحق والى استقامة السر وهي الثبات على الحقيقة
وعند المحققين ان استقامة العمل هي استواء القصد في السير الى الله وهي دون
الاستقامة في السير في الله لان هذه في الطريق والسلوك اليه باخذ الطريق المستقيم
بحسب التوفيق واما السير في الله فهو الاتصاف بصفاته ثم الاستقامة في الله دون

الاستقامة بالله

الاستقامة بالله المأمور بها نبينا صلى الله عليه وسلم في قوله فاستقم كما امرت لان تلك
في مقام جمع الجمع والبقاء بعد الفناء والاولى للمريدين والثانية للمتوسطين ولعل هذا
هو السر في تخصيص الخطاب به صلى الله عليه وسلم فاستقم دون الخطاب العام ويشير اليه ايضا
حديث استقيموا ولن تطيقوا وقال جعفر الصادق رض في قوله تعالى فاستقم كما امرت
افتقر الى الله تعالى بصحة العزم وقال القشيري ان الاستقامة درجة بها كمال الامور وتمامها
وبوجودها حصول الخيرات ومن لم يكن مستقيما ضاع سعيه وجده وخاب جهده
وقال العارف بالله العاشق قدس سره معنى الحديث اذا وقفت بالتوحيد ورؤية جلاله
قدرته در مع الحق حيث دار اما قضاء واما رضاء ولا تنزل عن مقام الرضاء الى فترة
النفس والهوى رواه مسلم وكذا الترمذي وقال حسن صحيح وزاد زيادة مهمة في حديثه
وهي قلت يا رسول الله ما اخوف ما تخاف علي فاخذ بلسان نفسه وقال هذا وفي رواية انه
اخرج احمد لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه
اقول وقد يقال ولا يستقيم لسانه حتى يستقيم قلبه كما سبق اذا صلحت صلح الجسد كله
وربما يقال ان تقديم القلب للمجذوب المراد وتقديم اللسان والاركان للسالك المريد
والله سبحانه اعلم بما يريد وروي عن علي كرم الله وجهه انه قال قلت يا رسول الله اوصني
فقال قل ربي الله ثم استقم قال قلت ربي الله وما توفيقي الا بالله عليه توكلت
واليه انيب ليهنك العلم يا ابا الحسن الثاني والعشرون عن ابي عبد الله جابر بن عبد الله
الانصاري رضي الله عنهما كان هو وابوه من مشاهير الصحابة شهد العقبة وبدرا
واستغفر له صلى الله عليه وسلم في ليلة البعير سبعا وعشرين مرة وهو من الحفاظ
المكثرين في الرواية وممن طال عمره حتى كثر الاخذ عنه وعمي في آخر عمره وتوفي
عن اربع وتسعين سنة عام ثلاث وسبعين يقال هو آخر من مات من الصحابة بالمدينة
روى الف وخمسمائة حديث واربعين حديثا وقتل ابوه يوم احد فاحياه الله وكلمه
كفاحا ان رجلا هو النعمان بن قوقل بقافين مفتوحتين بينهما واو ساكنة
وآخره لام اوصي شهيد باحد سأل رسول الله صلى الله عليه فقال ارأيت هذه

تستعمل في الاستقبال وحاصل معناه اخبرني لان مشاهدة الاشياء
لما كانت طريقا الى الاحاطة بها علما وصحة للخبر عنها استعملوا رأيت بمعناه
لان الرؤية سبب للعلم والعلم سبب لصحة الخبر عنه فاطلق السبب واريد المسبب
البعيد فهو من رؤية البصر او لان العلم بها وسيلة الى صحة الخبر فاطلق السبب
واريد المسبب القريب فهو من رؤية البصيرة والاستفهام فيه بمعنى الامر لانه
للتقرير المستلزم لطلب الخبر وقيل حقيقة الاستفهام دخلت على رأيت وهو بمعنى
ترى من رؤية القلب كأنه قال أترى **اذا صليت المكتوبات** اى الخمس المفروضات
وصمت رمضان اى ايام شهره **واحللت الحلال وحرمت الحرام** اى اعتقدت
الحلال حلالا واكتسبته والحرام حراما واجتنبته **ولم ازد على ذلك** المذكور
شيئا من سائر العبادات يحتمل ان السائل لم يكن من اهل الزكوة والحج فلذا لم يذكرهما
ويحتمل انه ذكرهما ولم ينقل الراوى اختصارا او نسيانا او كان هذا السؤال قبل وجوبهما
ويحتمل انه اكتفى بقوله حرمت الحرام لان ترك الفرايض من جملة المحرمات فعلى هذا
ذكر الصلوة والصوم للاهتمام بهما **أادخل الجنة** اى من غير سبق العقوبة
وهمزة الاستفهام فيها مقدرة **قال نعم** اى تدخلها وذلك لان اللام فى الحلال
والحرام للاستغراق فاذا احل كل حلال وحرم كل حرام فقد اتى بجميع وظايف الشريعة
وذلك مستقل بدخول الجنة فان الحلال المراد به المأذون فى فعله فيشمل الواجب والمباح
والحرام المراد به الممنوع فيتناول المكروه التحريمى **رواه مسلم** قال المص فى الاصل
ومعنى حرمت الحرام اجتنبته اى معتقدا حرمته **ومعنى احللت الحلال
فعلته معتقدا حله** اى حال كونى معتقدا حله **والله اعلم** انتهى كلامه وفيه نظر
لان فى الحلال يكفى مجرد الاعتقاد كما ذكره المص فى شرح مسلم نقلا عن ابن الصلاح الظاهر
انه اراد بتحريم ان يعتقده حراما وان لا يفعله بخلاف تحليل الحلال فانه يكفى مجرد
اعتقاده كذا نقله عنه وسكت عليه وهو خلاف ما ذكره هنا قال السيد جمال الدين
المحدث كما قاله ابن الصلاح لان مجرد الاجتناب عن الحرام لا يكفى بل لا بد من اعتقاد كونه حراما

ومجرد اعتقاد

ومجرد اعتقاد كون الشئ حلالا بدون الفعل كاف انتهى والتحقيق انه لا يحتاج
الكلام فى طرفيه الى ذكر الاعتقاد لانه مفهوم من ذكر الحلال والحرام وانما احتيج الى التأويل
قوله حرمت واحللت اذ ليسا على بابهما فان الله سبحانه وتعالى هو المحرم والمحلل فتأويل
حرمت باجتنبت كان تأويل احللت بفعلت ومقصوده ان يجتنب الحرام
ويكتسب الحلال مع ان العلم بتفاصيل الشرع غير متوجه على كل احد حتى يشترط
الاعتقاد المبنى على معرفة كل شئ بانه حرام او حلال بل يكفى للعامة ان يكفوا عن المحرمات
ويتناول المباحات سواء علموا تفصيل ذلك ام لا فلو تناول احد ما هو حلال فى نفس
الامر او ترك ما هو حرام فى ذاته مع جهله باحكامها الموجب لاعتقادهما لم يكن
مؤاخذا فيهما ولعل ابن الصلاح نظر الى هذا قال الظاهر الى آخره نعم يمكن حمل
الحديث على الكمال وهو انه ما يجتنب شيئا الا وقد اعتقد انه حرام وما اكتسب شيئا
الا وقد اعتقد انه حلال وفيه اشارة الى انه ليس عنده شئ من الشبهات ثم لم يلزم من قوله
فعلته فعل كل حلال بخلاف قوله اجتنبته فانه يلزم اجتناب كل حرام وقد سبق
ان الحلال بين والحرام بين فكانه اكتفى بهما فى بيان احكامهما فان قلت ظاهر الحديث
يقتضى ان الاعمال الصالحات اسباب دخول الجنة لان تعليق الحكم بالوصف يشعر
بالعلية وقد ثبت فى الصحاح انه قال صلى الله عليه وسلم ان ينجى احدا منكم عمله الجنة
قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدنى الله برحمته فالجواب ان دخول
بمحض رحمة الله وفضله كما ان دخول النار بمقتضى سخطه وعدله واما انقسام
درجات الجنة واختلاف دركات النار فبحسب تفاوت الاعمال لكن لا بد للعبد
ان يستعد لفضله وذلك باحسان عمله كما قال تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين
وما احسن قول على رضى الله عنه من ظن انه بدون الجهد يصل فهو متمن ومن ظن انه
ببذل الجهد يصل فهو متعن **الثالث والعشرون عن ابى مالك الحارث
ابن عاصم الاشعرى رضى الله عنه** مات فى خلافة عمر رضى الله عنه بطعن هو
ومعاذ وابو عبيدة وشرحبيل فى يوم واحد ثالث ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين

روى عنه جابر بن عبد الله وغيره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الطهور بالضم هو المختار وقول الاكثرين وقال القرطبي هو المروي قال السيد جمال الدين
الطهور بالضم المصدر وبالفتح اسم لما يتطهر به فان كانت الرواية بالضم فظاهر وان كان
بالفتح فصحيح ايضا والمراد به المصدر لان الفعول قد يجيء بالفتح مصدرا كالقبول
او المضاف محذوف اي استعمال الطهور كذا قاله شارح المشكاة ولكن روايتنا
في هذا الحديث بالضم والله اعلم انتهى وفي شرح مسلم للمص اجمع اهل اللغة على ان الطهور والوضوء
بضمهما اذا اريد بهما المصدر اي الطهارة عن الحدث والخبث وبفتحهما اذا اريد بهما
الاسم اي ما يتطهر به وقال القاضي عياض هو هنا بمعنى المصدر اي الطهارة عن الحدث
الاكبر والاصغر في البدن وعن الخبث في الملبوس والمكان وهو التنزه عن المستخبثات
الحسية والمعنوية شطر الايمان اي بعض الصلوة فانه شرط من شرايطها
والشطر كما يطلق على النصف يطلق على الجزء كما سيجيء تحقيقه ومنه قوله تعالى
فول وجهك شطر المسجد الحرام اي جانبا من اجزاء جوانبه اطلق الايمان على الصلوة
كما في قوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم الى بيت المقدس لانها
اعظم اثاره واكرم انواره قال شارح وانما جعل شطرها لان صحة الصلوة
بالاركان وهي احد الشطرين وبالشرايط وهي الشطر الاخر ولما كان اظهرها
واكثرها افعالا هي الطهارة جعلت كان الشروط كلها شطرا على الاتساع انتهى
وفيه ما لا يخفى من النزاع وقال المص المراد بالطهور الوضوء يعني وما في معناه
من انواع الطهارة واصناف النظافة والا فلا يلايم مجرد الوضوء لما ذكره بقوله
وقيل معناه ينتهي تضعيف ثوابه الى نصف اجر الايمان اي اجر اصل الايمان وهو
في غاية من البعد لان الايمان شرط لصحة جميع الاعمال والاحوال فكيف يقابل
نصف اجره باجر وسيلة من وسايل عمل الصلوة ولو كان على درجات المضاعفة
مع ان اجر الوضوء متوقف على صحة النية وهي متوقفة على وجود صفاء الطوية
وثواب اصل الايمان لا يعرفه غير الله سبحانه ثم قوله وقيل الايمان يجب ما قبله من الخطايا

يعني من الصغاير

يعني من الصغاير والكباير وحقوق العباد وغيرها فلا يلايم قوله وكذا
الوضوء لان الصلوة مع اصالتها لا تجب الا الصغاير فكيف بالوضوء
على ان المكفرات متعددة وايضا التشبيه يقتضي المثلية لا النصفية
ثم قوله لكن الوضوء يتوقف صحته على الايمان فصار نصفا فيه بحث ظاهر
لان المتوقف على الايمان اشياء كثيرة من عبادات مستقلة ووسائل مستتبعة
فكيف يكون الوضوء وحده نصفا مع ان الصلوة باستقلالها بل مع انضمام
غيرها لا يصلح ان تكون نصفا له لا سيما على مذهب اهل السنة والجماعة من ان الاركان
غير داخل في حد الايمان بل امر زائد معتبر عنه بالكمال في مقام الاحسان ثم قال
وقيل المراد بالايمان الصلوة والطهور شرط لصحتها فصار كالشطر وفيه
ما قدمناه من التحقيق وانه لا يصح في مقام التدقيق والله ولي التوفيق
ثم قوله وقيل غير ذلك لعله اشارة لما اخبرناه اولا والى ما قال بعض الصوفية
من ان الطهور تزكية النفس عن الرذائل والاخلاق الدنية وهي نصف الايمان
اذ النصف الاخر التحلية بالفضائل والاعتقادات الحقية والتخلية مقدم
على التحلية وحاصله ان الايمان مشتمل عليهما فيكون كل نصفا الاخر وبيانه
ظاهر في كلمة التوحيد فانها مشتملة على تخلية القلب عن وجود سوى المعبود بالحق
وتحليته باثبات توحيد الرب في الشهود المطلق مع الاشارة الى اثبات الصفات
السلبية والنعوت الثبوتية وقيل للايمان ظاهر وهو الاقرار والتسليم وباطن
وهو الاخلاص والتصديق فبالاقرار بلا اله الا الله طهارة الظاهر عن الشرك
والبراءة عنه وبالتصديق والاخلاص طهارة الباطن عن الشك والنفاق عنه
فنصف الايمان تطهير الظاهر وكماله تطهير الباطن وهذا المعنى يقوي القول
بان الاقرار شطر الايمان والله ولي الاحسان وقال الغزالي للطهارة مراتب
من تطهير الظاهر عن الحدث والخبث ثم تطهير الجوارح عن الجرايم ثم تطهير القلب
عن الاخلاق المذمومة ثم تطهير السر عما سوى الله انتهى وفيه اشارة الى ما سبق

من اعتبار التخلية والتحلية فان المقابل لما ذكر هو التلطخ بالنجاسة الحقيقية
والحكمية والتدنس بالاعمال الردية والدنية والتبعد عن الله بالاشتغال
بما عداه من الامور الكونية وقد قارب هذا المبنى بعض الفقهاء في تحصيل المعنى
بناء على ان المراد بالايمان الكامل بالمعنى الاعم المتركب من ثلاثة اجزاء وهي تصديق الجنان
واقرار اللسان وعمل الاركان فانه وان كثر خصاله لكنها منحصرة فيما ينبغي التنزه
والتطهر عنه وهو كل محذور عنه اعتقادا وقولا وفعلا وخلقا وحالا وما ينبغي
التلبس به وهو كل مامور به كذلك فهو شطران فهو تطهير خبر الايمان
نصفان نصف صبر ونصف شكر واما حديث ابن ماجة وابن حبان في صحيحه اسباغ الوضوء
شطر الايمان ورواية الترمذي والوضوء شطر الايمان فليس على ظاهره بل يتعين تاويله
بان المراد بالشطر هو الجزء ففي القاموس الشطر نصف الشيء وجزؤه ومنه
حديث الاسراء فوضع شطرها اي بعضها يعني لو كان المراد به النصف لفرغت
الخمسون في المرة الثانية فيتعين ان يراد به الخمس لما جاء في روايات اخر
فوضع عني عشرا واما حديث احمد والطهور نصف الايمان فمحمول على ما قدمناه
من تقسيم الايمان بالنوعين من الاحسان مع انه قد لا يراد به حقيقة التنصيف
كقول شريح وقد قيل له كيف اصبحت قال اصبحت ونصف الناس علي غضبان يريد
انهم بين محكوم له ومحكوم عليه غضبان فهما جزءان مختلفان ومنه قول الشاعر
اذا مت كان الناس نصفين شامت بموتي ومثن بالذي كنت افعل اي ينقسمون قسمين
ومنه حديث تعلموا الفرائض فانها نصف العلم وكذا قول مجاهد المضمضة والاستنشاق
نصف الوضوء على انه قد يقال الايمان تطهير الباطن من دنس الكفر والوضوء تطهير الظاهر
من وسخ الوزر ثم رايت انه ذكره صاحب النهاية والله ولي الهداية **والحمد لله تملأ الميزان**
روي بالتاء المثناة من فوق وبالياء آخر الحروف فالاول بتاويل الكلمة والثاني بتاويل القول
كذا ذكره السيد جمال الدين وقول المصنف ثوابها يشير الى الاول فتامل وقد ابعد
من قال المراد بالحمد لله الفاتحة والمعنى ان ثواب التلفظ بمبناها مع استحضار معناها

يملأ كفة الحسنات التي هي مثل طباق السموات وذلك ان حمده سبحانه على ذاته
وصفاته وافعاله في مظاهر الموجودات وآثار المصنوعات مما يوجب عظمة تملأ الميزان
بتقدير تجسمه او باعتبار صحفه وفي الحديث اثبات الميزان ذي الكفتين واللسان
كما هو مذهب اهل السنة خلافا للمعتزلة قال الغزالي وصفته في العظمة انه مثل
طباق السموات والارض يوزن فيه الاعمال بقدرة الله تعالى والصحيح يومئذ مثاقيل
الذر والخردل تحقيقا لتمام العدل وتطرح صحايف الحسنات في كفة النور فيثقل بها
الميزان على قدر درجاتها عند الله تعالى بفضله وتطرح صحايف السيئات في كفة الظلمة
فيخف بها الميزان بعدل الله سبحانه انتهى ونقل الواحدي في تفسيره عن ابن عباس قال
توزن الحسنات والسيئات في ميزان له لسان وكفتان فاما المؤمن فيؤتى بعمله في احسن صورة
فيوضع في كفة الميزان فتثقل حسناته على سيئاته فذلك قوله تعالى فمن ثقلت موازينه
فاولئك هم المفلحون ويؤتى بعمل الكافر في اقبح صورة فيوضع في كفة الميزان فيخف وزنه
فذلك قوله تعالى ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم قيل ولكل
انسان ميزان لظاهر قوله تعالى ونضع الموازين القسط والاصح انه ليس الا ميزان
واحد والجمع اما للتعظيم شانه تحذيرا من السيئات وتحريضا على الحسنات او باعتبار الموزونات
ويناسبه قوله واما من خفت موازينه واما من ثقلت موازينه **وسبحان الله والحمد لله**
تملآن بالفوقية والتحتية وكذا قوله **او تملأ** لكن قال الكازروني ظاهر رواية فيهما
على التانيث ثم او للشك فقوله **ما بين السماء والارض** مفعول لاحدهما وفي نسخة صحيحة
ما بين السموات والارض قال المظهر لو قدر ثوابهما جسما لملأ وسببه ما اشتملت عليه
من التنزيه والتفويض الى الله تعالى انتهى وكانه اشار الى ان الحامد له سبحانه على افعاله ينبغي
ان يكون مفوضا الى ربه في جميع احواله والاظهر ان التسبيح يشير الى التنزيه
الذي هو مدار الصفات السلبية والحمد يومي الى اثبات الثناء الجميل الذي هو مدار النعوت
الثبوتية وبهذا الاعتبار يملأ انوارهما جميع ما في الدار ولقد قيل ليس في الدار غيره
ديار وقد ذكر البيهقي في تفسيره وابن دحية عن طلحة بن عبيد الله قال سالت رسول الله

صلى الله عليه وسلم عن تفسير سبحان الله فقال هو تنزيه الله عز وجل عن كل سوء وهو
اسم بمعنى التسبيح كما حققه ابن مالك لا علم له كما ذكره الزمخشري ثم الظاهر
انهما تملآن باجتماعهما ويحتمل ان كلا منهما بانفراده يملأ فقوله او تملأ
شك من الراوي في سماع لفظ الحديث ويصح ضميره يكون راجعا الى مجموع اللفظين
او الى كل من الكلمتين فانه قال بعضهم هذا شك فيما تملأ ما بين السماء والارض
هل هو الكلمتان او احديهما انتهى ولا يخفى ان الشك لا يجوز ان ينسب اليه
صلى الله عليه وسلم ولا يتصور ان الراوي من عنده يتصرف في العبارة ويأتي بالة
الشك ليتم له الاشتراك فكلام هذا القائل باطل ليس تحته طائل وفي رواية
النسائي وابن ماجة التسبيح والتكبير ملء السموات والارض اي كل منهما او كلاهما
والاول هو المعول لان الميزان وسع ما بين السماء والارض فما يملأوه اكثر مما يملأ
وقد سبق ان الحمد لله يملأ الميزان بانفراده فلا وجه ان يراد به انضمامه
وقد جاء في حديث اخرجه الحاكم مرفوعا وصححه بلفظ يوضع الميزان يوم القيامة
فلو وزنت السموات والارض لوسعت فيقول الملائكة يا رب لمن يزن هذا
فيقول الله تعالى لمن شئت من خلقي فيقول الملائكة سبحانك ما عبدناك حق عبادتك
وقد روى احمد والنسائي والترمذي لا اله الا الله لا يعدلها شيء في الميزان
وعند احمد لا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم وفي رواية لاحمد لو ان السموات
السبع والارضين السبع في كفة ولا اله الا الله في كفة مالت بهن **والصلوة نور**
اي ذات نور او ذاتها نور مبالغة في التشبيه والمعنى كما قال المص انها
تمنع من المعاصي وتنهى عن الفحشاء وتهدي الى الصواب كما ان النور يستضاء منه
ويهتدى به قال ولعل يكون ثوابها نورا لصاحبها يوم القيامة وقيل لانها سبب
لاستنارة القلب انتهى وتوجيهه انها منورة وجه صاحبها في الدارين
ومنه ما روي الصلوة نور المؤمن وجاء من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار
وقال ابو الدرداء صلوا ركعتين في ظلم الليل لظلم القبر وفي صحيح ابن حبان مرفوعا

من حافظ

من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة واخرج الطبراني
انه صلى الله عليه وسلم قال من صلى الصلوات الخمس في جماعة جاز على الصراط كالبرق اللامع
في اول زمرة السابقين وجاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر وجاء ايضا
مرفوعا اذا حافظ العبد على صلوته قالت له حفظك الله كما حفظتني فصعد بها
الى السماء ولها نور حتى تنتهي الى الله عز وجل فتشفع لصاحبها او منورة قلب
مداومها لانها تشرق فيه انوار المعارف واسرار العوارف فتفرغ فيها من كل
شاغل ويعرض عن كل زائل ويقبل على الله بكليته حتى يمن عليه بشهود قربه ووجود محبته
وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم كما رواه احمد والنسائي وجعلت قرة عيني في الصلوة
وفي رواية الجائع والظمآن يروى وانا لا اشبع من حب الصلوة ثم هي تنزيل
للهموم والغموم عن صاحبها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يا بلال ارحنا بالصلوة اي ارحنا بها
اخرجه احمد **والصدقة** اي الزكوة كما في رواية ابن حبان ويصح بقاؤها على عمومها
برهان اي دليل وبيان على صحة ايمان المتصدق يوم الحشر فان العبد اذا سئل
عن مصرف ماله وقال تصدقت كانت صدقاته براهين في الجواب حيث بذل العاجل
رجاء للآجل من الثواب وبرهانا على صدق دعواه في محبة الله اذ المحبوبات كلها
تبذل لاجل المحبوب الاكبر من ان ينال بالحواس ومن ان يدرك جلاله بالعقل والقياس
ولذا انفق بعض العرفاء كالصديق الاكبر جميع ماله وبعضهم امسك قدر ما يدفع به
الحاجة من ماله وبعضهم اقتصر على الواجب لضعف حاله والبرهان لغة هو الشعاع
الذي يلي وجه الشمس ومنه خبر ان روح المؤمن تخرج من جسده لها برهان كبرهان الشمس
ومنه سميت الحجة القاطعة برهانا لوضوح ما فيه من الدلالة قال تعالى يا ايها الناس
قد جاءكم برهان من ربكم الاية وقال المص الصدقة برهان اي حجة لصاحبها في اداء
حق المال وقيل حجة في ايمان صاحبها لان المنافق لا يفعلها غالبا **والصبر ضياء**
اي نور قوي ينكشف به الكربات وتنقلع به الظلمات قال المص اي الصبر المحبوب وهو الصبر
على طاعة الله والبلاء ومكاره الدنيا وعن المعاصي ومعناه لا يزال صاحبه مستضيئا

مستمرا على الصوم انتهى وفي خبر لابن ابي الدنيا وابن جرير ان الصبر على المصيبة
يكتب به للعبد ثلاثمائة درجة وان الصبر على الطاعة يكتب به للعبد ستمائة درجة
وان الصبر على المعاصي يكتب به للعبد سبعمائة درجة قيل حكمة جعل الصلوة نورا
والصبر ضياء مع انه سبحانه قال هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا هي ان الصبر هو
الاساس المبني عليه سائر الاعمال فلو لم يكن وجوده لم يتصور صلوة ولا غيرها من الاعمال
ومن ثمه ورد ما اعطي احد خيرا من الصبر وفي رواية اوسع عطاء من الصبر وايضا
فالضوء فيه احراق بخلاف النور فانه محض اشراق ولذا وصف شريعة موسى عم بانها
ضياء حيث قال تعالى ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرى للمتقين لما فيها
من شدائد الانكال والاغلال وشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم بانها نور لقوله تعالى
قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين لخلوها من تلك المشاق الدينية واتصافها بالملة
السهلة الحنيفية ولا ينافي ما ورد في رواية الصبر بدل الصبر فانه من بين العبادات
مختصة بالاحراق للاجزاء الباطنية لكونه سببا لاحتراق الذنوب الماضية
ولانه احراق فيه اشراق ولهذا ورد الصوم لي وانا اجزي به واما ما جاء في رواية
الترمذي من طرق هذا الحديث والصوم نصف الصبر اي بعضه او معظمه هذا
وقد قال الامام حجة الاسلام لما كان الانسان مركوزا فيه العقل الداعي الى المصالح
والشهوة الباعثة الى المفاسد لم يوجد الصبر في غيره من الملائكة لفقدان الشهوة
الصارفة عن الخدمة ومن البهائم لعدم العقل ثم ما دام صبيا ليس له الا شهوة
اللعب ثم النكاح فاذا بلغ ظهر باعث الدين والعقل يرشده الى الاعراض عن الباطل الفاني
والاقبال على الحق الباقي فصد العقل الطبع عن خلاف الشرع هو الصبر وهو اما بدني فعلا
كتعاطي الاعمال الشاقة وانفعالا كالثبات على الآلام المحرقة او نفساني وهو منع النفس
من مقتضيات الطبع الى موافقات الشرع فان كان عن شهوة البطن والفرج فهو العفة
وان كان عن البكاء في المصائب بحمل النفس على ترك اظهار الجزع خص بالصبر وهو
الصدمة الاولى فيسمى سلوا وفي النوايب سمي سعة الصدر وان كان في مبارزة

فهو الشجاعة

٩٠

فهو الشجاعة فان كان في كظم الغيظ يسمى حلما وان كان في حال الغنى يسمى ضبط النفس
وان كان عن فضول العيش سمي زهدا وان كان على قدر يسير من المال سمي قناعة وعلى هذا
انتهى كلام الامام فعلم منه ان الصبر بنيت عليه اركان الايمان والاسلام واحكمت عليه
قواعد الاحكام فيكون اتم من الصلوة فناسب ان يشبه بالضياء الذي هو اقوى من النور
مع انهما قد يتعاوران وفي كلام العارفين اشارة الى ان للصبر اقساما منها الصبر لله
اي عن معصيته وعلى طاعته لاجل مثوبته وهو للعوام والصبر بالله اي بتأييده وهو صبر
المنسلخ عن حوله وقوته عالما بانه لا حول ولا قوة نص عليه في المنازل وذكر القاشاني
انه فوق جميع الاقسام لحصوله بالبقاء بعد الفناء وفي تأييده قوله تعالى لسيد الاصفياء
واصبر وما صبرك الا بالله والصبر على الله اي على حكمه وما قضاه وهو صبر السالك
الذي برئ عن التصرف والاختيار ويرى ان التصرف فيه وفي الكل والمتصرف للامور هو الحق
فيصبر على احكامه مع مكابدة الالم والامه ومنه قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا
والصبر في الله والصبر مع الله وهما لاهل الحضور والمشاهدة والصبر عن الله وهو لاهل المحبة
اذا اراد المحبوب فراق المحب كما قال قائلهم اريد وصاله ويريد هجري فاترك ما اريد لما يريد
وهو اشد انواع الصبر مرارة ولذا لما سمعه الشبلي قدس سره شهق لديه وخر
مغشيا عليه وانشد ان صوت المحب من الم الشوق وفي الفراق يورث ضرا صابر الصبر
فاستغاث به الصبر فصاح المحب للصبر صبرا وتحقيق هذه المعاني يطلب من العوارف
والقرآن حجة لك اي ان حفظت مبناه وعملت بمقتضاه شهد لك
ويصير حجتك ويدل على نجاتك وحسن مآبك **او عليك** اي ان تركت تلاوته
وخالفت ما شهد عليك في مآلك ويلقيك في مهالكك ففيه اشارة الى ان القرآن
سبب الوصول الى اعالي الدرجات او اسافل الدركات ولذا قال تعالى واعتصموا بحبل الله
فهو كبحر النيل ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين قال تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا
وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا
وقد قال الخطابي جاء في الاثر ان عدد آي القرآن على قدر درج الجنة فمن استوفى جميعها

استولى عاليا على درجات الجنة قال المحققون استيفاء جميع آي القرآن هو أن يتخلق بأخلاقه
ويتصف بأخلاق الله وصفاته ويشير إليه قول عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن
ويومئ إليه قوله تعالى الرحمن علم القرآن هذا وجاء في حديث القرآن شافع مشفع
وماحل مصدق من قدمه أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله وراءه وقع في قفاه إلى النار
وقيل المعنى لك أو عليك في القواعد الشرعية والوقائع الحكمية لأنه المرجع عند
المنازعات العرفية **كل الناس يغدو** جملة مستأنفة كأنه قيل قد تبين
الرشد من الغي هنا فما حال الناس بعد ذلك فقال كل الناس يصبح ساعيا
في تحصيل أغراضه ومطلوبه مسرعا في طلب نيل مقاصده **فبائع نفسه** وفي نسخة
بالإضافة وهو خبر مبتدأ محذوف فهو والفاء تفصيلية والبيع بمعنى
الشراء لأن المشتري يعتق لا البائع وهو مجاز أي يصرف نفسه من الأغراض
والأغراض التي يتوخاها ويقصدها من الخير والشر **فمعتقها** خبر بعد خبر
أو بدل من قوله فبائع نفسه والفاء سببية **أو موبقها** عطف عليه
أي فمنهم من يسعى في فكاك رقبته من أسر الطبع باتباع الشرع فيعتقها من العذاب
ويخلصها من العتاب ومنهم من يسعى في هلاك نفسه بمتابعة النفس والشيطان
والهوى فيهلكها ويرميها في طريق الردى فيكون الأول خير الدارين والثاني
وكلتا الهلاك والخسران وقال المصنف معناه كل إنسان يسعى بنفسه فمنهم من يبيعها
لله بطاعته فيعتقها من العذاب ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى باتباعهما فموبقها
أي مهلكها انتهى ولا يخفى أنه اختار أن البيع على بابه كما أشار إليه الحق سبحانه
في كتابه بقوله إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة إلى أن قال
فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم أي الحظ الجسيم فإنه
النعيم المقيم قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي قدس سره النفوس على ثلاثة أقسام نفس
لا تشترى لخستها وهي نفوس الكافرين ونفس تشترى لكرامتها وهي نفس المؤمنين
ونفس لا يقع عليها الشراء لحريتها وهي نفوس الأنبياء والمرسلين قال المصنف وقد بسطت

شرح هذا الحديث في أوائل شرح صحيح مسلم فمن أراد زيادة فليراجعه وبالله التوفيق انتهى
قال الفاكهاني في المعنى أن كل إنسان يصبح ساعيا في أموره وهو إما أن يكون الغالب عليه
السعي في خلاص نفسه بتوجهه بقلبه وقالبه إلى العقبى وما عند الله تعالى بالسعي
مع الإعراض عن زخارف الدنيا والتقييد والتقيد بآداب الشرع اكتسابا واجتنابا
فهذا الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم فمعتقها أي باع نفسه من الله وأعتقها من هواه
وعقوبة مولاه وناهيك بها صفقة اغتنام إذ كان الثمن عنها دار السلام
والنظر فيها إلى وجه الملك العلام والعجب أنه سعى أيضا إلى العتق وحريته وسيادته
بسبب ما أسلفه من عبادة فأعتق نفسه من رق المخالفات من اقتحام النار وعظيم
العقوبات وإما أن يكون ساعيا في مهموم أغراضه وهواه مخالفا في غالب تقلباته لسيده
ومولاه فهو الذي باع نفسه من الشيطان وتصدى لغضب الرحمن واختار عذاب
النيران على نعيم الجنان فكان جديرا بالطرد والحرمان نعوذ بالله من سخطه وأليم عقابه
ونسأله رحمته وكريم ثوابه هذا وقالوا يجب على العبد مخالفة النفس لأنها عين
المهالك المعينة للأعداء المغموسة في البلاء المستهمة بأصناف الأسواء
المتبعة للأهواء الغالبة على العقلاء والعلماء مما لا يسلم منها إلا الصديقون
والأنبياء وقال تعالى لا تتخذوا إلهين اثنين أراد بالآخر بلسان الإشارة الهوى لقوله
صلى الله عليه وسلم ما عُبد إله أبغض على الله من الهوى لأن كل ما عُبد ما عبد إلا لموافقة
النفس والهوى ومخالفة الكتاب والهدى ولذا قال تعالى أفرأيت من اتخذ إلهه هواه
وأضله الله على علم حين قدره وقضاه وقال أبو يزيد قدس سره من أمات نفسه
يلف في كفن الرحمة ويدفن في أرض الكرامة ومن أمات قلبه يلف في كفن العقوبة
ويدفن في أرض العقوبة **رواه مسلم** وكذا أحمد والترمذي والنسائي
وابن ماجه والبيهقي **الرابع والعشرون عن أبي ذر** أي الغفاري كما في نسخة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروى أي يرويه كما في نسخة
وحاكيا فيما روى **عن الله عز وجل** وفي نسخة عن الله تعالى وحاكيا عن ربه

والمعنى روينا عنه انه روى عن النبي عليه الصلوة والسلام ما يأتي من الكلام
حال كونه مندرجا في جملة الاحاديث القدسية يرويها عنه سبحانه انه قال
والفرق بين الحديث القدسي وبين القرآن انه اللفظ المنزل للاعجاز بواسطة جبرائيل
والقدسي اخبر الله نبيه معناه بالالهام او المنام فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم
امته بعبارته عن معنى ذلك الكلام فلا يكون معجزا ولا متواترا كالقرآن
وقال الطيبي فضل القرآن على الحديث القدسي انه نص الهي في الدرجة الثانية
وان كان من غير واسطة الملك غالبا لان المنظور فيه المعنى دون اللفظ وفي التنزيل
اللفظ والمعنى منظوران يا عبادي الخطاب مع الثقلين لاختصاصهم بالتكليف
في الامور وبتعاقب التقوى والفجور ويؤيده انه فصل المخاطبين بالانس والجن
ويحتمل ان يكون عاما شاملا لذوي العلم كلهم من الملائكة والثقلين ويكون ذكر
الملائكة مطويا مدرجا في قوله وجنكم لشمول الاجتنان لهم ثم توجه الخطاب نحوهم
لا يتوقف على صدور الفجور منهم ولا على امكانه لانه كلام صادر على سبيل الفرض
والتقدير اني حرمت الظلم على نفسي التحريم لغة المنع شبه تنزهه عن الظلم
باحتراز المكلف عما نهي عنه والمعنى تعاليت وتنزهت عن ان اظلم احدا بان اعاقبه
بلا ذنب او اضيع اجر محسن مع انه لا يجب عليه شيء لكنه حكيم في كل افعاله فانه نزه نفسه
عن زيادة عقاب او نقص ثواب والمراد بالنفس الذات وجاء اطلاقه عليه في حديث
هذا او في قوله صلى الله عليه وسلم لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك ايضا
فقول شارح لا يطلق على الله الا على سبيل المشاكلة مدفوع مع انه لا مقابل في هذا الحديث
واغرب ابن حجر حيث قرره وقدر المشاكلة بقوله فان معناه حرمته على نفسي في
نفوسكم بالاولى مع ان المشاكلة محلها الكلمة الثانية لا الاولى واما قوله لا يجوز اطلاق
النفس عليه سبحانه لانها تشعر بالتنفس فمسلم لكنا نقول يجوز اطلاقها من حيث انها
مأخوذة من النفاسة لا من النفس بفتح الفاء فهما اعتباران مختلفان كالشيء فانه
باعتبار معنى المفعول لا يجوز اطلاقه عليه سبحانه ومنه قوله تعالى ان الله على كل شيء قدير

واما باعتبار معنى الفاعل

واما باعتبار معنى الفاعل فيجوز ومنه قوله تعالى قل اي شيء اكبر شهادة قل الله
واما ايهام شمول قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت مع كون المراد كل متنفس
فمدفوع بما علم استثناؤه سبحانه قطعا بالعقل والنقل ومنه قوله تعالى كل شيء
هالك الا وجهه يخطر هذا الوهم بالبال والله اعلم بالحال هذا ولقد بالغ بعض العلماء
وتكلف في قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك بجعل الخطاب راجعا
الى عيسى عليه السلام على ان الاصل ولا اعلم ما فيها ثم اوقع الظاهر موقع المضمر فصار معناه
ولا اعلم ما في مخلوقك وتعسفه مما يمجه السمع السليم ويدفعه الطبع المستقيم
وقال المصنف اي تقدست عنه فالظلم مستحيل في حق الله تعالى لانه مجاوزة الحد
او التصرف في غير ملكه وهما جميعا محال في حق الله تعالى انتهى او لانه وضع الشيء
في غير موضعه وهو محال ايضا لانه حكيم عليم فيما قدره ودبره فان قيل
قد نفى الله عن نفسه الظلم بقوله وما ربك بظلام للعبيد على سبيل المبالغة
وذلك يوهم ثبوت اصل الظلم كما توهمه بعض الشراح وقال يتصور فيه لكنه
لا يفعله عدلا منه وتنزها عنه فالجواب ان يقال صفات الله بلغت غاية الكمال
ونهاية الجلال فلو اتصف بالظلم لكان عظيما فنفاه على حد عظمته لو كان ثابتا
او اراد نفي نفس الظلم لكن القليل منه بالنسبة الى رحمته الذاتية كثير فلذا عبر بلفظ
المبالغة مع انه قد يقال ان صيغة فعال تجيء للنسبة فمعناه ليس بذي ظلم
او ورد بصيغة المبالغة المفيدة للكثرة لمقابلة العبيد وكثرتهم في عالم الخلقة
واما ما اجاب بعضهم بان لله تعالى في خلقه تصرفين ظاهرا وباطنا فبتصرفه الظاهر
ينهى عنه شرعا وبتصرفه الباطن يقضي به ويخلقه حقيقة وهو الاول والآخر والظاهر والباطن
فهذا صحيح المعنى لكنه لا يدفع الشبهة كما لا يخفى فلعله اراد ان تصرفه الباطن على خلاف
تصرفه الظاهر ليس بظلم منه سبحانه كما يتوهم من ظاهر عبارة بعضهم وهي الهي
امرت الشيطان بالسجود ومنعته منه ونهيت آدم عن اكل الشجرة وحملته عليه
ولعل هذه المسئلة شبهة المعتزلة في خلق الافعال لتوهمهم انه لولا هذا

لو وقع ظلم بحسب ظاهر الاحوال وينسبون مذهبهم الى العدل والاعتدال مع انهم عنه
في حيز الاعتزال وجعلته بينكم محرما والشرك وان كان الظلم وكذا سائر المعاصي
يسمى ظلما الا ان المراد هنا ظلم العباد بعضهم لبعض كما يدل عليه قوله فلا تظالموا
قال المص هو بفتح التاء اي لا تتظالموا انتهى وهو بتخفيف الظاء في الاصول المعتبرة
ونقل ابن جني رواية بتشديدها والاشهر تخفيفها والمعنى لا يظلم بعضكم بعضا
فان الظلم ظلمات يوم القيامة كما رواه الشيخان وروى البخاري من كانت مظلمة لاخيه
فليتحلله منها فانه ليس ثمة دينار ولا درهم من قبل ان يؤخذ لاخيه من حسناته
فان لم تكن له حسنات اخذ من سيئات اخيه وطرحت عليه ثم اعلم ان من اعان ظالما
ولو بالدعاء لطول بقائه ومال اليه بالوقوف عليه والتردد اليه من غير ضرورة
ملجئة فهو من جملة الظلمة قال تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار
وقد سئل ابن المبارك عن خياط يخيط للظلمة هل هو من اعوانهم فقال لا
هو من الظلمة وانما هو من الاعوان من يبيع له الخيط والابرة ولقد سئل
سفيان الثوري عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة من الماء قال لا
قيل له يموت قال دعه يموت وذكر البيهقي عن مجاهد عن ابن عباس رض قال اوحى الله تعالى
الى داود ع م يا داود قل للظلمة لا تذكروني فان حقا علي ان من ذكرني اذكره
وان ذكري اياهم ان العنهم وروي انه لما خالط الزهري السلطان كتب اليه
اخ في الله عافانا الله واياك من الفتن فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك
ان يدعو لك ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله فيما افهمك من كتابه
وعلمك من سنة نبيه واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك آنست
وحشة الظالم وذللت مرتبة العالم فدونك محنة ممن لم يؤد حقا ولم يترك
باطلا حين اتاك اتخذوك قطبا تدور عليه رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليه
الى بلائهم وسلما يصعدون فيك الى ضلالهم يدخلون الشك بك على العلماء
ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما ايسر ما عمروا في جنب ما خربوا وما اكثر ما اخذوا منك

فيما افسدوا عليك

فيما افسدوا عليك فما يومنك ان تكون ممن قال الله فخلف من بعدهم خلف
اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات وانك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل
فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك للسفر البعيد ولا يخفى على الله من شيء في الارض
ولا في السماء يا عبادي كرر النداء زيادة لتشويقهم ولتشريفهم ولذا اضافهم الى نفسه
وتنبيها على فخامة ما بعده وجمعه لان فيه استغراق افراده الى نفسه كلكم ضال
اي من شانكم وفي جبلتكم الضلالة كما ورد انه قال ان الله خلق الخلق في ظلمة
ثم رش عليهم من نوره اي في ظلمة الطبيعة من الميل الى الشهوات والركون الى المحسوسات
والغفلة عن اسرار الملكوت فرش عليهم من نوره ما نصبه لهم من الايات والدلالات
فمن اصابه من ذلك النور اهتدى ومن اخطاه ضل اي واختار طريق الردى
الا من هديته بتنوير قلبه وشرح صدره وتصفية استعداده عما ينافي
قبول الحق من ظلمات الشكوك والشبهات والهوى فينبت فيه شجر التصديق
بما جاءه من اصول الدين ثم ينمو باغصان الطاعات ثم في كل حين يثمر بثمرات
المشاهدة واليقين ولا ينافي ذلك قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة
فان هذه ظلمة طارية على الفطرة الاولى كما يشير اليه ما روي خلق الخلق على معرفته
فاغتالهم الشيطان وقال ابن المبارك يولد على ما يصير اليه من سعادة او شقاوة
فمن علم انه يصير مسلما ولد على فطرة الاسلام ومن علم انه يصير كافرا ولد على فطرة الكفر
ويؤيده قوله تعالى هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن وحديث خلقت هؤلاء للجنة
ولا ابالي وخلقت هؤلاء للنار ولا ابالي وحديث فرغ ربكم من العباد فريق في الجنة
وفريق في السعير وهذا المعنى لا ينافي كون كل مولود متهيئا للاسلام ومستعدا
للايمان الا ان بعضهم يختار الكفر والطغيان على الطاعة والاحسان كما اخبر الله عنهم
اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين
وبهذا التحقيق يحصل الواسطة المختارة لاهل السنة بين الجبر والقدر على طريق التدقيق
والله ولي التوفيق فاستهدوني اهدكم فاطلبوا مني الهداية الموصلة الى

اذلكم عليها او وصلكم اليها و للهداية مراتب علية لا ينتهي امر احد الى نهايتها
ولعل حكمة طلبه سبحانه منا سؤال الهداية مع انه تعالى يهدي من يشاء بحسن الرعاية
وجميل العناية اظهار الافتقار والاشعار بانه لو هداه قبل سؤاله اياه لربما قال
انما اوتيته على علم عندي فيضل بذلك عن تحقيق ما هنالك فاذا سال ربه اموره
الدينوية والاخروية فقد اعترف على نفسه بالعبودية ولمولاه بالربوبية
وهذا مقام شريف ومشهد لطيف وبهذا المعنى تبين وجه العموم والخصوص
من قوله تعالى والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم وفيه دليل
واضح على ان المهتدي من هداه الله وبارادته اهتدى من اهتدى لا بما سواه
وان غير المهتدي لم يرد الله هدايته فلم يهتد لذلك ولو اراده لاهتدى
فيما هنالك خلافا للمعتزلة حيث قالوا انه تعالى اراد هداية الجميع على انه تعالى
يقول ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين ويقول ولو شاء الله
ما اشركوا فمحال ربنا ان يريد ما لا يقع او يقع ما لا يريد فانه تعالى يفعل ما يشاء
ويحكم ما يريد لا يقال المؤمن مهتد فطلبه الهداية تحصيل الحاصل المراد طلب المزيد
او الثبات والتأييد على وجه التأبيد كما اشار الى المعنى الاول قوله سبحانه زادهم هدى
والى المعنى الثاني آمنوا آمنوا ويحتمل كلا المعنيين قوله تعالى اهدنا وتحقيقه ان الانسان
مركب من روح روحاني يقتضي العروج الى عالم القدس ومقام الانس ومن نفس
مائلة الى الخلود في السفليات والانهماك في متابعة الشهوات فمن ساعده التوفيق
هداه الى سواء الطريق واذاقه حلاوة المجاهدة حتى يصل الى المقام المشاهدة
وذلك بارشاده الى تحصيل الملكات الكاملة والاخلاق الفاضلة المعبر عنها
بالصراط المستقيم والدين القويم ولما فرغ من الامتنان بالامور الدينية شرع في الامتنان
بالاحوال الدنيوية فقال **يا عبادي كلكم جايع الا من اطعمته** بالوسايط
والروابط من الصناعات التي تدور المناهج وبها تنتظم المصالح بمقتضى القسمة
الازلية المقدرة في عالم القضاء كما قال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا

وقد نقل الشيخ اليافعي

وقد نقل الشيخ اليافعي عن بعضهم انه سبحانه لما اظهر الخلق من العدم في عالم
القدم عرض عليهم الصنايع وخيرهم فيها فاختار كل واحد منهم صنعة قدرت له
فلما ابرزهم الى الوجود اجرى على كل ما اختاره لنفسه بمقتضى اعملوا فكل ميسر لما خلق له
وانه انفردت طايفة فلم يختاروا شيئا وقالوا ما اعجبنا شيء نختاره فاظهرهم
مقامات العبادة فقالوا اخترنا خدمتك فقال وعزتي وجلالي لاسخرنهم لكم
ولاجعلنهم خداما بين ايديكم ولاشفعنكم فيمن عرفكم وخدمكم على انه تعالى
قد يرزق بلا سبب معلوم كما روي ان موسى عم عند نزول الوحي عليه وحصول
الكلام تعلق قلبه باهله في ذلك المقام فامره الله ان يضرب بعصاه صخرة
فانشقت فخرجت منها صخرة ثانية ثم ضرب فانشقت فخرجت ثالثة
ثم ضربها فخرجت دودة كالذرة وفي فمها شيء يجري مجرى الغذاء
فسمع الدودة تقول سبحان من يراني ويسمع كلامي ويعرف مكاني ويذكرني ولا ينساني
فاستطعموني اي اطلبوا مني الطعام **اطعمكم** بتفتيح ابواب المرام وتسهيل اسباب
الانتظام فلا يجوز ابطال حكمه برفع وسايط الارزاق والاتكال بسعة نعمة
الرزاق فقد روي ان بعض العارفين بلغ من زهده ان فارق الناس
وخرج من الامصار وقال لا اسال احدا حتى ياتيني رزقي من عند ربي فاقام في سفح
جبل سبعا لم ياته شيء حتى كاد يتلف فقال يا رب ان احييتني فاتني برزقي الذي
قسمت لي والا فاقبضني اليك فالهمه الله وعزتي وجلالي لا ارزقك حتى تدخل
الامصار وتقيم بين الناس فدخل المدينة فبسط في رزقه فاوجس في نفسه ذلك
فسمع اردت ان تبطل حكمتنا بزهدك في الدنيا اما علمت انه ان يرزق العباد بايدي العباد
احب اليه من ان يرزقهم بيد القدرة ولا تنافي بين تكفله سبحانه بارزاق العباد
من طريق فضله واحسانه استطعامه بمقتضى لطفه وبره وامتنانه اذ لا يجب عليه
شيء من شانه فمن لا يطعمه بفضله بقي جايعا بعده له وفيه نكتة لطيفة واشارة
شريفة الى تاديب الفقراء الواقفين على ابواب الاغنياء فكانه قال لا تطلبوا الطعام من غيري

فإن من تطلبونه أنا الذي أطعمهم فاستطعموني أطعمكم كما أطعمهم يا عبادي
كلكم عار في أول وجوده وفي ابتداء شهوده إلا من كسوته من عندي بخلق الكسوة
وتقدير الشفقة والمرحمة ومما نقل عن حكمه صلى الله عليه وسلم ابن آدم أنت أسوأ برا بك
طفلا حين كنت أكمل عقلا لأنك تركت الحرص جنينا محمولا ورضيعا مكفولا ثم أوقعته
عاقلا حين أصبت رشدك وبلغت أشدك فاستكسوني أكسكم بفتح الهمزة وضم
وفيه تنبيه بنيه على عجزهم عن جلب منافعهم ودفع مضارهم إلا أن ييسر الله لهم
ما ينفعهم ويدفع عنهم ما يضرهم ولعل الاقتصار على احتياج الطعام واللباس
إذ لا مندوحة عنهما للناس يا عبادي إنكم تخطئون بضم التاء وكسر الطاء في الرواية
المشهورة وروي بفتحهما ففي النهاية خطئ في دينه خطأ إذا أثم فيه وأخطأ سلك
سبيل الخطأ عمدا أو سهوا وقال أبو عبيدة خطئ وأخطأ بمعنى واحد وقيل المخطئ
من أراد الصواب فصار إلى غيره ومنه قولهم المجتهد يخطئ ويصيب والخاطئ من تعمد
ما لا ينبغي ومنه رجح رواية الثانية لأنه جعل الذنب مغفورا والخطأ من غير تعمد معفو عنه
سئل أم لا وتوضيحه أن بعض الفضلاء ضبط بفتح التاء والطاء على وزن تفترون وقال
أخطأ يخطئ رباعيا إذا فعل إثما من غير قصد وخطئ يخطأ على وزن علم يعلم ثلاثيا
إذا فعل عن قصد ومنه ناصية كاذبة خاطئة قال وإنما يتعين أن يكون هاهنا يخطئون
ثلاثيا لأنه جعل الذنب يغفر لقوله وأنا أغفر الذنوب جميعا والخطأ عن غير قصد معفو عنه
لقوله صلى الله عليه وسلم رفع عن أمتي الخطأ والنسيان انتهى ويمكن تأييد القول الأول بأن الخطأ
ولو كان من غير قصد لكن ربما وقع تقصير في بعض مقدماته فلا يبعد أن يحتاج إلى المغفرة
مع أنه وقع الدعاء برفع الخطأ في قوله تعالى ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا
نظرا إلى أنه لا يجب على الله سبحانه شيء وفي الدعوات النبوية اللهم اغفر لي ذنبي خطائي
وعمدي وكل ذلك عندي وربما يحمل دعاء أمثال ذلك على التلذذ بابتداء غفرانه
ما هنالك على أنه قد يقال المعنى تذنبون عمدا وخطأ بالليل والنهار في ساعاتهما تقديره
وأوقاتهما وقدم الليل إذ الظلمة هي الأصل والنور طار عليها يسترها ولأن المقام يقتضيه

إذا كثر المعاصي توجه عذابه

إذا كثر المعاصي توجه عذابه وأنا أغفر الذنوب أي المتعمدة وأعفو عن غيرها
جميعا هو كقوله تعالى إن الله يغفر الذنوب جميعا وهو إما محمول على حال التوبة وإما عام
مخصوص بالشرك وما شاء الله أن لا يغفره لقوله سبحانه إن الله لا يغفر أن يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فاستغفروني أي اطلبوا مني المغفرة أغفر لكم أي ذنوبكم
ولو مع الكثرة وفي الحديث لو لم تذنبوا ولم تستغفروا لذهب الله بكم وجاء بقوم غيركم فيذنبون
فيستغفرون فيغفر لهم فذلك لأن صفة الغفارية تستدعي ظهور ذلك
كما أن نعت الرزاقية تقتضي ما سبق هنالك وظاهر الحديث أن مجرد الاستغفار
مع تحقق الاحتراز في الجملة لأنه إظهار الافتقار إلى مغفرة الغفار وهو مما يخفف
عقوبة الفجار أو يؤخرها إلى الأجل من أطوار الأدوار يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري
بفتح أوله ويضم وهو منصوب بنزع الخافض أي لن تصلوا إلى ضري فتضروني
منصوب جواب النفي ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني والمعنى لن تقدروا أن توصلوا إلي ضررا
ولا أن توصلوا إلي نفعا فالطاعة لا تنفعه والمعصية لا تضره بل إن أحسنتم
أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها والله الغني عن جميع الأشياء وأنتم الفقراء
أي المحتاجون إليه في إيجادكم وإمدادكم فالنفي غير متوجه إلى القيد بل إلى مجموع الكلام
كما لا يخفى على الأعلام يا عبادي لو أن أولكم وآخركم أي كل أفرادكم أو الأموات
والذين سبقوكم والأحياء الموجودين فيكم ومن لا يوجد بعد منكم وإنسكم وجنكم
أي جميع أصنافكم كانوا على أتقى أي تقوى أتقى قلب رجل أو على أتقى أحوال قلب رجل
واحد منكم وإنما قدر هكذا ليصح الحمل والمعنى لو كنتم على غاية التقوى ما زاد ذلك
الكون في ملكي شيئا أي من العظمة يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم
وجنكم كانوا على أفجر أي على فجور أفجر قلب رجل واحد أو على أفجر أحوال
ولم يقل لفظة منكم هاهنا لأنه لا يخاطبهم بالأفجرية تفضلا وإحسانا كذا قاله
شارح وقال الكازروني وقع منكم في بعض النسخ لكن الرواية على الأول والمعنى
لو اتفقوا على الفجور ما نقص ذلك من ملكي شيئا لأن واجب الوجود لذاته

الثابت في جميع صفاته لابد ان يكون غنيا عن الحاجات متصفا بكل الكمالات فملكه كامل
بل لا يتصور وجود اكمل منه كما اشار اليه الامام حجة الاسلام بقوله في الامكان ثم ما يوجد
في الكون من الشر فهو اضافي وليس شرا مطلقا بحيث يكون عدمه خيرا من وجوده
بل وجوده مع ذلك خير من عدمه وقوله شيئا مفعول مطلق ان قلنا نقص لازم
اي شيئا من النقص او مفعولا به ان قلنا انه متعد اي شيئا من الاشياء هذا وقيل
اراد باتقى رجل منكم محمدا صلى الله عليه وسلم كما اراد بافجر رجل ابليس فانه من الجن عند الجمهور
ولعل هذا ايضا نكتة اسقاط لفظة منكم في الفقرة الثانية فان المقصود بالخطابات الانس
وانما ذكر الجن تبعا في مقام الانس يا عبادي لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد
واحد وهو وجه الارض وظاهره اي في مقام واحد فسألوني في تلك الحالة
بالسنة مختلفة حوائج مؤتلفة وقيد السؤال بما ذكر لان تزاحم الاسؤلة وترادف
الناس في المسألة مع كثرتهم وكثرة حاجتهم مما يضجر المسؤل عنه ويدهشه وذلك
يوجب حرمانهم ونقصانهم او تعسر انجاز مطالبهم واسعاف مآربهم وليس كذلك
في حقه سبحانه فاعطيت كل انسان مسألته اي مطلوبه وحاجته ما نقص ذلك
اي العطاء لعبيدي مما عندي شيئا من خزائن الرحمة التي في قدري وحكمي وتدبيري
الا كما ينقص المخيط اذا ادخل البحر بصيغة المجهول ونصب البحر على ثاني المفعول
قال المظهر هو بكسر الميم واسكان الخاء وفتح الياء اي الابرة ومعناه لا ينقص شيئا يعني
لان ما عند الله لا يدخله نقص بل يدخل المحدود الفاني وما في كما موصولة
او موصوفة او مصدرية اي ما نقص شيئا كالاشياء مثل الذي او مثل شيء او نقصانا
الا مثل نقصان في القلة وانما ضرب المثل بالمخيط والبحر لانه وان كان يرجع بشيء قليل منه
محسوس لكن لقلته بالنسبة الى اعظم المرئيات عيانا لا يرى ولا يعد شيئا فكأنه لم ينقص
شيئا وهذا من باب تشبيه المعقول بالمحسوس للتفهيم لان في التحقيق لا ينقص
خزائن الله بشيء ولا ينقص ماء البحر فاين ذلك مما هنالك ونحو معناه قول
الخضر لموسى عليهما السلام ما نقص علمي وعلمك من علم الله الا كما ينقص هذا العصفور

وهو الذي رآه يشرب من البحر فان قلت هل يتصور ملك يعطي منه هذا العطاء
ولا ينقص شيء من الاشياء فالجواب ان العلم يقتبس منه ما شاء الله ولا ينقص منه
شيء اصلا ثم في هذا الحديث تنبيه للخلق على ان يكثروا سؤاله تعالى مع اعظام الرغبة
وتوسيع المسألة والعلم بان منع عطائه ليس لنقص في خزائنه بل الحكمة تقتضي
ذلك ان يكون المنع خيرا هنالك ولذا قال ابن عطاء ربما اعطاك فمنعك
وربما منعك فاعطاك فالعوام يطلبون الدنيا وزهراتها والخواص يتوجهون
الى العقبى ولذاتها والعارفون يقصدون الحضرات الاحدية ومناجاتها وذلك
بعد ان فاح عليهم نفحات الوفا وزكاهم الحق من كدورات الصفا وحلاهم باجمل الحلى واحياهم
بعد ما افناهم بعين البقاء وسقاهم من شراب الوداد واسكرهم بحقيقة المراد وكشف لهم
الاستار واطلع عليهم شموس الاسرار ورقاهم حالا بعد حال من بسط وقبض وجذب
وحجب وجمع وفرق وكشف وستر وصحو ومحو وتمكين وتلوين كما قيل شعر كان شيئا
لم يزل اذا اتى كان شيئا لم يكن اذا مضى فلا يشاهد في الملكوت الا جمال ذي العزة والجبروت
قال الشاذلي قدس سره انا لا نرى مع الحق من الخلق احدا ان كان ولا بد فكالهباء ان فتشته
لم تجد شيئا اي في الهواء ومما اشتهر انه قال بعضهم ما رأينا شيئا الا ورأينا الله بعده
وما رأينا شيئا الا ورأينا الله فيه وما رأينا شيئا الا ورأينا الله قبله وما رأينا شيئا سوى الله
فاشارة الى ترقيهم في معارج الاذواق ومناهج الطلب يا عبادي انما هي الضمير للقصة
وقوله اعمالكم على حذف المضاف اي جزاء اعمالكم احصيها لكم اي احفظها عليكم
واكتبها ثم اوفيكم اياها بتشديد الفاء اي ردها اليكم تاما وافيا كذا ذكره السيد
جمال الدين وقال المظهر هي ضمير مبهم يفسره قوله اعمالكم يعني راجع الى متعلق ذهن اشير اليه
ثم اخبر عنه بما بعده كما قال صاحب الكشاف في قوله تعالى هذا فراق بيني وبينك انه
قد تصور فراق بينهما عند حلول ميعاده فاشار اليه انتهى ونحو قوله لكم لطف
حيث لم يقل عليكم وقال الطيبي الضمير راجع الى ما يفهم من قوله اتقى قلب رجل وافجر قلب
رجل وهي الاعمال الصالحة والطالحة اعمالكم احصيها عليكم اي بعلمي وملائكتي الحفظة

احفظها عليكم ثم اوفيكم اياها اى اوفى جزاءها ان خيرا فخير وان شرا فشر
فمن وجد وفى نسخة صحيحة عمل خيرا اى ما يثاب عليه فليحمد الله على توفيقه
لطاعته وليعلم انه من فضل الله ورحمته ومن وجد غير ذلك اى غير ذلك الخير
وهو الشر ولم يذكره للعلم من جهة مقابلة او لانه ليس شرا محضا كما قرره فى محله
او لان ذكر الشر شر فتركه خير فانه من آداب حسن الخطاب ولعل غير ذلك
اعم من الشر فيشمل المباح فانه بالنسبة الى الخير شر ولذا ورد ليس يتحسر اهل الجنة
يوم القيامة الا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها فمن وجد غير محض الخير
ولو لم يكن صريح الشر ينبغى ان يلوم نفسه فى مقام المراقبة وحال المحاسبة
ولذا قال الشيخ البستى شعر زيادة المرء فى دنياه نقصانه وربحه غير محض
الخير خسرانه فلا يلومن الا نفسه لبقائها على الظلمة الاصلية لما اثرت
شهواتها ومستلذاتها على رضى خالقها ورازقها فكفرت بنعمه
ولم تذعن لحكمه فاستحقت ان يعاملها ربها بمقتضى عدله وان يحرمها
من اياد كرمه وفضله وفيه ايماء الى ذم ابن آدم وقلة انصافه حيث ما يحسب
طاعته من نفسه وكسبه ولا يسندها الى توفيق ربه واذا صدر شئ من الاوزار له
يسندها الى الاقدار فان كان لا تصرف له على زعمه فهلا كان ذلك فيهما وان كان
تصرف فلم ينفعه عن احدهما قيل هذا الحديث صريح فى ان الخير من الله والشر
من النفس كما قاله المعتزلة وتأويله على مذهب اهل السنة ما قيل فى قوله تعالى
ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك اضاف السيئة
والشر الى النفس لانها السبب فيها لاستجلابها بالمعاصى وهو لا ينافى قوله تعالى
قل كل من عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا غير ان الحسنة احسان
وانعام والسيئة مجازاة وانتقام ولا لوم على الله بحال لانه فانه لا يجب عليه تعالى
شئ وقد اكد الفعل بالنون تحذيرا ان يقع فى قلب عامل غافل انه لا يستحقه
غير نفسه قال البيضاوى افعال العباد وان كانت غير موجبة للثواب والعقاب

بذواتها

بذواتها الا انه تعالى اجرى عادته بربطهما بها ربط المسببات بالاسباب
وانشد بعض ارباب الالباب شعر اخاف وارجو عفوه وعقابه واعلم حقا انه حكم
عدل فان يك عفوا فهو منه تفضل وان يك تعذيبا فانى له اهل والتحقيق
ان السبب الفاعلى للخير والشر ليس الا الله وحده بمقتضى فضله وعدله واما السبب
القابلى فهو وان كان ايضا منه فى الحقيقة الا ان قابلية الخير من الاستعداد
الاصلى الذى هو من الفيض الاقدس الذى لا مدخل للاختيار فيه وقابلية الشر
من الاستعداد الحادث بسبب ظهور النفس والافعال الحاجبة للقلب المكدرة لجوهر الروح
حتى احتاج الى الصقل بالرزايا والبلايا ولذا قال تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت
ايديكم ويعفوا عن كثير ثم المجازاة قد تكون فى الدنيا على الحسنات والسيئات لما روى
ان المؤمنين يجازون بسيئاتهم فى الدنيا ويدخلون الجنة بحسناتهم والكافر
يجازى بحسناته فى الدنيا ويدخل النار بسيئاته والمراد بحسنات الكافر طاعات
لم تتوقف صحتها على الايمان كاحسانه اليتيم وصلة الرحم واطعام المسكين واغاثة
الملهوف واداء الضيافة واعتاق الرقبة وامثال ذلك هذا وفى القرآن ان اهل الجنة
يحمدون بقولهم الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله
وان اهل النار يلومون انفسهم قال تعالى حكاية عن ابليس لهم فلا تلومونى ولوموا انفسكم
رواه مسلم وهو حديث عظيم من الاحاديث الالهية المسماة بالقدسية وهى
اكثر من مائة وقد جمعها بعضهم وقد انتخبت منها اربعينا وقد ساق المص
هذا الحديث باسناده فذكره وختم به وفيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام
عن الله عز وجل ثم نقل ابا ادريس رواية عن ابى ذر كان اذا حدث به جثى على ركبتيه
تعظيما له واجلالا ورجال اسناد هذا الحديث دمشقيون قال احمد ليس لاهل الشام
اشرف منه واخرجه احمد والترمذى وابن ماجه بزيادة يا عبادى كلكم مذنب الا من عافيته
فسألونى المغفرة اغفر لكم ومن علم منكم انى ذو قدرة على المغفرة واستغفرنى غفرت له
ولا ابالى وكلكم فقير الا من اغنيته فسألونى ارزقكم فلو ان حيكم وميتكم واولكم

وآخركم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا وكانوا على قلب اتقى عبد من عبادي لم يزد
في ملكي جناح بعوضة ولو اجتمعوا وكانوا على قلب اشقى عبد من عبادي
لم ينقص من ملكي جناح بعوضة ولو ان حيكم وميتكم واولكم وآخركم ورطبكم
ويابسكم اجتمعوا فسأل كل سائل منهم ما بلغت امنيته ما نقص من ملكي
الا كما لو ان احدكم مر بالبحر فغمس فيه ابرة ثم نزعها ذلك باني جواد
ماجد واجد افعل ما اريد عطائي كلام وعذابي كلام انما امري لشيء
اذا اردت ان اقول له كن فيكون هذا وقيل في هذا الحديث دليل على قدر الاعمال
وان من لا عمل له فهو على خطر عظيم في المآل وقال القاضي رزين بن معاوية صح كل الناس الا من
عصمه الله تعالى قد اتخذ ومذهب المرجئة امنية فيرجو الجنة بلا عمل الطاعة
ويلتمس الرحمة مع الاقامة على المعصية من غير توبة وقد جاء ان الغرة هي المقام
على المعصية وتمني المغفرة وجاء كما لا يجتنى من الشوك العنب كذلك
لا تنال الابرار منازل الفجار وقال تعالى ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا
في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء
ثم وصفهم بقوله ان الذين يتلون كتاب الله الى قوله انه غفور شكور فالواجب على العبد
ان يكون بين الخوف والرجاء قال تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي
هو العذاب الاليم وجاء في الحديث ان الله لا يجمع على عبد خوفين ولا يجمع له بين
امنين وان من اخافه في الدنيا امنه في العقبى وان من امنه في الدنيا اخافه في العقبى
وانشد لقد اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي الخامس والعشرون
عن ابي ذر ايضا اي رجع الحديث اليه رجوعا رضي الله عنه ان ناسا اي جمعا
وهم فقراء المهاجرين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
الجمع بين النبي والرسول الاقتصار فيه صلى الله عليه وسلم بهما ثم خص بالوصف الاخص
حال النداء بقولهم يا رسول الله ذهب اهل الدثور قال المص بضم الدال والثاء المثلثة
الاموال الكثيرة واحدها دثر كفلس وفلوس انتهى بالاجور الباء للتعدية

وفيه معنى المصاحبة اي ذهب اهل الاموال بالدرجات العلى واستصحبوها معهم
في الدنيا والعقبى فما حالنا وما مآلنا حيث لم يتركوا لنا شيئا من اسباب المنى لانهم يصلون
كما نصلي ما كافة او مصدرية ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول
اموالهم اي ونحن لا نقدر على ان نلحق بهم في زيادة اعمالهم هذا ليس بحسد في اموالهم
بل غبطة في حسن احوالهم ورجاء زيادة آمالهم في مآلهم قال او ليس الهمزة للانكار
والواو للعطف على مقدر اي ايكون كذلك وليس قد جعل الله لكم ما تصدقون
الرواية فيه بتشديد الصاد والدال جميعا ويجوز في اللغة تخفيف الصاد
قاله المص في شرح مسلم اي تتصدقون به ان بكل تسبيحة اي ان لكم بسبب كل قول
سبحان الله ونحوه من سبوح وقدوس وامثالهما صدقة اسمها وبكل
متعلق بالخبر المقدر وليس بخبر لعدم الفائدة ثم الصدقة ما يخرجه الانسان
من ماله على وجه القربة واجبا او تطوعا فقال القاضي عياض تسميتها صدقة
تشبيها لها بالمال في اثبات الاجر او على سبيل المشاكلة وقيل معناه انها صدقة على نفسه
انتهى وعلى كل ففيه ايماء الى ان الصدقة للقادر عليها افضل من هذه الاذكار
ويؤيده ان العمل المتعدي افضل من التأخير غالبا والى ان تلك الاذكار اذا احسنت
النية فيها ربما يساوي اجرها اجر الصدقة لا سيما في حق من لم يقدر على الصدقة
بل قد ورد لو ان رجلا في حجره دراهم يقسمها وآخر يذكر الله لكان الذاكر لله
افضل فتأمل وفي بعض النسخ ان كل تسبيحة صدقة وهو مع مخالفته للاصول المعتبرة
غير مطابق لما سيأتي من ضبط المص عنه قوله وبكل تكبيرة صدقة وبكل تحميدة صدقة
وبكل تهليلة صدقة حيث قال في شرح مسلم رويناه بالوجهين رفع صدقة ونصبه
فالرفع على الاستيناف والنصب عطفا على ان بكل تسبيحة صدقة انتهى والحاصل
ان كلا في المواضع الثلاثة اما مجرور للعطف على مدخول الجار في بكل تسبيحة
وصدقة منصوب على انه اسم ان وهذا الوجه هو المختار المضبوط في اكثر
نسخ العلماء الابرار واما مرفوع على انه مبتدأ وصدقة خبره والجملة عطف على محل ان

والمراد بالتكبيرة نحو الله أكبر وبالتحميدة الحمد لله وبالتهليلة لا إله إلا الله
وأمثالها مما يدل على معناها وإن اختلفت مبناها وأمر بالمعروف وهو ما عرف في الشرع
ولو على خلاف الطبع صدقة وقد ضبط في أصلنا المعتمد المقروء على مشايخنا الكرام
ونصب صدقة عطفا على ما قبله وفي بعض النسخ المصححة برفعهما على أنهما
مبتدأ وخبر والمخصص للابتداء بالنكرة هنا عملها في المعروف على ما نص عليه ابن مالك
وكذا الكلام في قوله ونهي عن منكر صدقة وفي نسخة المنكر قيل وإسقاط المضاف
هاهنا اعتمادا على السابق أو قطعا له عن ذلك الحكم والتنوين للتقليل للإشعار
بأن قليلا من هذا النوع يقوم مقام تلك الأمور السابقة فكيف بالكثير وذهب المص
في شرح مسلم إلى أن التنكير فيه للإفراد حيث قال فيه إشارة إلى ثبوت حكم الصدقة
في كل فرد من أفراد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولهذا نكرهما والثواب فيهما
أكثر منه بالتسبيح ونحوه لأنهما فرض كفاية وتلك نوافل ومعلوم أن أجر الفرض
أكثر من النفل لقوله عز وجل وما تقرب إلي عبدي بشيء مما افترضت عليه
وروي أن ثواب الفرض يزيد على النفل بسبعين درجة انتهى والمعروف هو
الصنائع الجميلة والخصائل الجليلة لأنها عرفت في الشرع ولذا عرف باللام والمنكر ما ينكره
الشرع ولا يرتضيه العقل والطبع وكذا نكر للتحقير وفي بضع أحدكم صدقة
بالنصب والرفع وفي تعليلية بمعنى الباء السببية قال المص هو بضم الباء
وإسكان الضاد المعجمة وهو كناية عن الجماع إذا نوى به العبادة وهو قضاء حق الزوجة
وطلب ولد صالح وإعفاف النفس وكفها عن المحارم أي من النظر أو الفكر أو الهم أو العزم
وأمثال ذلك والظرف في كلامه متعلق بمحذوف وفائدته يكون الجماع صدقة إذا نوى
العبادة من قصد معاشرتها بالمعروف الذي أمر الله به ثم الواو في كلامه بمعنى أو لأن كلا
من الأمور المذكورة سبب لكونه صدقة ثم البضع بالضم النكاح على ما في الصحاح
وقال غيره يطلق على الفرج نفسه والمراد هنا مباشرة الرجل منكوحته أو مملوكته
ولما كان الجماع من الأمور المباحة واستبعد أن يكون فيه أجر الصدقة قالوا يا رسول الله

أيأتي أحدنا

أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر أي مثوبة قال أرأيتم أي أخبروني
لو وضعها في حرام أكان عليه وزر أي إثم يترتب عليه عقوبة والاستفهام للتقرير
ولذا قال فكذلك إذا وضعها في الحلال وفي نسخة في حلال كان له أجر بالرفع في أصلنا
وفي بعض النسخ بالنصب قال في شرح مسلم ضبطنا أجرا بالنصب والرفع
وهما ظاهران انتهى فالنصب على أنه خبر كان واسمه مستتر فيها أي كان ذلك
الوضع له أجرا والرفع على أنه اسم كان أي كان أجر له بوضعه أو كان لأجل
وضعه أجر وفي الحديث دليل لمن جوز القياس وهم أكثر الأصوليين والمذكور
قياس العكس واختلف فيه أيضا وهو إثبات ضد الحكم في ضد الأصل
كإثبات الوزر الذي هو ضد الصدقة في الزنا الذي هو ضد الوطء المباح
ومثله قول ابن مسعود رض قال صلى الله عليه وسلم من مات لا يشرك بالله شيئا
دخل الجنة وأنا أقول من مات يشرك بالله شيئا دخل النار ذكره ابن حجر وأقول مثله
حديث طوبى لمن طال عمره وحسن عمله فإن الويل لمن طال عمره وساء عمله
وأما ما نقل عن بعض التابعين في ذم القياس فهو إما محمول على قياس معارض للنص
وإما على ما فقد فيه بعض شروطه ثم رأيت رواية أحمد والترمذي
عن أبي بكرة بلفظ خير الناس من طال عمره وحسن عمله وقال المص في شرح مسلم
فيه إثبات جواز القياس كما قال العلماء كافة خلافا لأهل الظاهر واختلف الأصوليون
في العمل به هذا دليل لمن عمل به وهو الأصح وفيه دلالة على أن المباحات تصير بالنيات
الصادقات طاعات انتهى وقد ورد من نام عن ورده كتب الله أجر صلاته وكان نومه
صدقة من الله تصدق به عليه أخرجه النسائي وغيره وأخرج البزار ما من يوم
وليلة ولا ساعة إلا فيها صدقة يمن بها على من يشاء من عباده وما من الله على عبده
مثل أن يلهمه ذكره وقيل ظاهر الحديث يقتضي أن الوطء صدقة وإن لم ينو به شيئا كما أنه
لو زنا لأثم وإن لم ينو به شيئا وإليه أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقياس العكس
الذي ذكره حيث قال أرأيتم لو وضعها في حرام الخ قلت النية معتبرة في الزنا أيضا

ألا ترى أنه لو جامع امرأة لقيها على فراش زوجته ولم يتبين له أنها غيرها لا يكون آثما بخلاف ما إذا دخل في حانوت فاحشة على قصد الزنا بها فوجد امرأته هناك ولم يعرفها وجامعها يكون آثما وقد أخرج ابن حبان في صحيحه ليس من نفس ابن آدم إلا عليها صدقة في كل يوم طلعت فيه الشمس قيل يا رسول الله ومن أين لنا صدقة نتصدق بها قال إن أبواب الخير لكثيرة التسبيح والتكبير والتحميد والتهليل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتميط الأذى عن الطريق وتسمع الأصم وتهدي الأعمى وتدل المستدل على حاجته وتسعى بشدة ساقيك مع اللهفان المستغيث وتحمل بشدة ذراعيك مع الضعيف فهذا كله صدقة منك عليك وأخرجه أحمد بنحوه وزاد ولك في جماع زوجتك أجر قلت كيف لي أجر في شهوتي قال صلى الله عليه وسلم أرأيت لو كان لك ولد فأدرك ورجوت خيره فمات أكنت تحتسب به قلت نعم قال فأنت خلقته قلت بل الله خلقه قال فأنت هديته قلت بل الله هداه قال كنت ترزقه قلت بل الله كان يرزقه قال كذلك فضعه في حلاله وجنبه حرامه فإن شاء الله أحياه وإن شاء أماته ولك أجر فإن قلت إذا فعل الأغنياء ما ذكر من التسبيح والتحميد والتهليل وأمثالها تبقى شكوى الفقراء على حالها أجيب بأن مقصود الفقراء تحصيل ثواب الصدقة لا نفي زيادتهم المطلقة ونوقش بأن الظاهر أن مقصدهم إنما كان طلب المساواة لأنه ورد في بعض طرق الحديث عند مسلم قال أبو صالح فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء رواه مسلم ولفظه في الصحيحين أن فقراء المهاجرين أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم فقال وما ذاك قالوا يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق فقال صلى الله عليه وسلم ألا أعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع

مثل ما صنعتم قالوا بلى يا رسول الله قال تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين فعلم بهذا أفضلية غني شارك الفقير في العبادات البدنية وزاد عليه بالقربات المالية وهذا لا شك فيه كما قاله ابن دقيق العيد وإنما الذي يتردد النظر فيه إذا تساويا في أداء الواجب وزاد الفقير بنوافل الأذكار والغني بنوافل الصدقة وانفرد كل واحد بمصلحة ما هو فيه وإذا كانت المصالح متقابلة ففي ذلك نظر يرجع إلى تفسير الأفضل ما هو فإن فسرناه بزيادة الثواب فالقياس يقتضي أن المصالح المتعدية أفضل من القاصرة وإن كان الأفضل بمعنى الأشرف بالنسبة إلى صفات النفس فالذي يحصل للنفس من التطهير للأخلاق والرياضة لسوء الطباع بسبب الفقر أشرف فيترجح الفقر ولهذا المعنى ذهب الجمهور من الصوفية إلى ترجيح الفقير الصابر لأن مدار الطريق على تهذيب النفس ورياضتها وذلك مع الفقر أكثر منه مع الغنى فكان أفضل بمعنى أشرف انتهى كلام ابن دقيق العيد وهو في غاية التحقيق ونهاية التدقيق ويؤيده أن الظواهر من الأحاديث تقتضي تفضيل الذكر على الصدقة بالمال لحديث أحمد والترمذي ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله عز وجل ولحديثهما أيضا سئل أي العباد أفضل عند الله يوم القيامة قال الذاكرون الله كثيرا قلت يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله قال لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكر لله أفضل منه درجة ولحديث الطبراني لو أن رجلا في حجره دراهم يقسمها وآخر يذكر الله لكان الذاكر لله أفضل ولهذا ذهب جماعة من الصحابة والتابعين إلى أن الذكر أفضل من الصدقة وأجمع الصوفية على أن الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر وإنما خالفه ابن عطاء فدعا عليه الجنيد قدس سره فابتلي بالبلاء بل قال بعضهم الفقير الشاكي أفضل من الغني الشاكر ولعل مراده الشاكي إلى الله حيث ما وصل إلى مقام الصبر وحال الرضاء ويؤيده حديث اللهم اجعل رزق آل محمد

بسيفه صح

قوتا وفي رواية كفافا ويقويه ان الله تعالى جعل اكثر الانبياء والاصفياء
في صورة الفقراء وهيئة الضعفاء حتى قال صلى الله عليه وسلم يدخل سليمان عم الجنة
بعد سائر الانبياء بخمسمائة عام وقال في حق عبد الرحمن بن عوف انه يدخل الجنة بعد فقراء
المهاجرين بخمسمائة عام وفي رواية رأيته يدخل الجنة حبوا واما ادعى ابن حجر ان نبينا
صلى الله عليه وسلم في آخر عمره صار غنيا فلا وجه له اذ ثبت انه صلى الله عليه وسلم توفي
ودرعه مرهونة عند يهودي ولقد قال الامام حجة الاسلام ان الكافر الفقير عذابه
اخف من الكافر الغني فاذا كان الفقر ينفع الكفار فكيف لا يكون نافعا للابرار ويؤيده
انه صلى الله عليه وسلم قال اجوعكم في الدنيا اشبعكم في الآخرة وانه صلى الله عليه وسلم
لما عرض عليه الدنيا وخير بين ان يكون نبيا ملكا وبين ان يكون نبيا عبدا اختار ان يكون
نبيا عبدا وقال اجوع يوما فاصبر واشبع يوما فاشكر وفي اذكار المريدين اجمعوا
على ان الفقير الصابر افضل من الغني الشاكر ثم قال فان قيل قال صلى الله عليه وسلم اليد العليا
خير من السفلى والعليا هي المنفقة كما في رواية فالجواب ان الغني افضل من ذلك
الفقير بسبب انه باعطائه القدر اليسير من المال لمن يحتاج الفقير فحصل له في الجملة
نوع من الكمال وان الفقير بسبب اخذه من غير اضطراره مال المحتاج فوقع له نقصان في الحال
وقد ذكر بعض ارباب التحقيق واصحاب التدقيق جوابا عن هذا الاشكال الا انه
يتوقف على تمهيد مقدمة على جواب السؤال وهي ان الفقر اسم للبراءة من رؤية
الملك بان لا يرى الملك والتصرف في ماله ونفسه بل في الوجود الا للحق وله مراتب
بعضها فوق بعض من قبض اليد عن الدنيا ضبطا وطلبا والاعراض عنها لسانا وجنانا
ثم الرجوع الى سابقته الازل وهو عدم الذاتي فيعلم ان وجوده واستعداده وحالاته
وكمالاته ومقاماته من فضل الله وفيضه الاقدس فيتجرد عن الكل راجعا الى الله
فقيرا ثم يتحقق اضطراره بان يعلم ان الوجود الحقيقي لله وان ما يجري عليه حكم سابقة
الازل فلا فعل له ولا وصف ولا وجود فهو مضطر تحت حضرة الجمع وهذا
فقر الصوفية الذي هو فقد الانانية في الفناء في احدية الذات واما الغنى

فهو اسم للملك التام

فهو اسم للملك التام وهو اما غنى القلب بالمؤثر الحقيقي عن جميع الوسايط ومسالمته
لحكم الله تعالى في تمام المرابط وغنى النفس المطمئنة عن حظوظها وتعلقاتها باستقامتها
على طلب الحق او الغنى بغنى الحق بالفناء في ذاته والبقاء ببقائه فاذا تقرر ذلك فيقال
الفقر الذي تكلموا في شرفه وتفضيله على الغنى هو فقر الزهاد المشار اليه اولا
والاغنياء الذين فضلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هم الذين اختارهم الله في سابق علمه
وخصهم من مواهب فضله بسائر مراتب الفقر والغنى فلم يكن فضلهم الا بها لا بسبب
انفاقهم واعمالهم المشتركة كما ظن الفقراء وتمنوا ان يسابقوهم ويساووهم
فنبههم اولا باحوالهم حتى ينقطع عنهم تلك الامنية فلما لم يتنبهوا اعلمهم بخصوص
المواهب والعطاء بقوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ليعلموا انهم اصفياء الفقراء
واخفياء الاغنياء في سرادقات العزة وحجب الاعتلاء كما اشار الى ذلك بعض الاولياء
شعر لله تحت قباب العز طائفة اخفاهم وفي رداء العز اجلالا هم السلاطين
في اطمار مسكنة استعبدوا من ملوك الارض اقبالا غبر ملابسهم شم معاطسهم
جروا على فلك الخضراء اذيالا وحاصل الكلام ان مقام جمع الجمع اعلى مرتبة وهو الرضاء
والتسليم بما جرى به قلم القضاء كما يشير اليه قوله تعالى ان ربك يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا وفي الحديث القدسي ما معناه
ان من عبادي من لا يصلحه الا الفقر ولو اغنيته لفسد حاله وان من عبادي
من لا يصلحه الا الغنى ولو افقرته لفسد حاله وقد يختلف حال شخص واحد
باعتبارين فتارة يناسبه الفقر واخرى يناسبه الغنى ولذا قال الفاروق
رضي الله عنه هما مطيتان لا ابالي ايتهما اركب وهذا بالنسبة الى اختيار الرب
لعبده واما اذا خير فاختيار ما اختاره مختار الانبياء بان يكون جامعا
بين احوال الاصفياء فتارة يجوع ويصبر على البلاء وتارة يشبع ويشكر
على النعماء فيكون مظهر الكمال في مرائي الجلال والجمال ومجمل القضية
ان كل ما يبعد العبد عن قرب الرب فهو شوم وكلما يقربه الى المقام

أنسه وحضرة قدسه فهو مبارك ولان الفقر كاد ان يكون كفرا
كما في حديث وفي الآية كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ولقد تعوذ صلى الله عليه وسلم
منهما بقوله اعوذ بك من شر الفقر ومن شر الغنى ثم رأيت بعض الفضلاء ذكر
وجها وجيها في تفضيل الفقراء على ما يفهم من هذا الحديث وهو ان الاغنياء وان شاركوا
الفقراء في التسبيح ونحوه فقد امتاز الفقراء عنهم بمزية جليلة وهي الحسرة
التي يجدها الفقراء عند عدم ما ينفقونه كما ينفقها الاغنياء وقامت تلك الحسرة
مقام انفاق الصدقة فان نية المؤمن خير من عمله ولان تسبيح الاغنياء مسبب
عن سؤال الفقراء وكل من يتعلم منهم الى يوم القيامة فانه في المعنى كانه من صدقة عليهم
وشتان ما بين الصدقتين هذه صدقة الاذكار وهي قوت الارواح وتلك صدقة الطعام
والشراب وهي قوت الاشباح واما ما قاله الشيخ ابو طالب المكي قدس سره انكم فضلتم الاغنياء
او ساويتموهم وان لم يكن لكم قربات اموالهم ذلك فضل الله فهو بعيد كما لا يخفى على ذوي الا
وقيل الكفاف افضل من الفقر والغنى فانهما محنتان يمتحن الله بهما من يشاء من عباده واختاره شيخ
مشايخنا الجلال السيوطي قدس سره ويؤيده حديث خير الرزق الكفاف رواه احمد في الزهد
وفي رواية خير الرزق ما كان يوما بيوم وفي رواية خير الرزق ما يكفي ووقفت طائفة
عن التفضيل بينهما ثم الذي يخطر بالبال والله اعلم بالحال ان كلام الصوفية ليس في فضائل الاعمال
بل في مراتب الاحوال بان الصبر على شدة الفقر وقلة المال اقوى من الشكر على النعمة وسعة المال
وهذا امر واضح لا ينبغي ان يكون فيه خلاف المقال فان العبد الذي يخدم سيده على الكد
والمحنة لا شك انه اكمل من الذي يخدمه في حال البسط والمنحة فان الثاني يحتمل انقلاب
حاله اذا وجد المحن وان الاول بطريق الاولى يزيد في الطاعة عند ظهور المنن السادس والعشرون
عن ابي هريرة تقدم ذكره ووجه منع صرفه واعاده ابن حجر هنا ذهولا له عما مضى
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل سلامى بضم السين وتخفيف اللام وفتح الميم
وجمعه سلاميات بفتح الميم وهي المفاصل والاعضاء وهي ثلاثمائة وستون ثبت ذلك
في صحيح مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المصنف وهو مبتدأ موصوف بقوله من الناس

ولفظة من للتبعيض

ولفظة من للتبعيض وخبره قوله عليه صدقة والعائد الضمير المجرور قال ابن مالك
حق الراجع الى كل مضاف الى نكرة ان يجيء على وفق المضاف اليه كقوله تعالى كل نفس ذائقة الموت
وقد يجيء على وفق كل كما في الحديث انتهى ولا يبعد ان يقال تذكيره باعتبار معنى السلامى من العضو
والمفصل كما ذكروا في قوله تعالى ان رحمة الله قريب اي انعامه وفي قوله لعل الساعة قريب اي البعث
والمعنى على كل واحد بعدد كل مفصل او عضو صدقة يليق به شكر الله تعالى بان جعل في عظامه
مفاصل يقدر بها على القبض والبسط بسببها او دفع البلاء عنها بسلامتها وبقائها
كل يوم بالنصب ظرف لقوله صدقة لانه بمعنى تصدق او مرفوع على الاستئناف لكن الرواية على الاول
كما صرح به الكازروني وعلى تقدير ثبوت رفعه قوله تطلع فيه الشمس صفة كاشفة لليوم
لئلا يتوهم ان المراد به مطلق الوقت لا للتأكيد كما قيل وقوله يعدل مع خبره خبره
والعائد من الخبر محذوف اي يعدل فيه بين الاثنين اي يصلح بين المتخاصمين او المتحاكمين
او المتهاجرين صلحا جائزا بان لا يحل حراما ولا يحرم حلالا كما في حديث وهو مبتدأ
على تأويل المصدر او بان المقدر او ارتفاع الفعل بعد حذفه كما في قوله تعالى هو الذي يريكم البرق
وفي قولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وخبره قوله صدقة وقد ثبت بالآيات والاحاديث
النبويات ان الاصلاح بين الناس من افضل القربات واكمل العبادات قال تعالى لا خير في كثير من نجواهم
الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس وقال عز وجل انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم
وفي الحديث الا اخبركم بافضل من درجة الصلوة والصيام والصدقة قالوا بلى قال اصلاح
ذات البين حتى جاز الكذب فيه مبالغة في وقوع الالفة بين المتنازعين فان الصدق
يفضي الى محذور ناشئ منه في امر الدين وهو دوام العداوة بين المتخاصمين ويعين
الرجل اي من جنس الرجل المراد به النكرة اي ويساعد رجلا في دابته فيحمله اي فيركب
الرجل عليها اي على دابته والضمير راجع الى الرجل او المعين والاول ابلغ وقد ورد من حمل
اخاه على شسع فكانه حمله على دابة في سبيل الله رواه الخطيب او يرفع عليها
متاعه صدقة اي للمعين على الرجل وفي الحديث اشارة الى استحباب مراعاة حقوق الاصدقاء
المعروفين بل العوام المجهولين وهي الاعانة بالنفس والمال وكتمان السر والحال

وقد ورد انه صلى الله عليه وسلم ان المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد
اذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر والكلمة الطيبة وهي الباقيات
الصالحات صدقة على ما سبق فيه الكلام من التسبيح والتهليل والتحميد ونحوها في مقام
النظام ومنه قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب او المراد بها الكلام الطيب في رد
السائل قال تعالى قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى او المراد بها حسن الكلام
مع الانام لانه مما يفرح به قلب المؤمن ويدخل فيه السرور وهو من اعظم الاجور وقد ورد
انه اذا التقى المسلمان ينزل عليهما مائة رحمة تسعون لاكثرهما بشرا وعشرة لاقلهما
رواه في المعارف مرفوعا وقيل المراد بها كلمة التوحيد لقوله تعالى ومثل كلمة طيبة فانها
يطيب بها القلوب علما ومعرفة ومشاهدة وهي افضل الذكر لانها اجمع للقلوب
مع الله وانفع لنفي ما سواه واشد تزكية للنفس وتصفية للباطن وتنقية للخاطر
من حديث النفس وهواجسها واطرد للشياطين ووساوسها ثم اعلم ان الذكر
عبارة عن وجدان الرب وحضوره بالقلب وله لب هو المقصود وقشور ثلاثة
فالاعلى ذكر اللسان فقط ثم ذكر القلب تكلفا بحيث يحتاج الى مراقبة حتى يحضر
ثم ذكره طبعا بان يستمكن من القلب بحيث لا يحتاج الى تكلف في صرفه عنه الى غيره
ثم استيلاء المذكور وانمحاء الذكر والمذاكر بان يفنى عن نفسه وذكره ولا يلتفت الى فنائه
ايضا ذاهبا الى ربه اولا ثم ذاهبا فيه بالاستغراق به آخرا اذ لو التفت الى شيء
من ذلك لكان معرضا عن الله غير منفك عن الشرك الخفي هنالك واقل ما يكون فيه
كالبرق الخاطف فان دام صار به الى العالم الاعلى وطالع الوجود الحقيقي الاصفى وانطبع
بنقش الملكوت وتجلى له قدس اللاهوت واول ما يتمثل له جواهر الملائكة وارواح الانبياء
والاولياء في صورة جميلة تفيض اليه بواسطتها بعض الحقائق الى ان تعلو درجته
عن المقال فيكافح بصريح الحق في كل الاحوال هذا زبدة كلام الامام حجة الاسلام
في الاربعين وبكل خطوة بفتح الخاء المرة الواحدة وبضمها اسم لما بين القدمين
وقيل هما لغتان يمشيها اي يمشي الرجل بها الى الصلوة اي نحوها وفي سائر الطاعات صدقة

فعن ابي سعيد الخدري رض

فعن ابي سعيد الخدري رض قال كان بنو سلمة في ناحية من المدينة فارادوا
ان ينتقلوا الى قرب المسجد فانزل الله تعالى انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم
فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم دياركم تكتب آثاركم ثم قرأ عليهم الاية فتركوا
رواه البيهقي وعن عمر بن عبد العزيز لو كان الله مغفلا شيئا لغفل هذه الاثار
التي تعفيها الرياح ويميط الاذى بضم اوله اي ازالة ما يؤذي كالمارة من نحو
شوك او نجاسة او حجارة عن الطريق صدقة واخرت هذه ايماء الى انها ادون مما قبلها
كما يدل عليه حديث الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله
وادناها اماطة الاذى عن الطريق واستحب بعض العلماء انه اذا اراد ازالة الاذى
ان يقول لا اله الا الله ليكون جامعا بين اعلى شعب الايمان وادناه ويدخل تحت عمومه
اماطة الظالم عن طريق الحق وشرعه المطلق وهو مفهوم بالاولى كما في قوله تعالى
ولا تقل لهما اف فاندفع به قول ابن حجر انه تكلف بعيد هذا وقد قال بعض العارفين
المراد بالاذى النفس فانها منبع الشر والفساد ومعدن الظلم والاذى للعباد في البلاد
ومحل الافات والعاهات ولذا قيل اصل التوحيد اسقاط الاضافات وقال العارف بالله العاشق
قدس سره اصل التوحيد كشوف سبعين بابا من عيون صفات الحق كما اشير اليه في حديث
الايمان بضع وسبعون شعبة وافضلها كشف عين الذات وادنى المقام منها افراد القدم
عن الحدوث وهو اماطة قذى الكونين عن عين عيان القديم ولعل ما روي عن الحسن وابن سيرين
ان فعل المعروف يؤجر عليه وان لم تكن فيه نية بارى وحميد بن زنجوية عن الحسن
ان من اعطى آخر شيئا حياء منه له فيه اجر وابو نعيم في الحلية عن ابن سيرين ان من اتبع جنازة
حياء من اهلها له اجر لصلته للحي فلا ينافي ما صح في حديث ابن حبان انه صلى الله عليه وسلم
ذكر فيه خصالا كالتصدق وقول المعروف واعانة الضعيف وترك الاذى ثم قال
والذي نفسي بيده ما من عبد يعمل بخصلة منها يريد بها ما عند الله الا اخذ بيده
يوم القيامة حتى يدخل الجنة وهو مستمد من قوله تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة
او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما

فان ما ذكر في الكتاب والسنة محمول على كمال الاجر والثواب كما في نفس الاية اشارة الى ذلك
حيث استثنى ما ذكر من نفي الخير فاثبت له الخيرية ثم رتب له الاجر العظيم على تصحيح النية
ولولا اعتبار هذا العموم لارتفع اكثر الخيرات والمبرات لان اكثر الخلق عاجزون في مثل هذه
الافعال عن تصحيح النيات وايضا النية انما هي شرط لصحة العبادات المستقلة والثواب
منوط بها ايضا في الامور المباحة واما المعروف فكصلة الرحم والاحسان لليتيم واغاثة الملهوف
واعانة الضعيف واطعام الضيف والمسكين وامثالها فتصحيح النية من كمالها
لا لثبوت اصلها ولذا يجزي الله الكافر في الدنيا على امثال هذه الافعال من مكارم الاخلاق
فقول الحسن مستحسن مقبول لا مردود كما توهمه ابن حجر فتامل وتدبر فانه حاصل
الحديث يرجع الى التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله وقد قال بعض الاكابر
مجمع الخيرات هو الصدق مع الحق والخلق مع الخلق رواه البخاري ومسلم وفي رواية له
يصبح على كل سلامى من احدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة
وكل تهليلة صدقة وامر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة ويجزي عن ذلك ركعتان
يركعهما من الضحى والمعنى يكفي مجموع هذه الصدقات كلها عن هذه الاعضاء جميعها
ركعتان في وقت الضحى لانها اقل مقدار من صلوة نافلة وهي تعمل بالاعضاء كاملة
فاذا صلى في طاعته فقد قام كل عضو منه بوظيفته وادى شكر نعمته وقد قال سهل بن عبد الله
التستري في الانسان ثلاثمائة وستون عرقا مائة وثمانون ساكنة ومائة وثمانون متحركة
فلو تحرك ساكن او سكن متحرك لمنعه النوم ويؤيد هذا القول احاديث كثيرة منها
حديث البزار انه صلى الله عليه وسلم قال للانسان ثلاثمائة وستون عظما وستة وثلاثون
سلامى عليه في كل يوم صدقة قالوا فمن لم يجد ذلك يا رسول الله قال يامر بالمعروف وينهى عن المنكر
قالوا فمن لم يستطع قال يرفع عظما عن الطريق قالوا فمن لم يستطع قال فليدع الناس من شره
ومنها حديث مسلم خلق ابن ادم على ستين وثلاثمائة مفصل فمن كبر الله وحمد الله
وهلل الله وسبح الله وعزل حجرا عن طريق المسلمين او عزل شوكة او عزل عظما او امر بمعروف
او نهى عن منكر عدد تلك الستين وثلاثمائة السلامى وامسى في يومه فقد زحزح نفسه عن النار

ومنها حديث احمد

ومنها حديث احمد وابي داود في الانسان ثلاثمائة وستون مفصلا فعليه ان يتصدق
عن كل مفصل منه بصدقة قالوا ومن يطيق ذلك يا نبي الله قال النخاعة في المسجد يدفنها
والشيء ينحيه عن الطريق فان لم يجد فركعتا الضحى تجزئه ومنها حديث البزار وابن حبان
في صحيحه على كل ميسم من ابن ادم صدقة كل يوم فقال رجل من يطيق هذا قال امر بمعروف صدقة
الحديث هذا وقد قال تعالى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم قال ابو الدرداء هو صحة الجسد
وقال وهب مكتوب في حكمة آل داود العافية الملك الخفي اي فهي النعيم المسؤول وقال ابن مسعود رضي الله عنه
النعيم الامن والصحة ويؤيده حديث نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ
واخرج الترمذي وابن حبان ان اول ما يسأل العبد عنه يوم القيامة فيقول له الم نصح لك جسمك
ونرويك من الماء البارد وقال ابن عباس رضي الله عنه النعيم صحة الابدان والاسماع والابصار
وكانه اشار الى قوله تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا ثم الحديث المذكور
ما اورد لحصر الخيرات بل لتنبيه بالمذكور على امثالها من المبرات من الاحسان الى كل شيء حتى في كل كبد
رطبة اجر السابع والعشرون هو وما بعده حديثان الا انهما لما توارد على معنى واحد في الحقيقة
صارا كانهما حديث واحد بمنزلة الشاهد عن النواس بفتح النون وتشديد الواو ابن سمعان بكسر السين
وفتحها كذا قاله المص رضي الله عنه كذا في النسخ لكن لابيه ايضا صحبة فكان ينبغي
ان يقال عنهما وقد تزوج صلى الله عليه وسلم اخت النواس وهي المتعوذة روى له صلى الله عليه وسلم
سبعة عشر حديثا وكان ايضا من اصحاب الصفة وسكن الشام وقال اقمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالمدينة سنة ما يمنعني من الهجرة اي العود الى الوطن الا المسئلة اي السؤالات التي كانت ترد عليه
صلى الله عليه وسلم من بعض اصحابه واجوبتها لما رأيت المهاجرين والانصار لما اكثروا السؤال وقد نهوا عنه
كانوا يحبون ان ياتي اهل البادية ويسألوا حتى يسمعوا فيتعلموا فكانت اقامته تلك السنة مع عزم
العود الى وطنه لاجل ان يتفقه في الدين تلك المدة عملا بقوله سبحانه وتعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة
فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم
يحذرون وقيل وفيما ذكره دلالة على ان الهجرة لم يكن واجبة على غير اهل مكة ونوقش بانه من
كان له عشيرة تحميه لم تلزمه الهجرة ولو من مكة فلعله كان ممن له حمية من قومه

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اي حين سأله عن البر والاثم البر اي اعظم خصاله
حسن الخلق بضمتين وتسكن اللام وقد سبق انه طلاقة الوجه وبذل الندى وكف الاذى
وقال الترمذي البر هنا الصلة و... ويجمعها حسن الخلق وقال الطيبي
فسر البر في حديث آخر بما يقربك الى الله وقال بعض المحققين ان حسن الخلق
عبارة عن حسن العشرة والصحبة مع الخلق بان يعرف انهم اسراء الاقدار
وان كل ما لهم من الخالق والخلق والرزق والاجل والعمل بمقدار فيحسن اليهم حسب الاقتدار
فيأمنوه منه ويحبونه بالاختيار ومع الخالق بان يشتغل بجميع الفرائض والنوافل
ويأتي بانواع الفضائل عالما بان كل ما اتى منه ناقص يحتاج الى العذر وكل ما صدر
من الحق كامل يوجب الشكر ثم يتخلق باخلاق الله بدوام الاعراض عما سواه والحاصل
ان البر بكسر الباء جامع لانواع الخير وهو ما اقتضاه الشرع وجوبا وندبا ولذا قابله بقوله
والاثم وهو ما نهي للتحريم او الكراهة ما حاك في نفسك بالحاء المهملة والكاف
اي تردد قاله المص من الحيك وهو لتأثير اثر فيها بان اقلقها وهذا باعتبار المؤمن
المتقي الملهم بالحق والصواب فلعله صلى الله عليه وسلم علم ذلك من السائل حال الجواب
وفي رواية الاثم حواز القلوب بتشديد الزاي الاولى وهو بمعناه وفي اخرى
حواز بتشديد الواو وحاصله انه حل في قلبك منه حزازة وريب وخوف من انه ذنب
وقد تصحف على السيد الشريف قدس سره العلامة فضبطه بالجيم وهمزة بعد الالف
على انه بصيغة الماضي من المجيء غفلة عن الرواية والدراية وكرهت ان يطلع عليه الناس
اي اشرافهم الذين تستحيي منهم لو صدر منك ذلك الفعل عندهم والظاهر من سياق
الحديث ان للاثم علامتين علامة داخلية واخرى خارجية كما يأتي التصريح به في رواية
وذلك ان النفس لها شعور من اصل الفطرة بما تحمد عاقبته وما لا تحمد عاقبته
ولكن غلبت عليها الشهوة حتى اوجبت لها الاقدام على ما فيه المضرة كاللص تغلبه
الشهوة على السرقة وهو خائف من الوالي قطع الرقبة ولانها بطبعها تحب اطلاع
الناس على خيرها وبرها وتكره اطلاعهم على اثمها وشرها ومن ثم اهلك الرياء

اكثر المشايخ والعلماء

اكثر المشايخ والعلماء فبكراهتها اطلاع الناس على فعلها تعلم انه اثم بالنسبة اليها
فتترك ما خطر ببالها وقال بعض العارفين الاثم هو ما يحبس النفس وهي تحيك الصدر
بنعت الضغط او التضييق لانها ثقيلة على الارواح والبر لطف ممزوج بنور الذكر
فتطمئن به القلوب وتنفتح منه الغيوب وليس في الحديث دلالة على ان مجرد خطور المعصية
والهم بها اثم لوجود العلامتين حتى يحتاج الى ان يخص بخبر ان الله تجاوز لامتي عما وسوست
نفوسها ما لم تعمل به او تتكلم لان ذاك فيما لا يعلم كونه اثما ام لا وهذا فيما هو المعلوم من الآثام
مع ان التردد مناف للهم والعزم والا فالعزم على سبيل الجزم من جملة عمل القلوب
فيحصل به الاثم على ما عليه الجمهور من اهل العلم رواه مسلم وعن وابصة بكسر الباء الموحدة
ذكره المص وهو بالصاد المهملة ابن معبد بفتح الميم والموحدة رضي الله عنه
قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في عشرة رهط من قومه بني اسد بن خزيمة عام تسع فاسلموا
ورجع الى بلاده ثم نزل الكوفة ثم تحول الى الجزيرة وسكن الرقة ودمشق ومات بالرقة
ودفن عند منارة جامعها وكان كثير البكاء لا يملك دمعته قال اتيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال جئت تسأل عن البر اي والاثم لما سيأتي من الرواية في الجمع بينهما
ولما يشير الجواب اليهما ولعله من باب الاكتفاء بضد الاشياء فقلت نعم وهذا من دلائل
النبوة لانه اخبره عما في ضميره قبل ان يتكلم به وجاء في بعض الروايات ان وابصة
جاء يتخطى الناس حتى جلس الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا وابصة تحدثني ما جئت فيه
او احدثك قال بل انت حدثني يا رسول الله فهو احب الي قال جئت تسأل عن البر والاثم
قال نعم فقال استفت قلبك وفي رواية احمد قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانا لا اريد ان ادع شيئا من البر والاثم الا سألت عنه فقال لي ادن يا وابصة فدنوت
حتى مسست ركبتي ركبته فقال يا وابصة اخبرك بما جئت تسأل عنه او تسألني قلت
يا رسول الله اخبرني قال جئت تسأل عن البر والاثم قلت نعم قال فجمع اصابعه الثلاث فجعل ينكت بها
في صدري ويقول يا وابصة استفت نفسك الحديث اي اطلب الفتوى من قلبك لانه يكفي
في سلوك طريق الكمال وطلب الوصول بعين الوصال الى مقام الحق لان ذلك شأن سير الانسان

انما هو بالباطن وان كان مع استعانة الظاهر فصعود الهيئات البدنية الى حيز النفس والقلب
وهبوط الهيئات النفسانية والقلبية الى الظاهر للعلاقة بينهما ثم النفس قبل التوجه الى الحق تصير
امارة بالسوء ثم تصير لوامة ثم تصير مطمئنة والحاصل انه صلى الله عليه وسلم ذكر له ضابطة
جامعة مميزة بين البر والاثم **البر ما اطمأنت اليه النفس** اي مالت اليه وسكنت من اضطرابها
لديه والنسخ المعتمدة مجتمعة على لفظ اليه ووقع في اصل ابن حجر بلفظ عليه فقال
اي سكنت عليه وفي رواية اليه انتهى ولا يخفى ان السكون لا يتعدى بعلى نعم جاء في رواية
وسكنت اليه النفس وكان بعض من لا دراية له بالرواية رأى تكرار لفظ اليه مع قوله صلى الله عليه وسلم
واطمأن اليه القلب فغاير بينهما من عنده والمعنى اذا التبس عليك شيء ولم تدر انه
من اي القبيلين فتأمل فيه ان كنت من المجتهدين واسأل المجتهدين وان كنت من المقلدين
فان وجدت ما سكن اليه القلب فخذه والا فدعه قاله البيضاوي ولعل عطف اطمئنان
القلب على اطمئنان النفس للتأكيد فان النفس اذا ترددت في امر استتبع ذلك خفقانا
في القلب للعلاقة بينهما فان التعلق اولا لها وربما سرى الى سائر القوى فيحس بها
الحلال والحرام فاذا زال ذلك عن النفس وحدث بها طمأنينة انعكس الامر والنفس
لغة حقيقة الشيء واصطلاحا لطيفة في الجسد تولدت من ازدواج الروح بالبدن
واتصالهما معا فاذا قويت ظلمتها لا يغشاها نور العلم والمعرفة مائلة الى الشهوة وسائر
الاخلاق الرذيلة لالفها الى العالم الحسي سميت امارة واذا تنفس صبح الهداية
وانزجرت من دواعي طبيعتها مطلعة الى مقار الطمأنينة منجذبة مرة الى العالم العلوي
واخرى الى العالم السفلي سميت لوامة لانها تلوم نفسها لعلمها بمحل الطمأنينة واذا طلعت
شمس العناية من اوج الرعاية صارت ملهمة واذا بلغت شمس العناية وسط سماء الهداية
اشرقت الارض بنور ربها وامتلأ القلب من السكينة اليقينية وخلع على النفس
خلع الطمأنينة صارت مطمئنة محدِّثة محدَّثة مكلِّمة مكلَّمة مستعدة لجذبة
ارجعي الى ربك راضية مرضية **والاثم ما حاك في النفس** اي اثر فيها ولم يستقر عندها
وتردد في الصدر ولم ينشرح له الامر **وان افتاك الناس** عطف على مقدر

اي ان لم يفتك الناس

اي ان لم يفتك الناس وان افتاك الناس بغير علم او وهم لما في رواية وان افتاك المفتون
والمعنى التزم العمل بما في قلبك وان قالوا لك انه حق ولا تأخذ بقولهم فانه قد يوقعك
في الغلط او في اكل الشبهة كان ترى من له مال حلال او حرام فلا تأخذ منه شيئا وان افتاك
المفتي فيه مخافة ان تأكل الحرام لان الفتوى غير التقوى فعن عائشة رضي الله عنها قالت كان لابي بكر
رضي الله عنه غلام يأكل من خراجه فجاء يوما بشيء فاكله ابو بكر رضي الله عنه فقال له الغلام
اتدري ما هذا فقال ابو بكر رضي الله عنه ما هو قال كنت تكهنت لانسان في الجاهلية
وما احسن الكهانة الا اني خدعته فلقيني فاعطاني لذلك فهذا الذي اكلت منه
فادخل ابو بكر رضي الله عنه يده في فيه فقاء كل شيء اكله من بطنه رواه البخاري
وذكر الغزالي هذا الخبر في الاحياء ان الصديق قال بعد استفراغه اللهم اني اعتذر اليك
مما حملت العروق وخالط الامعاء وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر بذلك
فقال اوما علمت ان الصديق لا يدخل في جوفه الا طيبا ثم قال الغزالي ولا شك
ان الصديق لما اخبر ان اللبن من غير وجهه لم يكن ليخفى عليه مع كونه اعلم الناس
ان ما تناوله الانسان من غير علمه به انه لا اثم عليه فيه ولا يجب في فتوى الفقهاء استفراغه
ولكن انما فعل ذلك لعلو مرتبته وكمال صديقيته ولسر وقر في صدره عرف به ذلك السر
ان فتوى العامة حد اخر وان طريق الاخرة لا يعرفه الا الصديقون ولذلك استفرغه
وادخل اصبعه في حلقه ليخرجه حتى كادت روحه تخرج معه لانه رأى مؤثرا
في قلبه اثرا يمنعه عن منزلته وكمال مرتبته انتهى وفي رواية انه انفق في مدة
ثمانية الاف درهم فلما حضره الموت قال كنت قلت لعمر اني اخاف ان لا يسعني
ان اكل من هذا المال فغلبني فاذا مت فخذوا من مالي ثمانية الاف فضعوها
في بيت المال وهذا في غاية من التقوى ولذا نزل في حقه وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي
ماله يتزكى وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى
وقد قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقيكم **وان افتوك** تأكيد والمعنى بهذا الامر
ارباب البصيرة من اهل النظر المستقيم واصحاب الفراسات من ذوي النفوس المرتاضة

فان نفوسهم ملهمة للصواب في اكثر الاحوال وقيل حمله على عموم الايمان والتقوى اولى
ولا يبعد ان يقال المعنى وان افتاك جمع بعد جمع وفيه ايماء الى المعجزة المشيرة الى اختلاف
الائمة قال شيخ مشايخنا السيد جمال الدين وافتوك في روايتنا بالفاء والتاء
المثناة من فوق ولعله انما جيء به للتأكيد لكن اورد هذه الكلمة صاحب النهاية في باب
القاف والنون فقال وافتوك اي ارضوك ثم قال حكى ابو موسى ان الزمخشري قال ذلك
وان المحفوظ بالفاء والتاء من الفتيا **حديث حسن** كذا في الاصول المعتمدة وقال ابن حجر
حديث صحيح وفي نسخة حسن وسيأتي بحث مستحسن **رويناه** بفتحتين اي بسندنا
المتصل حال كونه **في مسندي الامامين** اي الجليلين حديثا وفقها وزهدا وصلاحا
احمد بن حنبل وهو ابو عبد الله الشيباني احد الائمة الاربعة من المجتهدين والفقهاء
المتبوعين في امر الدين روى عنه البخاري ومسلم وابو داود وجماعة ولد ببغداد ومات بها
يوم الجمعة في ربيع الاول سنة احدى واربعين ومائتين عن سبع وسبعين سنة وله
مسند عشرون مجلدا فيه اربعون الف حديث جمعه من سبعمائة الف وخمسين الف حديث
وقال جعلته حجة بيني وبين الله تعالى وقال ما اختلف المسلمون فيه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
فارجعوا اليه فان وجدتموه والا ليس بحجة وهذا يدل على كمال اطلاعه بالسنة لكن
الا انه لم يلتزم الصحة في مسنده وانما اخرج ما لم يجمع الناس على تركه واما قول بعضهم
ان كل ما فيه صحيح فغير صحيح الا ان يراد به انه ثابت نعم قال جماعة ان كل ما فيه اما صحيح
واما حسن والاغلب الصحة لكن الاظهر انه قد يوجد فيه ضعيف الا انه يكون مختلفا فيه
ثم مصنفو الاحاديث منهم من رتب على مسانيد الصحابة كاحمد والدارمي وابن ابي شيبة
والبزار وابي يعلى ومنهم من رتبها على ابواب الاحكام كالصحيحين والسنن
وفي كل فائدة وحكمة عائدة **والدارمي** بكسر الراء وهو ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن
التيمي السمرقندي الحافظ من بني دارم روى عنه مسلم وابو داود والترمذي وابو زرعة
كان امام اهل زمانه في العلم والورع ولد سنة احدى وثمانين ومائة ومات يوم التروية
سنة خمس وخمسين ومائتين والف على مسنده في الصحة ولما بلغ البخاري نعيه

بكى وانشد

بكى وانشد **شعرا** ان تبق تفجع في الاحبة كلهم وفناء نفسك لا ابا لك افجع وذكر الترمذي
انه سمع البخاري يحدث عنه بحديث من شيع جنازة وذكر ابن عدي ان النسائي حدث عنه
باسناد حسن كذا في النسخ المصححة وقال ابن حجر باسناد جيد وفي نسخة حسن انتهى
وعلى كل تقدير يناقض ما قدمه عن المص بانه حديث صحيح وتكلف في الجمع بينهما
بل تعسف في شرحه بما لا طائل تحته على ان حديث احمد له طريقان احدهما فيه علتان
ضعف وانقطاع وثانيهما فيها مجهول فلعله بانضمامه الى رواية الدارمي
حكم المص عليه بانه حسن او لكثرة طرقه فان احمد اخرجه من طريق اخرى عن ابي امامة
قال قال رجل يا رسول الله ما الاثم قال اذا حاك في صدرك شيء فدعه وسندها جيد على شرط مسلم
ومن طريق اخرى عن ثعلبة الخشني قال قلت يا رسول الله اخبرني ما يحل لي وما يحرم علي
قال البر ما سكنت اليه النفس الحديث وسندها جيد ايضا ويقويه ايضا ما اخرجه الطبراني
عن واثلة قلت للنبي صلى الله عليه وسلم افتني عن امر لا اسأل عنه احدا بعدك قال استفت نفسك
قلت كيف لي بذلك قال دع ما يريبك الى ما لا يريبك وان افتاك المفتون قلت
كيف قال تضع يدك على قلبك فان الفؤاد يسكن للحلال ولا يسكن للحرام ثم ان المص اراد
بقوله حسن اولا معناه اللغوي وثانيا معناه الاصطلاحي وهذا اولى بالاعتبار
لئلا يلزم التكرار او كرره للتأكيد في حسنه حيث قيل بضعفه ثم اعلم ان من اراد
الاحتجاج بحديث من السنن كابي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة والموطأ وغيرها
مما لم يلتزموا الصحيح والحسن بل ادخلوا فيها الضعيف ايضا امتنع عليه
ان يحتج بحديث هؤلاء حتى ينظر في اسناده وحال رواته ان كان له قابلية بذلك
او يجد اماما صحح او حسن شيئا فقلده هنا نعم اذا رأينا مجتهدا استدل بحديث
على مدعاه فنحكم بانه صحيح وحسن عنده كما اقتضاه **الثامن والعشرون**
عن ابي نجيح بفتح نون فكسر جيم فتحتية فمهملة **العرباض** بكسر المهملة وبالباء
الموحدة والضاد المعجمة **ابن سارية** بالسين المهملة وبالياء المثناة
تحت ذكرهما المص ووزنها جارية سلمي من اصحاب الصفة وهو احد

البكائين المشتاقين الى الله يقول في دعائه كبرت سني ووهن عظمي فاقبضني اليك
وكان يقول اللهم ربي بعد سالم وكان من الزاهدين العابدين روي انه قال لولدان يقال
فعله ابو نجيح لا يحتمل الى في سبيله ثم لحقت واديا من اودية لبنان فعبدت الله
حتى اموت وروي ان معاوية اعطى المقداد حمارا من المغنم فقال العرباض ما كان لك ان تاخذه
وما كان له ان يعطيك كأني اراك في النار تحمله على عنقك فرده المقداد رضي الله عنه
مات بالشام سنة خمس وسبعين وروي له احد وثلاثون حديثا قال وعظنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم اي بعد صلوة الصبح كما في رواية وفي اخرى ذات يوم موعظة
اي ما يوعظ به من الكلام الدال على التخويف بطريق النصيحة والتنوين للتفخيم اي عظيمة
كما يدل عليه رواية بليغة اي بلغت الينا او بالغت في تاثيرها فينا كما يشير اليه بقوله
وجلت منها القلوب بكسر الجيم اي خافت من اجلها القلوب وحذرت من الذنوب
فان الوجل خوف مع الحذر وذرفت قال المص بفتح الذال المعجمة والراء المهملة اي سالت
منها العيون يعني جرت بسببها الدموع من العيون لتاثير الموعظة في النفوس
واستيلاء سلطان الخشية في القلوب واخر هذا عما قبله لانه غالبا ينشأ عنه فهو اصله
وفيه استحباب موعظة العالم اصحابه لينفعهم في دينهم ودنياهم من العلوم ولا يقتصر بهم
على معرفة الاحكام والحلال والحرام ودوائر الرسوم بل يذكرهم ويخوفهم ويشوقهم الى ذكر العقبى
ومحبة المولى والاعراض عن الدنيا والمعنى ان تلك الموعظة اثرت فيهم واخذت منهم
بمجامعهم بحسب ظاهرهم وباطنهم وفي بعض روايات الترمذي ذرفت منها العيون ووجلت منها
القلوب نظرا الى الاثر الظاهر قبل المؤثر الباطن بخلاف الرواية الاولى فان فيها التقديم
السبب على المسبب والاصل على الفرع والله اعلم فقلنا يا رسول الله كأنها اي تلك الموعظة
موعظة مودع بكسر الدال المشددة اي شخص يودع اصحابه واحبابه فلا يغادر شيئا
الا ذكره في بيانه فاوصنا اي ارشدنا بما فيه صلاح حالنا وفلاح مآلنا وفيه
ان للابرار الاكابر من خصال الخير لا سيما في آخر العمر وانه يجوز الاستدلال بالقرائن على الاحوال
وانه يستحب الاسترشاد من اكابر الدين واغتنام فرصة الاستفاضة من عظماء اليقين

قال اوصيكم

قال اوصيكم بتقوى الله هذا من جوامع الكلم فان التقوى امتثال المامورات واجتناب
المحذورات وهي زاد المعاد الذي امر باخذها جميع العباد حيث قال تعالى ولقد وصينا
الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله ولما كان الظاهر من التقوى ان يكون فيما بينهم
وبين الله عطفت عليها بقوله والسمع والطاعة اي فيما بينهم وبين من يلي امرهم
يعني واوصيكم بقبول الامير وطاعته فيما امر بالمباح عادلا كان او جائرا والا فلا طاعة لمخلوق
في معصية الخالق كما ورد الا انه لا يجوز محاربته فانه كما قال الحسن ما يصلح الله به
اكثر مما يفسده وان تامر بتشديد الميم اي صار امير عليكم عبد وفي رواية عبد
حبشي اي ادنى الخلق فلا تستنكفوا عن طاعته لئلا يؤدي الى ظهور الفساد وتهييج
الفتن بين العباد فان الصبر على ولاية من لا يجوز له الولاية اهون من اثارة الفتنة
التي لا دواء لها ولا خلاص معها وقد ذكر صلى الله عليه وسلم في بعض ما روي عنه انه قال سبيل
بعد جور الولاة وظلمهم فقال اسمعوا واطيعوا ما اقاموا فيكم كتاب الله وهذا وارد على
المبالغة في الامر بطاعته والنهي عن مخالفته على طريق الفرض والتقدير اذ الائمة من قريش
او ان استعمله الامام الاعظم ولعل في الحديث اشعار بما يقع في آخر الزمان من كون
الخلافة بالتسلط والشوكة من غير اعتبار شروط الائمة كما في زماننا هذا فانه لا يوجد
امام بين اهل الاسلام موصوف بما قرر في حقه من الاحكام ويؤيده قوله فانه اي الشان
وفي المصابيح والمشكوة فانه من يعش منكم وهو مجزوم بمن الشرطية واصله يعيش
كما في نسخة فمن موصولة فسيرى اختلافا كثيرا اي في الولاية والخلافة بسبب طلب الجاه
والمال والسين لتاكيد الاستقبال وفي اصلنا المقروء على مشايخنا فانه بالفاء ايضا قال السيد
جمال الدين الفاء في قوله فانه من يعيش للسببية جعلت ما قبلها سببا لما بعدها
يعني من قبل وصيتي والتزم تقوى الله وقبل طاعة من ولي عليه ولم يهيج الفتن امن بعدي من الاختلاف
الكثير يعني الذي وقع بين الصحابة والتابعين وهلم جرا الى هذا الحين فعليكم اسم فعل
اي الزموا واستمسكوا بسنتي وهي ما وصفه صلى الله عليه وسلم وجوبا او ندبا من احكام
الدين وسنة الخلفاء الراشدين اي الهادين المهديين بفتح الميم وتشديد التحتية

الاولياء المهتدين الذين هداهم الله الى طريق الصواب والهمهم اتباع مناهج اولي
الالباب وجمع بينهما لان الشخص اذا لم يكن مهتديا في نفسه لم يصلح ان يكون
هاديا للغير وهم الصديق والفاروق وذو النورين والمرتضى رضي الله عنهم اجمعين
وذلك لانهم لما كانوا افضل الصحابة وواظبوا على استمطار الرحمة من السحاب
وخصهم الله بالمراتب العلية والمناقب السنية ووطنوا انفسهم على مشاق الاسفار
ومجاهدة القتال مع الكفار انعم الله عليهم بمنصب الخلافة العظمى والتصدي الى الرياسة
الكبرى لاشاعة احكام الدين واعلاء اعلام الشرع المتين رفعا لدرجاتهم وازديادا
لمثوباتهم فلو لم تقع الخلافة على الترتيب المذكور لما فازوا كلهم بالمنصب المشكور
ولا يخفى ان هذا من معجزاته الدالة على ثبوت نبوته استبق بذكره هذا الغيب وقال
الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يكون ملكا عضوضا ووقع كما قال صلى الله عليه وسلم
قال التوربشتي واما ذكر سنتهم في مقابلة سنته لانه علم انهم لا يخطئون
فيما يستخرجون من كتابه وسنته او ان بعضها ما اشتهر الا في زمانهم وليس المراد
انتفاء الخلافة عن غيرهم حتى ينافي قوله صلى الله عليه وسلم يكون في امتي اثنى عشر خليفة
بل المراد تصويب رأيهم وتفخيم امرهم وتفضيلهم على غيرهم وقيل الخلفاء يشملهم
ومن سار سيرهم واقتفى اثرهم في استخراج الاحكام واذاعة الحق بين الانام
وقال بعض العلماء يقدم ما اجمع عليه الاربعة ثم ما اتفق عليه الشيخان لقوله صلى الله عليه وسلم
اقتدوا بالذين من بعدي ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وله معنيان احدهما التقليد لمن عجز عن النظر
وثانيهما الترجيح لما ذهبوا اليه عند اختلاف الصحابة في الامر وقيل هذا في حق
المقلد في تلك الازمنة القريبة من زمان الصحابة واما في زماننا فلا يجوز تقليد
غير الائمة الاربعة ابي حنيفة ومالك والشافعي واحمد رحمهم الله لان هؤلاء عرفت
قواعد مذاهبهم واستقرت احكامها في كتبهم لان اتباعهم حرروها فرعا فرعا
فعز ان يوجد حكم الا وهو منصوص لهم اجمالا وتفصيلا بخلاف غيرهم فان مذاهبهم
لم تحرر فلا يعرف لها قواعد يتخرج عليها احكامها فلم يجز تقليدهم فيما حفظ عنهم منها

قد يكون مشروطا

قد يكون مشروطا بشروط اخرى وتركوها الى فهمها من قواعدهم فيها **عضوا** بفتح
فتشديد الدال من عض يعض اذا اخذ بالعض ومنه قوله تعالى يوم يعض الظالم على يديه
ومن غريب ما وقع في زماننا ان بعض المتحدثين او المحدثين المعروف بالبهنسي ظنا منه
انه اعلم المحدثين بل وهما انه المجتهد المطلق في الدين روى الحديث بضم العين فاوردنا عليه
الرواية والقواعد العربية في قضية مأخذ الامرية مع اتفاق ائمة اللغة على الفتحة
العينية فاجاب بانه انما عدلنا عن الفتحة الى الضمة لترتفع شبهة المشابهة
بالصيغة الماضوية فما معناه بورود مدة ما امد وبصيغة الامر والماضي المجهول
على اشتراك الضمة بناء على اعتبار القرينة الحالية او المقالية فتحقق بهذا خلو
المدعو عن مناقب الرواية ومراتب الدراية فما يسر الدعوى وما اعسر المعنى بل يدخل
بناء على هذا المبني في قوله صلى الله عليه وسلم من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار
عليها اي على السنة **بالنواجذ** جمع ناجذة بالذال المعجمة وهي اربعة من اواخر
والقصد المبالغة لغة في شدة التمسك بها والجد في لزومها كفعل من امسك شيئا بيديه
ثم يستعين بالاسنان عليه استظهارا للمحافظة به ويحتمل ان يكون كناية عن الصبر
على ما يصيبه من المشقة في المحافظة على السنة كما روى الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم
يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر **واياكم ومحدثات الامور**
عطف على قوله فعليكم للتاكيد والتأييد قال الفاكهاني وكلاهما منصوب بفعل مضمر
والتقدير واياكم باعدوا واتقوا محدثات الامور والاظهر ان يقال بعدوا انفسكم
عن المحدثات وبعدوها عن انفسكم كما قرر في قولهم اياك والاسد والمعنى اتقوها
ولا تقربوها فضلا عن ان تحدثوها **فان كل بدعة ضلالة** قال المص البدعة
ما عمل على غير مثال ما سبق انتهاء وهو تعريفها بحسب اللغة واما في الشريعة
فما احدث على خلاف الكتاب والسنة واجماع الامة وقيل احداث ما لم يكن في عهد النبوة
وقيل البدعة زيادة في الدين قربة كانت او معصية فالمراد كل بدعة سيئة او محرمة
او مكروهة ضلالة لان المص قال في شرح مسلم هذا عام مخصوص لان البدع خمسة انواع

النواجذ الاضراس ... لبعض الاضراس ... البلوغ ... الحلم ... الاضراس ... انتهى

وتعريف ع

واجبة كعلم النحو واصول الفقه والكلام ومحرمة كمذاهب المرجئة والمجسمة
ومندوبة كاحداث المدارس والكلام في دقائق التصوف ومكروهة كزخرفة المساجد
وتزويق المصاحف ومباحة كالمصافحة عقيب الصبح والعصر انتهى ولا يخفى ان البدع الواجبة وهي
الاشتغال بالعلوم العربية المتوقف عليها فهم الكتاب والسنة كالصرف والنحو واللغة
واصول الحديث والفقه والرد على المبتدعة انما هي على الكفاية لحفظ الشريعة واما تزيين المساجد
والمصاحف فاختلف في كراهته عندنا والمصافحة بعد الصلوة مطلقا يكره عندنا وقد صرح
ابن عبد السلام بان المصافحة عقب العصر والصبح مكروهة لكن قيدها المص بما اذا صافح
من هو معه قبلها اما من ليس معه قبلها فمصافحته مندوبة لانها عند اللقاء
سنة اجماعا وكونه خصصها ببعض الاحوال وفرط في اكثرها لا يخرج ذلك البعض
عن كونها مشروعة فيه انتهى ولعل وجه اطلاق عبد السلام ان الغالب كون مصافحتهم
بعد ملاقاتهم اولا ثم يعدون هذه المصافحة من سنن الفراغ من الصلوة ولا ينتظرون
الى المصافحة الملاقات ولهذا يصافحون بعدها ويكتفون بها عن التسليم معها قال ابن حجر
ومن المباحات التوسع في لذايذ المآكل والمشارب والملابس وتوسيع الاكمام ثم قال وقد يختلف
العلماء في ذلك فيجعله بعضهم مكروها وبعضهم سنة انتهى وقد نسب ذلك الى المص ايضا
لكن لا يخفى ان القول بالسنية بعيد عن الطريقة السنية في تطويل الذيول والاكمام
فان كان للخيلاء والافتخار فحرام والا فمكروه بلا كلام لمخالفته الاحاديث الواردة
في هذا المقام ولو اجرى الحديث على عمومه لم يبعد اذ المعنى كل ما لا يرجع الى اصل دين
ولا يساعده دليل شرعي فهو ضلالة فيطابق حديث من احدث في امرنا ما ليس منه فهو رد
وقد روى البيهقي عن الشافعي انه قال المحدثات من الامور ضربان احدهما ما يخالف
كتابا وسنة او اثرا او اجماعا فهذه البدعة الضلالة والثاني ما احدث من الخير بلا خلاف فيه
فهذه محدثة غير مذمومة وقد قال عمر رضي الله عنه في قيام شهر رمضان نعمت البدعة
هذه انتهى والاضبط ان يقال كل بدعة تزاحم سنة فهي سيئة وكل ما تساعدها
فهي حسنة كالنية اللسانية في العبادات فانها مستحسنة لانها تستحضر النية القلبية

وتقويتها

وتقويتها كجماعة التراويح فانها توافق صلاته صلى الله عليه وسلم ولانه تركها مخافة
ان تفرض على امته ولم يقوموا بحقها فهي بدعة بالنسبة الى ما تركه صلى الله عليه وسلم
وسنة باعتبار اصلها وكونها من سنة احد الخلفاء الراشدين ولذا قال فقهاؤنا انها
سنة مؤكدة ومن شعائر الدين وبهذا يظهر وجه تسمية المبتدعة لان قواعدهم كلها
مزاحمة للسنة ابتدعوها وقد قيل لاهل الحق انهم اهل السنة فانهم اتبعوها ثم اعلم ان اصول البدع
كما نقل في المواقف سبعة المعتزلة القائلة بان العباد خالقوا اعمالهم وبنفي رؤية الله سبحانه
وبوجوب الثواب والعقاب عليه عز وجل وهم عشرون فرقة والشيعة المفرطة في محبة علي رضي الله عنه
وهم اثنان وعشرون فرقة والخوارج المفرطة في بغضه المكفرة له ومن اذنب كبيرة وهم
عشرون فرقة والمرجئة القائلة بانه لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة
وهي خمس فرق والنجارية الموافقة لاهل السنة في خلق الافعال وللمعتزلة في نفي الصفات
وحدوث الكلام وهي ثلاث فرق والجبرية القائلة بسلب الاختيار عن العباد فرقة واحدة
والمشبهة الذين يشبهون الحق بالخلق في الجسم والحلول فرقة ايضا فتلك
اثنتان وسبعون فرقة كلهم في النار والفرقة الناجية هم اهل السنة البيضاء المحمدية
والطريقة السمحاء الاحمدية ولها ظاهر مسمى بالشريعة شرعة للعامة
وباطن وسم بالطريقة منهاجا للخاصة وخلاصة خصت باسم الحقيقة معراجا لاخص
الخاصة فالاول نصيب الابدان من الخدمة والثاني نصيب القلوب من العلم والمعرفة
والحكمة والثالث نصيب الارواح من المكاشفة والمشاهدة قال القشيري الشريعة
امر بالتزام العبودية والحقيقة مشاهدة الربوبية فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة
فغير مقبول وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير محصول فالشريعة قيام بما امر
والحقيقة شهود لما قضى وقدر واخفى واظهر والشريعة حقيقة ايضا من حيث انها وجبت بامره والحقيقة
شريعة من حيث ان المعارف به سبحانه ايضا وجبت بامره رواه ابو داود وهو الامام
ابو سليمان بن الاشعث السجستاني كان من فرسان الحديث قيل الين لابي داود الحديث كما الين لداود
عليه السلام الحديد ولد سنة اثنتين ومائتين وتوفي بالبصرة سنة خمس وسبعين ومائتين

والترمذي سبق ذكره وقال اي الترمذي حديث اي هذا حديث حسن صحيح ومن
وجه جمعهما او جمعهما هو الموجود في الاصول المعتمدة وفي شرح ابن حجر حديث حسن
وفي نسخة حسن صحيح هكذا هو في كتاب الاربعين انتهى ورواه احمد وابن ماجه وابو نعيم
وقال حديث جيد من حديث الشاميين هذا ولفظ ابي داود قال صلى بنا ذات يوم ثم اقبل علينا
فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل يا رسول الله
كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد الينا قال اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة
وان عبدا حبشيا فانه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم
بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها
بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة
ولفظ الترمذي نحو هذا لكن بعد صلوة الغدوة وفيه وان عبد حبشي
وفيه واياكم ومحدثات الامور فانها ضلالة فمن ادرك ذلك منكم فعليه
بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ
وفي بعض الطرق ان هذه موعظة مودع فما تعهد الينا قال تركتكم على البيضاء
ليلها كنهارها فلا يزيغ عنها الا هالك ومن يعش منكم فسيرى اختلافا
كثيرا بعدي فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين
عضوا عليها بالنواجذ وفي بعضها فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة
وكل ضلالة في النار اي صاحبها من فاعل ومتبع لها وزاد ابن ماجه اخر الحديث
فان المؤمن كالجمل الانف حيثما قيد انقاد وقيل هذه الزيادة مدرجة
وبهذا تبين ان المص ما اتى بلفظ ابي داود ولا بلفظ الترمذي كملا ولا جمعا
بينهما اجماعا فلعله اطلع على رواية لاحدهما وفق ما ذكره عنهما التاسع والعشرون
عن معاذ اي ابن جبل كما في نسخة رضي الله عنه قال قلت صدر الحديث قال
بينما نحن نخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اصابنا الحر وتفرق القوم
فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم اقربهم مني فدنوت منه فقلت يا رسول الله اخبرني بعمل

اي قليل او جليل او معتبر

اي قليل او جليل او معتبر في الشرع جميل فلا يرد ما ذكره المظهر من انه اذا جعل
يدخلني جواب الامر يبقى بعمل نكرة غير موصوفة وهي لا تفيد يدخلني الجنة
بالرفع على انه صفة عمل اما مخصصة او مادحة او كاشفة لان العمل اذا لم يكن بهذه الحيثية
كأنه لا عمل في الحقيقة وقيل بالجزم على انه جواب الامر اي اخبرني بعمل ان تخبرني به
يدخلني الجنة يعني ان الخبر وسيلة للعمل والعمل ذريعة للادخال وعلى كل تقدير
اسناد الادخال الى العمل اسناد الى السبب او تشبيه العمل لكونه سببا للمطلوب بالفاعل الحقيقي
ولا يبعد ان يكون التقدير يدخلني الله الجنة قال الكستلي جمال الدين الرواية
الصحيحة المشهورة فيه يدخلني بالرفع على انه صفة لقوله بعمل ولا يحسن الجزم
على انه جواب الامر اذ ليس الاخبار سببا لادخال الجنة وقد وجه الجزم على تقدير صحة
الرواية بانه جزاء شرط محذوف وتقديره اخبرني بعمل ان عملته يدخلني الجنة والجملة
الشرطية باسرها صفة لعمل او جواب الامر وتقديره ان اخباره صلى الله عليه وسلم لما كان
وسيلة الى عمله وعمله ذريعة لدخول الجنة كان الاخبار سببا في الجملة فعلى هذا يكون
الترتيب من باب اقامة السبب الذي هو الاخبار مقام المسبب الذي هو العمل لان العمل هو المسبب
ظاهرا لا الاخبار لان الاخبار انما يكون سببا للمخاطب اذا كان المخاطب مؤمنا معتقدا
موافقا لقوله تعالى قل لعبادي الذين امنوا يقيموا الصلوة وقال ابن الحاجب يقيموا جواب قل
اي قل لعبادي يقيموا وما اعترض عليه من ان الاقامة ليست لازمة للقول ليس بشيء
لان الجواب لا يقتضي الملازمة العقلية وانما يقتضي الغلبة وذلك حاصل فان امر الشارع
صلى الله عليه وسلم للمؤمنين باقامة الصلوة تقتضي اقامة الصلوة منهم غالبا ويباعدني من النار
اي ويبعدني منها واخرج على صيغة المغالبة للمبالغة في البعد ثم القصد دخول الجنة
من غير سابقة عقوبة فالواو لمطلق الجمعية ولعل تقديم الدخول للاهتمام بحصول الوصول
وللايماء الى غلبة الرجاء بناء على الحديث القدسي والكلام الانسي سبقت رحمتي غضبي
هذا وفي كلام اهل التحقيق ان الجنة جنة الوصول الى معرفة ذات الله وصفاته
وافعاله ومصنوعاته من الملائكة الكروبية والروحانية وطبقات الارواح العلوية

وعالم السموات وما فيها من الانوار الملكوتية والاسرار الجبروتية يصير روح السالك
كالمرآة المجاذبة لعالم القدس وحظيرة الانس واشجارها الملكات الحميدة والاخلاق
السعيدة وثمراتها المكاشفات والمشاهدات والاشارات وغيرها من المواهب اللدنية
والمراتب العندية ومن رضى بالجنة الحسية فهو ابله ومن اعرض عن الحق واشتغل بالخلق
وانتقل من روح المحبة والقربة الى سيئات القهر والبعد والطرد والحط عن الجهات العلوية
الى عالم النار المعنوية يعذب بنار روحانية نشأت من استيلاء صفات القهر الالهية
فيكون اشد وادوم ايلاما من النار الجسمانية لان حرارتها تابعة لنار روحانية
ملكوتية هى شرر من نار غضب الله بعد تنزلها فى مراتب كثيرة كتنزلها فى مرتبة
النفس بصورة الغضب وهى غير متناهية وهذا معنى ما يقال ان نار جهنم غسلت بالماء
سبعين مرة ثم انزلت الى الدنيا ليمكن الانتفاع بها قال لقد سألت وفى نسخة
لقد سألتنى لقد سألت سا عن عظيم اى شئ عظيم وامر فخيم او عن عمل عظيم ليتطابق السابق
واللاحق او عن عمل عسير لقوله وانه ليسير اى هين على من يسره الله تعالى عليه
اى سهله لديه بالتوفيق له على كتسابه والامر واجتناب الزواجر تعبد الله
استينافا وقع بيانا لذلك لان الخطير والعسير الذى مع التوفيق يسير وهو خبر
معناه امر وعدل عن صيغته تنبيها على ان المأمور كأنه متسارع الى امتثال الامر
وهو يخبر عنه اظهارا للرغبة واشعارا للرهبة او التقدير هو ان تعبد الله
ثم حذف ان ورجع الفعل الى رفعه بناء على اصله كما قرر فى محله والمراد بالعبادة
التوحيد لقوله ولا تشرك به شيئا للتأكيد والاعم منه ليعم امتثال كل مأمور
واجتناب كل محذور والضمير فى به اما ان يعود الى الله او الى العبادة والثانى اعلى لانه
اذا لم يشرك فى العبادة فلان لا يشرك بالله اولى وفى بعض النسخ لا تشرك بالله شيئا
فالجملة حالية ثم شيئا يحتمل المصدرية والمفعولية اى شيئا من الشرك جليا او خفيا
او شيئا من الاشياء لقوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة
ربه احدا والعبادة هى الغاية القصوى من ابداع الخلق وارسال رسل الحق

كما يشير اليه قوله

كما يشير اليه قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ولما كانت العبادة
متوقفة على المعرفة او منتجة لها قال ابن عباس رض اى ليعرفون وفى الحديث القدسى
كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لان اعرف وايضا اذا فسر العبادة بالمعرفة
استقام الحصر فى الاية فكلما ازداد معرفة ازداد عبودية ولا ينفك العبد عن العبادة
ما دام حيا لقوله تعالى واعبد ربك حتى يأتيك اليقين اى الموت باتفاق المفسرين
بل فى البرزخ عليه عبودية اخرى حين سأله الملكان عن ربه ودينه ونبيه
وفى القيامة يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود واذا دخل الجنة كانت عبوديته
التسبيح والتحميد مقرونا بانفاسه على وجه التأبيد قال تعالى دعويهم فيها سبحانك
اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين وقالوا الحمد لله
الذى اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذى احلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها
نصب ولا يمسنا فيها لغوب والحال انها ليست بدار تكليف بل دار تشريف
وفى كلام الصوفية ان العبادة حفظ الحدود والوفاء بالعهود وقطع العلائق
ورفع العوائق والفناء عن مطالعة الخلق لمشاهدة الحق وله ثلاث مراتب لانه
اما ان يعبده رهبة من العقاب ورغبة فى الثواب وهو المسمى بالعبادة
وهذه لمن له علم اليقين او يعبده تشرفا بعبادته وتلذذا بطاعته وتسمى بالعبودية
وهذه لمن له عين اليقين او يعبده لكونه الها وكونه عبدا والالوهية توجب العبودية
وتسمى بالعبودة وهذا لمن له حق اليقين والشرك رؤية خير او نفع او عطاء او منع
ممن سواه واثبات وجود غير الله ذاتا وصفة وفعلا بل الغفلة عن الله وخطور
ما عداه كما قال العارف ابن الفارض قدس سره شعر ولو خطرت لى فى سواك ارادتى
على خاطرى سهوا حكمت بردتى وتقيم الصلوة اى المكتوبة من باب عطف الخاص على العام
او عمم العبادة تنبيها على اناقتها وشرافة ما بعدها من قوله وتؤتى الزكوة وتصوم
رمضان وتحج البيت فعلم ان دخول الجنة بطريق الاولية يتوقف على تلك الاعمال
الجلية وامثالها من الاحوال الرضية وهذا الحكم يعم كل مؤمن وان خص معاذ بالخطاب لان العبرة

هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله وقالوا الحمد لله الذى ... صح

بعموم الالفاظ لا بخصوص الاسباب ثم قال اي بعد ذكر الفرايض المذكورة وامثالها
تنبيها على تادية النوافل الآتية لاكمالها الا ادلك همزة الانكار دخلت على فعل
منفي ليفيد تحقيق الاخبار اي لا ينبغي لطالب مع اني مرشد مكمل للغير ان لا ادلك
على ابواب الخير اي الطرق الموصلة اليه وفيه ان التشويق الى ما سيذكر قبل ذكره
ليكون اوقع في النفس حال حضوره شبه الخير بدار فيها كل ما تتمناه النفس
وتهواه والمراد انواعه من جنس عبادة مولاه فان الصوم والصدقة والتهجد
شديد على النفس غاية الشدة فمن اعتادها يسهل عليه كل صنف من العبادة الاعمال
اما بدنية او مالية فالصدقة مالية والصوم وصلوة الليل عبادة بدنية نهارية
وليلية ولا يبعد ان يكون الاستفهام للاستعلام وانما لم يتوقف صلى الله عليه وسلم
حتى يقول معاذ بلى كما في السؤالين الآتيين تنبيها على انه لا ينبغي ان ينتظر
نصحه اهتماما واعتبارا بمضمون تحقيقه وفي رواية ابن ماجه الا ادلك على ابواب الجنة
الصوم يعني وهي الصوم والصدقة والصلوة في جوف الليل واراد به صوم النفل
لتقدم الفرض الا انه يوصف بوصف يعمه وغيره او يعرف بالاولى فاللام
تدل على المضاف اليه او للعهد الخارجي جنة بضم الجيم اي سترة من سورة الشهوة
في الدنيا ووقاية من النار في العقبى كالترس فمن كان الصوم جنة يسد طرق
الشياطين في قلبه عن جنته وبعد ازالة ظلمتهم يرى بنور الغيب خزائن لطائف
حكم الصفات فيستتر بانوارها عن جميع المخالفات والآفات والصدقة اي النافلة
تطفي الخطيئة اي تمحو اثرها وتذهب امرها اذا كانت صغيرة متعلقة بحق الله
واما اذا كانت من حقوق العباد فيدفع تلك الحسنة الى خصمه عوضا عن المظلمة
واستعير الاطفاء لمحو الخطيئة بقرينة قوله كما يطفي الماء ما مصدرية
اي اطفاء مثل اطفاء الماء النار لتنافي اثرهما بجعل الله فيهما اذ الاشياء لا تعمل بطبعها
فلا الماء يروي ولا الخبز يشبع ولا النار تحرق ولا الماء يغرق والحديث مستفاد من قوله تعالى
ان الحسنات يذهبن السيئات الا ان القواعد المقررة ان الامور المكفرة انما هي للصغيرة من حقوق الله

وأما الكبيرة فلا بد لها

واما الكبيرة فلا بد لها من التوبة بشروطها واما الحقوق المتعلقة بالعباد
فلا بد من ارضائهم بعد التوبة وصلوة الرجل اي الكامل في الرجولية فيه
ومن في معناه من الاناث اذا كانت في مقام العبودية قال تعالى وكانت من القانتين
في جوف الليل كذا في اصلنا المقروء على المشايخ المعتبرة وفي بعض النسخ من جوف
الليل وادعى الكازروني انه الرواية فيكون من ابتدائية او تبعيضية او مرادفة
ظرفية كما في قوله تعالى اروني ماذا خلقوا من الارض واطلاق الجوف مجاز
والمراد وسطه او آخره او اثناؤه فيشمل اوله فيعم صلوة الاوابين والمتهجدين
ويحصل فضل قيامه بصلوة ركعتين لخبر من قام من الليل قدر حلب شاة كتب
من قوام الليل وافضل اجزائه ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال افضل الصلوة
صلوة اخي داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وهو
الذي واظب عليه النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ان صلوة الرجل في الليل من ابواب
الخير او تدخل الجنة وتباعد من النار او كذلك تطفي الخطيئة قال البيضاوي
وهو الاظهر وقال الطيبي الاوطان يقدر الخبر بشعار الصالحين كما في جامع الاصول
وفيه انه لا قرينة لهذا المقدر بخلاف ما سبق فتدبر وقيل الاوطان يقال حذف الخبر
منه اشعارا بان لها فضلا كثيرا واجرا عزيزا لا يكتنه كنهه ولا يمكن التعبير عنه
اي صلوة الرجل في جوف الليل لا تعلم نفس ما اخفي لها ولهذا استشهد بالآية
في حقها كما قال الراوي ثم تلا اي قرأ النبي صلى الله عليه وسلم تتجافى جنوبهم
اي تتنحى وتتباعد وفي اسناد الفعل الى الجنوب نكتة لطيفة لا تخفى اذ الاصل
يقومون عن النوم ويبعدون جنوبهم عن المضاجع اي المفارش يدعون ربهم
اي يعبدونه او يطلبونه خوفا من سخطه وطمعا في رحمته ومما رزقناهم
ينفقون في سبيل مرضاته فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين مما تقر به اعينهم
من الثواب قال الراوي حتى بلغ يعملون اختصارا وقرأ حمزة اخفي بصيغة
المتكلم وفي الحديث القدسي كما في الصحيحين اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت

ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس
ما اخفي لهم من قرة اعين ثم قيل هذا كناية عن الصلوة بين المغرب والعشاء
وقيل صلوة العشاء والصبح بجماعة والجمهور على ان المراد بها صلوة التهجد وهو
الصلوة بعد القيام من النوم كما يشير اليه قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع
ولانه وقت اخفاء العمل المرتب عليه اخفاء الامر كما قال تعالى جزاء بما كانوا يعملون
اي جزوا جزاء وفاقا وقد جاء في الخبر ان الله يباهي الملائكة بقوام الليل في الظلام
يقول انظروا الى عبادي قد قاموا في ظلم الليل حيث لا يراهم احد غيري اشهدكم
اني قد ابحتهم دار كرامتي هذا وقدم الصلوة على الزكوة والصوم اولا
وعكس ثانيا لان الاول مسوق لبيان امر الدين فقدم الاهم فالاهم والثاني لتكميله
فالترقي اولى وفيه ايماء الى ان ذلك التدلي موجب لهذا الترقي ثم اعلم ان ترك
قيام الليل مكروه ففي الصحيح عن ابن مسعود رض قال ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجل نام حتى اصبح فقال ذاك رجل بال الشيطان في اذنيه او قال في اذنه ثم قال الا
اخبرك برأس الامر اي الذي سألت عنه او باصل امر الدين واساسه المحكم المبين
وعموده اي عماده المتين المعين على تحصيل مقام اليقين وذروة سنامه بكسر الذال وضمها
اي اعلاه قاله المص وهو موافق لما في القاموس وشروح الشاطبية وكما في قياس امثاله
من نحو جذوة واسوة وقدوة انه يجوز فتحها ايضا والسنام بفتح اوله ما ارتفع
من ظهر الجمل قرب عنقه قلت بلى يا رسول الله قال رأس الاسلام وهو الاقرار بكلمتي
الشهادة الذي عليه مدار الاحكام وهو من باب التشبيه المقلوب مبالغة في تحقيق
المرام اذ المقصود تشبيه الاسلام برأس الامر ليشعر بانه من سائر الاعمال بمنزلة
الرأس من اعضاء الجسد في احتياجه اليه وعدم بقائه دونه او لانه الطرف الاعلى
او لانه رئيس الاعضاء وفيه ايماء الى ان الايمان بمنزلة الروح والجنان وعموده اي ما يقوم به
الدين ويرتفع به اساس اليقين كعمود الخيمة وهو الخشب الذي عليه مدار اعتمادها
الصلوة وروى البيهقي عن عمر رضي الله عنه مرفوعا الصلوة عماد الدين وزاد الفقيه

ابو الليث السمرقندي

ابو الليث السمرقندي فمن اقامها فقد اقام الدين ومن هدمها فقد هدم
الدين ولانها ام العبادات وناهية السيئات وذروة سنامه الجهاد لانه به رفعة العباد
وسلامة البلاد من مادة الفساد والحاصل ان العبد ما لم يقر بكلمتي الشهادة لم يكن له شيء
اصلا من آثار السعادة واذا اقر بها حصل له اصل الدين الا انه ليس له كمال وقوة في اليقين
كالبيت الذي ليس له العمود المتين فاذا صلى وداوم على صلاته قوي دينه في حد ذاته
ولكن ليس له رفعة وكمال في صفاته فاذا جاهد حصل له الرفعة في حالاته
والعزة في مقاماته وقد روى ابو داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا تبايعتم بالعينة
واخذتم اذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه
حتى ترجعوا الى دينكم وهذا من فروض الكفاية والصلوة من فروض الاعيان والاسلام
اظهار الايمان فما احسن هذا الترتيب في معرض البيان ثم الجهاد انواع منها الجهاد مع الكفار
ليكون الدين كله لله الواحد القهار ومنها جهاد النفس بحملها على اتباع الاحكام
والمواظبة على شرائع الاسلام ولانه راجح الاول في الثاني بحكم الاغلب الاكثر وورد في الخبر
رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر ولان النفس اعدى عدوك التي بين جنبيك
وقد قال تعالى يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة
ولان العدو الخارجي يتصور قتله وهذا العدو الداخلي لا يمكن دفعه ولا رفعه
ولان الجهاد مع الكفار يكون في بعض الاوقات ومعها دائما في كل الحالات ومن جميع الجهات
ومنها جهاد القلب بتصفيته عن الاوزار وقطع تعلقه عن الاغيار ومنها جهاد الروح
وهو بافناء الوجود واستغراقه في بحر جود الواحد القهار ثم اعلم ان متن الاربعين
على ما في النسخ المعتبرة والشروح المشتهرة وفق ما قررته في ضمن ما حررته وقد سقط
من اصل الفاكهاني ومن تبعه مع احتمال انه من سهو الكتاب او من صاحب الكتاب
واعتمد عليه ابن حجر واعترض على المص بانه غفلة منه في كلامه وكانه انتقل نظره من سنامه
الى سنام او قلد فيه الحافظ ابن الصلاح فانه لما ذكر الاحاديث التي قيل انها اصول الاسلام
ذكر هذا الحديث في جملتها بالاسقاط المذكور لكن له عذر لانه لم ينه ما ذكره كذلك

فلا اعتراض عليه هنالك لانه لم يلتزم رواية شخص بخصوصها بخلاف المصنف
فانه انما ساق لفظ الترمذي كما سيذكره ويقع في بعض نسخ المتن ذكر ذلك الاسقاط
فيحتمل ان المص تنبه بعد فالحقه ويحتمل انه من جعل بعض تلامذته او غيرهم انتهى
وما جوز ان الغلط منه او ممن نقله عنه مع انه انسب والى مقام الادب اقرب
واي مانع من ان يكون للترمذي روايتان احديهما موافقة لرواية ابن ماجة مع ان قوله
سقط منه ما لم يتم الكلام بدونه ومع ذلك لم يتنبه له اكثر الشراح ممنوع
لما في منا من رواية المتون والشروح وما اقر بنفسه ان رواية ابن ماجة هكذا
فهي على انه يتم المرام بدون ذلك الكلام وهو انه عليه الصلوة والسلام اراد براس
الامر وعموده وسنامه كلها الجهاد ولهذا قال بعض الشراح الجهاد بالقتال لا يقاومه
شيء من الاعمال ولعله اراد بها الفروض الكفاية والا فقد ورد انه يوزن مداد العلماء
ودم الشهداء يوم القيامة فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء ومن المعلوم ان غاية
ما في الشهيد دمه وان غاية ما في العالم مداده ولذا قال الشافعي طلب العلم افضل من صلوة النافلة
مع ان الصلوة افضل العبادات عنده وروي مرفوعا ما جميع اعمال البر في الجهاد الا كنقطة في بحر
وما جميع اعمال البر والجهاد في طلب العلم الا كنقطة في بحر وقال ابن هبيرة في كتاب
اجماع الائمة الاربعة اختلفوا في افضل الاعمال بعد الفرايض فقال الشافعي
الصلوة افضل الاعمال البدنية وقال احمد لا اعلم بعد الفرايض افضل من الجهاد
واما مالك وابو حنيفة فمذهبهما انه لا شيء بعد فروض الاعيان من اعمال البر افضل من العلم
ثم الجهاد **ثم قال** اي النبي صلى الله عليه وسلم بعد تكميله جوامع ارشاده وتمهيده قواعد
الاعتقاد فذلك في ضمن كلام جامع تتميما للمراد **الا اخبرك بملاك ذلك**
وهو ما به احكام الشيء وقوامه الذي يملك به ويعتمد عليه في امره واهل اللغة
يكسرون الميم ويفتحونها لكن الرواية بكسرها والاشارة الى ما ذكره واكده بقوله
كله لئلا يظن خلاف الشمول والمعنى ما يقوم به تلك العبادات باسرها وقال المص
ملاك الشيء بكسر الميم اي مقصوده وخالفه ابن حجر وقال بفتح الميم وكسرها اعتمادا على اللغة

والدراية لا استنادا

والدراية لا استنادا بما ثبت في الرواية **قلت بلى يا رسول الله فاخذ** اي النبي
صلى الله عليه وسلم **بلسانه** لقلة مقاله صحة كثرة مفاسده ولذا ورد من صمت نجا
والباء لتضمين معنى التعلق او زائدة لتاكيد التعدية والمعنى امسك لسان نفسه
وقيل لسان معاذ **وقال** وفي نسخة فقال وفي اخرى ثم قال وفي بعضها بدون العاطف
لكن الرواية على الاول **كف عليك هذا** بضم الكاف وتشديد الفاء المفتوحة
على انه امر ويجوز ضمها وكسرها بحسب اللغة ووضع على موضع عن فانها تاتي بمعنى المجاوزة
كقول القائل اذا رضيت على بنو قشير اي امنع عنك آفة هذا اللسان ففي الحكمة
لسانك اسد لك ان اطلقته فرسك وان امسكته حرسك وكان الصديق رضي الله عنه
يمسك لسانه ويقول هذا الذي اوردني الموارد ويقول ليتني كنت اخرس الا عن ذكر الله
وقيل المعنى امنع لسانك عن الشر فلا تتكلم الا بالخير فان من كثر كلامه كثر سقطه
ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن غلب لغطه كثر غلطه او لا تتكلم بما يهجس في نفسك
ويخطر ببالك من الوساوس النفسانية والهواجس الشيطانية فانك غير ماخوذ به
ما لم تظهره لما روي ان الله تجاوز لامتي ما وسوست به صدورها ما لم تعمل او تتكلم
او لا تتفوه بما ستره الله عليك فان التوبة عنه ارجى قبولا والعفو عنه اقرب
وفي عدم الاكتفاء بالقول واخذ اللسان باليد والاشارة اليه بهذا دون اسمه
تنبيه على ان امر اللسان اصعب الاشياء ففي صحف ابراهيم ينبغي للعاقل ان يكون مقبلا على شانه
حافظا للسانه عارفا باهل زمانه وآفات اللسان كثيرة فمن اراد الاستيفاء فعليه بكتاب الاحياء
قلت يا نبي الله وانا اي انحن **لمؤاخذون** بالهمز ويبدل
اي معاقبون او معاتبون **بما نتكلم به** اي بجميع ما نتكلم به اذ يبعد ان الراوي
لم يعلم تحقق المؤاخذة بالكذب والغيبة والبهتان والنميمة وسائر المعاصي المتعلقة باللسان
والاستفهام المقدر للاستثبات والتعجب والاستغراب **فقال ثكلتك امك** بكسر الكاف الاولى
وفي نسخة زيادة يا معاذ واصل الثكل فقدان المرأة ولدها كانه دعاء عليه بالموت
لسوء ظنه في قوله والموت يعم كل احد لا الفناء فاذن الدعاء به كلا دعاء واراد

او ضمن كف معنى احبس اي احبس عليك لسانك والزم شانك صح

انك اذا كنت هكذا فالموت خير لك لئلا تزداد سوءاً في عملك طول احيائك والاظهر ان ظاهره الدعاء بالموت لكنه غير مراد بل هذا مما جرت به عادة العرب في موضع العجب او للتحريض على التيقظ في مقام الادب او لاستعظام شيء من المرام بحسب مقتضى المقام او المعنى فقدتك امك لفقدك ادراك المؤاخذة بذلك مع ظهورها هنا **وهل يكب الناس** بفتح الياء وضم الكاف على ما قاله المصنف الاستفهام للانكار اي ما يلقي اكثرهم **في النار** والواو لمجرد الربط بين الجملتين او للعطف على مقدر اي هل تظن غير ما قلت وهل يكب الناس فيها **على وجوههم** فيه تجريد اذ الكب لا يكون الا عليه او دفع لارادة المجاز والمراد الكب على تمامه لا على بعضه كما يستفاد من قوله **او على مناخرهم** شك من الراوي وهو جمع المنخر بفتح الميم وكسر الخاء وفتحها ثقبة الانف والمراد هنا نفس الانف مجازا ولعلهما خصا بالذكر لانهما اول الاعضاء سقوطا **الا حصائد السنتهم** جمع حصيدة فعيلة بمعنى مفعولة من حصد اذا قطع الزرع وهذا من قبيل اضافة اسم المفعول الى فاعله اي محصودات الالسنة والاستثناء مفرغ فان في الاستفهام معنى النفي والتقدير لا يكب الناس في النار شيء من الاشياء الا حصائد السنتهم وهي ما يتلفظه من الكلام القبيح وهو الكفر والكذب والشتم واللعن والقذف والغيبة والنميمة والبهتان ونحوها وهذا الحكم بطريق الحصر وارد على الاغلب الاكثر لانك اذا استقريت لم تجد احدا حفظ لسانه عما يوجب دخوله النار الا النادر من الابرار شبه ما يتكلم به اللسان وما يقطع به من القول بحصد المنجل وما يقطع به من النبات وهو من بلاغة النبوة التي لا مدخل لاحد من البلغاء حيث شبه اطلاق المتكلم لسانه بما يقتضي الطبع شأنه سواء زانه او شانه من غير تمييز بين قبيح القول وحسنه بفعل الحاصد الذي لا يميز في حصاده بين شوك وزرع بل يتناول الكل بمنجله ولهذا قال صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء اثما وفي رواية كذبا ان يحدث بكل ما سمع ثم نسبة الكب الى الحصائد مجازية سببية ولعمرك ان هذه الخاتمة فاتحة السعادة الكبرى فايحة منها نسيم الكرامة العظمى

لانك اذا نظرت

لانك اذا نظرت الى الشريعة فكفاك انه نعم العون على حفظ الجنان ففي الحديث المرفوع المتفق عليه ان العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما لا يلقي لها بالا يرفعه الله بها درجات وان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما لا يلقي لها بالا يهوي بها في النار ابعد ما بين المشرق والمغرب وفي شعب الايمان مرفوعا مقام الرجل بالصمت اي سكوته عما لا يعنيه افضل من عبادة ستين سنة واذا نظرت الى الطريقة فهو ركن المسالك اليه والقطب المدار عليه لانه اذا سكت اللسان نطق القلب ويحصل له المسامرة مع الرب ويمطر عليه سحائب الرحمة بقطرات النور ويملى من الحضور والحبور واذا نظرت الى الحقيقة فهو انتهاء مراتب السالكين وغاية مناقب العارفين ولذا ورد من عرف الله كل لسانه اي عن ذكر غير الله وهو في مقام المراقبة وكل لسانه عن الدعوى وهو في مقام الهيبة وكل لسانه عن نشر حاله وبيان مقامه وهو منزلة صولة المحبة وعن وصف الله وثنائه وهو مقام الحيرة في المعرفة كما قال صلى الله عليه وسلم في اقصى الدنو والقربة لما رأى الحق بالحق وفني عن الصفات في الذات ووجد معنى من معاني البقاء لا احصي ثناء عليك لان ثناءه يصدر عن الحدوثية وثناء الخليقة لا يليق بجمال الالوهية ثم قطع لسان الثناء بمقراض التنزيه لاحد لعجزه في جلال الابد واضاف ثناءه تعالى اليه لانه لا يعرف الله الا هو سبحانه فقال انت كما اثنيت على نفسك وقد انشد الشافعي في معنى الحديث **شعرا**

احفظ لسانك ايها الانسان ❊ لا يلدغنك انه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه ❊ كانت تهاب لقاءه الشجعان

رواه الترمذي اي في جامعه **وقال حديث حسن صحيح** بحذف في المبتداء وهو هذا وقد روى البيهقي في شعب الايمان بابا بخلاف يسير وفيه الا ادلك على رأس الامر وعموده وذروة سنامه اما رأس الامر فالاسلام من اسلم سلم واما عموده الصلوة واما ذروة سنامه الجهاد في سبيل الله

الثلاثون عن ابي ثعلبة الخشني بضم الخاء وفتح الشين المعجمة وبالنون منسوب الى خشينة قبيلة معروفة **جرثوم بن ناشر** بضم الجيم والثاء المثلثة واسكان الراء بينهما وفي اسمه وفي اسم ابيه اختلاف كثير ذكرهما المص قيل يبلغ الخلاف اربعين قولا وخشينة بطن من قضاعة **رضي الله عنه** كان ممن حضر بيعة الرضوان تحت الشجرة وضرب له صلى الله عليه وسلم

بسره يوم خيبر وارسله الى قومه فاسلموا ونزل الشام ومات سنة خمس وسبعين
ومرويّاته اربعون حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله وفي نسخة صحيحة
زيد تعالى اي تعظّم شأنه وترفّع برهانه فرض فرايض اي اوجب احكاما مقدّرة مقطوعة
كالايمان والاسلام واركانه الاربعة فلا تضيّعوها بتشديد التحتيّة المكسورة
ويجوز تخفيفها مع كسر ما قبلها اي لا تتركوها ولا تقصروا في ادائها ولا تتهاونوا فيها
وقوموا بها ولا تؤخروها عن اوقاتها والفرض لغة القطع والتقدير واصطلاحا هو
ما يمدح فاعله شرعا ويذمّ تاركه قصدا ويرادفه الواجب وهذا عند الشافعي
واما عند ابي حنيفة فالفرض ما ثبت بدليل قطعي والواجب بدليل ظني قال ابن حجر
قد يستنبط منه الدلالة لمذهبنا ان الفرض والواجب مترادف فان النهي عن التضييع
لا يختص بالفرض عنده وهو ما ثبت بدليل ظني فتفريع فلا تضيعوها على ما قبله
ظاهر في شموله للقسمين قلت وهو كذلك عندنا فان الواجب فرض عملا لا اعتقادا
لان الاعتقاد يحتاج الى دليل قطعي يصلح للاعتماد هذا وعند العارفين قدس الله اسرارهم
هو معرفة الحق التي هي المقصودة من وجود الخلق كما اشار اليه سبحانه بقوله وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون وقال ابن عباس رضي الله عنهما اي ليعرفون والمعرفة غالبا لا تحصل الا بالمجاهدة
وهي تزكية النفس عن ظلمة اخلاقها من الشمايل وتخليتها عن اوصاف الرذايل وتحليتها
بانوار الفضايل كالتوبة والتقوى والزهد في الدنيا ودوام الطاعة والاستقامة
وسائر اخلاق الكرامة والارتقاء من حال الى حال والتصاعد من مقام الى مقام حتى تتجلى
شمس صفات انوار الجلال وتتجلى طوالع اسرار الجمال ويستولي سلطان الحقيقة على ممالك
الخليقة ويطوى بايدي سطوات الجود سرادقات الوجود فما بقي الارض ولا السماء
ولا الظلمة ولا الضياء وتلاشى العبد في كعبة العندية ونودي بفناء الفناء
من عالم البقاء رُفِعَت القبلة الحسية وما بقي الا الله فاينما تولوا فثمّ وجه الله
وحدّ بفتح الحاء وتشديد الدال اي بيّن وعيّن حدودا اي احكاما واوامر
ونواهي وزواجر ولا ينافي شمولها لما قبلها وما بعدها فان الحكم على الوجه الاعمّ

هو لانه ثم فيكون تعميما بعد التخصيص وتخصيصا بعد التعميم مبالغة في قصد
التعميم فلا تعتدوها لا تتجاوزوها بل قفوا عندها فان قيل كيف جلد عمر رضي الله عنه
في الخمر ثمانين وانما جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضي الله عنه فيه اربعين قلنا
قد قال علي كرم الله وجهه ان ذلك كله سنة ولعل وجهه قوله صلى الله عليه وسلم
اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر ولان الناس اكثروا من الشرب زمن عمر رضي الله عنه
فزاد في جلدهم تنكيلا وزجرا فيكون سياسة سنية وقد امرنا بالاقتداء به رضي الله عنه
وهذا لا ينافي قول علي كرم الله وجهه لا يموت احد في حد وفي نفسي منه شيء الا
شارب الخمر فانه لو مات وديته وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسنه فانه
محمول على ما اذا مات بسبب زيادة الضرب على الاربعين فانه مورث للشبهة من حيث
ان مرتبة هذه السنة الرضية دون تلك السنة السنية فهي بمنزلة القطعي
والاخرى في مرتبة الظني هذا ما ظهر لي في هذا المقام والله اعلم بحقيقة المرام
فاندفع قول شارح فيه اشكال قوي لان هذا ان كان سنة فكيف قال علي اذا مات
وديته لانه صلى الله عليه وسلم لم يسنه وان لم يكن سنة فكيف قال وكل سنة انتهى
وقد عرفت محمل الفرق بين سنة وسنة فان من السنن ما يكون بدعة وتجعل سنة
كما قال عمر رضي الله عنه في صلوة التراويح نعمت البدعة فلا يكون في مرتبة السنة
الثابتة عن صاحب النبوة وقال في النهاية هي اي الحدود محارم الله التي قرنها بالذنوب
والآثام لانها تفصل بين الحلال والحرام فمنه ما لا يقرب منه كالفواحش قال تعالى
تلك حدود الله فلا تقربوها ومنه ما لا يتعدى كالمواريث وتزويج الاربع
قال تعالى تلك حدود الله فلا تعتدوها وخلاصة الكلام في مقام المرام ان حدود الله
ما منع من مخالفتها بعد ان قدّر بمقادير مخصوصة وصفات مضبوطة كتعيين الركعات
والاوقات وما وجب اخراجها في الزكوات واثباتها في الحج بعرفات وساير المقامات
وحدود العقوبات ولما كان العامل بها متصرفا في حيز الحق واذا تعداه
وقع في حيز الباطل فالمنهي هو التعدي قال فلا تعتدوها اي فلا تتجاوزوا عنها بتركها

او لا تتجاوزوا اباحة لكم بمخالفة الامور وموافقة المحظور لان الاحوط
ان لا يقرب الحد الذي هو الحاجز بين الحق والباطل لئلا يقع فيه قال تعالى فلا تقربوها
وسياق الحديث يقتضي تخصيصها بحد الزنى والشرب والسرقة وامثالها
من الاحكام لئلا يقع نوع تكرار في الكلام ومنه ما ورد حد يقام في الارض
خير من مطار بعين صباحا وخبر الطبراني والبزار انا آخذ بحجزكم اتقوا النار
اتقوا الحدود وهذا وفي كلام بعض الصوفية الكرام ان العبد يتقلب في جميع
الاوقات على الحدود اذ لكل عمل حد ولكل وقت حد ولكل حال ومقام حد
فمن تخطاها ولو بشيء قليل فقد ضل سواء السبيل **وحرم اشياء** كالميتة
والدم ولحم الخنزير ونحوها **فلا تنتهكوها** اي لا تتناولوها ولا تقربوها
وفي الصحاح انتهاك الحرمة تناولها بما لا يحل وهي عند الطائفة العليا
متابعة الشيطان والهوى والاقبال على الدنيا والاعراض عن العقبى والغفلة عن المولى
اذ بها ينقلع المحب عن كل مطلوب وينقطع عما سوى الحق من كل محبوب
ولذا قال من بالحق مصحي **شعر** بحق الهوى يا اهل ودي تفقهوا لسان وجود في الوجود
غريب حرام على قلب تعرض للهوى يكون لغير الله فيه نصيب **وسكت عن اشياء**
اي لم يحكم فيها بوجوب او حل او حرمة ونحوها **رحمة لكم** مفعول له **غير نسيان**
اي حال كون السكوت عنها غير نسيان لاحكامها لا يضل ربي ولا ينسى **فلا تبحثوا عنها**
اي لا تفحصوا عن احوالها ولا تفتشوا عن احكامها بل احكموا بالبراءة الاصلية
والحل في المنافع والحرمة في المضار في الامور الدينية والدنيوية ثم النهي يحتمل
اختصاصه بزمانه صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم
ولا تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم الاية وذلك لان السؤال قد يكون سببا لنزول
شدة الحال بايجاب او تحريم في المآل ولذا قال صلى الله عليه وسلم لمن ساله ايجب الحج في العمر
مرة او في كل سنة لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم وحديث ان اعظم المسلمين في المسلمين
جرما من سال عن شيء لم يحرم فحرم لاجل مسألته فقد دل على ان ثمة اشياء باقية على اصل الاباحة

وقد يعرض لها

وقد يعرض لها التحريم بالواسطة وقال بعضهم دل على ان ثمة اشياء
لم تذكر احكامها ولا احكام لها ولذا توقف بعض في حكم بعض الاشياء
ويحتمل ابتناؤه على عموم ماء لان كثرة البحث والسؤال عما لم يذكر في الواجبات
لا في المحرمات قد توهم اعتقاد ايجابه او تحريمه وقد صح هلك المتنطعون قالها ثلاثا
والمتنطع الباحث عن ما لا يعنيه وقد سبق ان من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه
ومن ثمة قال ابن مسعود رضي اياكم والتنطع اياكم والتعمق وعليكم بالعتيق يعني ما كان عليه
الصحابة رضي الله عنهم وفيه دليل على انه لا حكم قبل ورود الشرع قيل وهو الاصح وقيل الاصل
الحظر ونسب الى ابي حنيفة والشافعي واكثر المتكلمين وقيل الاباحة وهو الاظهر لقوله تعالى هو
الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وقد خص منه ما فيه المضرة شرعا وقد حكى بعضهم
الاجماع على ذلك ثم اعلم ان الله تعالى تجلى لعامة عباده بافعاله وآلائه المنبثة في ارضه وسمائه
ولخواص اصفيائه بصفاته العظمى ولا نعم لانبيائه بذاته وحقائق صفاته الحسنى
وخصه بذلك دون غيره من قرنائه رحمة لهم غير نسيان لحالهم اذ ما قام عظيم
عند عظمته الا كل وزل وفي جنب عزته ذل وقل ولا استقام كبير دون كبريائه الا هام
وخام كما في الحديث القدسي والكلام الانسي لن يراني حي الا مات ولا يابس الا تدهده
ولا رطب الا تفرق وانما يراني اهل الجنة الذين لا تموت اعينهم ولا تبلى اجسادهم
ولذا قال فلا تبحثوا عنها اي لا تتفكروا فيها فان الباب الى وصول معرفة كنه الذات مسدود
والطريق الى الحصول معرفة كنه الصفات مسدود وقال تعالى ولا يحيطون به علما ليس كمثله شيء
وهو السميع البصير ففيه الجمع بين التشبيه والتنزيه وقال بعض العارفين ما خطر ببالك
فالله وراء ذلك وفي الحديث تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في ذات الله **شعر**
العجز عن درك الادراك ادراك والبحث عن سر ذات الرب اشراك **حديث حسن**
وصححه ابن الصلاح وحسنه ايضا الحافظ ابو بكر بن السمعاني في اماليه **رواه الدارقطني وغيره**
كالبزار واسناده صالح والحاكم وصححه ولفظهما عن ابي الدرداء ما احل الله في كتابه
فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو فاقبلوا من الله عافيته فان الله لم يكن لينسى شيئا

ثم تلا هذه الآية وما كان ربك نسيا ومن زعم وقفه على ابي ثعلبة فقد ابعد
ولذا قال الدارقطني الاشبه بالصواب المرفوع وهو الاشهر وكذا ابي نعيم ولفظه عن ابي الدرداء برفعه
ما احل الله في كتابه فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه عافية فاقبلوا من الله عافيته
وفي رواية انه قال اتركوني ما تركتكم فاذا احدثتكم فخذوا عني فانما اهلك الذين من قبلكم
كثرة مسائلهم واختلافهم على انبيائهم وان الله سبحانه لما ارسل رسوله وانزل عليه كتابه
وامر بتبليغه الى الامة قال صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى امركم باشياء فامتثلوها
ونهاكم عن اشياء فاجتنبوها وسكت لكم عن اشياء رحمة منه فلا تسألوا عنها وذلك كله
للرفق بالخلق ولذا قال قوم لا يجوز سؤال العلماء في نازلة الا بعد وقوعها وتمسك
الظاهرية بهذا الحديث للاقتصار على النصوص الظاهرة ورد القياس بانواعها الجلي اذ القياس
وهو الحاق المسكوت عنه بالمنطوق بحكمه في حكم البحث عنه وقد نهينا عن البحث عما سكت عنه
فيكون مردودا عملا بقوله صلى الله عليه وسلم كل عمل ليس عليه امرنا فهو رد ورد عليهم بان هذا
الاستدلال ظني ودليل العمل بالقياس قطعي لكن قال الامام حجة الاسلام السكوت عما تكلم فيه السلف
جفاء والكلام فيما سكتوا عنه عناء الحادي والثلاثون عن ابي العباس سهل بن سعد
الساعدي الانصاري كما في نسخة كان اسمه حزنا فسماه النبي صلى الله عليه وسلم سهلا
هو آخر صحابي مات بالمدينة سنة احدى وتسعين وهو ابن مائة سنة وقد احصن
سبعين امرأة روي له مائة حديث وثمانية وثمانون حديثا رضي الله عنه كان يقال
رضي الله عنهما كما في نسخة لان اباه صحابي ايضا قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله دلني على عمل اي ارشدني الى عمل جامع للفضائل مانع عن الرذائل
اذا عملته احبني الله بارادة الرحمة والمثوبة واحبني الناس بارادة المنفعة والشفقة
والجملة الشرطية صفة عمل والرواية في احبني بفتح التحتية ويجوز اسكانها فقال ازهد في الدنيا
اعرض عنها ولا تبال باقبالها وادبارها ولا تتصرف فيها الا بما يعنيك ويعينك
على التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله ومن اشعار الامام الشافعي رحمه الله شعر
ايا نفس يكفيك طول الحياة اذا ما قنعت ورب الفلق ٥ رغيف بفود ينج يابس ٥

وماء روي ولبس خلق ٥ وخفش تكتك جدرانه ٥ فماذا الغناء وماذا القلق ٥
والدنيا عبارة عن الاعيان الثابتة وهي الارض وما عليها من المواليد الثلاثة
وهي الجمادات والنباتات والحيوانات ما للانسان فيها حظ ولذة مالية او جاهية
ولا في صلاحها شغل لحظه او لحظ غيره فيندرج فيه الحرف والصناعات
والزهد عبارة عن عزوف النفس عن الدنيا مع القدرة عليها لاجل الآخرة خوفا من النار
او طمعا في الجنة او ترفعا عن الالتفات الى ما سوى الحق ولا يكون ذلك الا بعد
شرح الصدر بنور اليقين ولا يتصور ذلك ممن ليس له مال ولا جاه
وثمرته القناعة من الدنيا بقدر الضرورة من زاد الطريق العقبى وهو مطعم يدفع الجوع
وملبس يستر العورة ومسكن يصونه عن الحر والبرد واثاث يحتاج اليه
على ما ذكره الامام حجة الاسلام وفي المنازل ما حصله من المرام ان الزهد
اسقاط الرغبة في الشيء عنه بالكلفة وهو على ثلاث مراتب الزهد في الشبهة
بالحذر عن معتبة الحق عليه ثم الزهد فيما زاد على البلاغ المعاد من القوت باغتنام
التفرغ الى عمارة الوقت بالاشتغال بالمراقبة ثم الزهد في الزهد باستحقار
ما زهدت فيه بالنسبة الى عظمة الرب واستواء الزهد وعدمه عنده
والزهد هاهنا عند الكتساب اجر بتركها ناظرا بعين الحقيقة الى وحدانية الفاعل الحق فيشاهد
تصرف الله في العطاء والمنع والاخذ والترك انتهى وعن الامام احمد بن حنبل
انه قال الزهد على ثلاثة اوجه ترك الحرام وهو زهد العوام وترك فضول الحلال وهو
زهد الخواص وترك كل ما هو شاغل عن الله وهو زهد العارفين وتوضيحه ان الزهد هو
الاعراض عن الشيء لاستصغاره وارتفاع الهمة عنه لاستحقاره ماخوذ من قولهم شيء زهيد
اي قليل وفي خبر انك لزهيد وفي اخر افضل الناس مؤمن مزهد اي قليل المال وهو باعتبار الحكم
انواع احدها الزهد في الحرام وهو الزهد الواجب على عامة الانام والثاني الزهد في الشبهة
ولا شبهة في وجوبه لانه وسيلة الى اتقاء الوقوع في الحرام وقد قال عليه الصلوة والسلام
من وقع في الشبهات وقع في الحرام واجتناب الحرام واجب ووسيلة الواجب واجبة

فالزهد في الشبهات أيضا واجب الثالث الزهد فيما عدا الضرورة من المباحات وهو المراد
من هذا الحديث ظاهرا وهو زهد الخواص العارفين بالله تعالى الرابع الزهد فيما سوى الله
عز وجل من دنياه وعقباه فلا قصد لصاحب الزهد إلا القرب من المولى وهو زهد المقربين هذا
وقد قال تعالى قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى فلا تغرنكم الحيوة الدنيا
وقد روي عن بعض السلف أنه لو كانت الدنيا لؤلؤة تفنى والآخرة خزفة تبقى
لكان ينبغي للعاقل أن يؤثر ما يبقى على ما يفنى فكيف والأمر بالعكس لأن الخسيس هو الفاني
والنفيس هو الباقي ثم الدال لا نعقل ما يراد بنا وفي حديث رواه الترمذي وابن ماجه مرفوعا
الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا بإضاعة المال ولكن الزهادة في الدنيا
أن لا تكون بما في يديك أوثق مما في يد الله وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها
أرغب فيها لو أنها أبقيت لك ورواه أحمد موقوفا على أبي مسلم الخولاني وزاد وأن يكون
مادحك وذامك في الحق سواء وقال الفضيل أصل الزهد الرضى عن الله تعالى وهو
موجب للرضاء بالقضاء والإعراض عن دار الفناء والإقبال على دار البقاء واللقاء
وعن علي كرم الله وجهه من زهد في الدنيا هانت عليه المصائب وقيل إن دنيا كل إنسان
بحسب حاله حتى إن كلام الفقيه بين طلبته وكلام الشيخ بين تلامذته دنيا بالنسبة إليهما
إلا إذا قصد به وجه الله تعالى ولذا قيل آخر ما يخرج من الصديقين محبة الجاه
أي الجاه الأخروي وقيل الزهد في الرياسة أشد منه في الذهب والفضة وقال سفيان الثوري
الزهد في الدنيا قصر الأمل ليس بأكل الغليظ ولا بلبس العباء ومن دعائه اللهم زهدنا
في الدنيا ووسع علينا منها ولا تزوها عنا فترغبنا فيها وفي حديث مرسل عن الضحاك
رواه ابن أبي الدنيا قيل يا رسول الله من أزهد الناس فقال من لم ينس القبر والبلى وترك
زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من أيامه وعد نفسه من الموتى
وقال أبو عثمان الزهد في الدنيا أن تتركها وتبالي من أخذها وقال الجنيد سمعت السري
قدس الله أسرارهما يقول إن الله سلب الدنيا عن أوليائه وحماها عن أصفيائه وأخرجها من قلوب
أحبائه لأنه لم يرضها إلا لأعدائه يعني لقوله تعالى ولولا أن يكون الناس

أمة واحدة الآية

أمة واحدة الآية وقيل الزهد مستفاد من قوله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم
ولا تفرحوا بما آتاكم فالزاهد لا يفرح من الدنيا بموجود ولا يتأسف عليها على مفقود
والتحقيق أن المحب للدنيا الذي ذمه الله إنما هو الذي تلهيه الأعراض الفانية
عن الأعراض الباقية وتشغله حياته العاجلة عن السعي للدار الآجلة بخلاف
من كانت الدنيا معينة له على سلوك طريق العقبى وسبيل محبة المولى وقد جمع أبو سليمان الداراني
أنواع الزهد كلها في كلمة فقال هو ترك ما يشغلك عن الله ثم اعلم أن الذم الوارد في الكتاب
والسنة للدنيا ليس راجعا لزمانها وهو الليل والنهار فإن الله جعلهما خلفة لمن أراد
أن يذكر أو أراد شكورا ولا لمكانها وهو الأرض لأن الله جعلها لنا مهادا
ولا لما أودعه الله فيها لأنه كله من نعمه سبحانه قال تعالى هو الذي خلق لكم
ما في الأرض جميعا وإنما هو راجع إلى الاشتغال بما فيها عما خلقنا لأجله من عبادته
كما قال وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون وصح عن ابن عمر رضي الله عنهما
لا يصيب أحد من الدنيا شيئا إلا نقص من درجاته عند الله وإن كان كريما وثبت حديث
رب كاسية في الدنيا عارية في العقبى وروى الترمذي إن الله إذا أحب عبدا حماه الدنيا
كما يظل أحدكم يحمي سقيمه الماء ورواه الحاكم ولفظه إن الله ليحمي عبده الدنيا
وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه وروى مسلم الدنيا سجن المؤمن
وجنة الكافر بالنسبة إلى ما أعد الله لهما من النعيم المقيم والعذاب الأليم ومقتضى التشبيه
أن المؤمن يكرهها والكافر يحبها فمن أحبها فليس بمؤمن كامل لعدم زهده فيها
بل نقل المحاسبي قدس سره أنهم كانوا يزهدون عن الحيوة فيها وهذا لا يصح إلا لموفق
قد لاح له من عالم الآخرة لائح فاشتاق إلى لقاء مولاه وغلب شيطانه وهواه
فعزفت نفسه عن الدنيا وتقمص بلباس التقوى فمثل هذا تكون الدنيا له سجنا
ومقامه فيها هما وحزنا لكن المؤمن صابر على حكم الله وراض بما قدره
وقضاه إلى منتهى أجله في هذا الباب وقد قال تعالى لكل أجل كتاب واختلف هل طلب الموت أفضل
اشتياقا إلى اللقاء ودار البقاء أو طلب الحيوة لزيادة الطاعة والعبادة والدعاء والثناء

والافضل التسليم في مقام الرضاء كما ورد في الدعاء اللهم احيني ما كانت الحيوة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي واجعل الحيوة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر وقد قال تعالى لنبلوهم ايهم احسن عملا قال بعض السلف اي من هو ازهد في الدنيا وارغب في العقبى وقال بعضهم اكثرهم ذكرا للموت والبلى وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع وقد اثر الحصير في ظهره فقلت لو بعثت يا رسول الله علينا ما هو الين في هذه فقال مالي وللدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كراكب قال في ظل شجرة ثم راح وتركها وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه دخل يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على حصير قد اثر في جنبه فبكى عمر رضي الله عنه فقال ما يبكيك يا عمر قال ذكرت كسرى وقيصر وعدوي الله في الخز والقز وانت رسول الله وخيرته من خلقه على هذا فقال افي شك انت يا عمر اما ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة وفي خبر احمد والنسائي حبب الي من دنياكم النساء والطيب والطعام فاصاب من النساء والطيب ولم يصب من الطعام وروى الحاكم وصححه انه صلى الله عليه وسلم قال نعمت الدنيا لمن تزود منها لآخرته حتى يرضى ربه وبئست الدنيا لمن صدته عن آخرته وقصرت به عن رضى ربه وفي حديث حارثة عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حجرها ومدرها وقال الفضيل لو ان الدنيا بحذافيرها عرضت علي حلالا لا احاسب بها لتقذرتها كما تتقذر الجيفة وقد ورد مرفوعا ان الله لم يخلق خلقا ابغض اليه من الدنيا انه منذ خلقها لم ينظر اليها وروى البزار عن ابي الدرداء قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بدمنة قوم فيها سخلة ميتة قال ما لاهلها فيها حاجة قالوا يا نبي الله لو كان لاهلها فيها حاجة ما نبذوها قال فوالله للدنيا اهون على الله من هذه السخلة على اهلها وقد ورد ان الدنيا مزبلة فلا يدفن احدكم قلبه في المزبلة وعن ابي هريرة رضي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ذات يوم يا ابا هريرة الا اريك الدنيا جميعا قال بلى يا رسول الله قال فاخذ بيدي واتى واديا من اودية المدينة فاذا مزبلة

فيها رؤس الناس

فيها رؤس الناس وعظام الدواب وعذرات وخرق فقال لهم ترون هذه الرؤس كانت تحرص حرصكم وتأمل آمالكم ثم عادت عظاما تلوح ثم هي كائنة رمادا ورفاتا وهذه عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها الآفاق وهذه الخرق رياشهم ولباسهم وهذه العذرات الوان اطعمتهم قذفوها في البطون فعادت يتحاماها الناس فمن كان باكيا فليبك على هذه فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا وقد روي ان ابا بكر رضي الله عنه كان يكثر في خطبته ما للمرء والتكبر يخرج احدكم من الخلاء كرتين ويغسل الخراء مرتين اما يرى ما يخرج من انفه وحلقه وما يجتمع في امعائه اما يعرف المرء قدره قال حتى كاد يقذر الينا انفسنا وقد روي في حديث معناه ان المرء اذا قعد في خلوته بعث اليه ملك يعكس برقبته حتى يرى ما يخرج من مقعدته ليكون نظر عبرته الى عاقبة لذاته وقد قال بعض السلف انظروا الى الناس في اعيادهم هل ترون فيها الا خرقة تبلى وجسدا ياكله التراب في دار البلوى والحاصل ان كمال الزهد هو ان تتنفر نفس السالك عن الدنيا وما فيها من اللذات والشهوات كما تتنفر النفس السالمة عن مشاهدة القاذورات او مقابلة النجاسات وجاء في حديث حسن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالم او متعلم وفي رواية الا ما ابتغي به وجه الله وفي خبر الحاكم ما الدنيا في الآخرة الا كما اذا دخل احدكم اصبعه في اليم فما خرج منه فهو الدنيا يحبك الله مجزوم على جواب الامر وفي مرفوع على الاستيناف كما ذكره شارح والظاهر الاول وكذا الرواية على ما صرح به الكازروني وفيه اشارة الى ان الزهد من المقامات العلية والحالات البهية لانه جعل سببا لمحبته تعالى ومفهومه ان محبة الدنيا سبب لبغضه سبحانه تعالى فانه يحب من اطاعه ومحبة الدنيا ومحبة المولى لا يجتمعان لقوله صلى الله عليه وسلم كما رواه احمد وابن حبان من احب آخرته اضر بدنياه ومن احب دنياه اضر بآخرته فآثروا ما يبقى على ما يفنى وشبههما ايضا بالضرتين وبالكفتين ولان حب الدنيا رأس كل خطيئة وبغضها

لأنّ كل عبادة ولأنّ القلب بيت الرب وهو غني عن الشركاء لأنّ له العظمة
والكبرياء والمراد بذم الدنيا محبّتها المانعة من سلوك طريق المولى ولهذا قال صلى الله عليه وسلم
نعم المال الصالح للرجل الصالح يصل به رحمًا ويصنع به معروفًا وإذا شبّه العارف الرومي
قدس سره مال الدنيا بماء البحر ولعل مأخذه قوله سبحانه إنما مثل الحيوة الدنيا كماء والسالك
كالسفينة فإن دخل الماء فيها أغرقها وإن كان ما حولها أرسيها أو أجريها وجاء في أثر
إذا كان يوم القيامة جمع الله الذهب والفضة كالجبلين العظيمين ثم يقول هذا مالنا
عاد إلينا سعد به قوم وشقي به آخرون وازهد فيما عند الناس من المال والجاه
يحبك الناس لأنّ من نازع إنسانًا في محبوبه كرهه وقلاه ومن لم يعارضه فيه
أحبه وارتضاه ومن كلام الشافعي شعر ومن يأمن الدنيا فإني طعمتها وسيق إلي
عذبها وعذابها فما هي إلا جيفة مستحيلة عليها كلاب همهنّ اجتذابها فإن تجتنبها
كنت سلمًا لأهلها وإن تجتذبها نازعتك كلابها وقال بعضهم تركنا الدنيا
لقلة غنائها وكثرة عنائها وسرعة فنائها وخسة شركائها وأخرج الطبراني وغيره
خبر ازهد فيما عند الناس تكن غنيا يعني بما في خزائن الرب وقال الحسن
لا يزال الرجل كريما على الناس ما لم يعط في أيديهم وإذا أعطى لحينئذ يستخفون به
ويكرهون حديثه ويبغضونه وكان عمر رضي الله عنه يقول في خطبته إنّ الطمع
فقر وإنّ اليأس غنى وسأل ابن سلام كعبًا بحضرة عمر رضي الله عنه ما يذهب
بالعلم من قلوب العلماء بعد أن حفظوه وعقلوه قال يذهبه الطمع وشره النفس
وتطلب الحاجات إلى الناس وقال أعرابي لأهل البصرة من سيدكم قالوا الحسن
قال بم سادكم قالوا احتاج الناس إلى علمه واستغنى هو عن دنياهم فقال ما أحسن هذا
وقال أبو أيوب السختياني لا ينبل الرجل حتى يعف عما في أيدي الناس ويتجاوز عما يكون منهم
والمعنى لا يتعلق بحبهم ولا ببغضهم كما قال قائلهم شعر وما الزهد إلا في انقطاع
العلائق وما الحق إلا في وجود الحقائق وما الحب إلا حب من كان قلبه عن الحق
مشغول برب الخلائق ثم المحبة الإلهية هي إرادة المثوبة فهي صفة ذاتية

أو نفس الإثابة

أو نفس الإثابة فهي صفة فعلية وقد تكون محبّة العبد له سبحانه
لما أبداهم وأولاهم من نعماء وإحسان وإليه الإشارة في قوله صلى الله عليه وسلم
أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وإليه الإيماء في قوله تعالى فليعبدوا رب
هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ثم لا إحسان في الحقيقة
إلا لله لأنه خالق المحسنين وإحسانهم فهو الحقيق بالمحبة دون من سواه
وقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها ومن محبته محبة من أحبه
من نبي وملك وولي ونحوه فقد ورد في الدعاء أسألك حبك وحب
من يحبك وحب من يقربني إلى حبك ومن محبته محبة طاعته واجتناب معصيته
ولقد أحسن من قال منشدًا بالحال شعر تعصي الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمري
في القياس بديع لو كان حبك صادقًا لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع ولهذا قال
سهل التستري قدس سره المحبة معانقة الطاعة ومباينة المخالفة وقال أبو علي
الروذباري قدس سره المحبة الموافقة وقال سمنون المحب قدس سره ذهب
المحبون لله بشرف الدنيا والآخرة لأنه صلى الله عليه وسلم قال المرء مع من أحب
فهم مع الله تعالى أبدًا وقال بعض العارفين مساكين أهل الدنيا خرجوا منها وما نالوا
أطيب ما فيها قيل وما أطيب ما فيها قال محبة الله والأنس به والشوق إلى لقائه
والتنعم بذكره وطاعته وشكره وقال آخر ليمر بي أوقات أقول فيها إن كان أهل الجنة
في مثلها إنهم لفي عيش طيب وقال سمنون المحب قدس سره وكان فؤادي خاليا
قبل حبكم وكان بذكر الخلق يلهو ويمرح فلما دعا قلبي هواك أجابه فلست أراه عن فنائك
يبرح بليت ببعد منك إن كنت كاذبا وإن كنت في الدنيا بغيرك أفرح
وإن كان شيء في البلاد بأسرها إذا غبت عن عيني لعيني يملح فإن شئت واصلني
وإن شئت لا تصل فلست أرى قلبي لغيرك يصلح وله أيضا وليس لي في سواك
حظ فكيف ما شئت فاختبرني وقال الأستاذ أبو القاسم القشيري قدس سره
في رسالته ما حاصله أنّ المحبة منه تعالى للعبد إرادته لإنعام مخصوص عليه كما أنّ رحمته

ارادته مطلق الانعام فالمحبة اخص من الرحمة وهي اخص من الارادة فارادته
وان كانت صفة واحدة الا انها تتفاوت بحسب تفاوت متعلقاتها فعند تعلقها
بالعقوبة تسمى غضبا وبعموم النعمة رحمة وبخصوصها محبة ومن العبد له تعالى
حالة يجدها في قلبه تضعف عنه العبارة وتلطف عنه الاشارة وقد تحمله
تلك الحالة على تعظيمه وايثار رضاه وقلة الصبر عنه مع الاستيناس بدوام
ذكره له بقلبه وليست ميلا ولا اختلاطا كيف وحقيقة الصمدية مقدسة
عن اللحوق والاحاطة والمحب بوصف الاستهلاك في المحبوب اولى منه بوصف الاختلاط
وليس لها وصف ولا حد اوضح ولا اقرب للفهم من لفظها انتهى ومما نقل القرطبي هذا
وذكر معه عن بعض ارباب القلوب في محبة العبد لله سبحانه حيث فسرها بانها
الميل الدائم بالقلب الهائم ثم قال فهؤلاء قد صرحوا بان محبة العبد لله ميل
وتوقان وحال يجدها في نفسه من نوع ما يجده في محبوبه المعتاد له وهو صحيح
لان النفوس مجبولة على الميل الى حسن الجمال والكمال فبقدر ما ينكشف من ذلك
يكون الميل والتعلق هنالك حتى ربما يفضي الى استيلاء ذلك المعنى عليه بحيث
لا يصبر عنه ولا يشتغل بغيره وذلك الحسن اما حسي كالصورة الجميلة الانسانية
المشتهاة لنيل اللذة الجسمانية وهذا قطعي الاستحالة في الذات الصمدانية
واما معنوي كمن اتصف بالعلم والحلم والكرم وحسن الخلق فهذا تميل اليه النفوس
الفاضلة والقلوب الكاملة ميلا عظيما فترتاح لذكره وتهتز لسماع احواله وتتشوق
لمشاهدته وتلتذ بمطالعة ملاحظته لذة روحانية لا جسمانية كما تجد عند ذكر
الانبياء والاولياء والعلماء والشهداء والاسخياء من الميل والرقة الانسانية
وان لم تعرف صورهم الحسية وهذا كلام لا يرده منصف ولا ينكره الا متعسف متعصب
ويتضاعف ذلك الميل بوصول بر واحسان من المتصف بذلك الجمال المعنوي الى ان يستغرق
فيه جملة باله ويذهل عن جميع اشغاله واحواله واذا كان هذا في حق من جماله
وكماله مشوب بنقصه وزواله فمن لا يعرض لكماله زوال مع انعامه

الذي لا يحصى اوط

الذي لا يحصى اولى بذلك الميل واحق بذلك الحب وليس ذلك الا لله تعالى وحده
ثم من خصه بالكمال المطلق والجمال المحقق على سائر من خلق وهو محمد صلى الله عليه وسلم
فمن تحقق بذلك كان الله ورسوله احب اليه مما سواهما فتاهب للقائهما باذنهما
واتصف بما يرضيهما واجتنب ما يسخطهما واقبل عليهما واعرض عما سواهما الا
انتهى وقد قيل من سمي باسم الزهد فقد سمي بالف اسم ممدوح هذا مع ما للزاهد
من راحة القلب والقالب في الدنيا والاخرة فالزاهدون هم الملوك على الحقيقة كما قال قائلهم
شعر ارى الزهاد في روح وراحة قلوبهم عن الدنيا مزاحة اذا ابصرتهم ابصرت قوما
ملوك الارض سيمتهم سماحة وهم العقلاء لايثارهم البقاء على الفناء وكم بين من
شغله الله وبين من شغله هواه تشاغل قوم بدنياهم وقوم تخلوا بمولاهم فالزمهم
باب مرضاته وعن سائر الناس اغناهم حديث حسن رواه ابن ماجة وهو ابو عبد الله
محمد بن يزيد القزويني صاحب السنن ومااثمه ولد سنة تسع ومائتين ومات سنة
ثلاث وتسعين ومائتين وغيره كالعقيلي وابن عدي وابن ابي حاتم والخطيب باسانيد
حسنة اي لغيرها لا لذاتها لان في سندها من طعن فيه جمع من المحدثين كاحمد وابن معين
وابي زرعة وابي حاتم وابن عدي الا ان ابن حبان ذكره في الثقات فالحسن لتعدد
طرقه في الروايات وفي الجامع الصغير رواه ابن ماجة والطبراني في الكبير والحاكم في مستدركه
والبيهقي في شعبه كلهم عن سهل بن سعد هذا وفي رواية مرسلة ان رجلا قال
يا رسول الله دلني على عمل يحبني الله عليه ويحبني الناس عليه فقال اما العمل الذي
يحبك الله عليه فالزهد في الدنيا واما العمل الذي يحبك الناس عليه فانظر
الى هذا الحطام فاطرحه اليهم واخرجه ابن ابي الدنيا ايضا ونقل غير واحد
من الشراح عن الاربعين الودعانية زاد بعض محققيهم قوله الموضوعة
خبر ارغب فيما عند الله يحبك الله وازهد فيما ايدي الناس يحبك الناس
ان الراغب في الدنيا يتعب قلبه وبدنه في الدنيا والاخرة ليجيئن اقوام يوم القيامة
بحسنات كامثال الجبال فيؤمر بهم الى النار فقيل يا نبي الله اوهم مصلون قال كانوا

يصلون ويصومون ويأخذون وهنا من الليل لكنهم كانوا إذا لاح لهم شيء
من الدنيا وثبوا عليه انتهى ولا يخفى أنه صحيح المعنى وإن كان ضعيف المبنى
ونقل بعضهم خبرا يا أيها الناس اتقوا الله حق تقاته واسعوا في مرضاته وأيقنوا
من الدنيا بالفناء ومن الآخرة بالبقاء واعملوا لما بعد الموت فكأنكم بالدنيا ولم تكن
وبالآخرة ولم تزل إن من في الدنيا ضيف وإن الضيف مرتحل وما فيه عارية والعارية
مردودة والدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر والدنيا مبغضة لأولياء الله
محببة لأهلها فمن شاركهم في محبوبهم أبغضوه وروى أحمد والترمذي وابن ماجة
من كانت الآخرة همه جمع الله شمله وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة
ومن كانت الدنيا همه شتت الله شمله وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له
وفي الدعاء الوارد اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا وروى الترمذي لو كانت
الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء واختلف
العلماء في أن طلبها لفعل الخير أفضل أو تركها من أصلها أكمل والثاني أشهر وأظهر
لقول عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا لتبر تركك للدنيا أبر ويؤيده قوله تعالى في ذم
من يريد الدنيا لتحصيل البر في العقبى منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة
قال ابن مسعود رضي ما كنت أظن أن أحدا من الصحابة يريد الدنيا حتى نزلت هذه الآية ولما قرئت
هذه الآية عند الشبلي قدس سره قال أين من يريد الله وقد أجيبت عنه بلسان العبارة
وبيان الإشارة في الجمالين حاشية الجلالين ثم اعلم أن مدار الزهد على عزوف النفس عن الدنيا
وشهواتها ولهواتها وهذا أمر يتعلق بالقلب ولا يطلع عليه غير الرب ولذا قال
أبو سليمان لا تشهد لأحد بالزهد لأنه في القلب وقيل لبعض السلف من معه مال
هل زاهد فقال نعم إن لم يفرح بزيادته ولم يحزن بنقصه والأظهر أن الزهد
يتصور ممن ليس له مال ولا جاه لأن الزهد حال وارد من توفيق الرب حال في القلب
يمنعه عن طلب دنياه ومشتهاه سواء وجد في حال الفقد أو عرض بعد الوجد
نعم من علامة الزهد سبق القدرة على وجود الدنيا ولذا لما قيل لابن المبارك يا زاهد

قال الزاهد

قال الزاهد عمر بن عبد العزيز إذ جاءته الدنيا راغمة فتركها أما أنا ففيما
زهدت انتهى ولا يخفى أن هذا يحتمل أن يكون منه تواضعا وإنصافا في المقال
أو يريد به كتمان السر وإخفاء الحال أو يشير إلى أن الوجود شرط الكمال كما حصل
لإبراهيم بن أدهم قدس سره ترك الجاه والمال ثم الوجود إما حقيقي وإما فرضي
وتقديري بحيث أنه لو عرض عليه الجاه والمال لما مال عن الحال بالانتقال إلى مقام النقص
والزوال وأما ما نقله ابن حجر عن كثير من السلف من أن عمر بن عبد العزيز كان أزهد من أويس
فلعله محمول على ما قررناه وإلا فعمر بن عبد العزيز اختار الجاه الذي هو وسيلة إلى المال
ولذا هجره بعد توليته كثير من العلماء والصلحاء من أرباب الكمال وأويس بالغ في قلة المال
وخمول الحال حيث اختار رعي الجمال في طريق الحج وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كل سنة
يتفحص عنه ولم يأت الخبر منه إلى أن دل عليه أنه في نواحي عرفات فركب هو وعلي رضي الله عنهما
فرآه يصلي والجمال ترعى فاجتمعا معه وتعرفا به وطلبا منه الدعاء بالمغفرة وعرض
عمر رضي الله عنه النفقة والكسوة فأباهما ثم اختفى عن الناس خوفا من الشهرة
والاستئناس فهو في قرنه لا شك أنه أزهد الزاهدين ولذا ورد في حقه
أنه خير التابعين هذا وقد قيل عيسى عليه السلام كان أزهد الأنبياء وقته وعصره وأنه يجوز أن تكون
خصلة في المفضول لا توجد مثلها في الفاضل وفيه بحث لأن نبينا صلى الله عليه وسلم
عرضت عليه الدنيا بحذافيرها فلم يلتفت إليها وما زاغ بصره وما طغى لديها
ففي كتاب الشفاء وغيره أن جبريل عليه السلام قال له إن الله يقول لك أتحب أن أجعل لك
هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيث ما كنت فأطرق ساعة ثم قال يا جبريل ملي والدنيا
الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له وقد يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل
ثبتك الله بالقول الثابت وفي رواية قال أريد أن أجوع يوما فأصبر وأشبع يوما فأشكر
وذلك لأنه كان مظهر الكمال الجامع بين مطالعة الجلال والجمال معتدلا في الأحوال
متوسطا بين الخوف والرجاء كما يقتضيه مقام الرضا بالقضاء وعيسى عليه السلام كان
الغالب عليه الخوف ولذا كان يمتنع عن كثير من متمتعات الحال وأيضا كان مبعوثا إلى جمع محصور

من ارباب الجاه والمال فاظهر كمال الزهد فيهم ليقتدوا به ولذا ظهرت الرهبانية فيهم
لكنهم ابتدعوها وما رعوها حق رعايتها واما نبينا صلى الله عليه وسلم فكان مبعوثا لعامة الخلق
وهو رحمة للعالمين وقد امر الحق ان يقول للخلق قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله فاختار طريقا جامعا ومسلكا واسعا يسع الخلق كلهم ان يتبعوه صغيرهم
وكبيرهم وضعيفهم وقويهم وغنيهم وفقيرهم وملوكهم وصعلوكهم فتارة كان يأكل
خبز الشعير اليابس والتمر الردي واخرى يأكل الرطب الجني والعيش الطري وتارة
يلبس الثوب الفاخر واخرى الكساء الخلق الطاهر وتارة يرقد على السرير وفراش الثياب
وتارة يضطجع على الحصير والتراب وتارة يلبس القلنسوة مع العمامة واخرى يكتفي بالقلنسوة
وتارة يجعل لها عذبة واخرى بغير عذبة وتارة يركب الخيل والابل واخرى
يركب الحمار وربما يردف وتارة يمشي منفردا واخرى مع جماعة وتارة يصوم حتى يظن
انه لا يفطر واخرى يفطر حتى يظن انه لا يصوم وكذا في صلوة الليل تارة يصلي
حتى يظن انه لا يرقد واخرى ينام حتى يظن انه لا يصلي ومع هذا ما احيا
الليل كله وربما رقد عن صلوة التهجد فاداها في النهار وما ذلك كله
الا تسهيلا للملة وتهوينا لمتابعة جميع الامة وتارة يعطي عطاء الملوك
استغناء بغنى الخالق واخرى يقترض من يهودي اظهارا للافتقار
وتواضعا مع الخلق كل ذلك ليكون شريعته سهلة وطريقته سمحة لا فيها
عوج ولا حرج ولذا قال صلى الله عليه وسلم ليذكرن الله اقوام في الدنيا
على الفرش الممهدة يدخلهم الدرجات العلى وفيه دليل على الملوك والامراء
ومن يجري مجريهم من الاغنياء لا يمنعهم حشمتهم وتنعمهم عن ذكر الله
وهم في ذلك مأجورون مثابون يدخلهم الله برحمته الجنات العلى نعم
نبههم على ان الزهد في الدنيا انفع لهم في مراتب العقبى حيث قال اجوعكم في الدنيا
اشبعكم في الاخرى ونحو ذلك مما فيه الطريق الاوسط مع ان شرط صحة التنعم
استعمال المباحات دون المحرمات والمشتبهات كما قال تعالى قل من حرم زينة

الله التي اخرج لعباده

الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق المستلذات من الحلاوات فهذا كله
يدل على ان الفقير الصابر افضل من الغني الشاكر ومن خالفه فهو المكابر وان كان من الاكابر
والله سبحانه اعلم بالظواهر والسرائر وانما اطنبت الكلام في هذا المقام لان الزهد في الدنيا
امر مهم من انواع المرام ويحتاج اليه الخاص والعام في تفاصيله من الاحكام ولنختم بالدعاء
الوارد عن سيد الانام وهو اللهم فكما رزقتني مما احب فاجعله قوة لي فيما تحب
وما زويت عني مما احب فاجعله فراغا فيما تحب رواه الترمذي الثاني والثلاثون عن ابي سعيد
سعد بن مالك بن سنان بكسر اوله الخدري بضم المعجمة وسكون الدال المهملة نسبة الى بني
خدرة قبيلة من الانصار رضي الله عنهما ينبغي ان يقال عنهما لان اباه صحابي ايضا
من شهداء احد قال ابو سعيد هذا من نجباء الانصار وكبرائهم ومن حفاظ الصحابة
وعلمائهم روى له الف ومائة وسبعون حديثا وقد روى عنه جماعة من الصحابة
والتابعين توفي بالمدينة سنة اربع وسبعين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ضرر
بفتحتين ولا ضرار بالبناء على الفتح فيهما رواية ويجوز خمسة اوجه دراية
زيد في بعض النسخ في الاسلام قال المص لا ضرر بفتح الضاد المعجمة ولا ضرار بكسر
الضاد المعجمة انتهى فهما مصدران من ضره وضاره بمعنى وهو خلاف النفع
على ما في الصحاح وقال صاحب النهاية الضرر والضر ضد النفع اي لا يضر الرجل اخاه
فينقص شيئا من حقه والضرار فعال اي لا يجازيه على اضراره بادخال الضرر عليه
فالضرر فعل الواحد والضرار فعل الاثنين او الضرر ابتداء الفعل والضرار الجزاء عليه
وقيل الضرر ما تضر به صاحبك وتنتفع به والضرار ان تضره من غير ان تنتفع به
يعني فالمغالبة للمبالغة وقيل هما بمعنى والتكرير للتأكيد انتهى كلام النهاية وقيل
الضرر ان يضره من لم يضره والضرار ان يضر من يضره اي ليس من ديننا ان يبتدي
احد بالضرر وذلك يشمل ضر نفسه وضر غيره وقيل الضرر الحاق مفسدة بالغير
مطلقا والضرار الحاق مفسدة به على جهة المقابلة اي يقصد كل منهما ضرر صاحبه
ويروى في الحديث ولا اضرار بزيادة همزة في اوله وهو مصدر اضر به اضرارا

ولحق به ضررا فهو بمعنى الضرر قال ابن الصلاح وهذه الرواية على السنة
كثير من الفقهاء والمحدثين لا صحة لها لكن انتصر بعضهم بانها جاءت في بعض روايات
ابن ماجة والدارقطني وفي بعض نسخ الموطأ وقيل المعنى لا لحوق ضرر شرعا الا لموجب خاص
اما التقييد بالشرع فلان الضرر بحكم القدر الالهي لا ينتفي واما استثناء الضرر لموجب خاص
فلان الحدود والعقوبات ضرر لاحق باهلها وهو مشروع بالاجماع انتهى
وخبر لا محذوف اي في ديننا وشريعتنا والاظهر ان نفي معناه نهي كقوله تعالى لا ريب فيه
والمعنى لا تضروا انفسكم ولا غيركم ولا تضاروا الناس بما فعلوا معكم الا بان اذن
الشرع لكم من غير تعد عن الحد منكم كما قال تعالى فان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به
فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وجزاء سيئة سيئة مثلها
وظاهر الحديث تحريم سائر انواع الضرر الا لدليل لان النكرة في سياق النفي تعم انتهى وانما
الضرر فيما عدا ما استثني لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر يريد الله
ان يخفف عنكم وما جعل عليكم من حرج وقوله صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السمحاء
السهلة ونحو ذلك من النصوص المصرحة بان وضع هذه الملة تحصيل النفع
والمصلحة وصح ان دماءكم واموالكم واعراضكم حرام عليكم بعضكم على بعض
وصح ايضا حرم الله من المؤمنين دمه وماله وعرضه وان لا يظن به الا خيرا
وكل ما جاء في تحريم الظلم من الكتاب والسنة دليل على تحريم المضرة وقد جاء فيهما
النهي عن المضارة في صور خاصة منها في الوصية فقد اخرج الترمذي وغيره
ان العبد ليعمل بطاعة الله ستين سنة ثم تحضره الوصية فيدخل النار ثم تلا من بعد وصية
يوصى بها او دين غير مضار الى قوله ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده
يدخله نارا خالدا ومنها في الرجعة قال تعالى ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومنها
في العدة قوله تعالى ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن ومنها في الرضاع قال تعالى
لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده واما قوله صلى الله عليه وسلم في الخبر الصحيح
لا يمنع احدكم جاره ان يضع خشبة في جداره فالظاهر انه من باب مكارم الاخلاق بمعنى

لا ينبغي ان

لا ينبغي ان يمنع لا انه يجوز له كرها ان يضع كما اباحه جماعة منهم الشافعي
في القديم ورجع عنه في الجديد حيث قال ليس ذلك لحديث لا ضرر ولا ضرار
مع حديث لا يحل مال امرئ مسلم الا عن طيب نفس وقد ابعد ابن حجر في تجويز
رجع الضمير للجار في جداره يعني في جدار نفسه فان مثل هذا الاحتمال
لا يخطر ببال اهل الكمال والحاصل ان مذهب ابي حنيفة والكوفيين عدم الوجوب
وقال احمد وابو ثور واصحاب الحديث بالايجاب لظاهر الحديث والله اعلم بالصواب
واما الصائل ونحوه فمخصوص من عموم هذا الحديث ولانه اراد دفع ضرره لا قصد ضرره
وزبدة المرام في هذا المقام انه ينبغي للسالك طريق الحقائق ان يعاشر الخلائق
ويسلك في مصاحبتهم احسن الطرائق واذا اعتدى عليه احد لا يكافيه
وان اساء اليه مسيء فلا يقابله ولا يساويه بل يتشبث باذيال الكظم والاغماض
ويعتصم بحبل الله في العفو والاعراض حتى يستعبد القلوب باحسانه ويستميل النفوس
الى امتنانه ويكتسب المحبة في الله المحمودة في الشرايع التي هي من افضل القرب والذرايع
الباعثة للاجتماع في الجوامع لاستنزال الرحمة الالهية والبركات الشوايع ولذا نقل في عوارف المعارف
ان ارتفاع الاصوات في بيوت العبادات بحسن النيات وصفاء الطويات يحل ما عقدته الافلاك
الدائرات حديث حسن رواه ابن ماجة اي عن ابن عباس وعن عبادة كذا في الجامع الصغير
ففي اطلاق المصنف ايهام انه رواه عن ابي سعيد ولعله وجد رواية عنه ايضا قيل وفي اسناديهما
ضعف وانقطاع والدارقطني اي من طريق ضعيفة عن ابن عباس واخرى كذلك
عن عايشة واخرى عن ابي هريرة لكن مع شك فيهما وغيرهما كالحاكم في المستدرك
وقال صحيح على شرط مسلم والبيهقي من حديث ابي سعيد والطبراني مرسلا وابن عبد البر
من طريق كثير بن عبد الله وكثير هذا صحح حديثه الترمذي ويقول البخاري في بعض احاديثه
هو اصح حديث في الباب وحسن حديثه الحازمي وقال خبر من مراسيل ابن المسيب
وكذا حسنه ابن ابي عاصم مسندا هو ما اتصل اسناده سواء كان مرفوعا او موقوفا
ورواه مالك اي ابن انس الاصبحي صاحب المذهب ولد سنة ثلاث وتسعين وحمل به في البطن

ثلاث سنين ومات بالمدينة سنة تسع وسبعين ومائة وله اربع وثمانون او تسعون سنة
في الموطأ بضم ففتح فتشديد مهملة مفتوحة فهمزة وألف كما مشهور عن عمرو بن
يحيى عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا وهو ان يقول تابعي قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كذا او فعل كذا وهو اصطلاح المحدثين او عدل غير صحابي وهو
اختيار الاصوليين فقيل يحتج به مطلقا وهو مذهبنا وعليه الجمهور كما ذكره الامام
ابن الهمام وقيل يرد مطلقا وقال الشافعي يقبل ان اسنده غيره او يرسله آخر
وعلمه شيوخهما مختلفة او ان يعضده قول صحابي او يعلم انه لا يرسل
الا بروايته عن عدل وقيل ان كان الراوي من ائمة نقل الحديث قبل والا فلا وهذا هو
المختار على ما ذكره بعضهم فاسقطا اي مالك ويحيى ابا سعيد قال ابن عبد البر
لم يختلف عن مالك في ارساله ولا يسند من وجه صحيح يعني عنه مطلقا وله طرق
والحاصل ان للحديث وحديث مالك اسانيد كثيرة ضعيفة يقوى بفتح الياء والواو
وفي نسخة يتقوى بعضها ببعض وفي اخرى يقوي بعضها بعضا من التقوية
قال ابن الصلاح اسنده الدارقطني من وجوه متصلا وقال حديث حسن وقال مرة
اسنده من وجوه ومجموعها يقويه ويحسنه وقد نقله جماهير اهل العلم
واحتجوا به فقد قال ابو داود الفقه يدور على خمسة احاديث وعد هذا منها
فهو عنده غير ضعيف انتهى وممن اسنده احمد قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
لا ضرر ولا ضرار بل اسنده السيوطي في جامع الصغير معزيا الى مسند احمد عن ابن عباس رضي الله عنهما
والحاصل ان طرق هذا الحديث كثيرة وقد قيل في بعضها انه صحيح فلا اقل من ان يكون حسنا لغيره
فيجوز الاحتجاج به حيث انضم بعضها الى بعض فان الكثرة تفيد القوة حتى قال الشافعي
على ما نقله عنه ابن حجر في قلتين نجستين اذا ضمت احديهما الى الاخرى صارتا
طاهرتين وهو فرع غريب من اصل عجيب هذا وفي بعض طرقه المسندة من طريق عمرو بن يحيى
بعض الفوايد الزايدة ولفظه لا ضرر ولا ضرار من ضار ضاره الله به ومن شاق
شاق الله عليه وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم لعن من ضار مسلما او ماكره

وفي رواية من ضار ضره الله ومن شاق شاق الله عليه
صح صح

وفي اخرى

وفي اخرى عن ابي بكر رضي الله عنه ملعون من ضار مؤمنا او مكر به قال ابن
عبد البر وسنده وان ضعف لكنه يجامع عقوبة ما جاء فيه فانه
موافق للقواعد انتهى والمراد بالقواعد القواعد الشرعية والضوابط الفقهية
واما تضعيف ابن حزم لحديث الكتاب فقوله فيه انه واه فمحمول على سنده
فوقها عنده مع قطع النظر عن سائر طرقه والا لزم مخالفته لائمة الحديث
الثالث والثلاثون عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لو يعطى الناس بصيغة المجهول والمفعول الثاني محذوف بقرينة الجزاء
اي اموال الناس ودماءهم بدعواهم اي بمجرد ادعائهم من غير تصديق للمدعى عليه
او بينة للمدعي لادعى رجال اي ناس كما في رواية واورد بصيغة الجمع لفظا
ومعنى اعلاما باقدام غير واحد منهم على الخصومة والتنكير لقصد الاشاعة
اموال قوم ودماءهم فيفضي الى الهرج والمرج ويقتضي في الدين نوعا عظيما
من الحرج واخرت الدماء في هذه الرواية للترقي الى الكمال ولان خصومة الاموال
اكثر فيما بين الرجال ولان الغرض غالبا من خصومة الدماء حصول المال لا سيما
اذا كان المدعون فقراء في الاحوال ثم لفظة لو للدلالة على ان انتفاء الثاني في الخارج بسبب
انتفاء الاول وقد يستعمل للدلالة على ان الجزاء لازم الوجود في جميع الازمنة
اذا كان الشرط مما يستبعد استلزامه للجزاء ويكون نقيضه انسب بالاستلزام
نحو حديث نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وهذا عند اهل العربية واما عند
المنطقية فلو للدلالة على ان العلم بانتفاء الثاني علة العلم بانتفاء الاول من غير
التفات الى ان علة انتفائه في الخارج ما هي نحو لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا
والقوم وان خص بالرجال لغة كما يدل عليه قوله تعالى لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا
خيرا منهم ولا نساء من نساء الا ان المراد به هنا الجماعة من الرجال والنساء كما قال تعالى
كذبت قوم نوح المرسلين اما بالاطلاق الشرعي واما بالتغليب العرفي واقتصر في الحديث عليهم لانهم
قوامون على النساء وقائمون لهن ايضا في دعويهم لكن البينة الرواية بتخفيف لكن

لكن يجوز تشديدها وهي فعيلة من البيان وهي ما ثبت به الدعوى باعتبار افادته للبيان وتسمى حجة باعتبار انه يغلب به على الخصم فان قيل لكن معناها الاستدراك وهي انما يكون بين نفي واثبات نحو ما قام زيد لكن عمرو قام وزيد قام لكن عمرو لم يقم وليست لكن ههنا كذلك اذ بعدها اثبات ولا نفي هنا اجيب بانها كذلك في المعنى اذ معنى قوله لو يعطى الناس بدعواهم لا يعطى الناس بدعويهم المجردة لكن بالبينة **على المدعى** وهو المكلف الملتزم للاحكام الذي يذكر امرا يخالف الظاهر والمدعى عليه عكسه وانما جعل البينة على المدعى لانها اقوى من اليمين التي جعلت على المنكر لينجبر ضعف جنبة المدعى بقوة حجته وضعف حجة المنكر بقوة جنبته وهذا معنى قوله **واليمين على من انكر** اي اذا لم يكن للمدعى بينة وتفصيل عدد البينة في كل قضية محله كتب الفقهية ادعى والشافعية جواز القضاء بالشاهد الواحد واليمين وانكره الحنفية وقد قال ابن المنذر اجمع اهل العلم على ان البينة على المدعى واليمين على المدعى عليه هذا وقد قال بعض العلماء ان المراد بفصل الخطاب في قوله تعالى واتيناه الحكمة وفصل الخطاب هو البينة على المدعى واليمين على من انكر وقال المص في شرح مسلم هذا الحديث قاعدة شريفة من قواعد الدين ودلالة على مذهب الشافعي حيث قال اليمين متوجهة على المدعى عليه سواء كان بينه وبين المدعى عليه معرفة ومعاملة ام لا خلافا لمالك واصحابه والفقهاء السبعة انتهى وكان حقه ان يقول على مذهب الجمهور فان الشافعي اخذ بقول من قبله في هذه القاعدة لا انه اخترع هذه الفائدة نعم خالف شيخه وتبع غيره ثم حجة المالكية وفقهاء المدينة النبوية ان درء المفسدة ورعاية المصلحة التي هي من القواعد الدينية يقتضي ان يشترط المخالطة فيما بينهما لئلا يبتذل السفهاء اكابر الفقهاء مرارا في اليوم الواحد من دعوى الاشياء اما ليحلفوهم على قصد اهانتهم وابتذال حرمتهم لعداوة كامنة فيما بينهم او ليبذلوا لهم شيئا ليتخلصوا به منهم قالوا وبه قضى علي بن ابي طالب كرم الله وجهه والفقهاء السبعة وهم سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والقاسم بن محمد وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وخارجة بن زيد وسليمان بن يسار وابو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام

ثم اعلم انه

ثم اعلم انه وقع اجماع العلماء على استحلاف المدعى عليه في الاموال واختلفوا في غير ذلك فمذهب الشافعي واحمد وابو ثور الى وجوبها على كل مدعى عليه في حد او طلاق او نكاح او عتق اخذا بظاهر عموم الحديث فان نكل حلف المدعى وثبت دعواه وقال ابو حنيفة واصحابه يحلف على الطلاق والنكاح والعتق وان نكل لزمه ذلك وقال الثوري والشعبي وابو حنيفة لا يستحلف في الحدود والسرقة وبه قال مالك كذا ذكره بعض الشراح وقال بعض العارفين في الحديث اشارة الى ان كل دعوى لا بد ان يكون لها معنى وكل حال ومقام لا يقبل الا باتباع الشرع الاسنى فمن اراد ان يسلك بقدم العقل القاصر والفهم الفاتر بساط سرادقات العرفان او يرتقي من حضيض النقصان الى ذروة الايقان بدون اتباع الرسول فهو مريد شيطان مريد مخذول **حديث حسن** وكلام احمد وابي عبيدة ظاهر في انه صحيح عندهما وكان المص تنزل وقال اقل مراتبه حسن لاحتمال انه صحيح لغيره عندهما او حسن باعتبار اسناد **رواه البيهقي** الظاهر باسناده في شعبه وهو الامام ابو بكر احمد بن الحسين صاحب التصانيف الجليلة ولد سنة اربع وثمانين وثلاثمائة ومات سنة ثمان وخمسين واربعمائة **وغيره** اي وغير البيهقي **هكذا** اي بهذا اللفظ المذكور على النهج المسطور **وبعضه في الصحيحين** اي بعض هذا الحديث الصادق باكثره في صحيحي البخاري ومسلم وكذا في مسند احمد وسنن ابن ماجه بلفظ لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء رجال واموالهم ولكن اليمين على المدعى عليه وفي رواية للشيخين قال ابن ابي مليكة كتب ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قضى ان اليمين على المدعى عليه وقول الاصيلي لا يصح مرفوعا مردود بتصريحهما بالرفع فيه من ابن جريج وقد رفعه ايضا ابو داود والترمذي قال المص واذا صح رفعه بشهادة البخاري ومسلم وغيرهما لم يضره من وقفه ولا يكون ذلك تعارضا ولا اضطرابا فان الراوي قد يعرض له ما يوجب السكوت عن الرفع من نحو نسيان او اكتفاء بعلم السامع في معرض البيان مع ان زيادة الثقة مقبولة فالمرفوع مقدم على الموقوف

علم ان مثل هذا الموقوف في حكم المرفوع وكان الاظهر ان يذكر المص رواية الشيخين في الاصل
اولا ثم يقول وزاد البيهقي وغيره باسناد حسن او لفظهم لكن البينة على المدعي واليمين على من انكر
فقد روا اخرجه الاسمعيلي في صحيحه بلفظ لو يعطى الناس بدعويهم لادعى رجال
دماء قوم واموالهم ولكن البينة على الطالب واليمين على المطلوب **الرابع والثلاثون عن ابي سعيد الخدري**
رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رأى منكم منكرا يحتمل
انه من رؤية العين ثم يقاس عليه ما لم يره لان المقصود دفع مفسدة المنكر ولا فرق
بين من ابصره او علمه ولم يره ويحتمل انه من رؤية القلب اي من علم منكرا فهو اعم مما ابصره
او علمه وهو اشبه في النظر وان كان لفظ رأى ظاهرا في البصر والمنكر ما انكره الشرع وكرهه
ولم يرض به والمراد به الحرام والمكروه وفي معناهما ترك الفرض والسنة المؤكدة
والخطاب للامة عامة دون الصحابة خاصة لقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس
تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ومن تبعيضية اشارة الى فرضية الكفاية كما قال تعالى
ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر **فليغيره** امر ايجاب
كما اطبق عليه الكتاب والسنة واجماع الامة ولا يعتد بخلاف الرفضة ووجوبه بالشرع
لا بالعقل خلافا للمعتزلة **بيده** فيه دليل على ما ذهب اليه الشافعي وابو يوسف
ومحمد من جواز كسر آلات الملاهي واراقة الخمور خلافا لابي حنيفة ولعله نظر الى تضييع المال
فان لم يستطع اي التغيير بيده **فبلسانه** اي فليغيره بلسانه بان يمنعه بقوله **فان لم يستطع**
اي التغيير بلسانه ايضا **فبقلبه** اي فلينكره به قال المص معناه فليكرهه بقلبه يعني
لم يرض به وينكر على مرتكبه والتحقيق ان معناه فيقتصر على انكار قلبه قال ابو حنيفة رحمه الله
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد موكول الى الامراء والولاة لقدرتهم وليس لغيرهم
الا باللسان وفي خزانة المفتيين ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد على الامراء
وباللسان على العلماء وبالقلب على العوام ويشير الى ذلك ما في نفس الحديث من قيد
الاستطاعة ويدل عليه قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها فمن وجب عليه
وفعله ولم يمتثل المخاطب فلا عتب عليه بعد ذلك لعدم تقصيره هنا حينئذ اذ ما عليه

وعليه انه لا يقبل

وما عليه ان لا يقبل منه كما يشير اليه قوله تعالى وما على الرسول الا البلاغ لكن
انما يجب بشرط ان يكون الشخص عالما بما يامر وينهى وان يبتدئ بالرفق واللين
ثم بالارشاد فالارشاد على سبيل التدريج لقوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة ولقوله صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة فالنصيحة
تقدم على الفضيحة فقد قال الشافعي من وعظ اخاه سرا نصحه وزانه
ومن وعظ علانية فقد فضحه وشانه ولانه ربما ينفع الملاطفة واللطف في موضع
لا ينفع فيه الغلظة والعنف قال تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى
ولا يشترط في الآمر والناهي ان يكون كامل الحال ممتثلا بما يامر به مجتنبا عما نهى عنه
لان الواجب عليه شيئان فاذا قام باحدهما دون الآخر جاز والاكمل ان يكون عاملا
فيكون تاثيره كاملا وعليه يحمل ما ورد عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس
ولذا قيل وغير تقي يامر الناس بالتقى طبيب يداوي والطبيب مريض وقيل ايضا **شعر**
لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم واما قوله تعالى اتامرون الناس بالبر
وتنسون انفسكم فالانكار منصب على النسيان لا على الامر بالبر من الايمان والاحسان
وذلك اي انكار قلبه وكراهته بانفراده **اضعف الايمان** اي اضعف زمانه او مكانه
او خصاله وفي رواية وهو اضعف الايمان وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل
وانما يكون اضعفه لانه لم يبق وراء هذه المرتبة مرتبة اخرى له كما قال القرطبي
وقال المص اي اقله ثمرة وادناه نتيجة فمن لم يغير المراتب مع القدرة كان من العاصين ومن تركها
بلا قدرة او يرى المفسدة اكثر من المصلحة ويكون منكرا بقلبه فهو من المؤمنين حيث ما اتى
فتنة نائمة بين المسلمين ولهذا قيل هذا زمان السكوت والبيوت والقناعة بالقوت الى ان يموت فان قيل
اذا رضي بالمنكر بقلبه ولم يكرهه هل يكفر بذلك ام لا قلنا ان رضي به معتقدا اجازته
فهذا يتضمن تكذيب الشرع في تحريمه وهو كفر وان رضي به لغلبة الشهوة والهوى
ومقتضى الطبع مع اعتقاد تحريمه فهو فسق لا كفر هذا وقد قال المص في شرح مسلم الامر هنا للوجوب
وهو محمول على ما اذا كان المنكر حراما فانه حينئذ وجب الزجر عنه اذ لو كان مكروها لم يجب

بل مندوب وكذا الامر بالمعروف تبع لما يؤمر به فان وجب فواجب وان ندب فمندوب
ولم يتعرض له في الحديث لان النهي عن المنكر شامل له اذ النهي عن الشيء امر بضده وضد المنهي
اما فرض او واجب او سنة والكل معروف ثم اعلم ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
فرض كفاية ان علم به اكثر من واحد والا فهو فرض عين على من رآه فقد ورد انه
صلى الله عليه قال لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليعمنكم الله بعذاب من عنده
ومنه قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وفي حديث ان الله
لا يعذب العامة بعمل الخاصة ولكن اذا عمل المنكر جهارا استحقوا العقوبة كلهم ثم اذا علم
ان كلامه لا يؤثر هنالك سقط عنه الوجوب عند اكثر العلماء بل ادعى بعضهم بالاجماع
على ذلك ويشير اليه قوله تعالى فذكر ان نفعت الذكرى ويدل عليه قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وقد سئل عنها
صلى الله عليه وسلم فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شحا مطاعا
وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه ورأيت امرا لا بد لك به
فعليك بنفسك واياك وامر العام فان من ورائكم ايام الصبر فيهن مثل القبض على الجمر
للعامل يومئذ كاجر خمسين اما انكار المنكر بالقلب فهو فرض عين على كل احد لقدرته عليه
ومن ثمة قال ابن مسعود رض هلك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر واما ما ورد من انه
يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقول الله تعالى له ما منعك اذا رأيت كذا وكذا ان تنكره فيقول
خشيت الناس فيقول الله اياي كنت احق ان تخشى فالمراد بالخشية فيه مجرد رعايتهم
مع القدرة على ازالة معصيتهم اذ لو وجب الانكار مطلقا ولو قتل المنكر كما قال بعض العلماء
لم يتأت قوله صلى الله عليه وسلم فان لم يستطع وكذا قوله صلى الله عليه وسلم ما من قوم يعمل فيهم
بالمعاصي ثم قدروا على ان يغيروا فما غيروا الا يوشك ان يعمهم الله بعقاب
زاد ابو داود وقبل ان يموتوا فاذا جاز التلفظ بالكفر عند الخوف حالة الاكراه
كما في قوله سبحانه من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان الاية
فبالاولى ان يجوز ترك الانكار عن المعصية عند الخشية لان قبح الفعل اكثر من تركه

ثم لو فعل

ثم لو فعل ما يجره الى قتله فهو ماجور بفعله كما يستفاد من قوله تعالى ومن الناس من يشري
نفسه ابتغاء مرضات الله وروي ان عمر رضي الله عنه سمع انسانا يقرأ هذه الاية فقال
انا لله وانا اليه راجعون قام رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فقتل ومن قوله سبحانه
ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس ولقوله تعالى وأمر بالمعروف وانه عن المنكر
واصبر على ما اصابك ثم لا انكار في المختلف فيه بناء على ان كل مجتهد مصيب
او المصيب واحد لان المخطئ غير متعين لنا مع ان الاثم موضوع عنه وعمن تبعه
كما قال بعض علمائنا من تبع عالما لقي الله سالما وذلك لعموم قوله تعالى فاسألوا اهل الذكر
ان كنتم لا تعلمون لكن الاولى ان يخرج عن عهدة الخلاف بان يأمر وينهى بالرفق
دون الاعتساف من باب العصمة لا على وجه الفضيحة وعلى الامام ان ينصب
محتسبا للامر بالمعروف والنهي عن المنكر وليس له على الاصح ان يحمل الناس على مذهبه
سواء كان مجتهدا او مقلدا فلم يزل الخلاف بين الصحابة والتابعين وينهى
عن تصدر تدريس او افتاء او وعظ بلا اهلية وينهى من كان واقفا مع امرأة بشارع
غير مطروق بالذهاب ويقول له ان كانت اجنبية فاتق الله في المعصية وان كانت
محرمك فصنها عن موقف التهمة ويحرم البحث والتفحص قال تعالى ولا تجسسوا
رواه مسلم وكذا الامام احمد في مسنده والاربعة في سننهم الا ان مسلما
رواه بسنده عن طارق بن شهاب قال اول من بدأ بالخطبة يوم العيد مروان فقام اليه
رجل فقال الصلوة قبل الخطبة فقال قد ترك ما هنالك فقال ابو سعيد الخدري
اما هذا فقد قضى ما عليه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رأى منكم منكرا
فليغيره بيده الحديث فان قلت ظاهر الحديث بايراد الفاء التعقيبية يفيد ان ابتداء
الاحتساب يكون باليد عند القادر في هذا الباب ثم باللسان على وجه النصيحة لا حباب
ثم بالقلب عند العجز عنهما وهو ينافي ظاهر قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة فانهما يقتضيان التدريج في القضية بان يأمر وينهى اولا باللسان
ثم عند عدم النفع به يعالج الدفع بالاركان وقد ورد ايضا من امر بمعروف

فليكن امره في ذلك معروف قلت المراد في الحديث بيان مراتب قوة ارباب الاحتساب
فاعلاهم من يقدر باليد وسائر الاركان واوسطهم من لم يستطع الا باللسان وادناهم
من لم يقدر الا بانكار الجنان كما يدل عليه قوله وذلك اضعف الايمان اي اضعف اهله
واما باعتبار ترتيب الانكار فلا شك انه اولا ينكر بقلبه وهذا فرض عين كما قرر في محله
فمن قال انه للعوام ومراده العامة والاكتفاء انما هو في حق العوام ثم ينكر بلسانه ان كان
قادرا عليه سواء يكون من العلماء او في معناهم من الاولياء ثم عند عدم نفعه بلسانه
ينكر بيده ويزيله سواء يكون من الامراء او في معناهم من الاقوياء اذا لم يترتب عليه
المفسدة بين الاعداء والاحباء هذا ما ظهر لي من هذا المقام ولم ار من تعرض له
من الشراح الكرام والله سبحانه اعلم بحقيقة المرام ويؤيده ما روي ان رجلا من اصحابه
عليه الصلوة والسلام وقع في الشام وابتلى بشرب المدام فبلغ الخبر الى امير المؤمنين
عمر رضي الله عنه فكتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم
غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير فتاب
الرجل منها ونزع بالفعل عنها وذكر ابن ابي الدنيا عن ابن عباس رض يرفعه قال ياتي على الناس
زمان يذوب فيه قلب المؤمن كما يذوب الملح في الماء قيل مم يا رسول الله قال مما يرى من المنكر
لا يستطيع فيه تغييره تنبيه قال محمد بن واسع بلغني ان ناسا من اهل الجنة اطلعوا
على ناس من اهل النار فقالوا لهم قد كنتم تامروننا باشياء عملناها فدخلنا الجنة بها
قالوا كنا نامركم بها ونخالفكم الى غيرها وفي الصحيح انه صلى الله عليه وسلم راى في النار
قوما يدورون كما تدور الرحى فقال يا جبريل من هؤلاء فقال كانوا يامرون بالمعروف
ولا يفعلونه وينهون عن المنكر ويفعلونه وفي الصحيح ايضا يلقى العالم في النار
فتندلق اقتابه فيقال له لم ذلك فيقول كنت آمرا بالمعروف ولا افعله وانهى عن المنكر
وافعله ثم اعلم ان اعجب ما في زماننا هذا ان الذين يظن بهم العلم والذين ممن يتعين عليهم
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هم بانفسهم متلبسون بمناكر شتى اصلا وفرعا يجب
انكارها عليهم عرفا وشرعا كما قيل شعر بالملح يصلح ما يخشى تغيره فكيف بالملح اذا حلت

ولقد احسن من قال

ولقد احسن من قال من ذوي الحال شعر هذا الزمان الذي كنا نحاذره في قول كعب وفي قول
ابن مسعود ان دام هذا ولم يحدث له غير لم يبك ميت ولم يفرح بمولود وروي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال هل تدرون فيم سخط الله تعالى على بني اسرائيل قالوا الله ورسوله اعلم
قال ان الرجل منهم كان يرى الرجل منهم على معصية فينهاه بعض النهي ثم يلقاه فيضاحكه
ويواكله ويشاربه كانه لم يره على معصية حتى كثر ذلك منهم فلما علم الله ذلك منهم
ضرب بقلوب بعضهم على بعض ثم لعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا
وكانوا يعتدون والذي نفسي بيده لتامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر
ولتاخذن على يد الظالم وليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم يلعنكم
كما لعن من قبلكم انتهى وقد قال تعالى كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون
وقال تعالى لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا
يصنعون هذا وقال ابن مسعود رض بحسب المرء اذا راى منكرا لا يستطيع تغييره
ان يعلم الله من قلبه انه له كاره وقال القرطبي وروي عن بعض الصحابة انه قال ان الرجل
اذا راى منكرا لا يستطيع النكير عليه فليقل ثلاث مرات اللهم هذا منكر فاذا ادى ذلك
فقد فعل ما عليه يعني من اظهار الانكار فان الاكتفاء بمجرد انكار القلب ليس من شان علماء
الابرار فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فحيث يعجز عن انكار المنكر بالنسبة الى صاحب الشر
فينبغي له ان يذكره عند غيره ليشيع الانكار واقل فائدته ان يعلم الناس المنكر من صاحب المنكر
فان الناس لو اجتمعوا على السكوت في كل قضية لما حصل التمييز بين المعروف والمنكر في الامور
الدينية بالنسبة الى السفهاء بل وظنوا ان ما فعله العلماء ليس من المنكر مع انه منكر من كل
فتدبروا لهذا ورد ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع مرات وصح ان من اشد الناس عذابا
يوم القيامة عالم لا ينفعه الله بعلمه وقد قيل فساد العالم فساد العالم وسببه ان السفهاء
اذا راوا عالما حريصا على جمع المال ولو من الحلال اقتدوا به ووقعوا في ارتكاب الشبهات
بحسب المال واذا راوه يرتكب الشبهات وقعوا في المحرمات واذا راوه انه لا يجتنب المحرمات
وقعوا في الكفر بناء على ظنهم لولا انه جائز هذا عنده لما فعله ولم يعلم هذا المسكين

انه يقول بلسان الحال الحلال ما حل بنا والحرام ما حرمنا والحاصل ان هذا الزمان
قد كثر فيه العصيان وظهر من اهله الطغيان بحيث امتنع فيه اظهار الانكار باللسان
وهذا معجزة عظيمة لنبي آخر الزمان فقد روى ابن ماجة عن انس بن مالك رض
قال قيل يا رسول الله متى يترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال اذا ظهر منكم ما ظهر في الامم
قبلكم قلنا يا رسول الله وما ظهر قبلنا قال الملك في صغاركم والفاحشة في كباركم
والعلم في رذالكم يعني في فجاركم وقيل كل بلدة فيها اربعة فاهلها معصومون من البلاء
امام عادل لا يظلم وعالم على سبيل الهدى ومشايخ يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر
ونساء مستورات لا يتبرجن تبرج الجاهلية الاولى انتهى وقد ظهر الفساد في البر
والبحر فيما بين العباد حتى في خير البلاد والله رؤف بالعباد وقال رجل لابن عباس
اني اريد ان آمر بالمعروف وانهى عن المنكر قال او بلغت ذلك قال ارجو
قال فان لم تخش ان تفتضح بثلاثة احرف في كتاب الله فافعل قال وما هي قال
قوله تعالى اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم احكمت هذه الآية
قال لا قال فالحرف الثاني قال قوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله
ان تقولوا ما لا تفعلون احكمت هذه الآية قال لا قال فالحرف الثالث
قال قول العبد الصالح شعيب عم وما اريد ان اخالفكم الى ما انهيكم عنه
احكمت هذه الآية قال لا قال فابدأ بنفسك انتهى والآيات الثلاث
مختلفة المبنى متحدة المعنى وقد قيل ان ظاهر قوله تعالى عليكم انفسكم ترجح
ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لان المعنى الزموا انفسكم ولكنه محمول
على ما سيأتي من آخر الزمان كما سبق في الحديث من البيان مع ان التحقيق في معنى
الآية انكم اذا فعلتم ما كلفتم به فلا يضركم تقصير غيركم ومن ثمة قال
ابن مسعود ان من اكبر الذنب عند الله ان يقال للعبد اتق الله فيقول عليك
بنفسك ويؤيده قوله تعالى واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم
فحسبه جهنم او محمول على العاجز بسبب عدم العلم بهما او عدم انتهائه عنهما

حيث يجب عليه

حيث يجب عليه اولا ان يعالج نفسه في القيام بحقهما او بالنسبة
الى المستغرق في لجة الوجود المطلق الذاهل عن مشاهدة الكثرة او الواقع
بدوام شهود الحق وغيبته عن احوال الخلق والمتحير في بحر الوحدة في فضاء
القضاء في عالم التقدير الذي لا يتصور فيه التبديل والتغيير كما قال قائلهم منهم
شعر لا تنكر الباطل في طوره ۵ فانه بعض ظهوراته ۵ او في عالم الفناء فلا يتصور
الانكار كما قال بعضهم ليس في الدار غيره ديار على هذا كله مقام ناقص
بالنسبة الى مقام جمع الجمع الذي هو حال الانبياء وخلاصة الاولياء والاصفياء
حيث لا يمنعهم شهود الوحدة عن وجود الكثرة ولا ظهور الكثرة عن
الوحدة فيعطون كل ذي حق حقه فيأمرون بالمعروف الذي عرفه الله وينهون
عن المنكر الذي انكره الله وان كان الكل جاريا على حسب قدره وقضائه ثم من اهم شروط
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ان يكون صاحبه مخلصا في فعله طالبا اظهار دين الله واعلاء
كلمته وما طاعة امره في بريته دون الرياء والسمعة والحمية لنفسه وطبيعته فانما ينصر
ويزول به المنكر اذا كان صادقا وفي مقام الاخلاص موافقا قال تعالى ان تنصروا الله ينصركم
ويثبت اقدامكم واما ما روى عن ابي هريرة رض مرفوعا مروا بالمعروف وان لم تعملوا به
وانهوا عن المنكر وان لم تنتهوا عنه فقد سبق بعض بيانه وان شرط العمل لفعله
وسبب تأثيره في ميدانه ويمكن ان يقال المعنى وان لم تعملوا بكله ولم تنتهوا عن جميعه
فان من يكون خاليا عن ترك معروف وفعل منكر فهو عزيز الوجود فلو شرط ذلك لتعطل
هذا الحكم هنالك ومن ثمة قال عبد الله ابن المبارك اذا وصف لي علم الاولين والآخرين
لا انا اسف على فوت لقائه واذا سمعت رجلا له آداب النفس اتمنى لقاءه وهذا
كما قال قائلهم شعر اتمنى على الزمان محالا ۵ ان ترى مقلتاي طلعة حر ۵ فان الحر من لا يسترقه
دنياه ولا يستعبده هواه ومما يؤيد كلام ابن المبارك قوله تعالى ان اكرمكم عند الله
اتقيكم حيث لم يقل اعلمكم واغناكم وقوله سبحانه ليبلوكم ايكم احسن عملا لا ازيد علما
وازين املا ومن ثمة جاء في تفسيره ازهد في الدنيا وارغب في العقبى وقد رأيت

في الغنية للقطب الرباني عبد القادر الجيلاني قدس سره تفصيلا احسنا فاحببت
ان اذكره هنا وهو ان ما يؤمر به وينهى على قسمين احدهما ظاهر من المعروف كوجوب
صلوات الخمس وصوم رمضان والزكوة والحج ونحوها ومن المنكر كتحريم الزنا وشرب الخمر
والسرقة وامثالها فهذا القسم يجب انكاره على العامة كما يجب على الخاصة والقسم الثاني
ما لا يعرفه الا الخواص مثل اعتقاد ما يجوز على البارى عز وجل وما لا يجوز فهذا
يختص بالعلماء انكاره على السفهاء انتهى ولا يبعد ان يكون معنى قوله في الحديث
فبقلبه اى فليغيره بهمة قلبه وتضرعه لربه فان همة الرجال تهدم الجبال
وقد روى ان بعض الاولياء سمع صوت جماعة من اهل اللهو والغناء فقال اللهم
كما فرحتهم في الدنيا فرحهم في الاخرى فتاب الله عليهم ورجعوا كلهم اليه واحسن الله اليهم
الخامس والثلاثون عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تحاسدوا بفتح التاء والسين واصله لا تتحاسدوا فحذف احدى التائين تخفيفا
وكذا قوله ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا والمعنى لا يحسد بعضكم بعضا
والحسد تمنى زوال النعمة عن الغير مطلقا وقد يستعمل بمعنى الغبطة وهى تمنى حصول
مثل ما لاخيه من النعمة من غير ان تزول عنه او تتحول عليه كما في حديث لا حسد الا في اثنتين
وهى قد تكون واجبة اذا كانت على نعمة دينية واجبة كالايمان ومندوبة كتشهير العلم
بالتصنيف والتدريس والشهادة في سبيله والموت في بلد رسوله وامثاله ومباحة
في الامور المباحة واما الحسد فمذموم شرعا وعقلا ففي الكتاب ام يحسدون الناس على ما آتيهم الله
من فضله وفي الحديث اياكم والحسد فان الحسد يأكل الحسنات كما يأكل النار الحطب
رواه ابو داود والحاكم وغيرهما وهو اول ذنب عصى الله به ابليس بحسده لآدم
اخرجه من الجنة ولتكبره عليه ما سجد له ثم يعرض منه في الخاطر من غير ان يكون
قرار معفو عنه ولذا ورد اذا حسدت فلا تبغ اى لا تحققه بالبغى وهو عقد
القلب عليه ودوام التوجه اليه ومنه قوله تعالى ومن شر حاسد اذا حسد اى
اذا تقرر لديه هذا ومن قواعد الدين على مذهب اهل السنة خلافا للمعتزلة

ان السيئة لا تمحوا

ان السيئة لا تمحو الحسنة الا ان كانت كفرا فتلك لا تبقى خيرا بل ان الحسنة
تمحو السيئة كما قال تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات ولعل الحكمة في ذلك غلبة
فضله على عدله كما يشير اليه الحديث القدسى سبقت رحمتى غضبى فقوله صلى الله عليه
وسلم ان الحسد يأكل الحسنات يحتاج الى تأويل والاظهر ان يقال الحسد يحمل الحاسد
على افعال واقوال بالنسبة الى المحسود من السيئات فيعطى له من حسنات يعملها
الحاسد من الطاعات كالعبادات وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ثلاث
هن اصل كل خطيئة فاتقوهن واحذروهن اياكم والكبر فان ابليس حمله الكبر على ان لا
يسجد لآدم واياكم والحرص فان آدم حمله الحرص على ان اكل من الشجرة واياكم والحسد فان
ما قتل ابنى آدم احدهما الاخر الا الحسد وقال بعضهم الحاسد هو الجاحد لانه
لا يرضى بقسمة الواحد وعن معاوية كل الناس اقدر ان ارضيه الا الحاسد فانه
لا يرضيه الا زوال النعمة ولذا قيل شعر كل العداوة قد ترجى ازالتها الا عداوة
من عاداك من حسد وعن عمر بن عبد العزيز ما رأيت ظالما اشبه بمظلوم من الحاسد
غم دائم ونفس متتابع قيل وله اربع مراتب احديها ان يحب زوال النعمة عن صاحبها
وان لم تحصل له وهى اخبث وزوالها عنه اليه وهى اخف ولا يشتهى زوالها
بل يشتهى لنفسه مثلها فان عجز عنه احب زوالها كيلا يظهر التفاوت بينهما ولا يحب زوالها
وهذا هو المعفو عنه ان كان في امر الدنيا ومندوب اليه ان كان في امر العقبى وما قبله مذموم من وجه
غير مذموم من وجه آخر فتدبر ومنشأه العداوة والبغضاء كما في السفهاء
والتعزز كما في الاغنياء وحب الرياسة كما في الامراء والمشايخ والعلماء وعلاجه
ان يعلم ان الكل بالقدر والقضاء ويحصل للعبد القناعة بالقسمة في مقام الرضاء
وان يتذكر مضارة من سخط الله تعالى والهم اللازم والغم الدائم وانه لا يضر المحسود
بل ينفعه حال الوجود ولا يضره في مقام الشهود قال تعالى قل موتوا بغيظكم ان الله
عليم بذات الصدور وان يأتى بالاحوال المتضادة لمقتضيات الحسد والعداوة
بان يمدح المحسود ويتواضع له حتى يصير المحسود محبوبا ومحباله قال تعالى

ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقيها
الا الذين صبروا وما يلقيها الا ذو حظ عظيم وانشد **شعر** اذا ما شئت ان تحيا
حيوة حلوة المحيا فلا تحسد ولا تبخل ولا تحرص على الدنيا ومن كلام ابي الطيب
شعر واظلم اهل الارض من كان حاسدا لمن بات في نعمائه يتقلب ومن كلام اهل الحكمة
ان الحسود لا يسود وانشد بعضهم **شعر** دع الحسود وما يلقاه من كمده
كفاه منه لهيب النار في كبده ثم التناجش تفاعل من النجش وهو اثارة الصيد والمراد هنا
اثارة بعضهم بعضا بالفتنة او رفع ثمن المعروض على البيع وهو غير راغب فيه ليخدع غيره
ففي الحديث من غشنا فليس منا والمكر والخداع في النار وقيل من النجس بمعنى التنفير
اي لا ينفر بعضكم بعضا بان يسمعه كلاما يكون سببا لنفرته او يعمل شيئا يحصل له
التنفر منه بسوء عشرته وهذا اعم وفي المعنى اتم وقوله ولا تباغضوا اي لا تشتغلوا
باسباب العداوة اذ العداوة والمحبة مما لا اختيار فيه قال تعالى انما يريد الشيطان
ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر وفي الحديث تهادوا وتحابوا
وروي تصافحوا فانه يذهب الشحناء وروى الترمذي تهادوا فان الهدية تسل
السخيمة وقيل المعنى لا توقعوا العداوة والبغضاء بين المسلمين فيكون نهيا عن النميمة
وامثالها مما يوقع الفتنة ثم البغض قد يكون واجبا كما قال تعالى لا تتخذوا عدوي
وعدوكم اولياء وقد يكون ندبا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من احب لله وابغض لله
واعطى لله ومنع لله فقد استكمل ايمانه وفي خبر مسلم والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة
حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا وقوله ولا تدابروا اي لا تتكلموا في ادبار
اخوانكم بالغيبة او لا تقاطعوا لانهما اذا فعلوا ذلك اعرض كل عن صاحبه وولى دبره
والاول اولى لان التقاطع مندرج في التباغض ومفهوم منه بطريق الاولى
وقيل المعنى لا تولوا ادباركم استثقالا بل ابسطوا وجوهكم استقبالا لانه لا يجوز
الهجران في الكلام اكثر من ثلاثة ايام الا لعذر من جهة الاسلام قال الخطابي هذا
اذا كان عتابا او جفاء وما اشبه ذلك من باب الاخلاق واما اذا كان لمعصية فيجوز

ثم التباغض

ثم التباغض لا يستلزم التدابر لان المتباغضين قد يترافقان ولا يتفارقان
والتدابر لا يستلزم التباغض لان المتدابرين لمصلحة قد يتحابان **ولا يبع بعضكم**
على بعض بان يدعو المشتري قبل لزوم البيع الى الفسخ ويبيع منه مثله بارخص ثمنه
او اجود منه بثمنه وذلك حرام لما فيه من الايذاء الموجب للعداوة والبغضاء
ومثله الشراء بان يقول للبايع في زمن الخيار افسخه وانا اشتريه منك باعلى
وكذا يحرم السوم على سوم غيره كما في رواية مسلم والخطبة على خطبة اخيه كما في الصحيحين
وكونوا عباد الله اي عبيده **اخوانا** خبر اخر لكان او عباد الله منصوب على الاختصاص
او على انه منادى حذف حرف ندائه والمعنى انتم مستوون في كونكم عباد الله وملتكم حق
في سبيل الله والتحاسد والتباغض والتدابر منافية لحالكم فالواجب ان تعاملوا
معاملة الاخوة والمعاشرة بالتلطف والمودة والمعاونة على البر والنصيحة
ويفهم من الحديث ان الكافر ليس عبد الله بمعنى انه لا يقوم بما يجب على العبد من امتثال امر المولى
ولو روي بتنوين عبادا وتكون لام لله للاختصاص في مقام الاخلاص لكان له
وجه وجيه في المعنى كما قرئ بهما في قوله تعالى كونوا انصار الله **المسلم اخو المسلم**
اي كاخيه لانه يجمعهما دين واحد في المرتبة الدينية كما يجمعهما
اب واحد في الاخوة النسبية بل الاخوة الدينية اعظم من الاخوة الحقيقية
لان ثمرة هذه دنيوية فانية ونتيجة تلك اخروية باقية كما يشير اليه قوله
يوم يفر المرء من اخيه وقوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين
وهذا الحديث مستفاد من قوله تعالى انما المؤمنون اخوة وكلاهما من باب التشبيه البليغ
وفي الصحيحين جاء ما هو ابلغ في هذا المعنى حيث قال صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين
في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر
الجسد بالحمى والسهر وروى ابو داود المؤمن مرآة المؤمن المؤمن اخو المؤمن
يكف عنه ضيعته ويحوطه من ورائه وروى الترمذي ان احدكم مرآة اخيه
فان رأى به اذى فليمطه عنه والجملة استينافية فيها استعطاف كما يقال

انما هو اخوك او استاذك وابوك وكذا قوله **لا يظلمه** استينافا لانه لبيان
وجه الشبه لان من حق الاخ ان لا يدخل عليه ضررا في نفسه او دينه او ماله
فان ذلك من قطع الارحام وهو بينا في اخوة الاسلام بل الظلم على الكافر حرام قيل
الظالم ينحط اولا عن رتبة النبوة والامامة والولاية ولا ينال عهدي الظالمين
وثانيا عن مزية السلطنة بيت الظالم خراب ولو بعد حين وثالثا عن نظر الخلق
جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها ورابعا عن نظر رب العالمين
الا لعنة الله على الظالمين وخامسا عن حظ نفسه ولكن كانوا انفسهم يظلمون
ولا يخذله بفتح الياء واسكان الخاء وضم الذال المعجمة قال المصابيح لا يترك نصرته
واعانته الممكنة له اذا استعاذ به في دفع ظلم ونحوه ان لم يكن له عذر شرعي في تركه
قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وفي الحديث انصر اخاك ظالما اي بان تكفه عن ظلمه
كما في رواية البخاري او مظلوما اي بان تدفع عنه من يظلمه وروى ابو داود ما من امرئ مسلم
يخذل امرأ مسلما في موضع ينتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه الا خذله الله
في موضع يحب نصرته وروى احمد من اذل عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على ان ينصره
اذله الله على رؤس الخلايق وروى البزار من نصر اخاه بالغيب نصره الله في الدنيا
والاخرة **ولا يكذبه** بفتح الياء واسكان الكاف ذكره المص وقال السيد جمال الدين
هذه اللفظة ليست في مسلم ولا في كثير من النسخ في اصل النووي قيل علم وجودها في مسلم
مسلم واما في اصل النووي ولا لتعرضه في باب الاشارات بتصحيح هذه اللفظة
فبناء على هذا قوله رواه مسلم مشكل ودفعه بعضهم انه كثير من نسخ الاشارات
لم يذكر هذه اللفظة فيزول الاشكال بالكلية والله اعلم بحقيقة القضية فالصواب
ترك هذه الكلمة من المتن كما في اصل الفاكهاني ولعلها وقعت في غير رواية مسلم
لكن ايرادها في ذيل روايته غير مسلم ومن العجب ان ابن حجر ذهل عن تحقيق هذا الخبر
وتبع غيره في ايراده اثناء الاثر والمعنى لا يخبره بامر على خلاف الواقع لغير مصلحة
اذن فيها الشارع او من غير ضرورة ملجئة اليه ثم الكذب من اشد الاشياء ضررا

والصدق اشدها

والصدق اشدها نفعا قال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين
وفي الصحيح ان الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة وان الكذب يهدي الى الفجور
والفجور يهدي الى النار ولا يزال الرجل يصدق حتى يكتب عند الله صديقا ولا يزال الرجل
يكذب حتى يكتب عند الله كذابا ولا خلاف في ان الكذب حرام واجازه بعض العلماء
في الحرب والاصلاح بين الناس وعلى الزوجة وفي دفع الصائل على المسلم بغير حق
ولا يحقره بفتح الياء وسكون الحاء المهملة وكسر القاف اي لا يستحقر شانه ولا يذكر العيب
الذي شانه ولا يستسخر به اذا رآه فقير الحال كسير البال فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال البلاء
موكل بالمنطق لو سخرت من كلب خشيت ان احول كلبا وروي بضم اوله وسكون الخاء
المعجمة وكسر الفاء اي لا ينقض عهده ولا ينقض امانه قال القاضي عياض والصواب المعروف
هو الاول وهو الموجود في غير كتاب مسلم ويؤيده رواية ولا يحتقره ثم الاحتقار
ناش من التجبر والاستكبار ففي خبر مسلم الكبر بطر الحق وازدراء الناس
وفي رواية لاحمد سفه الحق وازدراء الناس اي جهله بالحق واحتقاره بالخلق
مع انه مامور بتعظيم لامر الله والشفقة على خلق وفي رواية لا يعد الناس
فلا يراهم شيأ وهذا ما ينافي قوله صلى الله عليه وسلم لا يكمل ايمان احدكم
حتى يكون الناس عنده كالاباعر فان المراد به انه لا يرى منهم ضرا ولا نفعا
ولا عطاء ولا منعا بل يستغرق في بحر شهود الوحدة فانيا عن الخلق باقيا بالحق
ثم مفهوم الكلام انه يحقر من لم يكن في دين الاسلام لقوله تعالى ومن يهن الله فما له من مكرم
فاما ما ينقمه العالم من الجاهل والعدل من الفاسق فليس ذلك احتقارا لعين المسلم
وذاته وانما ذلك لما عرض له من سوء صفاته فمتى فارق الجاهل جهله والفاسق فسقه
تعين الانتقال الى الاحتفال به والرفع لقدره **والتقوى ههنا** استينافا فيبين
ان المسلمين في مرتبة واحدة وان كان اكرمهم عند الله اتقاهم لان التقوى امر باطني لا يعلمه
الا المولى فالمدار على ما به الاشتراك الظاهري فربما رأى ذا عاهة في بدنه ذلك
او لكنة في لسانه او سوادا في جسده او اعمى او اعور او اعرج او قصيرا او طويلا وامثال

فلا ينظر اليه بعين المنقصة فلعله اخلص ضميرًا واتقى باطنا وانقى سرا ممن هو على ضد
صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله ورزقه انسه والمعنى محل التقوى هو القلب
الذي في الصدر فهو في غاية من الستر والتحقيق ان مادة التقوى في القلب لان حقيقة
التقوى اجتناب المحظورات وامتثال المامورات ومادتها خوف الله ومراقبته في الحالات
الحاملة على مداومة الطاعات فمن كان في قلبه التقوى من جانب الحق فلا يوجد منه الظلم
والتحقير للخلق او المراد ان التقوى اذا كان محله القلب ولا يطلع عليه غير الرب
فلا يجوز لاحد ان يحكم بعدم تقوى مسلم حتى يحقره وهذا كما قال تعالى ومن يعظم
شعائر الله فانها من تقوى القلوب ومما ورد ان الله لا ينظر الى اجسامكم ولا الى صوركم
ولكن ينظر الى قلوبكم وفي رواية ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم
واعمالكم وفي اخرى لا ينظر الى صوركم واعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واحوالكم وقد ورد
ان القلب بيت الرب وفي الصحيحين الا اخبركم باهل الجنة كل ضعيف متضعف
لو اقسم على الله لابره الا اخبركم باهل النار كل عتل متكبر وفيهما ايضا تحاجت الجنة
والنار فقالت النار اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين زيد في رواية احمد والملوك
والاشراف وقالت الجنة لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقطهم وفي رواية احمد
الفقراء والضعفاء والمساكين فقال تعالى للجنة انت رحمتي ارحم بك من اشاء من عبادي
ومفهومه انه قال للنار انت نقمتي انتقم بك واعذب بسببك من اشاء من عبادي
وفي صحيح البخاري مر رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل جالس عنده ما رايك في هذا
قال رجل من اشراف الناس وانه حري ان خطب ان ينكح وان شفع ان يشفع فسكت
صلى الله عليه وسلم ثم مر رجل اخر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رايك في هذا الرجل
قال يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين هذا حري ان خطب لا ينكح وان شفع لا تشفع
وان قال لا يسمع لقوله فقال صلى الله عليه وسلم هذا خير من ملء الارض من مثل هذا
هذا دليل صريح عن نقل صحيح ان الفقير الصابر افضل من الغني الشاكر حيث تمم الحكم ولم يفرق
بين المتقي وغيره **ويشير الى صدره** قائله ابو هريرة وفاعله ضمير النبي صلى الله عليه وسلم

والعدو لما

والعدو ولما يقتضيه الظاهر وهو المانع الى المضارع لاستحضار تلك الحال في نظر
ارباب الكمال **ثلاث مرار** بكسر الميم جمع مرة للاهتمام بشانه والاعتناء ببيانه والاقرب انه
ظرف متعلق بقوله يشير حتى تكون الاشارة الى الصدر ثلاثا ويحتمل ان يكون متعلقا بقوله
التقوى لما ثبت في شمائله صلى الله عليه وسلم انه اذا تكلم تكلم ثلاثا والانسب ان يكون
متعلقا بهما حتى يكون كل من القول والفعل ثلاثا وفيه غاية المبالغة وعلى كل تقدير
فالواو في قوله ويشير للحال هذا وقال بعض ارباب الكمال معناه ان حقيقة التقوى
في صدري وفرعها في قلوب غيري لانه محل عين الجمع ومرآة كشوف الغيب
كما قال انا اعلمكم بالله واخوفكم منه بين ان من زاد معرفة لله زاد خشيته وتقواه
ومن المعلوم انه ليس في الكونين اعرف منه وقد ورد لكل شيء معدن ومعدن التقوى
قلوب العارفين لان العارف غائب في عظمة الله وقدرته شائق الى لقائه
ورؤيته هائم في ساحة محبته تجري عيون التقوى من بحار معرفته من روحه الى قلبه
ومن قلبه الى صورته وسره معدن التوحيد ومنبع التفريد لان الحق سبحانه تجلى فيه
بنعت القدم بعدما اوجده من فضاء العدم وروحه معدن المعرفة لان الحق تعالى
تجلى بوصف البقاء فيها وقلبه معدن التقوى والخشية لانه عز وجل تجلى فيه بوصف
الكبرياء والعظمة فالتوحيد من عين القدم والمعرفة من عين البقاء والتقوى من عين الكبرياء
بحسب امرئ من الشر قال المص هو باسكان السين المهملة اي يكفيه من الشر انتهى والباء زائدة
والمراد بالشر الجنس اي كافيه من خلال الشرور ورذائل الاخلاق في الصدور وهو مبتدأ
خبره **ان يحقر اخاه المسلم** بالنصب صفة لاخاه وكرر لتأكيد حرمة الاسلام عند الله
ولما كان هذا منشأ سؤال وهو ان يقال حكم التحقير ماذا احرام ام حلال فقال **كل المسلم**
على المسلم حرام دمه وعرضه وماله اي حسبه ونسبه فكل المسلم مبتدأ وفيه
رد على من زعم ان كل لا تضاف الى المعرفة خبره حرام وما بعده بدل من كل وجعل الثلاثة
كله لفظ وحقيقته لشدة اضطراره اليها اما الدم فلان به حياته واما المال فمادة الدم وهو
مادة حياته عرفا وسكناه العرض به قيام صورته ونظام هيئته واقتصر عليها لان ما سواها

متفرع عليها وراجع اليها والتقدير اراقة دمه واخذ ماله وهتك عرضه والكون حرمتها
هي الاصل والغالب لم يحتج الى تقييدها بما اذا لم يعرض ما يبيحها شرعا كالقتل قودا واخذ
مال المرتد فيا او توبيخ المسلم تعزيرا او قوله في رواية الا بحقها لمزيد الايضاح والبيان
في شانها وهذا اخذ لكة الحديث والمقصد الاهم منه وما سبق كالتمهيد له
فيجب على كل مسلم ان لا يقع في عرض اخيه بالغيبة والطعن والقذف والشتم والغمز
واللمز والتجسس عن عوراته وافشاء اسراره فقد روى احمد لا تؤذوا عباد الله
ولا تعيروهم ولا تطلبوا عوراتهم فانه من طلب عورة اخيه المسلم طلب الله عز وجل
حتى يفضحه في بيته واخذ بعض الصحابة حبل آخر ففزع فقال صلى الله عليه وسلم
لا يحل لمسلم ان يروع مسلما رواه ابو داود وروى احمد وابو داود والترمذي
لا ياخذ احدكم عصا اخيه لاعبا جادا اي لا ياخذ متاعه يغطيه لا ينتفع
به وان كان لاعبا في مذهب السرقة هو جاد في ادخال الاذى والروع عليه
وفي الصحيحين وغيرهما لا يتناجى اثنان دون الثالث فانه يحزنه وفي رواية
فان ذلك يؤذي المؤمن وهو مستفاد من قوله تعالى انما النجوى من الشيطان
ليحزن الذين امنوا وليس بضارهم شيئا الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون
ثم يرى التفضل لكل احد على نفسه اما الصغير فلانه لم يعص الله وهو قد عصى
واما الكبير فلانه اسبق ايمانا واكثر طاعة واحسانا والعالم لعلمه وفضله
والجاهل لانه عصى الله بجهله فحجة الله عليه اوكد والكافر فلان العاقبة
غير معلومة والمراد بالعرض ما يجب او يستحب شرعا رعايته وحمايته لا العصبية
العرفية والحمية الجاهلية التي اعتادها اكثر العامة فيصرفون لها الطلب للجاه
والمنزلة في قلوب الخلق اذ هو من الهوى المتبع المهلك لكثير من الناس فما اهلك الناس
الا الناس ولو انصف العلماء لعلموا ان اكثر ما هم فيه من العلوم والعبادات
فضلا عن الرسوم والعادات انما يحملهم عليها الا مراعاة الخلق لا مراعاة الحق
قال يحيى بن معاذ الرياء ميادين ابليس ينزل فيها هو وجنوده بانواع من تلبيس

رواه مسلم ور

رواه مسلم ورواه الترمذي بلفظ المسلم اخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله
كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه التقوى ههنا بحسب امرئ من الشر ان يحقر
اخاه المسلم وفي الصحيحين لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا
وكونوا عباد الله اخوانا وله طرق اخرى السادس والثلاثون عن ابي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم من نفس بتشديد الفاء اي فرج وازال ولو في الجملة
عن مؤمن وفي نسخة عن مسلم منقاد ولو ذميا بماله او بجاهه او اشارته او اعانته
او سفارته او وساطته او دعائه وشفاعته كربة بضم اوله اي خصلة يحزن بها
والكربة ما ياخذ النفس من الغم في اصل اللغة من كرب الدنيا بضم ففتح جمع كربة
اي بعض كربها او كربة مبتداة من كربها والمعنى هما واحدا من هومها اي هم كان
صغيرا او كبيرا من عرضه وعرضه وعدده وعدده نفس الله عنه كربة اي عظيمة
من كرب يوم القيامة التي لا تحصى لان الخلق كلهم عيال الله وتنفيس الكرب انعام عليهم
واحسان وما جزاء الاحسان الا الاحسان وليس هذا منافيا لما ثبت من تضاعف
الحسنات على ان كربة من كرب القيامة ولو كانت صغيرة تساوي عشرا او اكثر من كرب الدنيا
ولو كانت كبيرة وفي رواية للطبراني من نفس عن مؤمن نفس الله عنه كربة يوم القيامة
ومن ستر على مؤمن ستر الله عورته ومن فرج عن مؤمن كربة فرج الله كربته فهذا
يدل على ما قال بعضهم من ان التفريج اعظم من التنفيس لانه ازالتها بالكلية فجزاء
التنفيس وجزاء التفريج التفريج فعلم من ذلك فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم او
في كل حالة بما تيسر من علم او مال او جاه او اشارة او دلالة او اغاثة او اعانة او دعوة
او شفاعة وقد جاء في الاثر الخلق عيال الله واحبهم الى الله ارفقهم لعياله ومن المعلوم
ان المراد بكربة الدنيا ما هي جائزة غير محرمة فان ما كانت محرمة لا يجوز تفريجها
ولا تنفيسها ثم قيل لفظ من تفيد العموم لكنه خص بالمسلم لان الكافر لا ينفس عنه
في الاخرة وفيه بحث اذ لا يبعد ان يخفف عنه كربة في العقبى جزاء لما فعله بالمؤمن
من الاحسان في الدنيا كما روي من تخفيف عذاب ابي طالب مطلقا حيث كان يحمي

سيد الانبياء عن ضرر الاعداء وتخفيف عذاب ابي لهب ليلة الاثنين حيث
اعتق جارية بشرته بولادة سيد الاصفياء وهذا لا ينافي قوله تعالى لا يخفف عنهم
من عذابها لان معناه لا يرفع عنهم او ما قرر من عقوبتهم في بدايتهم لا تنقص
في نهايتهم ومن يسر على معسر وهو من ركبه الدين وتعسر قضاؤه بالانظار او بالابراء
كلا او بعضا كذا قاله الشراح والاظهر ان يراد بالمعسر المفتقر وهو مطلق كفقير
فالمعنى سهل عليه امره بالهبة والصدقة والقرض والاعارة ونحوها بل الشامل
للمحتاج الى تعليم العلم او العمل او الارشاد الى طريق السداد يسر الله عليه اموره
ومطالبه في الدنيا والاخرة والاحاديث في فضل التيسير على المعسر المديون كثيرة
منها خبر مسلم من سره ان ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر او يضع عنه
وخبره ايضا من انظر معسرا او وضع عنه اظله الله في ظله يوم لا ظل الا ظله وخبر احمد
من اراد ان تستجاب دعوته وتنكشف كربته فليفرج عن معسر ولا يخفى ان المعسر
صاحب الكربة هو المريد المحتاج الى قطع العقبات الظلمانية والمنازل النورانية
كما اشتهر عن الكتاني ان بين العبد والحق الف مقام من نور وظلمة ويتلقاه الوسواس
وتستقبله الهواجس فعلى شيخه ان ينفس كربة الوساوس عنه يامره بترك
المبالاة بها والتأمل بالحجج العقلية ان امكن تأملها وباستدامة الذكر والابتهال
الى الله في رفعها ويسهل عليه سواء الطريق ويذيقه حلاوة التحقيق حتى يسطع
في قلبه انوار الوصول ويطلع في سره اثار شموس الحصول ومن ستر مسلما اي بدنه
بالالباس او عيبه عن الناس باخفاء وذب غيره عن افشائه اذا كان من حقوق الله تعالى
كالزنا وشرب الخمر وشبههما دون حقوق الناس كالقتل والسرقة ونحوهما
فان الستر هنا حرام والاخبار به واجب على الانام وليس هذا من الغيبة المحرمة
بل من النصيحة الواجبة المحتمة وهذا اذا كان ممن ليس بالفساد بان يكون من ذوي
الهيآت لقوله صلى الله عليه وسلم اقيلوا ذوي الهيآت عثراتهم الا الحدود كما رواه احمد
والبخاري في تاريخه وابو داود عن عائشة رضي الله عنها وعن ابيها مرفوعا واما المعروف به

فيستحب ان ترفع

فيستحب ان ترفع قصته الى الوالي قال المص في شرح مسلم ولو رآه في معصية لا
ينكرها بحسب القدرة وان يجوز رفعها الى الحاكم اذا لم يترتب عليها مفسدة ستره الله تعالى
في الدنيا والاخرة بالمعنيين المذكورين وفي رواية للطبراني من ستر على مؤمن عورته
ستر الله عورته واخرج ابن ماجه من ستر عورة اخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة
ومن كشف عورة اخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه في بيته وروى احمد
وابو داود والترمذي يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان في قلبه لا تغتابوا
المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فان من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته
يفضحه في بيته هذا وفي الحديث اشارة لمن وقف على شيء من مقامات اهل العرفان
وكرامات ذوي الايقان ان يحفظ سره ويكتم عن غيره امره فان صدور الاحرار
قبور الاسرار اذ كشف الاسرار على الاغيار سبب لترك العناية ويوجب الحرمان
والغواية من اطلعوه على سر فباح به لم يأمنوه على الاسرار ما عاش والله في عون
العبد اي اعانته وهذا ابلغ من ان يقال والله يعينه في كذا اذ المعنى ان الله الذي
يوقع العون في العبد ويجعله مكانا له والمراد من عونه تعالى اياه تيسير قضاء الحاجة
مثل ما اعان العبد لاخر بالكفاية او غير مثله اما بواسطة خلقه واما بغير واسطة
بل من محض فضله ما كان العبد اي مدة دوام كونه وفي نسخة ما دام العبد
في عون اخيه بقلبه او بدنه او ماله او جاهه عونا واجبا او مندوبا او مباحا
دون ما هو حرام او مكروه فانه لا يتعاون فيه قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى
ولا تعاونوا على الاثم والعدوان وروى احمد من كان في حاجة اخيه كان الله في حاجته
وفي رواية الطبراني افضل الاعمال ادخال السرور على المؤمن كسوت عورته او اشبعت
جوعته او قضيت له حاجته وورد من سعى في حاجة اخيه المسلم قضيت له
او لم تقض غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكتب له براءة من النار وبراءة من النفاق
وامر الحسن ثابتا البناني بالمشي في حاجة فقال انا معتكف فقال له يا اعمش اما تعلم
ان مشيك في حاجة اخيك المسلم خير لك من حجة بعد حجة ولعل مراده

انا مريد الاعتكاف لقوله تعالى لا تبطلوا اعمالكم او كانت الحاجة ضرورية
والاعتكاف سنة او فريضة غير فورية ويمكن تداركه بالقضاء كما اذا وقع
استغاثة احد الابوين للولد المصلي فانه يقطعها ثم يقضيها وقد روى احمد
ان خباب بن الارت خرج في سرية فكان صلى الله عليه وسلم يحلب عنز العيال
فيمتلئ الجفنة حتى تفيض زيادة عن حالها بها فلما قدم وحلبها عاد الى ما كان
وكان ابو بكر رضي الله عنه يحلب للحي اغنامهم فلما استخلف قيل الا تحلبها فقال بلى
واني ارجو ان لا يغيرني ما دخلت فيه عن شيء كنت افعله وذلك لان العرب
كانوا يستقبحون حلب الشاء ويستنكفون عن مثل هذه الاشياء وكان عمر رضي الله عنه
يتعاهد الارامل فيستقي لهم الماء بالليل ورآه طلحة رضي داخلا بيت امرأة ليلا
فدخل اليها نهارا فاذا هي عجوز عمياء مقعدة فقال ما يصنع هذا الرجل عندك
قالت له منذ كذا وكذا يتعاهدني بما يقوم لي من العيش وما يصلح شأني ويخرج
الاذى عني ويقم لي بيتي فقال طلحة ثكلتك امك يا طلحة اعثرات عمر تتبع
ولما فرغ من الحث على الشفقة على خلق الله اتبعه بما ينبئ عن التعظيم لامر الله
لان العلم وسيلة الى العلم فقال ومن سلك طريقا تنكيره للشيوع اي من تسبب باي
سبب كان من مفارقة الاوطان والمسافرة الى البلدان والانفاق في تحصيل هذا الشأن
والمجاهدة في مكان وزمان يلتمس فيه اي يطلب في ذلك السلوك او المسلك علما
شرعيا اذا نوى به وجه الله تعالى قال المص عادة العلماء تقييد هذه المسئلة بهذا
الشرط مع انه شرط في كل عبادة لكونه قد يتساهل فيه بعض الجاهلين ويغفل عنه
بعض المبتدعة الغافلين انتهى وكانهم ارادوا ان تطرق الرياء للعلم اكثر
من تطرقه لسائر العبادات فاحتيج للتنبيه فيه على الاخلاص للاعتناء بشأنه
من بين الطاعات ثم العلم الشرعي هو علم القرآن والحديث والفقه واصوله وما يتعلق به
وما يتوقف عليه حصوله كعلم اللغة والصرف والنحو والمعاني قدر الحاجة
لا الخارج عن العلم الشرعي كالفلسفة من منطق والهي وطبيعي ورياضي

الا اذا فرغ

الا اذا فرغ عن العلوم الشرعية واراد تعلمها لرد المذاهب الردية ودفع شبههم
الدينية وهيهات في ذلك من تصحيح النية وتخليص الطوية وهذا قول عامة مشايخ
الشريعة كالحليمي في شعب الايمان وغيره وقد الف شيخ مشايخنا جلال الدين السيوطي
رسالة في حرمة المنطق فعليك بها سهل الله به اي يسره بسبب ذلك السلوك
او الالتماس او العلم او الطريق وهو الاظهر لقوله طريقا الى الجنة ليكون جزاء وفاقا
كالتنفيس بالتنفيس والتيسير بالتيسير والستر بالستر والعون بالعون وقد اخرج الترمذي
ايما مؤمن اطعم مؤمنا على جوع اطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة وايما مؤمن سقى مؤمنا
على ظماء سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم وايما مؤمن كسى مؤمنا على عري
كساه الله من خضر حلل اهل الجنة ومجاز هذا كله حديث انما يرحم الله من عباده الرحماء
ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء ثم من جملة طرق العلم تقديم العمل بالعلم لقوله تعالى
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ولقوله صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله
علم ما لم يعلم هذا والعلم نور في قلب المؤمن مقتبس من مصباح الكلمات المحمدية والافعال
والاحوال الاحمدية يهتدي به الى الله وصفا وافعالا واحكاما فان حصل بواسطة البشر
فهو كسبي والا فهو العلم اللدني المنقسم الى الوحي والالهام والفراسة فالوحي لغة
اشارة بسرعة واصطلاحا كلام الهي يصل الى القلب النبوي فما انزل مبناه ومعناه
معا والحال انه لا يكون الا بواسطة جبريل فهو الكلام الالهي وما نزل معناه
على الشارع فعبر عنه بكلامه فهو الحديث النبوي وهذا قد يكون بغير واسطة في محل
الشهود كما قال تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى وقد يكون بواسطة نزول الملك فانه ينزل
من الصورة الملكية الى الهيئة البشرية وتحقيقه ان المتكلم الحقيقي هو الحق فكلم اولا محمدا
صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل وثانيا اصحابه بواسطة محمد صلى الله عليه وسلم
وثالثا التابعين بواسطة الصحابة رضي الله عنهم وهلم جرا وقد يكون بنفثه في قلبه
بان يلقي معناه من غير ان يتمثل بصورة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس
نفث في روعي والالهام لغة الابلاغ وهو علم حق يقذف الله من الغيب في قلوب عباده

جبناه ساه

قال تعالى قل ان ربي يقذف بالحق والفراسة علم ينكشف من الغيب بسبب تفرس آثار الصور ومنه قوله تعالى ان في ذلك لآيات للمتوسمين اي المتفرسين وفي الحديث اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله فالفرق بين الالهام والفراسة انها كشف الامور الغيبية بواسطة تفرس الآثار الصورية والالهام كشفها بلا واسطة والفرق بين الالهام والوحي انه تابع للوحي من غير عكس ثم علم اليقين ما كان من طريق النظر والاستدلال وعين اليقين ما كان بطريق الكشف والنوال وحق اليقين ما كان بتحقيق الانفصال عن لوث الصلصال لورود رائد الوصال وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله بكسر الباء وضمها جمع بيت اي مسجد او مدرسة او رباط او زاوية ولهذا لم يقل من المساجد وفي رواية المصابيح في مسجد من مساجد الله وايضا فيه للتعظيم بسبب ما يوجد فيه من ذكر الكريم ولذا استثني منها الاماكن المستقذرة كالحمام والمزبلة ولعل الحديث مستفاض من قوله تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار الآية يتلون كتاب الله اي حال كونهم يقرؤنه وليس المراد بتلاوته اجراء مبانيه من غير تصور معانيه ومتابعة ما فيه ومخالفة ما ينافيه بل لا بد ان يقدر العبد انه يقرأ على الله واقفا بين يديه وهو ناظر اليه بل يشهده بقلبه كأنه يخاطبه بل يستغرق بمشاهدة المتكلم غير ملتفت الى غيره سامعا منه ليكون داخلا في قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته وقد سئل الامام الصادق عن حالة لحقته في الصلوة حتى خر مغشيا عليه فلما سري عنه قال ما زلت اردد الآية على قلبي حتى سمعتها من ربي فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته ثم يتفكر فيما يتعلق بذات الله وصفاته وافعاله ومصنوعاته ويقتبس معرفة الجلال والعظمة وفيما يتعلق باهلاك الاعداء ويقتبس معرفة العزة والقهر والاستغناء وفيما يتعلق بحال الانبياء ويقتبس معرفة اللطف والفضل والبهاء وفي الآيات الدالة على التكاليف والارشاد

ويقتبس معرفة

ويقتبس معرفة الحكم فيعمل بمقتضاها في امر المعاش والمعاد ويتدارسونه بينهم شامل لجميع ما يناط بالقرآن من التعليم والتعلم وتدارس بعضهم على بعض والاستكشاف والتفسير والتحقيق في مبناه ومعناه الا نزلت عليهم السكينة فعيلة من السكون للمبالغة اي ما يسكن اليه القلب من الطمأنينة والوقار والثبات والاصطبار والذوق والشوق الى الرب وصفاء القلب ونزول الانوار الانسية وذهاب آثار الظلمانية النفسية فلا ينزعج عن المطالب الاخروية بسبب حدوث العوارض الدنيوية وقيل جماعة من الملائكة ينزلون للتسكين الرهب في القلب وقال المص في شرح المختار انها شيء من مخلوقات الله تعالى فيه طمأنينة ورحمة انتهى وفي حديث مرسل انه صلى الله عليه وسلم كان في مجلس فرفع بصره الى السماء ثم طأطأ بصره ثم رفعه فسئل فقال ان هؤلاء القوم كانوا يذكرون الله يعني اهل المجلس امامه فنزلت عليهم السكينة تحملها الملائكة كالقبة فلما دنت منهم تكلم منهم رجل بباطل فرفعت عنهم وهو ينافي قوله تعالى فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة وغشيتهم الرحمة اي غطتهم وحفتهم الملائكة احدقتهم واحاطت بهم الى السماء الدنيا على ما في الصحيح وفي رواية لاحمد علا بعضهم على بعض حتى يبلغوا العرش فيسمعوا منهم الآيات ويحفظوهم من الآفات ويصافحوهم ويبالغوا في ثنائهم ويؤمنوا على دعائهم قال ابن حجر تبعا للفاكهاني واختيار القاضي السكينة هنا الرحمة مردود لعطفها عليها المقتضي للمغايرة في قوله وغشيتهم الرحمة وهو مدفوع بان المغايرة حاصلة فيما بين الفعلين المتعاطفين فان النزول مغاير للغشيان باعتبار الوصول والحصول كما قال بنفسه اي شملتهم من كل جهة لاستيعابها نعم يلزم انه وقع الظاهر موقع المضمر وهو كثير في القرآن والخبر فتدبر ثم الرحمة ارادة نفع العبد فهي صفة ذات او انعامه واحسانه فهي صفة فعل وذكرهم الله اي اثنى عليهم لقوله تعالى فاذكروني اذكركم فيمن عنده اي من الملأ الاعلى والطبقة الاولى من الكروبيين والروحانيين وارواح الانبياء والمرسلين والشهداء والصالحين

مباهاة بهم من بين المؤمنين واظهار الحالهم من بين المحسنين والمراد عنديته
المكانة والقربة لا المكان والمسافة شبههم في كرامتهم عليه بمن يكون عند الملوك من المقربين
لديه وفي الحديث القدسي من الكلام الانسي من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي
ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم وفي صحيح مسلم ان لاهل ذكر الله اربعا
تنزل عليهم السكينة وتغشاهم الرحمة وتحف بهم الملائكة ويذكرهم فيما عنده هذا
وفي الجملة يدل الحديث على فضيلة الاجتماع على تلاوة القرآن بطريق المدارسة لا على سبيل
المخالطة كما يفعله الجهلة من الازهرية مع زيادات الانغام الموسيقية فانه
منكر عند العلماء الدينية وكذا على اجتماع حلقة الذكر لكن بشرط عدم رفع الصوت بحيث
يشوش على نحو المصلين من الطائفين وغيرهم فانه مكروه في الدين وفي الصحيحين
ان لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون اهل الذكر فاذا وجدوا قوما يذكرون الله تعالى
تنادوا هلموا الى حاجتكم قال فيحفونهم باجنحتهم الى السماء الدنيا الحديث بطوله
فيقول تعالى للملائكة اشهدكم اني قد غفرت لهم فيقول ملك من الملائكة فيهم فلان
ليس منهم انما جاء لحاجة فيقول هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم وفي صحيح مسلم
انه صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من اصحابه فقال ما اجلسكم قالوا نذكر الله عز وجل
ونحمده لما هدانا ومنّ علينا به فقال آلله ما اجلسكم الا هذا قالوا والله ما اجلسنا
الا ذلك قال اما اني لم استحلفكم تهمة لكم واني اتاني جبريل فاخبرني ان الله
يباهي بكم الملائكة وروى الحاكم عن سلمان انه كان في عصابة يذكرون الله فمر بهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ما كنتم تقولون فاني رأيت الرحمة تنزل عليكم فاردت ان اشارككم
وروى البزار بلفظ ان لله سيارة من الملائكة يطلبون حلق الذكر فاذا اتوا عليهم
حفوا بهم الحديث وفيه فيقولون ربنا اتينا على عباد من عبادك يعظمون آلائك
ويتلون كتابك ويصلون على نبيك ويسألونك لآخرتهم ودنياهم فيقول تبارك
وتعالى غشوهم برحمتي وكان صلى الله عليه وسلم احيانا يأمر من يقرأ القرآن في المسجد
يسمع قرآنه وكان عمر رضي الله عنه يأمر من يقرؤه عليه وعلى اصحابه يسمعون هذا

وبلسان الاشارة

وبلسان الاشارة بيوت الله عبارة عما يذكر فيه الحق من النفس والقلب والروح والسر والخفي
فذكر بيت النفس الطاعة والعبادة وذكر بيت القلب التوحيد والمعرفة وذكر بيت الروح
الشوق والمحبة وذكر بيت السر الشهود والمراقبة وذكر بيت الخفي بذل الوجود
وترك الموجود وقوله الا نزلت الخ مشير الى ثمرات التلاوة من الانس بالله
والحضور مع الله والغيبة عما سواه وتمثل الانبياء والملائكة والارواح المقدسة
في صور لطيفة والصعود من حضيض بعد البشرية الى ذروة الملكوت الاعلى
والدخول تحت الفناء والفرح بتحقق البقاء والتبري عن الناسوت والتقرب من اللاهوت
وهذا مقام يضيق عن بيانه نطق النطاق ولا يسع علاوته في ظروف الحروف **شعر**
وان قميصا خيط من نسج تسعة وعشرين حرفا من معانيه قاصر قال ابو سعيد الخراز
قدس سره اذا اراد الله تعالى ان يوالي عبدا من عبيده فتح عليه باب ذكره فاذا استلذ بالذكر
فتح عليه باب القرب ثم رفعه الى مجلس الانس ثم اجلسه على كرسي التوحيد
ثم رفع عنه الحجب الظلمانية والنورانية وادخله دار الفردانية وكشف له
جمال الجلال والعظمة الصمدانية فبقي بلا هو فحينئذ صار العبد زمنا قد برئ من دعاوي
نفسه فصار عنها فانيا وفي حفظه سبحانه باقيا **ومن بطأ به عمله** بتشديد الطاء
والباء للتعدية كما في قوله **لم يسرع به نسبه** من الاسراع والمعنى من جعله بطيئا
وأخّره عمله السيئ في مقام العبادة عن بلوغ درجة السعادة لم يقدمه
نسبه اليها لان الاسراع الى السعادة وقرب الرب انما هو بالعمل الصالح وحسن الادب
لا بالنسب والحسب اذ امثال ذلك انما يعتبر في الدنيا واما في العقبى فاكرمهم اهل التقوى
قال تعالى فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ولذا قال صلى الله عليه وسلم لرجل
تعلم انساب الناس علم لا ينفع وجهل لا يضر من انسابكم ما تصلون به ارحامكم
وفي الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم يا صفية عمة محمد يا فاطمة بنت محمد
ائتوني يوم القيامة باعمالكم لا بانسابكم فاني لا اغني عنكم من الله شيئا ونقل عن ابي يزيد
قدس سره ان مريدا له يتبع خطاه من خلفه فاقبل عليه قال لا والله لو سلخت

جاء ابي يزيد ولبسته لم تنل مثقال خردل من مقاماته ما لم تعمل معاملاته وانشد
شعر ما بال نفسك ترضى ان تدنسها وثوب جسمك مغسول من الدنس
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ان السفينة لا تجري على اليبس رواه مسلم بهذا اللفظ
اي بهذا الاسلوب من اوله الى آخره وقال ابن مسعود يأمر الله بالصراط فيضرب على جهنم
فيمر الناس على قدر اعمالهم زمرا زمرا اوائلهم كلمح البرق ثم كمر الريح ثم كمر الطير
حتى يمر الرجل مشيا وحتى يمر آخرهم يتلبط على بطنه فيقول يا رب لم بطأت بي
فيقول اني لم ابطئ بك انما بطأ بك عملك فليتنبه متنبه ان كان قارئا فليقم جادا
ان كان قاعدا السابع والثلاثون عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيما يروي اي حال كون ذلك المروي داخلا فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى
اي تكاثر خيره واحسانه وتعظم شانه وبرهانه وظاهره انه من الاخبار القدسية
وان الله تكلم بجميع ما فيه من الاسرار الانسية وليس كذلك بل المراد بما يرويه
يحكيه عن فضل ربه او حكمه كما يدل عليه ما بعده كذا قيل والاظهر انه حديث قدسي وكلام النبي
الا انه صلى الله عليه وسلم تارة روى عنه عز وجل بالمبنى كما في بعض طرق هذا الحديث
في الصحيح ما هو صريح في هذا المعنى وهو يقول الله عز وجل اذا اراد عبدي ان يعمل سيئة
فلا تكتبوها عليه حتى يعملها فان عملها فاكتبوها بمثلها وان تركها من اجلي
فاكتبوها له حسنة وان اراد ان يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له بعشر امثالها
واذا تحدث بان يعمل سيئة فانا اغفرها ما لم يعملها فاذا عملها فانا اكتبها له بمثلها
وتارة روى عنه سبحانه بالمعنى كما في هذا المبنى قال ان الله كتب اي قدر في سابق علمه
او امر الحفظة بكتبها في اللوح المحفوظ من عنده فالمعنى اثبت الحسنات
اي ما يتعلق به الثواب والسيئات اي ما يستحق فاعله العقاب
ثم بين ذلك اي ما ذكر هنالك والمعنى بين مقدارهما وعين مبلغهما للسفرة
الكرام بان بعضها وهو الحسنات يجازى بعشر او سبعين او سبعمائة الى غير
ذلك بطريق الفضل وبعضها وهو السيئات لا يجزى الا بمثلها على سبيل العدل

او بينه فيما انزله

او بينه فيما انزله من كتابه او بين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لا ابهام بما بعده
من الكلام فيكون قوله ثم بين ذلك من كلام الراوي فمن هم بحسنة الى آخره
من كلام النبي صلى الله عليه وسلم والفاء تفصيلية لان ما قبلها قضية اجمالية
لا يفهم منها ان الكتابة على اي الكيفية اي فمن قصدها وارادها وعزم عليها
او ترجح عنده فعلها فلم يعملها لمانع عنها او باعث على تركها كتبها الله عنده
حسنة بالنصب على انها مفعول ثان باعتبار تضمين معنى التصيير او حال موطئة
موصوفة بقوله كاملة وذلك لان الهم بالحسنة قصد الخير فيكون خيرا
ولذا ورد نية المؤمن خير من عمله واما ارادة الشر وان كانت سيئة لكنه بكف يندفع
النفس عنها وهو حسنة وتقييدها بكاملة لدفع توهم ان مجرد الهم بها يوجب
نقصا في ثوابها وفيه دلالة على ان مراتب المثوبة مختلفة ولو كانت شاملة وفي رواية لمسلم
انا تحدث عبدي بان يعمل حسنة فانا اكتبها له حسنة اي اذا خطر بباله
وعلم الله في حاله انه ارادها ان تكون من جملة اعماله ويؤيده الخبر الآخر من هم بحسنة
فلم يعملها فعلم الله انه ابصرها قلبه وحرص عليها كتبت حسنة وان هم بها اي اهتم بها
واعتنى بشانها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات اي متصاعدة الى سبعمائة
ضعف اي مثل الى اضعاف كثيرة تفضلا منه لاهل الايمان واحسانا لارباب الايقان
وهذه المراتب بحسب تفاوت العمل في المناسبة اخلاصا في بابه ومراعاة بشرائطه وآدابه
والاحكام الثلاثة مستفادة من الآيات الثلاثة وهي قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها
وقوله مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل
سنبلة مائة حبة وقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة
قال السيوطي ان هذا التضعيف لا يعلم احد كم هو وما هو وانما ابهم الله تعالى
لان ذكر المبهم في باب الترغيب اقوى من ذكر المحدود ثم خص حسنات الحرم كل حسنة
بمائة الف حسنة وهو مندرج تحت قوله والله يضاعف لمن يشاء وكذا فضل الصوم
فانه سبحانه قال الا الصيام فانه لي وانا اجزي به فيدل على ان حقه مضاعفة ثوابه

لا يعلم احد الا هو لانه من افضل انواع الصبر وانما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
وقد قال المصنف ان التضعيف بعشرة لا بد منه بفضل الله ورحمته ووعده الذي لا يخلفه
والتضعيف بسبعمائة فاكثر انما يحصل لبعض الناس على حسب مشيئته واخرج ابو حبان في صحيحه
لما نزل مثل الذين ينفقون اموالهم الاية قال صلى الله عليه وسلم رب زد امتي فنزل
من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا الاية فقال رب زد امتي فنزل انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب وروى احمد ان الله ليضاعف الحسنة الفي الف حسنة ثم تلا ابو هريرة
راويه وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما ومن هنا قال عمر رضي الله عنه
لو وجدت لي حسنة لكفت لانه سبحانه يقول وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه
اجرا عظيما فمن يقدر قدره وروى ابو داود ان الصلوة والصيام والذكر تضاعف
على النفقة في سبيل الله سبعمائة ضعف مع ما ورد في حديث ابن ابي حاتم من ارسل
نفقة في سبيل الله واقام في بيته فله بكل درهم سبعمائة درهم ومن غزا بنفسه
في سبيل الله فله بكل درهم سبعة الاف درهم وروى الترمذي من دخل السوق
فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له الى اخره كتب الله له الف الف حسنة
ومحى عنه الف الف سيئة ورفع له الف الف درجة وان هم بسيئة فلم يعملها
اي من خوف الله او لاجل رضاه كما ثبت في الحديث القدسي الذي رواه مسلم فان تركها
فاكتبوها له حسنة انما تركها من جراي اي من اجلي كتبها الله عنده حسنة كاملة
لانه انما تركها بعد ان هم بها مراقبة لله وحذرا من عقوبته في دنياه او اخراه
مع القدرة عليها وبقاء الميل اليها لا ان هم بها فلم يعملها لعجزه عنها او عدم غرضه فيها
قال العلماء ومحل هذا على من لم يوطن نفسه عليها وانما ذلك تذكرها بلا استقرار فيها
فيكتب له بالاعراض عنها وكراهة خطورها فيها ولا يبعد ذلك من فضل الله سبحانه
مع انه قد تقرر ان في جانب الحسنة لا بد من العزم عليها قالوا واما من عزم بقلبه على السيئة
ووطن نفسه عليها ثم في عزمه واصراره فان نفس العزم والاصرار معصية
فتكتب معصية واحدة واذا عملها كتبت معصية ثانية وان تركها حسبة

كانت حسنة كذا

كانت حسنة كذا قالوا ولكن يشكل بقوله وان هم بها فعملها كتبها الله سيئة
واحدة لان ظاهره انه لم يكتب عليه حينئذ الا معصية واحدة ويؤيده انه
زاد احمد في روايته ولم يضاعف عليه اللهم الا ان يغاير بين الهمين وعلى كل تقدير
يدل الحديث على انه لا مضاعفة في السيئة كما هو صريح في الاية حيث قال تعالى
فلا يجزى الا مثلها بصيغة الحصر للمبالغة ووقع في اصل ابن حجر كتبت
سيئة واحدة وهو مخالف للاصول المعتمدة واما ما ورد عن ابن عباس من ان السيئة
في الحرم تضاعف فمحمول على المضاعفة في الكيفية لا في الكمية جمعا بينه وبين الايات
القرانية والاحاديث النبوية وهذا معنى قول قتادة في قوله تعالى فلا تظلموا فيهن انفسكم
فان الظلم في الاشهر الحرم اعظم خطيئة ووزرا وكذا ما في حديثين ضعيفين
ان السيئة تضاعف في رمضان وقال مجاهد تضاعف السيئة بمكة كما تضاعف الحسنة
وقال ابن جريج بلغني ان الخطيئة بها بمائة خطيئة في غيرها يعني ان الخطيئة
الواحدة فيها بحسب الكيفية تقاوم مائة خطيئة في غيرها باعتبار الكمية
وعلى هذا يحمل ما حكي انه قيل لاحمد افي شيء في الحديث ان السيئة تكتب باكثر من واحدة
قال لا ما سمعنا الا بمكة لتعظيم البلد وكذا نقل عن اسحق وقد يكون تضاعف السيئة
في الكيفية باعتبار عظمة فاعلها وعليه يحمل قوله تعالى يا نساء النبي من يات منكن
بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وذلك لان من عصى
السلطان على بساطه اعظم جرما ممن عصاه على بعد منه ومنه حديث ويل للجاهل مرة
وويل للعالم سبع مرات وقد صح اشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه
ثم المحققون على ان العزم مؤاخذ به وخالف بعضهم ونسب الى الشافعي وابن عباس رض
وقال انه من الهم المرفوع تمسكا بقول اللغويين من ان الهم بالشيء العزم عليه وهو
مستمسك ضعيف في غاية من السقوط لان اللغوي لا يتنزل الى هذه الدقايق
التي نظر اليها ارباب الحقايق ومما يؤيد الجمهور حديث اذا التقى المسلمان بسيفيهما
فالقاتل والمقتول في النار قيل ما بال المقتول قال كان حريصا على قتل صاحبه انتهى

لو اراد دفعه عن نفسه لا يكون شريكا له في اثمه وكذا يقويهم الاجماع على المؤاخذة
باعمال القلوب كالحسد والحقد وحب الدنيا وامثالها وعليه حمل ابن عباس
قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله نعم العزم على الكبيرة
وان كانت سيئة فهو دون الكبيرة المعزوم عليها ولا ينافي ما تقرر ما روي عن الحسن
في الحسد وعن سفيان في سوء الظن بالمسلم انه اذا لم يصحبه قول او فعل فهو معفو
لان ذلك محمول على ما يجده الشخص من نفسه باعتبار جبلته مع كراهته ودفعه
عن نفسه بقدر مكنته وذكر السبكي انه يؤاخذ بالهم بالمعصية في حرم مكة
دون غيرها وروي عن ابن مسعود موقوفا ومرفوعا اخرى قيل والموقوف اصح
ونقله بعض اصحاب احمد عنه ولعل ماخذهم قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم
نذقه من عذاب اليم وقال بعض الصوفية انما كانت العشرة اقل درجات ثواب الحسنة لانه
تحصل بظهور القلب والسيئة بظهور النفس فاقل درجات ثوابها انه
يصل صاحبها الى مقام القلب الذي يتلو مقام النفس في الارتقاء تلو مرتبة
العشرات للاحاد في الاعداد ومن عمل سيئة فلا تكتب الا واحدة لانه لا مقام
ادون من مقام النفس فينحط اليه فبالضرورة جزاؤه في مقام النفس بالمثل
وهو حصول هيئتها فيها ومن هنا يعلم ان الثواب من باب الفضل فانه يتنور
استعداده ويزداد قبوله لفيض الحق فيتقوى على اضعاف ما فعل ويكتسب بها
اجورا متضاعفة الى غير النهاية بازدياد القبول عند كل فعل حسنة وزيادة الفيض
عند زيادة القبول وزيادة القدرة عليها عند زيادة الفيض الى ما لا يعلمه الا الله
كما قال والله يضاعف لمن يشاء وان العقاب من باب العدل المقتضي للمساواة ومن فعل
اذا لم يعف عنه يجازى بالنفس والسيئة والحسنة المذكورتان من قبيل الاعمال
لا الاشخاص والا فرب سيئة من شخص تعادل حسنة من غيره كما قال بعض العارفين
حسنات الابرار سيئات المقربين اذ سيئاتهم بوجود القلب ورب سيئة
توجب جنات الابد كالشرك هذا وقال الطحاوي والطبري في هذا الحديث دليل على ان الحفظة

يكتبون اعمال القلوب

يكتبون اعمال القلوب خلافا لمن قال انها لا تكتب الا الاعمال الظاهرة انتهى وفيه
نظر اذ ليس في الحديث تصريح بان الحفظة يكتبونها رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما
اي جامعيهما بهذه الحروف اي بهذه الالفاظ المنقولة عنهما بعينها لا انه
رواية بالمعنى لما فيها وفي رواية لمسلم بعد واحدة او محاها الله ولا يهلك على الله الا هالك
وتوضيحه ما قال ابن مسعود ويل لمن غلبت آحاده عشراته وجاء مرفوعا هلك
من غلب واحده عشرا فانظر امر من النظر بمعنى اعمال الفكر ومزيد التدبر اي فتامل
فاعتبر يا اخي اي في الدين وهو نداء تعطف وشفقة وتلطف وفقني الله
اي اقدرني الله على الطاعة بخلق قدرتها في واياك وبدأ بنفسه لقوله تعالى
حكاية عن انبيائه وتعليما لاصفيائه رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات
ولقوله صلى الله عليه وسلم ابدأ بنفسك قال ابن حجر ثم ادرج فيها من هو بمنزلته
من احبائه واصدقائه فالنون للجمع لا لعظمة نفسه بناء على ما وقع في اصله
وهو خلاف ما عليه المتون المقررة والاصول المعتبرة وعلى كل تقدير فيه رد على ما احدثه
بعض ظرفاء زماننا فانه اذا قيل لهم تقبل الله منكم يقولون وبدأ بكم الى عظيم لطف الله
بكسر العين وفتح الظاء على ما في الاصول المعتمدة وفي اصل ابن حجر الى عظيم لطف الله
قال في الكشف اللطف هو اجراء القضاء على وفق الارادة او ايصال نفع فيه نوع من الدقة
وقال الغزالي اللطيف من يعلم دقايق المصالح وغوامضها وما لطف منها
ثم يسلك في ايصالها الى المصلح سبيل الرفق بها وتامل هذه الالفاظ اي النبوية
الصادرة من المشكوة المصطفوية ومنبع الحكمة الاحدية ومادة الحياة الابدية
فقوله وفي نسخة وقوله اي ومن جملة ما ينبغي تامله قوله اي في الحسنة
عنده فانه اشارة الى الاعتناء بها اي الى مزيد الاهتمام فيها والاعتبار في شانها
فان اجراء العندية على المعنى اللغوي محال على الله سبحانه لتقدسه عن المكان
فالمراد عندية الرتبة وقربية المنزلة كقوله تعالى ان المتقين في جنات ونهر
في مقعد صدق عند مليك مقتدر وقوله اي ومن جملة قوله كاملة للتوكيد

اى فانه صفة مؤكدة للتأييد وشدة الاعتناء بها وفى السيئة
التى هم بها ثم تركها كتبها الله عنده حسنة كاملة فاكدها بكاملة
وان عملها اى قال وان عملها كتبها الله سيئة واحدة اى اعتناء بتبر
فاكد تقليلها دفعا للتوهم الزيادة عليها بواحدة بالنصب على الحكاية
وهو الاولى فى الحديث والاية وبالجر على العمل الا ان العمل يتعين فى قوله
ولم يؤكدها بكاملة اذ ليس هنا حكاية وفى هذا كله اشارة الى ان مقام الفضل
اوسع من مقام العدل كما دل عليه قوله صلى الله عليه وسلم ان الله كتب كتابا فهو عنده
فوق العرش ان رحمتى سبقت غضبى ولا يهلك على الله الا هالك والحاصل ان لفظ الحديث
ومبناه مطابق معناه فى افادة فضل الله بتضعيف الحسنات وتكميلها والاعتناء بها
وافراد السيئات وتقليلها المسامحته تعالى عباده فى المعاملة تضعيفا فى الخير وتخفيفا فى الشر
لطفا لهم وتفضلا بهم ولله در من قال من ذوى الاحوال شعر يا خالق الخلق
يا من شريك له طوبى لمن عاش بين الناس يهواكا انى لاعجب ممن قد رأى طرفا
من فرط لطفك ربى كيف ينساكا والله ما فرحت روحى ولا انست فى الدهر ما بقيت
الا بذكراكا وكيف تأنس روح العارفين وان دام السرور لهم الا بلقياكا فلله اى دون
ما سواه الحمد اى جميع انواعه اذ لا يستحق الحمد ما سواه لان الحمد تعريف المحمود
بنعت الكمال فمن صفات الجلال والجمال فالحمد ثابت له سواء حمد او لم يحمد لانه
محمود فى ازل الازال والمنة اى جنس النعمة لقوله تعالى فما بكم من نعمة فمن الله والمعنى له الحمد
فى الاولى والاخرى والمنة العظمى فى شهادة الكلمة العليا ومتابعة طريقة المصطفى
سبحانه مفعول مطلق اى انزهه عن نقصان فى شانه وفى نسخة زيادة تعالى
اى تعظم سلطانه وظهر برهانه لا نحصى ثناء عليه اى لا نقدر معاشر الانام ولا نطيق
على القيام بحق ثنائه وذكر جميل ذاته وصفاته وافعاله واسمائه او لا نحصر جميع
ثنائه اذ الحول البشرى قاصر عن استحصائه كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
لا تطيقوها فكيف القيام بشكرها والخروج عن عهدة ذكرها وفيه تلميح الى قوله صلى الله عليه وسلم

لا احصى ثناء عليك

لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك ايماء على عجز البشرية عن القيام
بحق العبودية وعن معرفة النعوت الربوبية وقد ورد فيمن قال ربنا لك الحمد
كما ينبغى لجلال وجهك ولعظيم سلطانك ان الله يقول للملائكة دعوا الى
هذه الكتابة فانكم تعجزون عن احصاء ما يقابلها من المثوبة بتيسيره بالله اى
لا بغيره التوفيق اى توفيق التحقيق والاستقامة على سواء الطريق وختم به
الغرض فقره فى جميع اعماله واحتياجه فى كل احواله الى الاسعاف الربانى والامداد السبحانى
الثامن والثلاثون عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى قال من عادى لى وليا من المعاداة ضد الموالاة والولى ضد العدو
وهو فعيل اما بمعنى مفعول وهو من يتولى الله امره وحفظه على التوالى فلا يكله الى نفسه لحظة
قال تعالى وهو يتولى الصالحين واما بمعنى فاعل وهو من يتولى عبادة وطاعته ويتوالى عليه
من غير تخلل بمعصية وكلا الوصفين شرط فى الولاية كما ذكره القشيرى فى الاول فالوصف
غالب على المجذوب المراد والثانى على السالك المريد الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه
من ينيب والاظهر ان المراد بالولى هنا المؤمن المتقى قال تعالى ان اولياؤه الا المتقون
وقال الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون
وتحقيقه ان يقال هو من يتولى الله بذاته امره فلا تصرف له اصلا اذ لا وجود له
ولا ذات ولا فعل ولا وصف فهو الفانى بيد المعنى يفعل به ما يشاء حتى يمحو رسمه
واسمه وعينه واثره ويحييه بحياته ويبقيه ببقائه والتركيب يدل على القرب
فكانه قريب منه لاستدامة عبادته واستقامة طاعته او لاستغراقه فى بحر معرفته
ومشاهدة طلعة عظمته والاظهر ان المراد بالولى الكامل من جمع بين قرب
الفرائض والنوافل وان ادنى ما يطلق عليه من تقرب اليه بالفرائض من امتثال
الاوامر واجتناب الزواجر وقوله لى حال من قوله وليا قدم عليه لتنكيره وجعله
ظرف لغو لغو ولو قال به ابن حجر فتدبر وايراد صيغة المفاعلة للمبالغة
ولا يبعد ان يكون للمغالبة والمعنى من اذى وفى رواية من اهان وفى رواية من اذى وليا

فقد آذنته بالحرب بهمزة ممدودة اي اعلمته باني محارب له ذكره المظهر
ويوقع ما وقع في بعض الروايات فقد بارزني بالحرب او بالمحاربة وقال بعضهم
اي اعلمته باني محارب له اي معامل له معاملة المحارب وهو ابلغ وفي رواية بدل هذا
فقد استحل محارمي وفي اخرى فقد استحل محاربتي وفي اخرى فقد اذى الله
ومن اذى الله يوشك ان ياخذه ففي الحديث تسلية للاصفياء عن معاداة الاعداء
وتحذير للاعداء عن ايذاء الاولياء وترك حرمتهم وتنبيه على تعظيم شانهم
وحفظ قلوبهم ودفع كربتهم لما في مفهومه حيث جاء في معاداة الولي تعظيم الويل
يكون في موالاته جسيم القرب والتاييد كما قيل **شعر** وكم لله اشراف البرايا
لهم قدر عظيم بالكرامة فمن والاهم حقا وصدقا كرامته الشفاعة في القيامة ثم اعلم
ان جميع المعاصي محاربة الله عز وجل ولذا قال الحسن يا ابن آدم هل لك بمحاربة الله
من طاقة فان من عصى الله فقد حاربه الا ان كلما كان الذنب اقبح كان المحاربة لله
اشد واصرح ولذا سمى اكل الربوا وقطاع الطريق محاربين لله ورسوله لعظيم
ظلمهم لعباده وسعيهم بالفساد في بلاده هذا واول من عادى وليا من اوليائه
ابليس فانه عادى اول نبي من انبيائه واستمرت هذه العداوة بين الذرية
وقد حكي ان بعض الاكابر من الملوك وقف على جمع من الصوفية فقال لهم من انتم
فقالوا نحن قوم من احبنا يضر بدنياه ومن ابغضنا يضر بعقباه فقال انا
ما اقدر على محبتكم ولا على عداوتكم وذهب وتركهم **وما تقرب الي عبدي بشيء**
احب الي مما افترضت عليه التقرب طلب القربة واخذ المثوبة والباء
في بشيء سببية واحب صفة شيء وهو افعل بمعنى المفعول فهو منصوب
وفي نسخة مرفوع على تقدير هو احب وما الثانية موصوفة او موصولة
والعايد محذوف اي مما افترضته عليه والفرض اعم من ان يكون فرض
عين او كفاية ودخل فيه الواجب على مصطلحنا لانه فرض عملا لا اعتقادا
ولهذا اثاب الحنفية في نحو الوتر وركعتي الطواف اكثر من الشافعية

لاختلاف

لاختلاف معتقدهم في القضية والمعنى ما تطلب عبدي القربة من رحمتي
والمثوبة من عنايتي بوسيلة عمل احب الي من الذي فرضت عليه اي وسائل
القرب كثيرة ومراتبها مختلفة واحبها الي اداء الفرايض ومراعاة سائر تكاليف الاحوال
اذ هي الامانة المعروضة على السموات والارض والجبال وفي رواية بدل هذا ابن آدم
انك لن تدرك ما عندي الا باداء ما افترضت عليك قال العلماء وذلك
لان الذي فرضه الله على عبده هو اختياره تعالى والذي يتنفل به العبد
اختياره لنفسه فينبغي للعبد كمال الاهتمام بامر الفرايض والقيام بتحسينها بسننها
لا كما يفعله العامة من تضييع الفرايض بالتقصير في شرايطها وتكميل اركانها والاتيان
وآدابها ثم تكثير النوافل والاذكار والاوراد والتلاوة وكثرة الطواف وامثالها و
وما يزال عبدي يتقرب وفي رواية يتحبب **الي بالنوافل** اي بالزوايد على الفرايض
فيشمل السنن المؤكدة وفي اخرى يتنفل اي ويترقى من مقام الى آخر **حتى احبه**
اي حتى امتلأ قلبه من معرفتي فاشرقت عليه انوار ولايتي بسبب الجمع بين فرايض ونوافل
طاعتي والشان كل الشان في محبته سبحانه للعبد دون محبة العبد له تعالى وان كانت الثانية
نتيجة للاولى كما يشير اليه قوله ويحبونه وفي الصحيح عن ابي هريرة مرفوعا اذا احب الله عبدا
دعا جبريل فقال يا جبريل اني احب فلانا فاحبه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له
القبول في الارض للحديث فاعلى بها مرتبة واعظمها منقبة ولعل الحديث مستفاد من قوله تعالى
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا او ماخوذ من قوله سبحانه قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فالمحبة على قدر المتابعة في الفرض والسنة هذا
ومن افضل النوافل تلاوة القرآن لما روى الترمذي ما تقرب العبد الى الله عز وجل بمثل ما خرج منه
اي ظهر منه يعني القرآن ولذا قال عثمان لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم
وقال بعض العارفين لمريد اتحفظ القرآن قال لا فقال واغوثاه بالله مريد لا يحفظ القرآن
فبم يتنعم فبم يترنم بم يناجي ربه ثم سائر الاذكار فقد اخرج البزار عن معاذ قلت
يا رسول الله اخبرني بافضل الاعمال واقربها الى الله عز وجل قال ان تموت ولسانك رطب بذكر الله

وكفى فضلا لشرفه قوله فاذكروني اذكركم ومن جملتها الحب في الله والبغض في الله
فقد اخرج احمد لا يجد العبد صريح الايمان حتى يحب لله ويبغض لله فاذا احب لله
وابغض لله فقد استحق الولاية وفي رواية من احب لله وابغض لله واعطى لله
ومنع لله فقد استكمل الايمان وروى ابو داود ان لله لاناسا ما هم بانبياء ولا شهداء
يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله عز وجل قالوا يا رسول الله من هم
قال هم قوم كانوا يتحابون بروح الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها
فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس
ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم تلا هذه الاية الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
وقد اغرب ابن حجر حيث عد التوكل والرضاء من التطوعات البالغة وغفل عن كلام الاكابر
من الائمة انهما من الفرايض العينية المتعينة على كل احد من سالكي الطريق القويمة
وفي الاحياء ذكرهما على وجه الاستيفاء فاذا احببته اي حبا كاملا وقربته
قربا كاملا كنت اي صرت حتى بمعنى ظهرت سمعه الذي يسمع به وبصره
الذي يبصر به ويده التي يبطش بها بفتح الياء وكسر الطاء هو الرواية
وموافق للاية وهي قوله تعالى يوم نبطش البطشة الكبرى ويجوز ضم الطاء
وكذا ضم اوله وكسر ثالثه في اللغة فقول ابن حجر بفتح اوله وكسر ثالثه وضمه
ليس في محله باعتبار انه ورجله التي يمشي بها وفي رواية وفؤاده الذي يعقل به
ولسانه الذي يتكلم به اي حافظ حواسه وجوارحه فلا يسمع ولا يبصر ولا ياخذ
ولا يمشي الا فيما ارضى واحب ويتقلع عن الشهوات ويستغرق في الطاعات وقريب منه
قول الخطابي معناه توفيقه في الاعمال التي يباشرها بهذه الاعضاء يعني ييسر عليه فيها
معاملة سبيل ما يحبه ويعصمه عن مواقعة ما يكرهه من اصغاء الى اللهو بسمعه
ونظر الى ما نهى عنه ببصره وبطش ما لا يحل بيده وسعي في باطل برجله
وقال التوربشتي اجعل سلطان حبي غالبا عليه حتى سلب عنه الاهتمام بشيء ما يقربه الى
فيصير متخليا عن اللذات متى ما تقلب واين ما توجه لقي الله بمراى في

ويسمع منه ويأخذ حب الله بمجامع قلبه فلا يسمع ولا يرى ولا يفعل الا ما يحبه
ويكون له في ذلك عونا ويدا او وكيلا يحمي جوارحه وحواسه وقيل المراد كنت
اسرع الى قضاء حوايجه من سمعه في الاستماع وبصره في النظر ويده في اللمس
ورجله في المشي وقيل كنت مسموعه ومبصره اي يكون مسموعه اسمي وذكري وكلامي
فلا يلتذ ولا يستانس الا به ومبصره عجايب ملكوتي وصنايع جبروتي ويستدل بها على وجوب
وجود ذاتي وقدس صفاتي لا ينظر فيها الا الى الله وكذلك في اليد والرجل اي لا يمد
الا ما احبه الله ولا يخطو الا حيث يرضاه وفي كلام القاضي انه يتقرب ويترقى من مقام
الى آخر حتى يحبه الله فيجعله مستغرقا بملاحظة جناب قدسه ومطالعة انسه مقام
بحيث ما لاحظ شيئا الا وراى الله تعالى فيه وما التفت التفاتة حاس ومحسوس
الا لاحظ ربه ويشاهد به وهو آخر درجات السالكين واول مراتب الواصلين هذا
مجمل الكلام وما اوردت تحقيق المرام في هذا المقام الذي زلت فيه الاقدام والاقلام
وكلت دون الوصول الى الحق الافهام فاستمع لما يتلى عليك من تدقيقات المحققين
الاعلام الواصلين الى اعلى مدارج الانس السائرين في ارقى معارج القدس التائهين
في بيداء عظمة الملك والملكوت المتلاشين في ديماء الديمومية والعز والجبروت
الذين ورد في شانهم الحديث ونطق بعزتهم القديم والحديث فنقول المحبة ارادة ما تراه
او تظنه خيرا مما سواه وهي اما محبة اللذة كمحبة الطعام او محبة المنفعة كمحبة
ما ينتفع به من المرام او محبة الفضيلة كمحبة العلماء الاعلام ذكره الراغب ولا يخفى
انها ابلغ من الارادة لانها اذا تاكدت في القلب وانعقدت فيه فهي المحبة وهي
منقسمة الى الطبيعية وهي ميل النفس الى لذاتها وشهواتها والشرعية الماخوذة من الكتاب
والسنة والروحانية وهي ميل القلب الى مطالعة الامور الملكوتية العلوية
فاذا استولت عليه وغلبت لديه تصير عشقا فهو المحبة المفرطة ولا يجوز
اطلاقه على الله عند جمهور الائمة وقالت الصوفية محبة العبد هي الميل الدائم بالقلب
الهايم او ايثار المحبوب على جميع المصحوب او محو المحب بصفاته واثبات المحبوب بذاته

او معانقة الطاعة ومباينة المخالفة قال الجنيد قدس سره هي دخول صفات المحبوب
على البدل من صفات المحب كما في الحديث قال السهروردي قدس سره صاحب عوارف المعارف وذلك لان المحبة
اذا صفت وكملت لا تزال تجذب بوصفها الى محبوبها فاذا انتهت الى غايتها
جهدها وقفت والرابطة متأصلة متأكدة وكمال وصف المحبة ازال الموانع من المحب
وبكمال وصف المحبة تجذب صفات المحبوب تعطفا على المحب المخلص من موانع
قادحة في صدق المحبة ونظرا في قصوره بعد استيفاء جهده فيعود بعوايد
اكتساب الصفات من المحبوب فيقول عند ذلك شعر انا من اهوى ومن اهوى انا نحن
روحان حللنا بدنا فاذا ابصرتني ابصرته واذا ابصرته ابصرتنا انتهى
وفي هذا المقام انشد بعض المشايخ الكرام شعر رق الزجاج ورقت الخمر
فتشاكلا وتشابه الامر فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر ذكر الرازي في حقايق
التفسير ان لمحبة المحب ثلاث مراتب محبة العوام التابعين للاعمال المحمدية وهي مطالعة
المنة من رؤية احسان المحسن بالنعمة ومحبة الخواص التابعين لاخلاقه يحبونه اجلالا
واعظاما لكونه اهلا له ومحبة اخص الخواص التابعين لاحواله وهي الناشية من الجذبة
الالهية في كما كنت كنزا مخفيا وحقيقتها ان يفني المحب بسطوتها ويبقى فيه بلا هو
لانها نار لا تبقي ولا تذر ولمحبة المحبوب ثلاث درجات ايضا محبة العوام باختصاصهم بالرحمة
والمغفرة والمثوبة ومحبة الخواص بتجلي صفات الجلال وستر ظلمة صفاتهم بانوار
صفات الكمال ومحبة اخص الخواص باختصاصهم بالجذبات وستر ظلمة وجودهم بانوار
الوجود الحقيقي الذات فيستجلي اولا بنار الجلال فتحرق عن قلوبهم ما كان فيها
من الامال ثم يتجلى بنور الجمال ويمحوهم عنهم ويثبتهم به ويسلب عنهم السمع
والبصر والنطق وايدته بسمع وبصر يليق به فهم بين روضة المحو وغدير
الاثبات احياء غير اموات كما يشير اليه قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى
وهذا في مقام المحب والمحبوب والمحبة واحد كما ان الرائي في المرآة يشاهد ذاته
بذاته وصفاته بصفاته فيكون الرائي والمرئي والرؤية واحدا اي كما يشير اليه

قوله صلى

قوله صلى الله عليه وسلم المؤمن مرآة المؤمن على ان المراد بالمؤمن في الموضعين
هو الله انتهى كلامه فيكون فحوى الحديث ومقتضاه والله اعلم بحقيقة معناه
ان من استعنت به الدرجة المحبوبية ومكنته الرتبة المطلوبية كنت
مستوليا بنور وجهي على قلبه مفيضا بنور سري على صدره فسمعه من نوري
يسمع به وبصره من نوري يبصر به ويده من نوري يبطش بها
ورجله من نوري يمشي بها فيكون قائما بنوري لان مصدر اعماله وهو القلب
الذي هو بيت الرب صار عرشا لنور الله من غاية الظهور ولا يصدر من النور
الا النور ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فهذا العبد هو الذي قام بنور الحق
ذاتا وصفة فني لشهوده وبقي لوجوده لاستعداده بكمال الهداية لسبق العناية
شعر غدينا المحبة يوقالت له الدنيا ايتنا طائعينا هذا وفي رواية فبي يسمع
وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي اي انا الذي اقدرته على هذه الافعال
وخلقتها فيه في جميع الاحوال كما هو معتقد اهل السنة والجماعة خلافا
للمعتزلة من اهل البدعة واما زعم الاتحادية والحلولية بقاء هذا الكلام على ظاهر
المرام وانه سبحانه عين عبده او اجزائه او حال في قلبه واعضائه فخروج عن الاسلام
باجماع علماء الاعلام وعمدة ما تقرر وزبدة ما تحرر ان من اجتهد بالتقرب الى الله
بعمل الفرايض والنوافل ابتغاء لرضاه قربه مولاه ورقاه من درجة الايمان الى مرتبة
الاحسان حتى يعبد الله كانه يراه ويسمع ويبصر وياخذ ويسعى في هواه
وهذا هو الذي يقال في حقه لا يبقى الا الله لانه سبحانه افناه عما سواه
فلا ينطق الا بذكره ولا يتحرك الا بامره فان نطق نطق به وان سمع سمع به
وان نظر نظر به وان بطش بطش به ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله
رب العالمين لا شريك له وفي الحديث من اصبح وهمه غير الله فليس من الله
اي لا حظ له في قربه ومحبته ومقام رضاه وان سألني اعطيته كذا في النسخ
وفي اصل ابن حجر تبعا للفاكهاني ولئن سألني لاعطينه ثم حذف المفعول ليعم السؤال

ولئن استعاذني ضبطوه بالنون وبالباء وكلاهما صحيح ذكره المصنف والاظهر
الباء لقوله تعالى فاستعذ بالله على انها للاستعانة لا للالصاق كما ذكره شارح
فانه هنا غير جائز الاطلاق بخلاف الملابسة فان الالصاق الداء من داء به
واما النون فللوقاية والياء منصوب بنزع الخافض واورد اللام الموطئة للتأكيد
وحذف المستعاذ منه ليعم في مقام التأييد والعوذ الالتجاء اي التجاء
برحمتي وتعلق باعانتي واغاثتي لاعيذنه وفي رواية زيادة وان استنصرني
نصرته والله قادر على ان يعطيه من غير ان يسأله وان يعيذه قبل ان يستعيذه
ولكنه سبحانه متقرب الى اعطاء السائلين واعاذة المستعيذين ولذا ورد
من لم يسأل الله يغضب عليه اي لا بلسان القال ولا بلسان الحال للاشعار بانه
مدع للكمال المستغني عن جمال ذي الجلال والعباد غير مستغن عنه سبحانه
لا في الايجاد ولا في الامداد ومن لطائف الكلام قول بعض الشعراء الكرام الله يغضب
ان تركت سؤاله وبني آدم حين يسأل يغضب ثم في هذا الوعد المحقق المؤكد بقسم
الحق اعلام بان من تقرب الى الله لا يرده اذا دعاه لكن كثير من السلف كان
مستجاب الدعاء ومع ذلك صبروا على البلاء منهم سعد بن ابي وقاص لما عمي
قيل له لو دعوت الله فقال قضاء الله احب من بصري وقيل لابراهيم التيمي وهو في سجن
الحجاج اما تدعو الله فقال اكره ان ادعوه ان يفرج عني ما فيه اجري وصبر
سعيد بن جبير على اذى الحجاج حتى قتله مع انه كان مجاب الدعوة رضي الله عنهم هذا
وفي رواية كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا دعاني فاجبته وسألني فاعطيته
ونصح لي فنصحت له وان من عبادي من لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو افقرته لافسده ذلك
وذكر مثله في الفقر والصحة والسقم ثم قال اني ادبر من عبادي لعلمي بما في قلوبهم اني عليم خبير
وهذا مستفاد من قوله تعالى ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده
خبيرا بصيرا ثم اعلم ان الاستعاذة انما هي لدفع المضار ومعظمها بالنسبة الى الابرار
هي الخواطر فلا بد من معرفتها فان الخاطر ما يرد على القلب في صورة خطاب او تعريف

اوطلب وانواعه اربعة خاطر الحق المسمى بالخاطر الاول وهو علم يقذف في القلب
من بطنان الغيب على اهل القرب ويبقى مطمئنا لا ينفيه شيء ولا يقتضي المهلة
ويعبر عنه بالالهام وخاطر الملك وهو ما يرغب في الطاعات ويحذر عن السيئات
ويلوم عليها بعد الميل اليها وقد لا يطمئن ويطلب المهلة وخاطر الشيطان
وهو ما يدعو الى المناهي والملاهي فيندفع بالاستعاذة والانتهاء وخاطر النفس
وهو حركة في الباطن تنبعث الى تحصيل ملاذها ومرامها من اشياء منكرة يتحقق
ان الله منزه عنها وعن غيرها فيقابل بترك المبالاة واستدامة الذكر وسائر الطاعات
ويفرق بينهما بان الشيطان اذا دعا الى زلة ولم يجب يوسوس باخرى اذ مراده
الاغواء كيفما امكن في ضمن الاشياء بخلاف النفس فانها لا تزال تلح حتى تظفر بمرادها
الا ان يعيذه الله وهذا هو اشهر الخواطر على المريدين وحقيقة الوسوسة فعلها (فعل ساه)
ان الانسان بينما هو ذاهل عن الشيء ذكره النفس والشيطان فيحدث له ميل يترتب عليه
هذا هو المشهور وقد ذكر نجم الكبرا خاطر القلب هو ما سلم من منازعة النفس وينطلق
من قيد الشك وغيره وخاطر العقل وهو ما يكون مع النفس والبدن لاثبات الحجة
على العبد ليستحق به العقاب ومع الملك والروح ليستوجب به الثواب وخاطر الروح
وهو ما ينبعث من همته التي تهم بها الى الحضرات الالهية ليستنزل بها الالهامات من بحار
الربانية وخاطر السر وهو ما ينشأ من ميلانه الى معرفة الصفات التي يستنزل المعارف
الاسماء والذات وخاطر اليقين وهو روح الايمان مزيد العلم والاتقان وخاطر الشيخ
للمريد يرد عليه على قدر العلقة المعنوية وخاطر النبي للاتباع على قدر
الاتباع والخاطر من الموقن على قدر صفاء الباطن وتالف الروحين والخاطر من قلوب
الاخوان على قدر خلوص الصحبة انتهى ولا يخفى اندراجها تحت الخواطر الاربعة
بل رجوع تلك الخواطر باسرها الى اللمتين المذكورتين في الحديث كما حققه الشيخ
العارف صاحب العوارف والمعارف قدس سره بل لا يبعد ان يقال الاصل
في الخواطر جميعها الخاطر الحقاني والالهام الرباني لقوله تعالى ونفس وما سواها

فالهمها فجورها وتقويها من ثمة قيل التوحيد اسقاط الاضافات فيعني في سلسلة
اسباب المسببات ولما كان هذا التحقيق من غوامض العلوم وادراك عوايد فوايد من دقايق
الفهوم بسطنا الكلام في ذلك واوردناه ههنا والله الهادي الى سواء المسالك
رواه البخاري لكن بزيادة بعد لا عينه وهو قوله وما ترددت عن شيء انا فاعله
ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وانا اكره مسائته قال ابن الصلاح وليس المراد بالتردد
هنا حقيقته المعروفة في حقنا بل انه يفعل به كفعل المتردد الكاره اي المحتجبة له
يكره مسائته بالموت لانه اعظم الالم في الدنيا الا على قليل من اهل العشق والمشتاقين الى قرب المولى
وانه لابد منه كما في رواية وذلك لما سبق من مختوم قضائه وقدره حيث
قال كل نفس ذائقة الموت فسبحان من قهر العباد بما اراد وهذا بالنسبة الى من يوجد
عنده الكراهة الطبيعية كما تقتضيه الحالة البشرية والا ففي الحديث
من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه كما رواه احمد
والشيخان والترمذي والنسائي عن عائشة وعن عبادة رضي الله عنهما التاسع والثلاثون
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تجاوز لي
اي عفا وتفاعل بمعنى فعل ولعل معنى المجاوزة ان الله سبحانه يطالب المذنب بالذنب
والمذنب يطالب الرب بالعفو اي يتمسك عند الخوف من عذابه برحمته
فاذا غفر الرب فقد تجاوز عن المطالبة لي اي لاجلي وتعظيم امري ورفعة
قدري وحصول مرضي صادر عن امتي اي امة الاجابة قال الكواشي في تفسيره
كان بنو اسرائيل اذا نسوا شيئا مما امروا به او اخطأوا عجلت لهم العقوبة الخطأ اي اثمه
وقد تبعه ابن حجر حيث فسر اولا قوله تجاوز بمعنى ترك وثانيا حين قال
هنا يحتمل عن حكمه او عن اثمه او عنهما جميعا وهذا هو الاشبه اذ لا مرجح لا
بقي الحديث على تناولهما وتخصيصه بالثاني يحتاج لدليل انتهى ولا يخفى ان حكم
الخطأ اعم من اثم فعله وما يترتب عليه من تداركه فرفع الاثم مستفاد من هذا
الحديث كما ان تداركه ماخوذ من قوله تعالى ومن قتل مؤمنا خطأ اذ المراد بالخطأ

هنا ضد

هنا ضد العمد وهو ان يقصد بفعله شيئا فيصادف غير ما قصد
لا ضد الصواب خلافا لمن زعمه في هذا الباب بناء على ان تعمد المعصية
قد يسمى خطأ ثم الخطأ بفتحتين مقصورا هو الاشهر ويجوز مده مع فتح
الخاء وكسرها وكسر الخاء وسكون الطاء وكذا ضم الخاء وسكون الطاء وبهذه
الوجوه كلها قرئ قوله تعالى انه كان خطأ كبيرا ولعل الخطأ بفتحتين هو المراد
هنا بدليل الاية الاولى واما بقية الوجوه فمختصة بتعمد المعصية الا الخطأ بالفتح
ممدودا فانه يناسب ان يكون ضد الصواب والحاصل ان من اتى بشيء من المعاصي
او اخل ببعض الفرائض خطأ لا يتعلق به ذم في الدنيا ولا مؤاخذة ولهذا لو قتل انسانا
خطأ بان لم يقصد الفعل كان سقط على صبي فمات او قصد الفعل دون الشخص
كما اذا رمى الى صيد فاصاب انسانا لم يقتص منه اما من اراد ما يحسن فعله
ولكن يقع منه خلاف مراده فهو ممن اجتهد فاخطأ فله اجر واما من اراد
ما لا يحسن فعله ويتفق منه خلافه فهو مخطئ ارادة مصيب فعله فهو مذموم في قصده
غير محمود بفعله وفي رواية ان الله تجاوز عن امتي عن الخطاء قال ابن حجر وهي اظهر
اذ لا يحتاج فيها الى تضمين تجاوز لغيره بخلاف الاولى كما تقرر انتهى وفيه ان تجاوز
لم يتعد بعن مرتين فيحتاج هنا ان يقال الى ابدال الثاني عن الاول فيكون المعنى
عن خطاء امتي والتضمين كثير في كلام الفصحاء ومرام البلغاء على انه ح ايضا
يحتاج الى تقدير مضافين اي تجاوز عن اثم خطاء امتي بخلاف ما قررنا حيث قلنا
تجاوز بمعنى عفا فالخطأ مفعول بلا واسطة وعن امتي بالواسطة والنسيان
ضد الذكر بالكسر والذكر بالضم بمعنى التذكر اي اثم ما صدر عنهم من اقتراف ذنب
او افتراق طاعة نسيانا ولهذا لو اكل الصائم او شرب ناسيا فلا افطار ولا كفارة
بخلاف في الصلوة فان لها هيئة مذكرة قيل اذا كان اثم الخطأ والنسيان متجاوزا
عن هذه الامة المرحومة فما الحكم في الدعاء بقوله ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا
او اخطأنا واجيب بان هذا تلذذ واعتراف بالنعماء بما رفع عنهم من البلاء

وباب النسيان منه ما يعذر صاحبه ومنه ما لا يعذر كما اذا ترك التحفظ
واعرض عن اسباب التذكر كمن رأى نجاسة في ثوبه واخر الازالة وصلى عنه مقصرا
ويجب القضاء وكذا اذا تغافل عن تعاهد القرآن حتى نسي فذكر الخطأ والنسيان
واراد ما هو المسبب عنهما وقيل المعنى ان نسينا المأمور به او اخطأنا في المنهي
وقد اجاب الله دعاءهم بدليل ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه سبحانه قال بعد كل دعاء
فعلت او نعم والله اعلم وغايته ان يكون الحديث متاخرا عن الكلام القديم
وما استكرهوا عليه بصيغة المفعول اي واثم ذنب صدر عنهم بالاكراه والاجبار
فلا يكفر من اكره على الردة فتلفظ بها مطمئنا بالايمان قلبه والحديث مخصوص بغير
القتل والزنى واللواطة وشهادة الزور والحكم بالباطل اكراها ونحو ذلك
وفروع هذا الاصل وشروطه مذكورة في كتب المذهب من الامور المتفق عليها والمختلف فيها
ولعل معناه بلسان العارفين وارباب الاشارة هو ان الله لا يغار امتي ان اخطأت
طريق طلب الله او في العمل لما سواه من خوف عقوبة او رجاء مثوبة او نسيت عهد الله
الذي عاهدهم ان يحبوه ولا يحبوا غيره لانهم غرباء بعدما طالت العهد بهم
مسافرين عنه محتجبين بانواع البلاء عن قربهم لكن سيعودون الى الفطرة الاصلية
والمحبة الازلية لانه حين لم يكن شيئا مذكورا بل لم يكن في الكتاب مسطورا وقد نطق
الحق بمحبتهم اولا ورقمها في اللوح ثانيا وانزل عليهم يحبهم ويحبونه ثالثا
ولله در من قال شعرا نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل في الارض يألفه الفتى وحنينه ابدا لاول منزل حديث حسن اي اسناده
رواه ابن ماجة لكن عن ابي ذر كما صرح به في الجامع الصغير ورواه الطبراني في الكبير
والحاكم في مستدركه عن ابن عباس والبيهقي وغيرهما كابن حبان في صحيحه
والدارقطني باسناد صحيح وقد قال الحاكم صحيح على شرطهما وما يضره الاعلال بالارسال
وانما اختار المصنف كونه حسنا مع تصريح جمع بالتصحيح لما حكى البيهقي عن محمد بن نصر المروزي
انه قال ليس لهذا الحديث اسناد يحتج به فالاحوط ان يقال انه حسن لذاته صحيح لغيره

الاربعون عن ابن عمر رضي الله عنهما قال اخذ رسول الله صلى الله عليه
وسلم بمنكبي بفتح الميم وكسر الكاف مجمع العضد والكتف ويروى بالتثنية قيل وهي
الرواية وبالافراد وذلك ليتوجه توجها بليغا فيما يملي عليه ويتمكن في ذهنه
ما يلقي اليه وفيه ايماء الى ان الراوي له منزلة عظيمة لديه فقال كن في الدنيا
كانك غريب اي لا تركن اليها ولا تتخذها وطنا ولا تحدث نفسك بطول البقاء فيها
ولا بالاعتناء بها ولا تتعلق منها بما لا يتعلق الغريب في غير وطنه ولا تشتغل
فيها بما لا يشتغل به الغريب الذي يريد الذهاب الى اهله كذا قاله المصنف
وذلك لان الدنيا دار مرور وجسر عبور كما قال عيسى عليه الصلوة والسلام
الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها فينبغي للمؤمن ان ينتظر الانتقال عنها
ساعة فساعة من الاحوال متهيئا لاسباب الارتحال بتدارك الاعمال ورد المظالم وطلب
الاستحلال مشتاقا الى الوطن الحقيقي حين كان في صلب آدم عليه السلام ثم نقل منها
الى دار الغربة والالم بالاقبال على مداومة طاعة ذي الجلال والجمال على وجه الكمال
قانعا في سفره ببلغة من لقمة وسترة من خرقة صابرا على ما فيها من الاكدار فانها
بئس القرار وانما العيش عيش الاخرة كما في الاخبار ثم ترقى عن المقام الاول بلفظ او
التي بمعنى بل وقال او عابر سبيل اي بل كأنك عابر سبيل لانه قد يسكن الغريب
في غير وطنه ويستأنس به وباهله فلله در طائفة رفضوا الدنيا واعتزلوا
عن الناس وتجردوا عما هم عليه من الاثقال والالباس بل صاروا حفاة عراة
حاسري الرأس وفي الحقيقة هم العقلاء والاكياس الخارج فضلهم عن الحد
والعد ومقياس القياس شعر ان لله عبادا فطنا طلقوا الدنيا وخافوا
الفتنا نظروا فيها فلما عرفوا انها ليست لحي وطنا جعلوها لجة واتخذوا
صالح الاعمال فيها سفنا هذا وزيد في بعض طرق الحديث وعد نفسك في اصحاب القبور
وفي رواية الترمذي وعد نفسك من اهل القبور اي وتنبه من نوم الغفلة
وسكر الغرور وتب الى الله واستعد لزاد يوم الحشر والنشور وهذا معنى ما ورد

موتوا قبل ان تموتوا وكان ابن عمر يقول اذا امسيت اي دخلت في وقت المساء
وهو اول الليل فلا تنتظر الصباح واذا اصبحت اي دخلت في وقت الصباح
وهو اول وقت النهار فلا تنتظر المساء وفي هذا حث على قصر الامل لانه سبب
المبادرة الى العمل والمنجي من آفات الكسل فانه من طال امله ساء عمله فالواجب
ان يجعل نصب عينه اجله فان هذا سبب للزهد في الدنيا والاقبال على العقبى
ولذا قيل من جعل الموت نصب عينه لم يبال بضيق الدنيا ولا بسعتها المضرة في العقبى
وقد ورد في الصحيحين وغيرهما لا يزال قلب ابن آدم شابا في اثنين حب الدنيا
وطول الامل وعن ابي زكريا اليمني قال بينما سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام
اذ اتي بحجر منقور فطلب من يقرؤه فاذا فيه يا ابن آدم لو رأيت قرب ما بقي من اجلك
لزهدت في طول املك ولرغبت في الزيادة من صالح عملك ولقصرت
من حرصك وجهلك فاعمل اليوم القيامة يوم الحسرة والندامة ذكره ابن الجوزي في منهاجه
وقد قال تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون وقال ابن عمر رآني رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانا اصلح خصا فقال ما هذا قال خص لنا نصلحه فقال ما ارى
الامر الا اقرب من ذلك ذكره الترمذي وقيل لبعضهم الا تغسل قميصك قال
الامر اعجل من ذلك وعن محمد بن ابي توبة قال اقام معروف الصلوة ثم قال لي تقدم
فقلت اني ان صليت بكم هذه الصلوة لم اصل بكم غيرها فقال معروف وانت تحدث نفسك
ان تصلي صلوة اخرى نعوذ بالله من طول الامل فانه يمنع خير العمل وروي عن ابي سعيد الخدري
انه قال اشترى اسامة بن زيد وليدة بمائة دينار الى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الا تعجبون من اسامة المشتري الى شهر ان اسامة لطويل الامل والذي نفسي بيده ما طرفت عيني
الا ظننت ان شفري لا ينطبقان حتى يقبض روحي ولا طعمت لقمة الا ظننت
اني لا اسيغها حتى اغص بها من الموت والذي نفسي بيده انما توعدون لآت وما انتم بمعجزين
وعن ابن عباس رض قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتيمم بالتراب فاقول يا رسول الله
ان الماء قريب منك فيقول ما ادري لعلي لا ابلغه ذكره الحارث بن اسامة وروي مرفوعا

نجا اول هذه الامة باليقين والزهد وهلك آخرها بالبخل والامل لان من قصر امله
زهد في دنياه ومن طال امله طمع ورغب في هواه وترك الطاعة وتكاسل عن التوبة
وقسا قلبه لنسيانه الآخرة وعن علي كرم الله وجهه ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت
الآخرة مقبلة ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا
فان اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل وكان الحسن يقول عجبا لقوم امروا باخذ الزاد
ونودوا فيهم بالرحيل الى المعاد وحبس اولهم في انتظار آخرهم وهم قعود يلعبون
ما يخطر هذا في خاطرهم ووقع في اصل ابن حجر الى الصباح والى المساء بزيادة الى في الموضعين
وهو مخالف للنسخ المعتبرة والشروح المشتهرة وقد ابعد في تقدير المعنى حيث قال
اي اذا امسيت فلا تنتظر باعمال الليل الى الصباح واذا اصبحت فلا تنتظر باعمال
النهار الى المساء انتهى ووجه استبعاده لا يخفى على الفضلاء النبلاء وخذ من صحتك
لمرضك والمعنى اغتنم ايام الصحة والعافية لاقتناء الاعمال الصالحة الباقية
قبل ان تمرض فتعجز عنها وتندم على ما فاتك منها وكذا الكلام في قوله ومن حياتك
لموتك زاد الغزالي في اربعينه فانك يا عبد الله لا تدري ما اسمك غدا اي ما سمتك
ووصفك عند الله هل انت من الابرار او من الفجار والمعنى خذ من ايام حياتك
ما تلقى نفعه من طاعتك بعد مماتك واياك والتسويف المانع فان الوقت
هو السيف القاطع وقد انشد لعلي كرم الله وجهه في هذا المعنى قريب المبنى شعر
اذا هبت رياحك فاغتنمها فان لكل خافقة سكون ولا تغفل عن الاحسان فيها
فما تدري السكون متى يكون اذا ظفرت يداك فلا تقصر فان الدهر عادته يخون
ثم الموت احد الاسباب الموصلة الى النعيم السرمد كما ورد انكم خلقتم للابد ولكن
تنقلون من دار الى دار فهو وان كان في الظاهر فناء لكنه في الحقيقة بقاء وولادة
ثانية ونتيجة باقية كالنوى المزروع لا يصير نخلا الا بعد فساد جثتها
ولذا امتن الله علينا بالموت فقال الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم
وقال الذي خلق الموت والحيوة وقدمه لكونه ذريعة الى الحيوة الحقيقية كما قال

وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون
وفي الحديث الموت تحفة المؤمن ثم الروح لا تنحل بتحت سكرات الموت بل ينفصل وينقطع
علاقته عنه اولا لقوله تعالى ارجعي الى ربك راضية مرضية يعني واما ساخطة مسخوطة
ثم يتعلق حين دفن كما تعلق به بارادته سبحانه كما يشير اليه قوله فادخلي في عبادي
ويتوجه عليه سؤال الملكين ويرد عليه عذاب القبر وثوابه ويبقى له العلاقة
باللذة والتألم بحسب اختلاف ما اكتسبا به ثم ترتقي روح المؤمن الى الدرجة العليا
وتصل الى السعادة الكبرى واما التي تذوق الموت فهي النفس الحيوانية الانسانية
كما قال تعالى كل نفس ذائقة الموت اذا خرج منه الروح تنهدم اركانها وينعدم شأنها
لكن العارفون الذين صفت اجسادهم وتجانست ارواحهم لا يتطرق اليه البلاء
كما في الانبياء والشهداء والاولياء من اهل البلاء بل تجذب بها الى حضرات اللاهوت
وتطير في عالم الملكوت فافهم هذه الاسرار التي نطقت بها الاخبار
وشاهدها البصائر الثاقبة الاخيار وقد ورد معنى هذه الوصية عنه
صلى الله عليه وسلم من عدة طرق منها خبر الحاكم انه صلى الله عليه وسلم قال لرجل
وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك
وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك وما احسن
من قال من ذوي الاحوال وما هذه الايام الا معارة فما استطعت من معروفها
فتزود فانك لا تدري باية بلدة تموت ولا ما يحدث الدهر في غد
رواه البخاري هذا بظاهره يشعر بان الحديث المرفوع والموقوف كلاهما رواه البخاري
وفي الجامع الصغير للسيوطي ما ينافيه فانه قال كن في الدنيا كانك غريب او عابر سبيل
رواه البخاري عن ابن عمر وزاد احمد والترمذي وابن ماجه وعد نفسك من اهل القبور
فالمتبادر منه ان الموقوف عن ابن عمر ليس مذكورا في البخاري نعم روى هذا
الموقوف مرفوعا ايضا فرواه البيهقي عن ابن عمر قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
ببعض جسدي فقال كن في الدنيا كانك غريب او عابر سبيل وعد نفسك من اصحاب القبور

وقال لي يا ابن عمر

وقال لي يا ابن عمر اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا امسيت
فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من صحتك قبل سقمك ومن حياتك قبل موتك
فانك لا تدري يا عبد الله ما اسمك غدا والحاصل ان هذا الحديث فذلكة الاحاديث السابقة
ونتيجة الاعمال الصالحة والاحوال الصادقة ولهذا ختم به عدد الاربعين
كما ختم باسلام عمر رضي الله عنه حيث نزل فيه يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين
الحديث الاربعون عن ابي محمد عبد الله بن عمرو بالواو رضي الله عنهما ابن العاص
بلا ياء هو الصحيح لانه اجوف لا ناقص كما حققه صاحب القاموس حيث قال
الاعياص من قريش اولاد بني امية ابن عبد الشمس الاكبر وهم العاص وابو العاص
والعيص وابو العيص واما ما في بعض النسخ كما في اصل ابن حجر العاصي بالياء فهو مبني
على توهم انه اسم فاعل من العصيان وانه يجوز اثبات الياء وحذفها كما هو مقرر في محله
نعم العاصي هو الكافر العاصي واما من ذكر قبله فهما صحابيان فينبغي ان يقال
رضي الله عنهما الا انه قبل ابن العاص كما اشرنا اليه لا بعد كما فعله ابن حجر
فانه يتوهم منه ان الاخيرين صحابيان وعبد الله تابعي فتدبر فانه اسلم قبل ابيه
وكان اكبر منه باحدى او اثنتي او ثلاث عشر سنة عابدا عالما زاهدا اكثر الناس
اخذا للحديث قال ابو هريرة ما كان احد اكثر مني حديثا الا عبد الله بن عمرو فانه كان يكتب
ولا اكتب سكن مكة ثم رحل الى الشام وعاد اليها وتوفي بها وقيل بالطائف وقيل بالشام
وقيل بمصر وهو ابن ثنتين وسبعين ومروياته سبعمائة حديث وروايته اكثر من ذلك
لما تقدم وانما توعرت الطرق في الرواية عنه فكان ذلك سببا لقلة ما صح عنه يقال انه
حفظ عنه صلى الله عليه وسلم الف مثل وقد عمي في آخر عمره وهو احد العبادلة الاربعة
وكان النبي صلى الله عليه وسلم يفضله على ابيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يؤمن احدكم اي ايمانا كاملا حتى يكون هواه بالقصر اي ميل قلبه وطبع نفسه
تبعا اي تابعا لما جئت به شرعا جامعا مانعا والمعنى لا يكمل ايمان احدكم حتى يكون
موافقته للشريعة مثل موافقته لما الفه من غير الكلفة ويجوز ان يحمل على نفي اصل الايمان

اى حتى يكون تابعاً للشرع اعتقاداً كالمخلصين لا خوفاً واكراهاً
كالمنافقين ويوافق هذا الحديث خبر لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه
من نفسه وولده واهله والناس اجمعين رواه الشيخان ولما صدقت
محبة الصحابة له صلى الله عليه وسلم وكان هواهم تبعاً لما جاء به قاتلوا معه اباءهم
وابناءهم وبذلوا فى طريق محبته مهجهم وانفقوا اموالهم وطوبى لهم ثم طوبى لهم فمن كان
وهو البطال المطاع والمجنون الاتباع تابعاً لطريق الهوى من الملة البيضاء والسنة
الزهراء حتى تصير همومه المختلفة وخواطره المتفرقة التى تنبعث من هوى النفس
وميل الطبع هماً واحداً يتعلق بامر ربه واتباع شرعه تعظيماً لحقه وشفقة على خلقه
كما قال شعر كانت لقلبى اهواء مفرقة فاستجمعت اذ رأتك العين اهوائى
وصار يحسدنى من كنت احسده وصرت مولى الورى اذ صرت مولائى
تركت للخلق دنياهم ودينهم شغلاً بحبك يا دينى ودنيائى فلا يميل الا بامر الشرع
ولا يهوى الا حكم الطبع فهو المؤمن الكامل الموحد الذى يقبل منه التوحيد ومن اعرض عنه
متبعاً لهواه مبتغياً لرضاه فهو الكافر الخاسر فى دنياه وعقباه ومن اتبع اصول الشريعة
دون فروعها فهو الفاسق ومن عكس فهو المنافق والهوى مصدر هواه احبه
وشرعاً ميل النفس الى مشتهيات الطبع دون مقتضيات الشرع فان قلت
ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم نور وضياء سمى بالشريعة والهوى ظلمة فى النفس
منبعثة من الطبيعة فكيف يصير الهوى الظلمانى تبعاً للدين النورانى مع ان علة
الانضمام الكلية هى الجنسية فالجواب ان النفس لطيفة فى الجسد تولدت من ازدواج
الروح والبدن واتصالهما والروح لطيف روحانى والجسد كثيف ظلمانى والنفس
متوسطة بينهما تقبل اللطافة الروحانية والكثافة الجسمانية وهذا هو
التسوية التى قال تعالى ونفس وما سويها فاستقا الروح الروحانى فى الروح
النفس بمثابة النور فى الحدقة فصارت بها النفس قابلة للخير والشر والفجور
والتقوى كما قال تعالى فالهمها فجورها وتقويها فاذا غلب الامر بالتقوى صارت

مزكاة عن كدرات

مزكاة عن كدورات الدنيا متوجهة الى الدين قابلة لليقين مائلة الى العقبى
شائقة الى المولى واذا غلب الامر بالفجور صارت تابعة للهوى سالكة مسالك
الردى كما قال تعالى قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها وما احسن قول
بعض ذوى العرفان نون الهوان من الهوى مسروقة فصريع كل هوى صريع
هوان قال الراغب مثل النفس فى البدن كمجاهد بعث الى ثغر ليراعى احوالها
وعقله خليفة مولاه لديه ضم اليه ليرشده ويشهد له وعليه وبدنه
بمنزلة مركوبه وهو سايس خبيث ضم اليه ليتفقد مركوبه والقرآن بمنزلة
كتاب اتاه من مولاه تبياناً لكل شىء ورحمة والنبى رسول اتاه بالكتاب
لتبين للناس ما نزل اليهم واشكل عليهم فان جاهد اعداءه وقهرهم
واستعان بالعقل فى امرهم حمد اثره اذا عاد الى حضرته وهو من المفلحين
ومن ضيع ثغره واهمل رعيته وصرف همته الى مركوبه واقام سايس المركب
مقام خليفة ربه فهو فى الاخرة من الخاسرين ثم اعلم روى عن ابن عباس قال
الهوى اله يعبد فى الارض ثم تلا ارأيت من اتخذ الهه هواه وقال تعالى
واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى الماوى وفى الحديث
المجاهد من جاهد نفسه والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله تعالى
وجاء مرفوعاً ما تحت ظل السماء اله يعبد اعظم عند الله من هوى متبع اخرجه الخرائطى
وكذا روى عن اسماء بنت عميس مرفوعاً بئس العبد عبد هوى يضله وبئس العبد
عبد طمع يقوده فالهوى هو البلية العظمى فانها متبع شهوات الدنيا حديث صحيح
الاسناد رويناه بصيغة الفاعل والمفعول فى كتاب الحجة اى فى اتباع
المحجة فى عقيدة اهل السنة للحافظ ابى القاسم اسمعيل بن محمد بن الفضل الاصفهانى
وقيل هو ابو الفتح نصر بن ابراهيم المقدسى الشافعى الفقيه الزاهد نزيل دمشق
باسناد صحيح رواه محيى السنة فى المصابيح وشرح السنة وقد اخرجه
ابو نعيم ايضاً فى كتابه الاربعين التى شرط فى اولها ان تكون من صحاح الاخبار

وجياد الآثار مما اجمع الناقلون على عدالة ناقلة ورواه الطبراني ايضا وكذا الحافظ ابو بكر بن ابي عاصم الاصبهاني الثاني والاربعون عن انس بن مالك رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى يا ابن آدم افعل مشتق من اديم الارض وقيل اعجمي لا اشتقاق له ويؤيد الاول حديث مرفوع خلق آدم من اديم الارض كلها فخرجت ذريته على نحو ذلك منهم الابيض والاسود والاحمر والسهل والحزن والطيب والخبيث والمراد هو وذريته كانه قال ايها الجنس ليدخل ابو الانس فيه دخولا اوليا ثم في هذا النداء نكتة للعرفاء وهي اقوى المراتب الاسم واضعفها الحرف فظن قوم انه لا يأتلف الاسم بالحرف فكذا اقوى الموجودات هو الحق سبحانه وتعالى وخلق الانسان ضعيفا فقالت الملائكة ما للتراب ورب الارباب فقيل لهم قد يأتلف الاسم مع الحرف في حال النداء فكذا البشر يصلح لحضرة رب الارباب حال التضرع والنداء حيث قال ادعوني استجب لكم انك ما دعوتني اي ما دمت تسألني مغفرة ذنوبك وغيرها او تعبدني بالطاعات الدعوات ونحوها فان الدعاء مخ العبادة ورجوتني اي ورجوت مغفرتي وطمعت في رحمتي او خفت من عقوبتي وخشيت من عظمتي اذ الرجاء بمعنى الخوف ايضا جاء وما زمانية ظرف قوله غفرت لك اي سترت عيوبك ومحوت ذنوبك على ما كان منك اي ما وقع منك من الذنوب الكبيرة الصغيرة والكبيرة ولا ابالي اي لا يعظم على كثرتها فان جرائم العباد واثام اهل العناد في جنب عظمة الرب كذرة صغيرة بل اقل منها كالهباء فالحديث تحريض على الدعاء وتحسين الرجاء اما الدعاء فحقيقته استدعاء العبد ربه واستمداده منه والمعونة في حقه وله شرايط وآداب تقدم الاشارة اليها في اثناء الكتاب فان قيل ثبت القلم بما هو كائن فالدعاء لا يزيد ولا ينقص في هذا الباب وايضا المطلوب ان كان من مصالح العبد فالجواد المطلق لا يبخل به سواء سأله او لم يسأله وان لم يكن منها لم يجز طلبه

ولان الرضاء بالقضاء باب الله الاعظم والاشتغال بالدعاء ينافي هذا المقام الافخم فالجواب ان الدعاء من سنن المرسلين ومن شعائر المسلمين ودأب العرفاء الصديقين والقرآن والحديث ناطق بصحته بل مؤذن بوجوب سؤال الله ودعوته والسبب العقلي فيه ان كيفية علم الله وقضائه تعالى غائبة عن عقول عباده والحكمة الالهية تقتضي ان يكون العبد بين الخوف والرجاء اللذين بهما تتم العبودية وبهذا الطريق صح القول بالتكاليف الشرعية مع الاعتراف باحاطة علم الله وجريان قدرته في كل ما قضاه ثم قوله صلى الله عليه وسلم فكل ميسر لما خلق له في جواب قولهم ففيم العمل معناه انه كتب مقعد كل احد من الجنة او النار ويسر عليه او يشير اليه فانه تعالى رهبهم بسابق القدر في الازل ثم رغبهم في القيام بالعمل ليعلم ان الوسائط والروابط معتبرة في جميع امور هذا العالم والله سبحانه وتعالى اعلم واما الرجاء فهو ان تأتي بحسنة ترجو ثوابها او سيئة ثم تتوب عنها فترجو مغفرتها واما الرجل الفاسق المتمادي المتواني القائل ارجو المغفرة فهذا من اكاذيب الاماني قال شاه الكرماني علامة الرجاء حسن الطاعة ويؤيده قوله تعالى ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله وقوله سبحانه وتعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين وقيل الرجاء رؤية الجلال بعين الجمال او قرب القلب من لطف الرب او سرور الفؤاد بحسن الميعاد شعر اذا كثرت منك الذنوب فداوها برفع يد في الليل والليل مظلم ولا تقنطن من رحمة الله انما قنوطك منها من خطاياك اعظم فرحمته للمحسنين كرامة ورحمته للمسرفين تكرم واما الخوف فهو عبارة عن الم القلب بسبب توقع مكروه في الغيب وسببه التفكر في تفاصيل انواع العذاب المتوعد به على الفاجر وهو نصيب اهل الظاهر او معرفة الجلال والكبرياء وهو وظيفة الانبياء والاولياء والثاني لا يزول ومن كان خوفه في الدنيا اكثر امنه في العقبى اظهر وبالعكس فتدبر ويروى انه تعالى

ينادى يوم القيامة وعزتى وجلالى لا اجمع على عبدى خوفين ولا امنين فمن امننى
فى الدنيا خوفته يوم القيامة ومن خافنى فى الدنيا آمنته يوم القيامة **يا ابن آدم**
لو بلغت ذنوبك اى وصلت من كثرة كميتها او من عظمة كيفيتها **عنان**
السماء بفتح العين المهملة قيل هو السحاب وقيل ما عن لك منها اى ظهر اذا رفعت
راسك اليها ذكره المص قال التور بشتى العنان السحاب واضافته الى السماء غير فصيحة
وارى الصواب اعنان السماء اى صفايحها واقطارها كانها جمع عنن فلعل
الهمزة سقطت من بعض الرواة او ورود العنان بمعنى العنن انتهى ولا يخفى
ان الاضافة تصح بادنى ملابسة فلا ينبغى تخطئة جميع الرواة نعم لو ورد
رواية عن بعضهم لربما حكمنا بان الصواب معهم مع ما فيه من الفائدة المشعرة بان
منطبق آحاد افاق السماء لا فى افق واحد لانهم يطلقون على كل افق سماء
كما يطلقون على كل طبقة سماء فتفيد المبالغة فى كثرة الذنوب بحيث لو كانت
اجساما لملأت ما بين السماء والارض كما جاء فى رواية لو اخطأتم حتى بلغت
خطاياكم ما بين السماء والارض ثم استغفرتم الله لغفر لكم **ثم استغفرتنى**
اى تبت توبة صحيحة بان ندمت على المعصية من حيث كونها معصية
واقلعت لله عنها وعزمت ان لا تعود اليها وتداركت ما يمكن من قضاء الطاعة
التى فوتها ورد المظالم الى اهلها واستحلالهم فيها **غفرت لك** وان تكررت
المعصية والتوبة ففى الحديث ما اصر من استغفر وان عاد فى اليوم سبعين مرة
رواه ابو داود والترمذى واما الاستغفار مع الاصرار على الذنوب الكبار
فتوبة الكذابين الفجار وقد اخرج ابن ابى الدنيا حديث المستغفر من الذنب
وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه ولذا قال اصحاب ابى حنيفة ان من قال استغفر الله
واتوب اليه وهو مصر بقلبه على المعصية كاذب آثم لانه اخبر انه تائب وليس حاله
كذلك وقد قال طائفة من السلف انه يكره له ذلك والظاهر ان هذا بالنسبة الى قوله
اتوب اليه واما بالنسبة الى قوله استغفر الله فلا اذ لا يلزم منه كذب

فان الاستغفار

فان الاستغفار من جملة الادعية والاذكار مفيد ولو مع الاصرار بتخفيف الكبائر
وتكفير الصغاير هذا وفى كلام بعض العارفين ان التوبة هى الرجوع عن مخالفة
حكم الحق الى موافقته فلا بد من معرفة الذنب حتى يرجع منه بندم القلب وكثرة الاستغفار
وكف الجوارح عن الاوزار ومن رام حقايق توبة الواصلين فعليه بكتاب منازل السائرين
يا ابن آدم انك لو اتيتنى بقراب الارض اى بمثلها كما قال بعضهم وقال المص هو
بضم القاف وكسرها الغتان روى بهما والضم اشهر ومعناه ما يقارب ملئها ثم قوله
خطايا تمييز عن الذات المقدرة فى الاضافة نحو ملئها عسلا او حال على ان ما قبله
مفعول به والباء للتعدية **ثم لقيتنى** اى حال كونك ميتا بوصف الايمان والاحسان
فثم للمهلة لا للتراخى فى الاخبار كما اختاره بعض الشراح **لا تشرك بى شيئا**
لفظة بى بذاتى وصفاتى وافعالى او شيئا بعبادتى من النفس والشيطان والخلق اذ الشرك قسمان جلى وخفى
والاول غير مغفور والثانى يحبط العمل ويعاقب عليه والجملة حال **لاتيتك بقرابها مغفرة**
وهى ازالة العقاب وايصال الثواب ونكرها ليفيد المغفرة العظيمة وعبر بقرابها
للمشاكلة والا فمغفرته سبحانه غير متناهية وقد ورد اللهم مغفرتك
اوسع من ذنبى ورحمتك ارجى عندى من عملى واعلم ان عباد الله الذاهبين اليه
المقبلين عليه قسمان الواقفون والسالكون والمراد بالواقف من وقف فى عالم الصورة
والمبنى ولم يفتح له باب فى الحقيقة والمعنى كالفرخ المحبوس فى قشر البيضة الخليقة
فيكون شربه من عالم المعاملات البدنية ولا سبيل له الى عالم القلب ومعاملات
معاملات الرب فهو محبوس فى سجن الابدان وعليه موكلان يكتبان من اعماله الظاهرة
او الملهمة اليهما والمنكشفة عليهما فاذا لقى الله العلى بريئا من الشرك الجلى
يغفر الله له مساويه ويشكر له مساعيه واما السالك فلا يقف فى محل ولا ينزل فى منزل
يسافر من عالم المبنى الى عالم المعنى ومن مضيق الاشباح الى متسع الارواح وهم صنفان
سيار وطيار فالسيار من يسير بقدمى الشرع والعقل على جادة الطريقة
وخطاياه ما تحجبه عن المولى من مراتب الدنيا والاخرى ورؤية غير الله والتعلق بما سواه

ثم ان اكبر الكبائر اثبات وجود غير الله ذاتا او صفة او فعلا حتى وجوده
اصلا كما قيل شعر وجودك ذنب لا يقاس به ذنب وهو الشرك عندهم كما قال
العارف ابن الفارض قدس سره شعر ولو خطرت لي في سواك ارادة على خاطري
سهوا حكمت بردتي فاذا تخلص من ذلك العصيان تلقاه ربه بالغفران باستتار
بشواهد هويته ذنوب وجود الاغيار ويرحمه برفع البينونة والاستار
والطيار عاشق مفقود القلب مجذوب السر يطير بجناحي العشق وهمة الذوق
والشوق في فضاء الحقيقة وفي رجاء خلخلة الشريعة وهو المتعين لحمل اعباء
الامانة التي لم يوجد في السماء والارض امين يؤتمن لتحملها معا فلما عرضت عليه
نظر اليها وعشقها وصار فراش تلك الشمعة تدور حولها حتى حملها فنسب
في البداية الى الفساد وسفك الدماء ولقب في النهاية بالظلوم والجهول
فان قلت من ابى ولم يطع في حمل الامانة نسب الى المكانة من الطاعة والامانة ومن اطاعه
واتى نسب الى الظلم والجهل والخيانة فما الحكمة في ذلك قلت ان الذلة والمسكنة
وقعت في جانب العاشق كما ان العزة والعظمة وقعت في طرف المعشوق بل جمال
عزة المعشوق لا يظهر الا في مرآة ذلة العاشق وايضا كمال عزة الامانة يلزم
كمال ذل المؤتمن في اصلاح كتمان امر الامانة وقد يخص غيره بحسن الثناء عليه
لتكون عزته في الظاهر وذلته في السر يدلك على حقيقة هذه الدقيقة خطاب
اسجدوا لآدم وعتابا اني اعلم ما لا تعلمون رواه الترمذي وقال اي هذا كما في نسخة
حديث حسن صحيح وفي نسخة حسن وفي اخرى حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه
والمعنى انه غريب اسنادا لا متنا ومطلق الغرابة لا تنافي الحسن والصحة وقد اخرجه
احمد وابو داود وابو عوانة ايضا في مسنده الصحيح من حديث ابي ذر والطبراني
عن ابن عباس رضي الله عنهما ثم لما كان هذان الحديثان مما عليه مدار الاسلام
ويتضمن ما لا يحصى من الحكم والاحكام لان اولهما في الترهيب من اتباع الهوى والترغيب
في سلوك مسالك الهدى والثاني في التحريض على الرجاء والمغفرة والدعاء الذي هو مخ العبادة

اوردهما زيادة

اوردهما زيادة على عدد الاربعين في آخر الكتاب نصيحة لكل تواب واواه
واواب واشعارا بما قال بعض ارباب الحال شعر من زاد زاده الله في حسناته
ولعله اشار في هذا المحل الى مضمون حديث الحال المرتحل فكان الحديثين بمنزلة الفاتحة
وصدر سورة البقرة والى قوله سبحانه فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب
اي بزيادة المطلب حتى تتقرب وختم بهذا الحديث العظيم الشان اشعارا بانه
يجب على العبد ان يعتقد في مولاه الفضل والاحسان والمغفرة والرافة
والامتنان وان يحسن ظنه آخر عهده في الدنيا واول عهده في العقبى
فانه بتحقيق رجاء الراجين حقيق وولي الاسعاد والامداد والتوفيق
فيا من عرف مكائد الدهر فزهد فيه وشغله هم الموت فلا تضحك بملاقيه
اعتصم بحبل لا انصرام له واستمسك بالعروة الوثقى لا انفصام له واقبل
على القرآن والحديث فما دونهما خبيث وتنزل من القرآن ما هو شفاء ثم رأيت منقولا
ان جماعة من السلف اجتمعوا على باب الفضيل بن عياض رحمه الله ليسمعوا منه الحديث
فاطلع لهم رأسه في الكوة وهو يبكي ولحيته ترجف فقال عليكم بالقرآن عليكم بالصلوة
عليكم بالطواف ويحكم ليس هذا زمان الحديث انما هذا زمان تضرع وبكاء واستكانة
ودعاء كدعاء الغريق في البحر العميق انما هذا زمان احفظ لسانك واخف مكانك
وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر ولعله اراد بالحديث علو الاسناد كما قال غيره
حديثنا باب من ابواب الدنيا لان غالب اهلها ليس لهم تصحيح في نقلها بل لهم غرض
فاسد من الاشتهار والاستظهار لا قصد العمل والاستبصار والاعتبار
قال المص وهذا آخر ما قصدته اي نويته واردته من بيان الاحاديث التي جمعت
قواعد الاسلام اي اساسه وما عليه مدار علماء الاعلام وتضمنت ما لا يحصى من انواع
العلوم في الاصول اي اصول الدين من الالهيات والنبوات والفروع اي الاحكام الفقهية
المتعلقة بالاعمال الظاهرية والآداب اي تحسين الاحوال وتزيين
الاخلاق الباطنية وسائر وجوه الاحكام اي مما يحصل به كمال الاتقان والاحكام

وماذلك الا لكون علوم العالمين وفهوم العالمين عاجزة عن درك
حقايق كمالاته وقاصرة عن كنه دقايق مرامه وانما يغترف كل احد من اتباعه
من بحر فيضه على قدر ما يحسن من اتباعه وهو مظهر الاسم الاعظم والكنز
الافخم الذي ظهر على وجه العالم ولذا قال بعض العارفين قد عرف الخلق
مقام الحق ولم يعرفوا الحقيقة المحمدية لتستره بالاوصاف البشرية
فلله الحمد والمنة على تمام هذا الشرح واسأله المزيد من فضله بزيادة النصر
والفتح انه ولي ذلك والقادر على ما هنالك والمأمول من افضال الافاضل
والطاف الاماثل ان ينظروا في كتابي بعين الرضاء ويصلحوا ما فيه من الزلل
والخطأ فاني قليل البضاعة لكن رب حامل فقه الى من هو افقه منه والسعي بقدر
الاستطاعة واسأل الله حسن الخاتمة في آخر العمر من الساعة التي هي اخت القيامة

فرغ مؤلفه في اليوم التاسع والعشرين من شهر رمضان المبارك
عام عشرة بعد الالف من الهجرة بمكة المكرمة
قبالة الكعبة المعظمة حامدا
على ما هداه الله شاكرا على
ما اولاه مولاه مصليا
ومسلما على نبيه سيد
الانبياء والمرسلين
والحمد لله رب
العالمين

من سواد المكرم

ابتدئ بتحرير هذه النسخة الشريفة المباركة في اليوم السادس في اليوم الاربعاء من جمادى الاول
في سنة ثلاث وثلاثين ومائة والف ووقع اتمامها في اليوم التاسع عشر في اليوم الاحد
في سنة اربع وثلاثين ومائة والف بيد احقر الامراء وافقرهم الى الله الكريم اللطيف
خالد بن مصطفى بن عبد الحي العريف باهلم عارادة الحاكمي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

مشترك